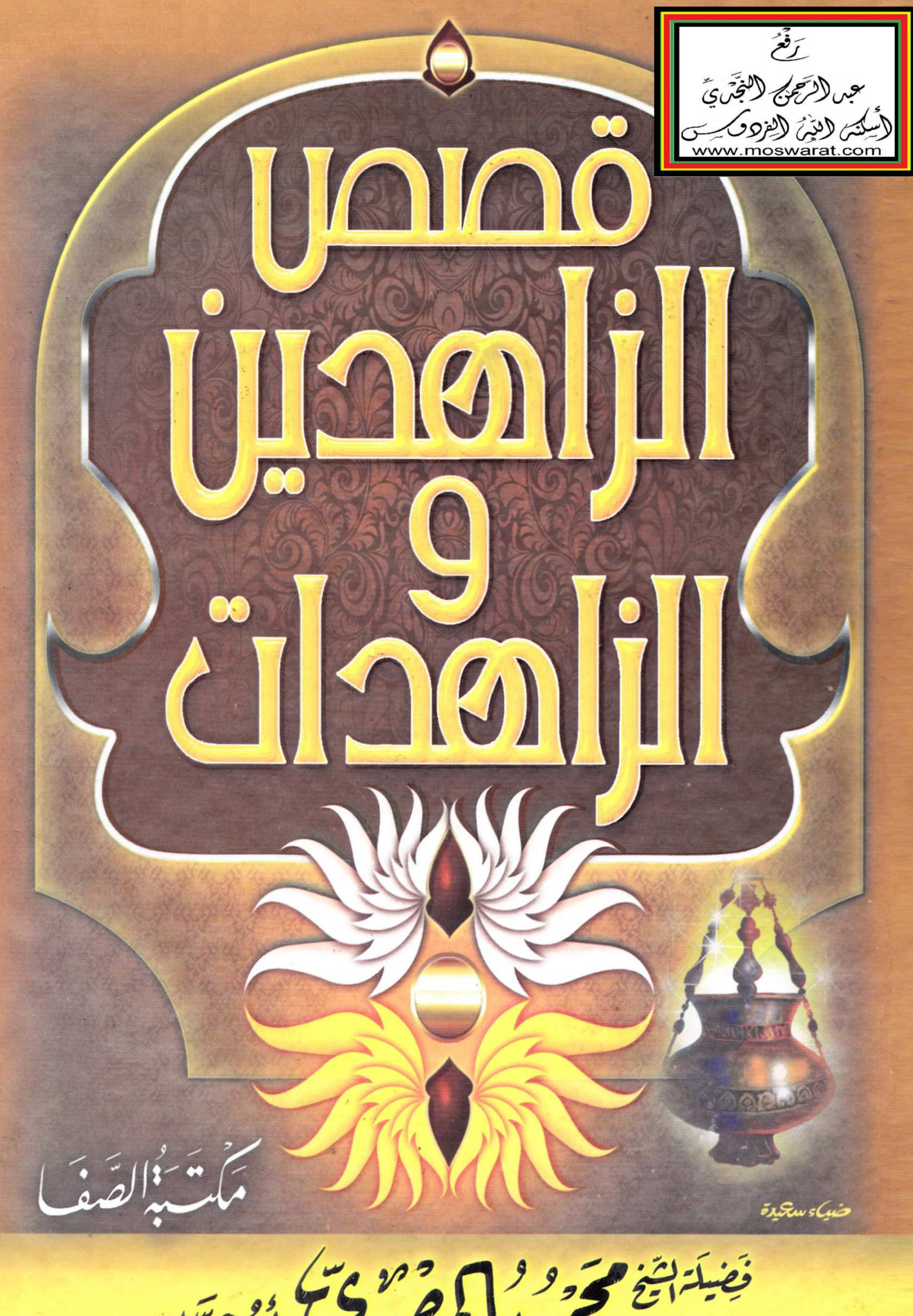
رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



قصص الزاهدين والزاهدات

ضياء سعيدة

مكتبة الصفا

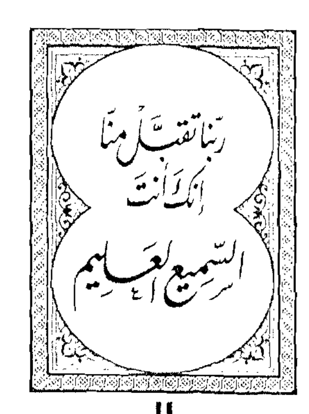
فضيلة الشيخ محمود المصري أبو عمار


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قصص الزاهدين والزاهدات





حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

رقم الإيداع: ٢٠١٢/٢٢٠٦٧

الترقيم الدولي: 978-977-6430-17-4



١٢٧ ميدان الأزهر أمام الجامع الأزهر القاهرة ت ٢٥١٤٧٣٢٠
١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت ٠١٠١٤٣١١١٤ تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤

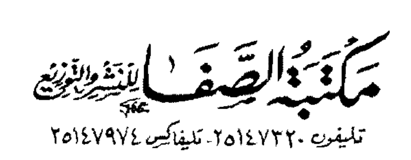




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قصص الزاهدين والزاهدات

فضيلة الشيخ
أبو عمار
محمود المصري



مكتبة الصفا للنشر والتوزيع
تليفون ٢٥١٤٧٣٢٠ - تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين، فمازال فضل الله العظيم الكريم يتوالَى علينا بالتوفيق لإخراج ونشر الكتب النافعة، المبينة لشرع ربنا تبارك وتعالَى، فقد مَنَّ علينا سبحانه بالتوفيق لإخراج عدة طبعات جديدة للمصحف الشريف، حرصنا فيها على غاية الإتقان في جميع ما يتعلق بها.

كما وفقنا لإخراج كتب تفسير كتاب الله العزيز، سواء كان كاملًا، أو مفرقًا على هيئة سورة تلو السورة، أو مجموعة سور، أو موضوع تلو موضوع، كآيات الأحكام وغير ذلك من العلوم المتعلقة بالكتاب العزيز، كما وفقنا لإخراج كتب الحديث النبوي الشريف والتي عليها قوام هذا الدين وهي بيان وتفسير لكتاب الله العزيز، والتي قام بها الجهابذة الأولون من سلفنا الصالح علماء الحديث، الذين وفقهم الله – عز وجل - لتوصيل الدين وتبليغه كتابًا وسنة، قولًا وفعلًا، نصًّا وفَهمًا وعملًا.

وقد أخرجنا بفضل الله عدة كتب كموطأ الإمام مالك، وصحيحي الإمام البخاري ومسلم، وسير أعلام النبلاء، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، وشرح صحيح مسلم وغيرها من الكتب المتضمنة لحديث رسول الله ﷺ رواية ودراية، وشرحًا وبيانًا.

وأيضًا وفقنا لإخراج كتب العلوم الشرعية التى تخدم الكتاب والسنة

بشتى الأشكال. والتي قام بها من تبع الأولين بإحسان لبيان مراد الله عز وجل في كتابه وسنة رسوله ﷺ، في صور شتى ما بين المطول والمختصر - رحمنا الله وإياهم وغفر لنا ولهم، وأحسن إلينا وإليهم.

ويسرنا اليوم أن نقدم هذا الكتاب الذي بين يديك أخي القارئ وهو كتاب: «**قصص الزاهدين والزاهدات**»، وهو إضافة جديدة لإصداراتنا والتي نرجو من الله ﷻ أن يتقبلها منا قبولًا حسنًا، وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله منارًا لخدمة العلم والدين



بين يدى الكتاب

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾(٣).

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدىُ محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

أما بعد:

فإن للقصة أثرًا عميقًا فى النفوس؛ لما تحتويه من عناصر التشويق، وجوانب الاعتبار والاتعاظ، وهى وسيلة يستخدمها الدعاة، والهداة، والمصلحون للوصول إلى قلوب الناس وعقولهم؛ كى يرتقوا بهم من

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان (٧٠، ٧١).

الظلمات إلى النور، ويأخذوا بأيديهم إلى الطريق القويم، فيُسلموا وجوههم لله ﷻ.

ولا ينتفع بهذا القصص إلا أصحاب القلوب التقية النقية وأصحاب الفطر والعقول السوية.. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1].

فمن خلال القصص تظهر السنن الربانية واضحةً جليَّةً حيث يجعل الله ﷻ النصر والتمكين للمؤمنين ويجعل الهلاك والعذاب والنكال للكافرين والمكذبين كما قال رب العالمين: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

۞ ولقد كتبت فى الفترة السابقة مجموعة من الكتب القصصية التى أردت من خلالها أن تتربى قلوبنا على طاعة الله والبُعد عن معصيته، وكذلك البُعد عن مظالم العباد... فكان من بين تلك الكتب كتاب: «قصص نهاية الظالمين»، «قصص التائبين»، «قصص الزاهدين»، «مفاتيح الفرج» وذلك؛ لأنه بالمثال يتضح المقال... فقد يقع أحدنا فى كربٍ شديدٍ وحينما يقرأ سير الذين فرج الله كربهم يتجدد الأمل فى قلبه ويؤمن أن الفرج قريب جدًّا.

وحينما يقرأ فى سير الصالحين فإنه تعلو همته من أجل أن يكون مثلهم فى الصلاح والتقوى.

وحينما يقرأ فى سير الزاهدين يعلم يقينًا أن الدنيا لا تساوى عند الله

(١) سورة التوبة: آية (٥٥).

(٢) سورة هود: آية (١٢٠).

جناح بعوضة... فلا يتصارع من أجلها فلا يضحى بدينه من أجل دنيا فانية.

وحينما يقرأ كيف كانت نهاية الظالمين فإنه يخشى أن يكون مثلهم فيبتعد كل البعد عن ظلم العباد.

وهكذا تكون القصة الواقعية سببًا فى أن يتعايش العبد مع أحداثها وأن يتشبه بالصالحين ليكون مثلهم.

تشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبُّه بالكرامِ فلاحٌ

۞ وها أنا أقدم اليوم لإخوانى وأخواتى وأهلى وأحبابى هذا الكتاب «قصص الزاهدين والزاهدات» راجيًا من الله (جل وعلا) أن يجعلنا منهم وأن يحشرنا معهم، وأن يرزقنا جميعًا صحبة النبى ﷺ فى الجنة.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



الإيمان سر السعادة

السعادة هى جنة الأحلام التى ينشدها كل بشر، من الفيلسوف فى قمة تفكيره وتجريده، إلى العامى فى قاع سذاجته وبساطته. ومن الملك فى قصره المشيد، إلى الصعلوك فى كوخه الصغير. ولا نحسب أحدًا يبحث عن الشقاء لنفسه، أو يرضى بتعاستها.

۞ أين السعادة؟

ولكن السؤال الذى حير الناس من قديم هو: أين السعادة؟

لقد طلبها الأكثرون فى غير موضعها، فعادوا كما يعود طالب اللؤلؤ فى الصحراء، صِفر اليدين، مجهود البدن، كسير النفس، خائب الرجاء!

أجل.. جرب الناس فى شتَّى العصور ألوان المُتع المادية، وصنوف الشهوات الحسية، فما وجدوها - وحدها - تحقق السعادة أبدًا، وربما زادتهم - مع كل جديد منها - همًّا جديدًا.

۞ هل السعادة فى النعيم المادى؟

لقد ظن ذلك قوم، فحسبوا السعادة فى الغنى، وفى رخاء العيش، ووفرة النعيم، ورفاهية الحياة، لكن البلاد التى ارتفع فيها مستوى المعيشة، وتيسرت فيها لأبنائها مطالب الحياة المادية، من مأكل ومشرب، وملبس ومسكن ومركب، مع كماليات كثيرة، لا تزال تشكو من تعاسة الحياة، وتحسُّ بالضيق والانقباض، وتبحث عن طريق آخر للسعادة.

۞ نشر رئيس تحرير إحدى المجلات تحقيقًا صحفيًّا فى مقالين منذ سنوات جعل عنوانه: «أهل الجنة ليسوا سُعداء» وأهل الجنة الذين يعنيهم

هم: سكان السويد الذين يعيشون فى مستوى اقتصادى يشبه الأحلام، ولا يكاد يوجد فى حياتهم خوف من فقر أو شيخوخة أو بطالة أو أى كارثة من كوارث الحياة، فإن الدولة تضمن لكل فرد يُصيبه شىء من ذلك إعانات دورية ضخمة، بحيث لا يجد مواطن مجالًا للشكوى من العوز أو الحاجة الاقتصادية بحال من الأحوال.

«إن ثلث الضرائب التى يدفعها الشعب السويدى تُنفقها الدولة فى التأمينات الاجتماعية وتدفع الدولة ٨٠٪ منها فى مساعدات نقدية، إن أضخم ميزانية هى ميزانية وزارة الشئون الاجتماعية، ثم تليها ميزانية وزارة التربية».

ومع هذه الضمانات التى لم تدع ثغرة إلا سدتها - فقد ذكر الصحفى أن الناس يحيون حياة قلقة مضطربة، كلها ضيق وتوتر، وشكوى وسخط، وتبرم ويأس، ونتيجة هذا أن يهرب الناس من هذه الحياة الشقية النكدة عن طريق «الانتحار» الذى يلجأ إليه الألوف من الناس، تخلصًا مما يعانونه من عذاب نفسى أليم.

وانتهى كاتب التحقيق إلى أن السر وراء هذا الشقاء يرجع إلى أمر واحد هو فقدان «الإيمان».

فكثرة المال ليست هى السعادة، ولا العنصر الأول فى تحقيقها، بل ربما كانت كثرة المال أحيانًا وبالًا على صاحبها فى الدنيا قبل الآخرة، لذا قال الله فى شأن قوم من المنافقين: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[1]. والعذاب هنا هو المشقة والنَّصبُ والألم والهمُّ والسَّقْم، فهو عذاب دنيوى حاضر، على نحو ما ورد فى الحديث:

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٥٥).

«**السفر قطعة من العذاب**»[١] وهذا ما نشاهده بأعيننا فى كل من جعل المال والدنيا أكبر همِّه، ومَبْلغَ علمه، ومنتهى أمله، فهو دائمًا مُعذَّبُ النفس، مُتعَب القلب، مُثقَل الروح، لا يُغنيه قليل، ولا يُشبعه كثير.

وفى الحديث الذى رواه أنس عن النبى ﷺ تصوير لهذه النفسية المعذّبة قال: «**مَنْ كانت الآخرة همُّه جعل الله غناه فى قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومَنْ كانت الدنيا همُّهُ، جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له**»[٢].

ومن أبلغ العذاب فى الدنيا - كما قال الإمام ابن القيم[٣]-: تشتيت الشمل وتفريق القلب، وكون الفقر نصب عينيه لا يفارقه، ولولا سكرة عشاق الدنيا بحبها؛ لاستغاثوا من هذا العذاب.. على أن أكثرهم لا يزال يشكو ويصرخ منه... ومن أنواع العذاب: عذاب القلب والبدن بتحمل أنكاد الدنيا ومحاربة أهلها إياه، ومقاساة معاداتهم، كما قال بعض السَّلف: «من أحب الدنيا، فليوطن نفسه على تحمل المصائب، ومُحب الدنيا لا ينفك عن ثلاثٍ: هَمٌّ لازم، وتعب دائم، وحسرةٌ لا تنقضى، وذلك أن مُحبَّها لا ينال منها شيئًا إلا طمحت نفسه إلى ما فوقه كما فى الحديث: «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثًا**»[٤] ... وقد مثَّل عيسى ابن

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٠٤) كتاب الحج، ومسلم (١٩٢٧) كتاب الإمارة، من حديث أبى هريرة.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٦٥)، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى السلسلة الصحيحة (٩٤٩)، وصحيح الجامع (٦٥١٠).

(٣) فى كتابه «إغاثة اللهفان».

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٣٦) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠٤٩) كتاب الزكاة.

مريم عليه السلام مُحب الدنيا بشارب الخمر، كلما ازداد شربًا، ازداد عطشًا.

هل السعادة فى الأولاد؟

حقيقة إن الأولاد زهرة الحياة، وزينة الدنيا، ولكن كم من أولاد جَرُّوا على آبائهم الويل وجازوهم بالعقوق والكفران بدل البر والإحسان، بل كم من آباءٍ ذاقوا حتفهم على يد أولادهم، طمعًا فى ثرواتهم، أو لوقوفهم فى سبيل شهواتهم.

لقد وجدنا من الآباء من يقول لولده آسفًا آسيًا:

غذوتُك مولودًا وعُلتك يافعًا ... تُعَلُّ بما أُسدى إليك وتنهلُ

إذا ليلة نابتك بالشجو لم أبت ... لبلواك إلا ساهرًا أتململُ

فلما بلغتَ السن والغاية التى ... إليها مدى ما كنتُ فيك أؤمِلُ

جعلتَ جزائى غِلظة وفظاظة ... كأنك أنت المُنعم المتفضلُ

السعادة فى داخل الإنسان:

السعادة: إذًا ليست فى وفرة المال، ولا سطوة الجاه، ولا كثرة الولد، ولا نيل المنفعة، ولا فى العلم المادى.

السعادة: شىء معنوى لا يُرى بالعين، ولا يُقاس بالكم، ولا تحتويه الخزائن، ولا يُشترى بالدينار، أو الجنيه أو الروبل أو الدولار.

السعادة: شىء يشعر به الإنسان بين جوانحه.... صفاء نفس، وطمأنينة قلب، وانشراح صدر، وراحة ضمير.

السعادة: شىء ينبع من داخل الإنسان ولا يُستورد من خارجه.

حدَّثوا أن زوجًا غاضَب زوجته، فقال لها متوعدًا: لأُشقينك، فقالت

الزوجة في هدوء: لا تستطيع أن تُشقيني، كما لا تملك أن تُسعدني.

فقال الزوج في حنق: وكيف لا أستطيع؟

فقالت الزوجة في ثقة: لو كانت السعادة في راتب لقطعته عني، أو زينة من الحُلي والحُلَل لحرمتني منها، ولكنها في شيء لا تملكه أنت ولا الناس أجمعون!

فقال الزوج في دهشة: وما هو؟

فقالت الزوجة في يقين: إني أجد سعادتي في إيماني، وإيماني في قلبي، وقلبي لا سلطان لأحد عليه غير ربي!

هذه هي السعادة الحقَّةُ، السعادة التي لا يملك بشر أن يعطيها، ولا يملك أن ينتزعها ممن أُوتيها، السعادة التي شعر بنشوتها أحد المؤمنين الصالحين فقال: إننا نعيش في سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف!

وقال آخر وهو ثَملٌ بتلك اللَّذة الروحية التي تغمر جوانبه: إنه لتمر عليَّ ساعات أقول فيها: لو كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه الآن، لكانوا إذًا في عيش طيب!

والذين رُزقوا هذه النعمة يسخرون من الأحداث وإن برقت ورعدت، ويبتسمون للحياة وإن هي كشَّرت عن نابها، ويُفلسفون الألم، فإذا هو يتحول عندهم إلى نعمة تستحق الشكر، على حين هو عند غيرهم مصيبة تستوجب الصراخ والشكوى[1].

---

(١) الإيمان والحياة/ د. يوسف القرضاوي (ص: ٧٦-٨٤) بتصرف.

ما العيش إلا في الجنة

۞ قال الإمام ابن الجوزى رَحِمَهُ اللَّهُ:

تفكرت فى نفسى فرأيتنى مفلسًا من كل شىء!

إن اعتمدت على الزوجة لم تكن كما أريد. إن حَسُنَت صورتها لم تكمل أخلاقها، وإن تمت أخلاقها، كانت مريدة لغرضها لا لى، ولعلها تنتظر رحيلى.

وإن اعتمدت على الولد فكذلك، والخادم، والمريد لى كذلك، فإن لم يكن لهما منى فائدة لم يريدانى.

وأما الصديق فليس ثَمَّ، وأخٌّ فى الله كعنقاء مغرب، ومعارف يفتقدون أهل الخير، ويعتقدون فيهم قد عدموا، وبقيت وحدى.

وعُدت إلى نفسى - وهى لا تصفو إلىَّ أيضًا، ولا تقيم على حالة سليمة - فلم يبق إلا الخالق سبحانه، فرأيت أنى إن اعتمدت على إنعامه، فما آمن ذلك البلاء، وإن رجوت عفوه، فما آمن عقوبته، فوا أسفًا لا طمأنينة ولا قرار.

بالله ما العيش إلا فى الجنة، حيث يقع اليقين بالرضا، والمعاشرة لمن لا يخون ولا يؤذى فأما الدنيا فما هى دار ذاك[1].

---

(١) «صيد الخاطر» (ص: ٣٤٧).

لا يجتمع حب الدنيا وحب الآخرة

۞ قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ:

رأيت سبب الهموم والغموم الإعراض عن الله عَزَّ وَجَلَّ، والإقبال على الدنيا. وكلما فات منها شيء، وقع الغمُّ لفواته.

فأما من رُزق معرفة الله تعالى استراح؛ لأنه يستغنى بالرضا بالقضاء، فمهما قُدِّرَ له رضى.

وإن دعا فلم ير أثر الإجابة لم يختلج فى قلبه اعتراض، لأنه مملوك فتكون همته فى خدمة الخالق.

ومَن هذه صفته لا يؤثر جمع مال، ولا مخالطة الخلق ولا الالتذاذ بالشهوات؛ لأنه إما أن يكون مقصرًا فى المعرفة، فهو مقبلٌ على التعبد المحضِ، يزهد فى الفانى؛ لينال الباقى.

وإما أن يكون له ذوق فى المعرفة، فإنه مشغول عن الكُلِّ بصاحب الكل.

فتراه مُتأدبًا فى الخلوة به، مستأنسًا بمناجاته، مستوحشًا من مخالطة خلقه راضيًا بما يقدر له. فعيشه معه، كعيش مُحبٍّ قد خَلا بحبيبه، لا يريد سواه، ولا يهتم بغيره.

فأما مَنْ لم يُرزق هذه الأشياء، فإنه لا يزال فى تنغيص متكدر العيش؛ لأن الذى يطلبه من الدنيا لا يقدر عليه، فيبقى أبدًا فى الحسرات مع ما يفوته من الآخرة بسوء المعاملة.

نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يستصلحنا له، فإنه لا حول ولا قوة إلا به[١].

---

(١) «صيد الخاطر» (ص: ٣٤٦، ٣٤٧).

جميع لذات الدنيا سبع

۞ قال الإمام ابن الجوزى رَحِمَهُ اللَّهُ:

إخوانى، احذروا الدنيا، فإنها أسحر من هاروت وماروت. ذانك يفرقان بين المرء وزوجه، وهذه تفرق بين العبد وربه. وكيف لا، وهى التى سحرت سحرة بابل؟ إن أقبلتْ شغلت، وإن أدبرتْ قتلت[1].

۞ إن جميع لذات الدنيا سبع:

مأكل، ومشرب، ومنكح، وملبس، ومسكن، ومشموم، ومسموع، ومبصر، وهى بجملتها خسيسة... كما رُوى عن علىّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لعمار ابن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد رآه يتنفس كالحزين: «يا عمار! إن كان تنفُّسك على الآخرة؛ فقد ربحَت تجارتك، وإن كان على الدنيا؛ فقد خسرت صفقتك».

فإنى وجدت لذاتها: المأكولات، والمشروبات، والمنكوحات، والملبوسات، والمسكونات، والمشمومات، والمسموعات، والمبصرات:

فأما المأكولات: فأفضلها العسل، وهو صنعة ذباب!

والمشروبات: أفضلها الماء، وهو أهون موجود وأعز مفقود.

وأما المنكوحات: فَمَبَالٌ فى مَبَالٍ.. وحسبك أن المرأة تُزيّن أحسن شىء منها، ويُراد أقبح شىء منها!.

وأما الملبوسات: فأفضلها الديباج وهو نسج دودة..

والمشمومات: فأفضلها المسك، وهو دم فأرة[2]..

---

(١) المدهش (١٣٥).

(٢) قال ابن منظور: «وربما سمى المسك فارًا، لأنه من الفأر» لسان العرب (٥/ ٤٢) وفأرة المسك ليست هى الفأرة التى نعرفها وإنما هو شىء يخرج من الغزال حال حياته. وسمى فأرًا لشبهه بالفأر ولفورانه.

والمسموعات: فريح هابة فى الهواء.

والمبصرات: فخيالات صائرة إلى الفناء.

هذا كلامه. ومن آفاتها أن كلّ واحدة منها يتبرّم بها بعد استيفائها فى لحظة.

فليعتبر حالة الفراغ عن الجماع والأكل بما قبله، ولينظر كيف ينقلب المطلوب مهروبًا منه فى الحال؟! فأين يوازى هذا ما تدوم لذّته، ولا يفنى أبد الآباد راحته، وهو الابتهاج بكمال النفس بالفضائل النفسية، خصوصًا الاستيلاء على الكلّ بالعلم والعقل[1].

---

(١) ميزان العمل للغزالى ص (١٣٦).

لا تحزن على فوات الدنيا

۞ أيها الأخ الحبيب: لا تحزن على فوات الدنيا.. فالدنيا كلها لا تساوى عند الله جناح بعوضة... ولكن احزن على فوات الآخرة، واحزن على على فوات كل لحظة لم تغتنمها فى طاعة الله - جل وعلا -.

- فالمال لا ينفعك إلا إذا استعملته فيما يقربك من الله... والأهل لا ينفعوك إلا إذا أخذت بأيديهم وأخذوا بيديك إلى طاعة الله وإلى جنته - سبحانه وتعالى-.

قال ﷺ: **«يتبع الميت ثلاث، فيرجع اثنان ويبقى واحد؛ يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله»**[(١)].

۞ لقد كان سلفنا الصالح لا يخافون من فوات الدنيا وإنما يخافون من فوات الجنة وما يقرب إليها.. حتى كان الواحد منهم يحب من يُذكره بأن الدنيا هى دار الغرور وأن الآخرة هى دار السرور والحبور.

۞ **فها هو هارون الرشيد** رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال له ابن السماك يومًا: إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتُبعث منه وحدك، فاحذر المقام بين يدى الله ﷻ، والوقوف بين الجنة والنار، وحين يؤخذ بالكظم - أى: مخرج النفس من الحلق - وتزل القدم، ويقع الندم، فلا توبة تُقبل، ولا عثرة تُقال، ولا يقبل فداء بمال، فجعل الرشيد يبكى حتى علا صوته، فقال يحيى بن خالد له: يا ابن السماك، لقد

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥١٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٦٠) كتاب الزهد والرقائق، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

شققت على أمير المؤمنين الليلة، فقام فخرج من عنده وهى يبكى.

قال الفضيل: استدعانى الرشيد يومًا وقد زخرف منازله، وأكثر الطعام والشراب واللذات فيها، ثم استدعى أبا العتاهية، فقال له: صف لنا ما نحن فيه من العيش والنعيم فقال:

عش ما بدا لك سالمًا ... فى ظل شاهقة القصور
تسعى عليك بما اشتهيت ... لدى الرواح إلى البكور
فإذا النفوس تقعقعت ... عن ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنًا ... ما كنت إلا فى غرور

قال: فبكى الرشيد بكاءً كثيرًا شديدًا، فقال له الفضل بن يحيى: دعاك أمير المؤمنين تسره فأحزنته؟ فقال له الرشيد: دعه فإنه رآنا فى عمى فكره أن يزيدنا عمى. ومن وجه آخر أن الرشيد قال لأبى العتاهية: عظنى بأبيات من الشعر وأوجز فقال:

لا تأمن الموت فى طرفٍ ولا نفسٍ ... ولو تمتعت بالحُجَّاب والحرسِ
واعلم بأن سهام الموت صائبة ... لكل مدرّع منها ومترّسِ
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجرى على اليبسِ

قال: فخر الرشيد مغشيًّا عليه[1].

۞ من أجل ذلك أقول لك:

۞ يا هذا عندك بضائع نفيسة: دموع ودماء، أنفاس وحركات، كلمات ونظرات، فلا تبذلها فيما لا قدر له.

(١) البداية والنهاية (١٠/ ١٨٠، ١٨١).

أيصلح أن تبكى لفقد ما لا يبقى؟ أو تتنفس أسفًا على ما يفنى؟ أو تبذل مهجةً لصورة عن قليل تُمحى.

ويحك! دمعة منك تطفئ غضب ربك، وقطرة من دمٍ فى شهادة تمحو زلَلك. ونَفَسُ أسفٍ ينسف ما سلف، وخطوات فى مرضاته تغسل الخطيئات، وتسبيحة تغرس لك أشجار الخلد....[١].

(١) لا تحزن وكن مطمئنًا (ص:٢٠٣).

بِعْ دنياك بآخرتك

مَنْ تأمل بعين الفكر دوام البقاء في الجنة في صفاء بلا كدر، ولذات بلا انقطاع، وبلوغ كل مطلوب للنفس، والزيادة مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من غير تغيير ولا زوال، إذ لا يقال ألف ألف سنة، ولا مائة ألف ألف، بل ولو أن الإنسان عدَّ ألوف ألوف السنين لا ينقضي عدده وكان له نهاية، وبقاء الآخرة لا نفاذ له.

إلا أنه لا يحصل ذلك إلا بنقد هذا العمر.

وما مقدار عمر غايته مائة سنة منها خمسة عشر صبوة وجهل، وثلاثون بعد السبعين - إن حَصُلَتُ - ضعف وعجز.

والتوسط نصفه نوم، وبعضه زمان أكل وشَرب وكسب، والمنتحل منه للعبادات يسير.

أفلا يشترى ذلك الدائم بهذا القليل؟ إن الإعراض عن الشروع في هذا البيع والشراء، لغُبن فاحش في العقل، وَخَللٌ داخل في الإيمان بالوعد[1].

---

(١) «صيد الخاطر» (ص: ٣٥٩-٣٦٠).

لا تنسَ نصيبك من الدنيا

وليس معنى أننا نتكلم كثيرًا عن الزهد في الدنيا، وتعلُّق القلب بالآخرة أن ينسى العبد نصيبه من الدنيا، فيعيش حياة قاسية ليس فيها شيء من المباحات.... كلا.

- بل إن من تمام السعادة أن نتمتع بزهرة الحياة الدنيا ولكن في حدود ما أحلَّهُ الله لنا ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا** ﴾[1].

- فإن المنظر الجميل والرائحة الطيبة والنزهة بين الورود والزهور، تزيد الصدر انشراحًا وسُرورًا.

- ومع ذلك فنحن نجد صنفًا عجيبًا يعيش حالة من الزهد المزعوم والورع المزيف فيُحرِّمون على أنفسهم كل متعة مباحة ويملؤون حياتهم همًّا وغمًّا وكآبة.. وليس ذلك فحسب، بل إنهم يريدون أن يعيش الناس جميعًا مثلهم وإلا كانوا فاسقين منحرفين!!!

- قال تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا** ﴾[2].. ولقد كان رسولنا ﷺ يقول: «**حُبِّب إليَّ من دُنياكم: الطِّيب والنِّساء، وجُعلت قُرة عيني في الصَّلاةِ**»[3].

وكان النبي ﷺ يقول: «..... **ولكني أصُوم وأُفطر وأُصلي وأرقد وأتزوج**

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٩).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٢١).

(٣) صحيح: رواه النسائي (٣٩٣٩، ٣٩٤٠)، وأحمد (١١٨٨٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٢٩١)، وصحيح الجامع (٣١٢٤).

النساء، فمَنْ رَغِبَ عن سُنتى فليس منى»[١].

- وكان ﷺ يلبس أجمل الثياب ويضع أجمل العطور ويتزوج الثِّيبات والأبكار.. فهو ﷺ يجمع بين غذاء الروح، وغذاء الجسد، وبين سعادة الدنيا والآخرة.. لأن الدِّين الذى جاء به النبى ﷺ هو دين الفطرة.

- فالشاهد: أنه لا ينبغى أن نحرم أنفسنا من زهرة الحياة الدنيا بحجة أن هذا يتعارض مع الزهد والورع.. بل تمتَّع بحياتك مادمت بعيدًا عن معصية الله -جلَّ وعلا- فإن هذه المتعة الحلال، ستكون عونًا لك على طاعة ذى الجلال - سبحانه وتعالى-. قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[٢].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٦٣) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٠١) كتاب النكاح، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) سورة الأعراف: آية (٣٢).

تعريف الزهد والزاهدين

قال سفيان الثورى: الزهد فى الدنيا قِصَر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء.

وقال الجنيد: سمعت سريًا يقول: إن الله ﷻ سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفيائه وأخرجها من قلوب أهل وداده لأنه لم يرضها لهم.

وقال: الزهد فى قوله تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾(1) فالزاهد لا يفرح من الدنيا بموجود ولا يأسف منها على مفقود.

وقال: الزهد: خُلو القلب عما خلت منه اليد.

وقال الإمام أحمد: الزهد فى الدنيا قِصَر الأمل.

وفى رواية عنه: عدم فرحه بإقبالها ولا حزنه على إدبارها. فإنه سُئل عن الرجل يكون معه ألف دينار هل يكون زاهدًا؟ فقال: نعم على شريطة أن لا يفرح إذا زادت، ولا يحزن إذا نقصت.

وقال رجل ليحيى بن معاذ: متى أَدخل حانوت التوكل، وألبس رداء الزاهدين، وأقعد معهم؟ فقال: إذا صرت من رياضتك لنفسك إلى حد أنَّهُ لو قَطع الله الرزق عنك ثلاثة أيام لم تضعف نفسك، فأمَّا ما لم تبلغ إلى هذه الدرجة، فجلوسك على بساط الزاهدين جهل، ثم لا آمن عليك أن تفتضح.

وقال الحسن: «الزاهد الذى إذا رأى أحدًا قال هو أزهد منى».

وقال يونس بن ميسرة: «ليس الزهادة فى الدنيا بتحريم الحلال، ولا

---

(1) سورة الحديد: آية (٢٣).

إضاعة المال، وإنما الزهادة فى الدنيا أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك، وأن يكون حالك فى المصيبة وحالك إذا لم تُصَب بها سواء، وأن يكون مادحك وذامُّك فى الحق سواء».

وقال الفضيل: «أصل الزهد الرضا عن الله ﷻ».

وقال: القَنوع هو الزاهد وهو الغنى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والزهد: تَرْكُ ما لا ينفع فى الآخرة، والورع: تَرْكُ ما تخاف ضرره فى الآخرة».

وقال ابن القيم رحمه الله: «الذى أجمع عليه العارفون: أن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا، وأخذه فِى منازل الآخرة. وعلى هذا صنَّف المتقدمون كتب الزهد. كالزهد لعبد الله بن المبارك، وللإمام أحمد، ولوكيع، ولِهنَّاد ابن السرى، ولغيرهم.

ومُتعلَّقه ستة أشياء. لا يستحق العبد اسم «الزهد» حَتَّى يزهد فيها. وهي: المال، والصور، والرياسة، والنفس، وكل ما دون الله.

وليس المراد رفضها من الملك. فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانِهما. ولهما من المال والمُلك والنساء ما لَهما.

وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق. وله تسع نسوة. وكان على بن أبِى طالب وعبد الرحمن بن عوف والزبير وعثمان رضي الله عنهم من الزهاد. مع ما كان لَهم من الأموال. وكان عبد الله بن المبارك من الأئمة الزهاد، مع مالٍ كثير. وكذلك الليث بن سعد من أئمة الزهاد[١][٢].

---

(١) باختصار من «مدارج السالكين» (٢/ ١٢، ١٣) بتحقيق حامد الفقى.

(٢) الزهد والرقائق / للإمام ابن المبارك (ص ١٠-١١).

علامات الزهد

۞ قد تظن أن تارك المال زاهد، وليس كذلك، فإن تَرْكَ المال، وإظهار التخشُّن، سهل على من أحب المدح بالزهد، فكم من راهبٍ قد لازم الدير، وقلَّل المطعم،وقوَّاه على ذلك حُب المحمدة ... ولابد من الزهد فى فضول الأموال والجاه جميعًا، حتى يكمل الزهد فى حظوظ النفس، فأول معرفة الزهد مُشْكِل ... وقد قال ابن المبارك: أفضل الزهد إخفاء الزهد، وينبغى أن يُعوَّل فى هذا على ثلاث علامات:

الأولى: أن لا يفرح بموجود، ولا يحزن بمفقود، كما قال تعالى ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾[1] وهذا علامة الزهد فى المال.

الثانى: أن يستوى عنده ذامُّه ومادحه، وهذه علامة الزهد فى الجاه.

الثالث: أن يكون أُنسه بالله، والغالب على قلبه حلاوة الطاعة. فأما محبة الدنيا ومحبة الله تعالى، فهما فى القلب كالماء والهواء فى القدح، إذا دخل الماء خرج الهواء، فلا يجتمعان. قيل لبعضهم: إلام أفضى بهم الزهد؟ قال: إلى الأنس بالله. قال يحيى بن معاذ: الدنيا كالعروس، ومن يطلبها ماشطتها والزاهد يسخم وجهها، وينتف شعرها، ويخرق ثوبها، والعارف مشتغل بالله تعالى عنها. فهذا ما أردنا ذكره من حقيقة الزهد وأحكامه[2].

---

(١) سورة الحديد: الآية: (٢٣).

(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص ٤٠٥-٤٠٦).

أقسام الزهد

۞ وأما عن أقسام الزهد فقد قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الزهد أقسام: زهد فى الحرام، وهو فرض عين. وزهد فى الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحقت بالواجب، وإن ضعفت كان مستحبًّا. وزهد فى الفضول. وزهد فيما لا يعنى من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره. وزهد فى الناس. وزهد فى النفس بحيث تهون عليه نفسه فى الله. وزهد جامع لذلك كله، وهو الزهد فيما سوى الله، وفى كل ما شغلك عنه.

وأفضل الزهد إخفاء الزهد، وأصعبه الزهد فى الحظوظ.

والفرق بينه وبين الورع: أن الزهد ترك ما لا ينفع فى الآخرة، والورع ترك ما يُخشى ضرره فى الآخرة. والقلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع.

قال يحيى بن معاذ: عجبت من ثلاث: رجل يرائى بعمله مخلوقًا مثله ويترك أن يعمله لله، ورجل يبخل بماله وربه يستقرضه منه فلا يقرضه منه شيئًا، ورجل يرغب فى صحبة المخلوقين ومودتهم، والله يدعوه إلى صحبته ومودته [1].

۞ وأما أقسام الزهد بالإضافة إلى المرغوب فيه، فعلى ثلاث درجات:

أحدها: الزهد للنجاة من العذاب، والحساب، والأهوال التى بين يدى الآدمى، وهذا زهد الخائفين.

الدرجة الثانية: الزهد للرغبة فى الثواب، والنعيم الموعود به، وهذا زهد الراجين فإن هؤلاء تركوا نعيمًا لنعيم.

---

(١) الفوائد (ص: ١٧٢-١٧٣).

الدرجة الثالثة: وهي العُليا ... هو أن لا يزهد فى الدنيا للتخلص من الآلام، ولا للرغبة فى نيل اللذات، بل لطلب لقاء الله تعالى وهذا زهد المحسنين العارفين، فإن لذة النظر إلى الله سبحانه وتعالى بالإضافة إلى لذات الجنة، كلذة ملك الدنيا، والاستيلاء عليها، بالإضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به[1].

۞ أقول: بل ليس هناك نسبة وتناسُب بين هذا وذاك ... لأنَّ لذة النظر إلى وجه الله ﷻ لا تُقارَن بأي شيء في الدنيا ولا في الجنة.

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص ٤٠١).

درجات الزهد

من الناس من يزهد فى الدنيا وهو لها مُشتهٍ، لكنه يجاهد نفسه، وهذا يُسمَّى: المتزهد، وهو مبدأ الزهد.

الدرجة الثانية: أن من الناس مَن يزهد فيها طوعًا لا يكلف نفسه ذلك، لكنه يرى زهده ويلتفت إليه، فيكاد يُعجَب بنفسه، ويرى أنه قد ترك شيئًا له قدر لما هو أعظم قدرًا منه، كما يترك درهمًا لأخذ درهمين، وهذا أيضًا نُقصان.

الدرجة الثالثة: وهى العليا أن يزهد طوعًا، ويزهد فى زهده، فلا يرى أنه ترك شيئًا، لأنه عرف أن الدنيا ليست بشئ، فيكون كمن ترك خرقة، وأخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة، فإن الدنيا بالإضافة إلى نعيم الآخرة، أخسُّ من خرقة بالإضافة إلى جوهرة، فهذا هو الكمال فى الزهد.

واعلم: أن مَثَل مَن ترك الدنيا، مثل مَن منعه عن باب الملك كلب على بابه، فألقى إليه لقمة من خبز فشغله بذلك ودخل، فقرب من الملك.

أَفَتراه يرى لنفسه يدًا عند الملك بلقمة ألقاها إلى كلبه فى مقابلة ما قد ناله؟

فالشيطان كلب فى باب الله ﷻ، ويمنع الناس من الدخول، مع أن الباب مفتوح، والحجاب مرفوع، والدنيا كلقمة، فمن تركها لينال عز الملك، فكيف يلتفت إليها ؟ ثم إن نسبتها - أعنى ما سلم لكل شخص منها ولو عمر ألف سنة - بالإضافة إلى نعيم الآخرة، أقل من لقمة بالإضافة إلى ملك الدنيا، لأن الفانى لا نسبة له إلى الباقى، كيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مُكدَّرة ؟[1].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٤٠٠-٤٠١).

فضل الزهد في الدنيا (من القرآن الكريم)

قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[١].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[٤].

❁ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

والقرآن مملوء من التزهيد في الدنيا، والإخبار بخستها[٥] وقلتها

---

(١) سورة النساء: آية (٧٧).

(٢) سورة يونس: آية (٢٤).

(٣) سورة الحديد: آية (٢٠).

(٤) سورة آل عمران: آية (١٤).

(٥) إنما ذلك للحياة الدنية الخسيسة، التي يتعلق بها الغافلون عن كرامتهم، وينصرفون بها إلى البهيمية، ويخلدون إلى أرضها. أما الذاكرون لكرامتهم ودرجاتهم العالية. فإنهم يتخذون من

وانقطاعها، وسرعة فنائها. والترغيب فى الآخرة، والإخبار بشرفها ودوامها، فإذا أراد الله بعبدٍ خيرًا أقام فى قلبه شاهدًا يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة. ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار.

قال: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول: الزهد ترك ما لا ينفع فى الآخرة، والورع: ترك ما تخاف ضرره فى الآخرة.

وهذه العبارة من أحسن ما قيل فى «الزهد، والورع» وأجمعها.

وقد قال الإمام أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه: الأول: ترك الحرام. وهو زهد العوام. والثانى: ترك الفضول من الحلال. وهو زهد الخواص. والثالث: ترك ما يشغل عن الله. وهو زهد العارفين.

وهذا الكلام من الإمام أحمد يأتى على جميع ما تقدم من كلام المشايخ، مع زيادة تفصيله وتبين درجاته، وهو من أجمع الكلام. وهو يدل على أنه رضي الله عنه من هذا العلم بالمحل الأعلى. وقد شهد الشافعى رحمه الله بإمامته فى ثمانية أشياء «أحدها الزهد».

والذى أجمع عليه العارفون: أن الزهد: سفر القلب من وطن الدنيا، وأخذه فى منازل الآخرة[1].

❊ ❊ ❊

= حياتهم الأولى وما فيها مما أنعم الله عليهم به وسخره لهم - أسبابًا يرتفعون بها على مراق البر والإحسان. فهى حياة كريمة مباركة.

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٠-١٣) بتصرف.

فضل الزهد فى الدنيا «من سُنة الحبيب ﷺ»

وتعالوا بنا لنتعرف على فضائل الزهد فى الدنيا من خلال سُنة الحبيب ﷺ.

- فها هو ﷺ يخبر أصحابه والأمة من بعدهم بضآلة الدنيا التى لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

- روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»[(١)].

- وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم، فلينظر بم يرجع؟**»[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرًا منها شربة ماءٍ**»[(٣)].

۞ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى، وما والاه وعالمًا ومتعلمًا**»[(٤)].

۞ وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أُرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**»[(٥)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٠) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٠) كتاب الزهد، وصححه الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٤٣)، وصحيح الجامع (٥٢٩٢).

(٤) حسن: رواه الترمذى (٢٣٢٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٢) كتاب الزهد، وحسنه الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٩٧)، وصحيح الجامع (٣٤١٤).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٧٦)، وأحمد (١٥٣٥٧)، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٢٠).

وقفة لطيفة

۞ قال الحافظ ابن رجب الحنبلى رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فى شرحه لهذا الحديث:

«هذا مثل عظيم جدًّا ضربه النبى ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف فى الدنيا وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين يأتيان فى الغنم وقد غاب عنها رعاؤها ليلًا، فهما واكلان الغنم ويفترسان فيها.

ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل. فأخبر النبى ﷺ أن حرص المرء على المال والشرف إفساد لدينه ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم، بل إما أن يكون مساويًا وإمّا أكثر. يشير أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف فى الدنيا إلا القليل، كما أنه لا يسلم من الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل.

لا تتم الرغبة فى الآخرة إلا بالزهد فى الدنيا

۞ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

لا تتم الرغبة فى الآخرة إلا بالزهد فى الدنيا، ولا يستقيم الزهد فى الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

النظر الأول: النظر فى الدنيا، وسرعة زوالها، وفنائها، واضمحلالها، ونقصها، وخستها، وألم المزاحمة عليها والحرص عليها، وما فى ذلك من الغصص والنغص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع، مع ما يعقب من الحسرة والأسف.

النظر الثانى: النظر فى الآخرة، وإقبالها، ومجيئها ولابد، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات، والتفاوت الذى بينه وبين ما هاهنا. فهى كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[1].

فإذا تم له هذان النظران آثر ما يقتضى العقلُ إيثاره، وزهد فيما يقتضى الزهد فيه.

وقد توعد سبحانه أعظم الوعيد لمن رضى بالحياة الدنيا، واطمأن بها، وغفل عن آياته، ولم يرج لقاءه؛ فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[2].

ويكفى فى الزهد فى الدنيا قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴾[3].

وقوله: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾[4].

وقوله: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾[5].

وقوله: ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[6][7].

---

(١) سورة الأعلى: آية (١٧).

(٢) سورة يونس: الآيتان (٧، ٨).

(٣) سورة الشعراء: الآيات (٢٠٥-٢٠٧).

(٤) سورة يونس: آية (٤٥).

(٥) سورة الروم: آية (٥٥).

(٦) سورة المؤمنون: الآيات (١١٢-١١٤).

(٧) الفوائد (ص: ١٤١: ١٤٤) بتصرف.

النبى ﷺ يعلم الأمة نعمة القناعة

۞ وها هو ﷺ يعلم أصحابه وأمته نعمة القناعة؛ ليعلموا أن الدنيا لا تستحق أن ينشغل العبد بحطامها الزائل.

قال رسول الله ﷺ: **«من أصبح منكم آمنًا فى سربه، معافى فى جسده، عندهُ قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»**(١).

۞ وقال ﷺ: **«قد أفلح من أسلم، وكان رزقه كفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه»**(٢).

۞ وقال ﷺ: **«انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»**(٣).

۞ ووضح النبى ﷺ أن الزهد فى الدنيا من أعظم أسباب صلاح هذه الأمة فقال ﷺ: **«صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ويهلك آخرها بالبخل والأمل»**(٤).

۞ وأخبر الصادق ﷺ أن العبد إذا انشغل بالآخرة أتته الدنيا وهى راغمة وإذا انشغل بالدنيا خسر الدنيا والآخرة...

قال رسول الله ﷺ: **«من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه فى قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت الدنيا همهُ، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدر له»**(٥).

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٣٤٦)، وحسنه الألبانى رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى صحيح الجامع (٦٠٤٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠٥٤) كتاب الزكاة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٣) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) رواه أحمد فى الزهد ص (١٠)، وحسنه الألبانى رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى صحيح الجامع (٣٨٤٥).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٦٥)، وصححه الألبانى رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى صحيح الجامع (٦٥١٠).

سلفنا الصالح... ونعمة القناعة

۞ يقول الشيخ عائض القرني (حفظه الله):

قرأت سيرة سعيد بن المسيب، وسفيان الثورى، وأحمد بن حنبل، والخليل بن أحمد وأمثالهم من علماء الملة، فوجدت العجب العجاب، من قناعتهم من الدنيا بالقليل، فهم على الخبز اليابس أحيانًا مع الماء، وأحيانًا مع الزيت، وربما جاعوا الأيام ولم يجدوا طعامًا، وربما لا يجدوا إلا خبز الشعير، مع أن الدنيا تطاردهم، وعطايا السلطان تطلبهم، وهم يرفضون ويفرون. وهذا هو العلم النافع الذى أثر فى حياتهم وأخلاقهم، فبقى ذكرهم مرفوعًا دائمًا وأبدًا، وعمَّ نفعهم، واستفيد من علمهم، وانتشر فضلهم والثناء عليهم. رحمهم الله رحمة واسعة وإيانا معهم(١).

النبى ﷺ يوضح قدر الدنيا بصورة عملية

وها هو النبى ﷺ يوضح لنا مدى ضآلة الدنيا وحقارتها من خلال هذا المثال العملى والصورة الحية.

- ففى الحديث عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول ﷺ مر بالسوق والناس كنفتيه، فمرَّ بجدى أسك ميت، فتناوله، فأخذ بأذنه، ثم قال: «**أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم؟**» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ ثم قال: «**أتحبون أنه لكم؟**» قالوا: والله لو كان حيًّا كان عيبًا، إنه أسك. فكيف وهو ميت، فقال: «**فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**»(٢)(٣).

---

(١) حدائق ذات بهجة (ص: ١٦٦).

(٢) قوله: «كنفتيه» أى: عن جانبيه. و«الأسك» الصغير الأذن.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٧) كتاب الزهد والرقائق.

ازهد فى الدنيا يحبك الله (جل وعلا)

بل وأخبر النبى ﷺ أن الزهد فى الدنيا من أعظم أسباب الفوز بمحبة الله -جل وعلا-.

۞ فعن سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ: فقال: يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله، وأحبنى الناس، فقال: «**ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**»(١).

۞ وكيف لا يزهد المسلم فى حطام الدنيا وقد قال ﷺ -كما عند مسلم-: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»(٢).

وصية غالية

وها هو ﷺ يوصى **عبد** الله بن عمر رضي الله عنهما بهذه الوصية الغالية:

- ففى الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى، فقال: «**كن فى الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**»(٣).

وكان ابن عمر رضي الله عنهما، يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك.

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٠٢) كتاب الزهد، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٢٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٦) كتاب الرقاق.

وهذا مشهد من مشاهد الآخرة

وها هو النبى ﷺ يخبر أن المؤمن إذا عاش على طاعة الله وعلى هدى رسول الله ﷺ فإنه سينسى يوم القيامة كل شقاء وكل بلاء مع أول غمسة فى جنة الرحمن (جل وعلا).

- ففى الحديث أنَّ النبى ﷺ قال: «**يُؤْتَى بأَنعم أَهل الدُّنيا من أَهل النَّارِ يومَ القيامةِ، فيُصبَغُ فى النار صَبغَةً ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يا ربِّ. ويُؤتى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة فيُصبغ فى الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بُؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله، ما مر بى بُؤس قط، ولا رأيت شِدة قط**»[١].

۞ ولذا كان من دعاء النبى: «**اللهم أحينى مسكينًا، وأَمِتنى مسكينًا، واحشرنى فى زُمرة المساكين**»[٢].

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٢٦) كتاب الزهد، وصححه الألبانى رَحِمَهُ اللهُ فى صحيح الجامع (١٢٦١).

النفس تبكى على الدنيا!!!

۞ وصدق من قال:

النفس تبكى على الدنيا وقد علمت ... أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ... إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه ... وإن بناها بشرٍ خاب بانيها
أين الملوك التى كانت مسلطنة ... حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها ... وديارنا لخراب الدهر نبنيها
كم من مدائن فى الآفاق قد بُنيت ... أمست خرابًا وأفنى الموت أهليها
إن المكارم أخلاقٌ مطهرةٌ ... الدين أولها والعقل ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها ... والجود خامسها والفضل ساديها
والبر سابعها والشكر ثامنها ... والصبر تاسعها واللين باقيها
والنفس تعلم أنى لا أصادقها ... ولست أرشد إلا حين أعصيها
لا تركنن إلى الدنيا وما فيها ... فالموت لا شك يفنينا ويفنيها
واعمل لدارٍ غدًا رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهبٌ والمسك طينتها ... والزعفران حشيشٌ نابتٌ فيها
أنهارها لبنٌ مصفى ومن عسلٍ ... والخمر يجرى رحيقًا فى مجاريها
والطير تجرى على الأغصان عاكفة ... تسبح الله جهرًا فى مغانيها
فمن يشترى الدار فى الفردوس ... بركعةٍ فى ظلام الليل يُحييها

السبيل إلى لذة الدنيا والآخرة

❁ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأكمل الناس لذة من جُمع له بين لذة القلب والروح ولذة البدن، فهو يتناول لذاته المباحة على وجه لا يُنقص حظه من الدار الآخرة، ولا يقطع عليه لذة المعرفة والمحبة والأنس بربه. فهذا ممن قال تعالى فيه: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ ﴾(١).

وأبخسُهم حظًا من اللذة مَن تناولها على وجه يحول بينه وبين لذات الآخرة، فيكون ممن يقال لهم يوم استيفاء اللذات: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾(٢).

فهؤلاء تمتعوا بالطيبات، وأولئك تمتعوا بالطيبات، وافترقوا فى وجه التمتع، فأولئك تمتعوا بها على الوجه الذى أُذن لهم فيه، فجُمع لهم بين لذة الدنيا والآخرة، وهؤلاء تمتعوا بها على الوجه الذى دعاهم إليه الهوى والشهوة، وسواءٌ أذن لهم فيه أم لا، فانقطعت عنهم لذة الدنيا وفاتتهم لذة الآخرة؛ فلا لذة الدنيا دامت لهم، ولا لذة الآخرة حصلت لهم.

فمن أحب اللذة ودوامها والعيش الطيب، فليجعل لذة الدنيا موصلًا له إلى لذة الآخرة، بأن يستعين بها على فراغ قلبه لله فى إرادته وعبادته، فيتناولها بحكم الاستعانة والقوة على طلبه، لا بحكم مجرد الشهوة

---

(١) سورة الأعراف: آية (٣٢).

(٢) سورة الأحقاف: آية (٢٠).

والهوى. وإن كان ممن زُويت عنه لذات الدنيا وطيباتها، فليجعل ما نقص منها زيادة فى لذة الآخرة، ويجمّ نفسه[1] ههنا بالترك ليستوفيها كاملة هناك.

فطيبات الدنيا ولذاتها نِعم العون لمن صح طلبه لله والدار الآخرة وكانت همته لما هناك، وبئس القاطع لمن كانت هى مقصوده وهمته، وحولها يدندن[2].

كلمات من ذهب

قال على رضي الله عنه: من جُمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبًا ولا عن النار مهربًا؛ أولها - من عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها... وقال الحسن: رحم الله أقوامًا كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها، ثم راحوا خفافًا... وقال أيضًا رحمه الله: من نافسك فى دينك فنافسه ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره.

وقال لقمان لابنه: يا بنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعًا، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعًا.

وقال ابن عباس: إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء: جزء للمؤمن، وجزء للمنافق، وجزء للكافر. فالمؤمن يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع.

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يؤتَى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية، مشوّه خلقها، فتُشرف على الخلق، فيقال: هل

(١) يجم نفسه: أى: يريحها.

(٢) الفوائد: (ص: ٢١٩، ٢٢٠).

تعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه. فيقال: هذه الدنيا التى تشاجرتم عليها، وبها تقاطعتم الأرحام، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثم تُقذف فى جهنم، فتنادى: يا رب أين أتباعى وأشياعى؟ فيقول: ألحقوا بها أتباعها وأشياعها.

وقال عيسى عليه السلام: الدنيا قنطرة، فاعبروها ولا تعمروها.

وقيل: مثل طالب الدنيا، مثل شارب ماء البحر، كلما ازداد شُربًا ازداد عطشًا حتى يقتله[1].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص: ١٩١، ١٩٢) بتصرف.

دوافع الزاهدين إلى الزهد

۞ قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «والزاهدون فى الدنيا بقلوبهم لهم ملاحظ ومشاهد يشهدونها ... فمنهم من يشهد كثرة التعب بالسَّعى فى تحصيلها، فهو يزهد فيها قصدًا لراحة نفسه».

قال الحسن: «الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن»(١).

ومنهم من يخاف أن ينقص حظه من الآخرة بأخذ فضول الدنيا.

ومنهم من يخاف من طول الحساب عليها. قال بعضهم: من سأل الله الدنيا فإنما يسأل طول الوقوف بين يديه للحساب.

ومنهم من يشهد كثرة عيوب الدنيا، وسرعة تقلُّبها وفنائها ومزاحمة الأراذل فى طلبها ... كما قيل لبعضهم: ما الذى زهَّدك فى الدنيا؟ قال: قلة وفائها، وكثرة جفائها، وخسَّة شُركائها.

ومنهم من كان ينظر إلى حقارة الدنيا عند الله فيتقذرها.

كما قال الفضيل: «لو أن الدنيا بحذافيرها عُرضت عَلَىَّ حلالًا لا أُحاسب بها فى الآخرة لكنت أتقذرها، كما يتقذر الرجل الجيفة إذا مرَّ بها أن تصيب ثوبه»(٢).

ومنهم من كان يخاف أن تشغله عن الاستعداد للآخرة والتزود لها.

قال الحسن: «إن كان أحدهم ليعيش عمره مجهودًا شديد الجهد... والمال الحلال إلى جنبه، يقال له: ألا تأتى هذا فتصيب منه فيقول: لا والله

---

(١) رواه أحمد في «الزهد» عن طاووس مرسلًا (١٠).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٨٩).

لا أفعل إنى أخاف أن آتيه فأصيب منه فيكون فساد قلبى وعملى».

وبُعثَ إلى عمر بن المنكدر بمالٍ فبكى، واشتد بكاؤه. وقال: «خشيتُ أن تغلب الدنيا على قلبى، فلا يكون للآخرة فيه نصيب فذلك الذى أبكانى»، ثم أمر به فتصدق به على فقراء أهل المدينة.

وخواص هؤلاء يخشى أن يشتغل بها عن الله ... قال أبو سليمان: «الزهد تَرْكُ ما يشغل عن الله». وقال: «كل ما شغلك عن الله من أهلٍ، ومالٍ، وولدٍ، فهو مشؤوم».

إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فالزُّهد في الدنيا يُرادُ به تفريغُ القلب منَ الاشتغال بها؛ ليتفرَّغ لِطلب الله، ومعرفته، والقرب منه، والأُنس به، والشَّوقِ إلى لقائه، وهذه الأمورُ ليست مِنَ الدُّنيا كما كان النَّبيُّ ﷺ يقول: «**حُبِّبَ إليَّ من دُنياكم النِّساءُ والطِّيبُ، وجُعلت قرَّةُ عينى فى الصَّلاة**»[1]، ولم يجعل الصَّلاةَ ممَّا حُبِّبَ إليه مِنَ الدُّنيا»[2].

وقد بالغ كثير من الكُتَّاب فى بيان أحوال الزُّهاد والعُبَّاد الأوائل، فيروون عن زين العابدين أنَّه كان يُصلى فى اليوم ألف ركعة. وهو بعيد جدًّا بل مُستحيل، وبفرض حصوله فهدى رسول الله ﷺ خير من هديه، فقد كان ﷺ لا يزيد فى رمضان ولا غيره على إحدى عشرة أو ثلاث عشرة ركعة، ولو قيل للنبى ﷺ إن فلانًا يصلى فى اليوم ألف ركعة أو لا يأكل اللحم، أو

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٢٨)، والنسائي (٧/ ٩٦١) عشرة النساء، والحاكم (٢/ ١٦٠) النكاح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤).

(٢) باختصار من «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٩٦-١٩٨).

يسرد الصيام لقال بلسان الحال أو المقال: «**إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية**»[١].

فإذا تقرر أن رسول الله ﷺ هو أعلم الناس، تقرر كذلك أنه أعبد الناس وأطوعهم لله ﷻ وأزهدهم وأخشاهم فلا تغتر بالحكايات المزوقة، والأخبار المُلفقة، ويكون غاية القصد أن نقترب من هديه وطريقته.

كما قال ﷺ: «**سدِّدوا وقاربوا**»[٢] والسَّدَاد: هو إصابة الهدف، والهدف هنا: هو التشبُّه بأحسن الهدى، وهو هديه ﷺ، ومن لم يتمكن من السَّداد فعليه أن يقترب من الهدى المبارك[٣].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٠١) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣٥٦) الفضائل.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٦٣) كتاب الرقائق، ومسلم (٢٨١٦) كتاب صفة القيامة.

(٣) الزهد والرقائق/ للإمام ابن المبارك (ص ١٢-١٣).

الفرق بين الزهد المشروع والزهد المبتَدع

إذا قارنًا بين هدى النبى ﷺ فى الزهد وبين زهد الصوفية ظهر الفرق واضحًا والبَون شاسعًا، فغاية الزهد عند الصوفية هو التبتُّل والرهبانية والعزوف عن الزواج، وذلك حتى لا يأنس بالزوجة، فلا يجوز للمريد عند الصوفية أن يتزوج حتى لا يأنس بغير الله ﷻ .. ويقولون: من تزوج فقد ركب البحر، ومن وُلد له فقد كُسِرَ به. وخالفوا فى كل ذلك هدى النبى ﷺ، فقد نهى النبى ﷺ عن التبتل، ... عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: «رَدَّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أَذِنَ له لاختصينا»[1].

قال الحافظ: الْمُرَاد بِالتَّبَتُّلِ هُنَا: الِانْقِطَاع عَنْ النِّكَاح وَمَا يَتْبَعهُ مِنْ الْمَلَاذ إِلَى الْعِبَادَة. وَأَمَّا الْمَأْمُور بِهِ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[2] فَقَدْ فَسَّرَهُ مُجَاهِد فَقَالَ: أَخْلِصْ لَهُ إِخْلَاصًا، وَهُوَ تَفْسِير مَعْنًى، وَإِلَّا فَأَصْلُ التَّبَتُّل الِانْقِطَاع، وَالْمَعْنَى: اِنْقَطِعْ لَهُ اِنْقِطَاعًا. لَكِنْ لَمَّا كَانَتْ حَقِيقَة الِانْقِطَاع إِلَى الله إِنَّمَا تَقَع بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَة لَهُ فَسَّرَهَا بِذَلِكَ، وَمِنْهُ « صَدَقَة بَتْلَة » أَيْ مُقَطعَة عَنْ الْمِلْك،... وَمَرْيَم الْبَتُول لِانْقِطَاعِهَا عَنْ التَّزْوِيج إِلَى الْعِبَادَة.

وَقِيلَ لِفَاطِمَةَ: الْبَتُول إِمَّا لِانْقِطَاعِهَا عَنْ الْأَزْوَاج غَيْر (عَلِيّ) أَوْ لِانْقِطَاعِهَا عَنْ نُظَرَائِهَا فِي الْحُسْن وَالشَّرَف[3].

بل نهى النبى ﷺ عن التشديد فى العبادة حتى لا ينقطع العبد أو يمل

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٧٤) النكاح، ومسلم (١٤٠٢) كتاب النكاح.

(٢) سورة المزمل: الآية: (٨).

(٣) فتح الباري (٩/ ٢٠).

وأمر بأخذ النفس بالرفق،.... بوّب البخارى فى صحيحه الجامع: «بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّشْدِيدِ فِى العِبَادَةِ» ثم روى بسنده عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا الحَبْلُ؟**» قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لا ... حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فتَرَ فَلْيَقْعُدْ**»[1].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قال: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ؟**» قُلْتُ: إِنِّى أَفْعَلُ ذَلِكَ، قَالَ: «**فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمَتْ عَيْنُكَ، وَنَفِهَتْ نَفْسُكَ، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ**»[2].

فأنكر النبى ﷺ على عبد الله بن عمرو سرد الصيام وقيام الليل كله وبيَّن ﷺ سبب كراهية ذلك، وهو أن العبد تضعف نفسه فلا يستطيع القيام بالواجبات الأخرى، فعليه واجب تجاه نفسه، وواجب تجاه أهله.

وقد قال النبى ﷺ لعبد الله بن عمرو: «**صُم صوم داود عليه السلام كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يَفرُّ إلا لاقى**»[3]. فبيَّن ﷺ خيرية هذا الصيام، بأنه إذا صام الدهر لعله تضعف قوته عن جهاد الأعداء، فصيام يوم وإفطار يوم يحفظ على المؤمن قوته، ... ونهى النبى ﷺ عن صيام الدهر.

قاوم النبى ﷺ تيار التبتل والرهبانية، وبيَّن أنَّه لا رهبانية فى الإسلام. وأن رهبانية هذه الأمة الجهاد فى سبيل الله، والوسطية فى الأمور هى هدى

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١١٥٠) كتاب التهجد، ومسلم (٧٨٤) كتاب صلاة المسافرين.

(٢) صحيح: رواه البخاري (١١٥٣) كتاب التهجد.

(٣) صحيح: رواه البخاري (١٩٧٧) كتاب الصوم.

محمد ﷺ، فلا يُقصِّر العبد فى العبادة، ولا يشدد على نفسه جدًّا وينقطع للعبادة. وأدلُّ دليل على طريقة النبى ﷺ فى العبادة حديث النفر الثلاثة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّى أُصَلِّى اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: **«أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّى لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّى أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّى وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِى فَلَيْسَ مِنِّى»**[(١)].

ولا شك فى أن ما عزم عليه الثلاثة الكرام من أصحاب رسول الله ﷺ هو ما تنادى به الصوفية، وهو الَّذى أنكره رسول الله ﷺ وبيَّن هديه الذى هو خير الهدى وأحسنه، أنه يصوم ويفطر، ويقوم ويرقد، ويتزوج النساء.

قال الحافظ: قَوْله (إِنِّى لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ) فِيهِ إِشَارَة إِلَى رَدّ مَا بَنَوْا عَلَيْهِ أَمْرهُمْ مِنْ أَنَّ الْمَغْفُور لَهُ لَا يَحْتَاج إِلَى مَزِيد فِى الْعِبَادَة بِخِلَافِ غَيْره، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ مَعَ كَوْنه يُبَالِغ[(٢)] فِى التَّشْدِيد فِى الْعِبَادَة أَخْشَى لِلَّهِ وَأَتْقَى مِنْ الَّذِينَ يُشَدِّدُونَ وَإِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُشَدِّد لَا يَأْمَن مِنْ الْمَلَل بِخِلَافِ الْمُقْتَصِد فَإِنَّهُ أَمْكَنَ لِاسْتِمْرَارِهِ وَخَيْرُ الْعَمَل مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبه.

وَقَوْله: (**فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِى فَلَيْسَ مِنِّى**) الْمُرَاد بِالسُّنَّةِ: الطَّرِيقَة .. لَا الَّتِى تُقَابِل الْفَرْض، وَالرَّغْبَة عَنْ الشَّيْء الْإِعْرَاض عَنْهُ إِلَى غَيْره، وَالْمُرَاد

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٠٦٣) كتاب النكاح.

(٢) كذا في الفتح والصحيح: «لا يبالغ» ولا يستقيم المعنى إلا كذلك.

مَنْ تَرَكَ طَرِيقَتِى وَأَخَذَ بِطَرِيقَةِ غَيْرِى فَلَيْسَ مِنِّى، وَلَمَّحَ بِذَلِكَ إِلَى طَرِيق الرَّهْبَانِيَّة فَإِنَّهُمْ الَّذِينَ اِبْتَدَعُوا التَّشْدِيد كَمَا وَصَفَهُمْ الله تَعَالَى وَقَدْ عَابَهُمْ بِأَنَّهُمْ مَا وَفَّوْهُ بِمَا اِلْتَزَمُوهُ.

وَطَرِيقَة النَّبِيّ ﷺ الْحَنِيفِيَّة السَّمْحَة فَيُفْطِر لِيَتَقَوَّى عَلَى الصِّيَام وَيَنَام لِيَتَقَوَّى عَلَى الْقِيَام وَيَتَزَوَّج لِكَسْرِ الشَّهْوَة وَإِعْفَاف النَّفْس وَتَكْثِير النَّسْل. وَقَوْله: فَلَيْسَ مِنِّى إِنْ كَانَتْ الرَّغْبَة بِضَرْبٍ مِنْ التَّأْوِيل يُعْذَر صَاحِبه فِيهِ فَمَعْنَى « فَلَيْسَ مِنِّى » أَىْ عَلَى طَرِيقَتِى وَلَا يَلْزَم أَنْ يَخْرُج عَنْ الْمِلَّة وَإِنْ كَانَ إِعْرَاضًا وَتَنَطُّعًا يُفْضِى إِلَى اِعْتِقَاد أَرْجَحِيَّة عَمَله فَمَعْنَى فَلَيْسَ مِنِّى لَيْسَ عَلَى مِلَّتِى لِأَنَّ اِعْتِقَاد ذَلِكَ نَوْع مِنْ الْكُفْر[1].

فليس كمال الزهد فى أن يُحرِّم العبد على نفسه ما أحلَّه الله ﷻ، وأن يُعرض عن الزَّواج حتى لا يأنس بالزوجة، ولكن كمال العبودية فى القيام بشكر الله ﷻ على النعم،... وما أحسن ما أُثر عن الحسن البصرى أنه قدَّم لأحد إخوانه قطعة من الحلوى فرفض أخذها، واعتذر بأنه لا يستطيع القيام بواجب شكرها، فقال له: «كُلْ يا أحمق فإن شربة الماء البارد لا تستطيع أن تؤدى شكرها».

فهذا النبى ﷺ - بأبى هو وأمى- سيد الزُّهَّاد والعُبَّاد تزوج ثلاث عشرة امرأة ومات عن تسع، وكان يقول: «**حُبِّب إلَيَّ من دنياكم النساء والطِّيب، وجُعِلت قُرة عينى فى الصَّلاة**»[2]. وكان يصلى حتى تَرِم ساقاه وتفطَّر قدماه

---

(١) باختصار من فتح الباري (٩/ ٧، ٨).

(٢) صحيح: رواه النسائى (٣٩٣٩، ٣٩٤٠) كتاب عشرة النساء، وأحمد (١١٨٨٤)، من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٢٤).

فيقال له: «**أتفعل ذلك وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر**». فيقول: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[1]. وكان يواصل وينهى عن الوصال، وكانت همم الصحابة عالية فى العبادة والطاعة، فكانوا يواصلون ويقولون له: «إنَّك تواصل» فيقول: «**إنى لست كهيئتكم إنى أبيت لى مُطْعِمٌ يُطْعِمُنى وساقٍ يسقينى**»[2][3].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١١٣٠) كتاب التهجد، ومسلم (٢٨١٩) صفات المنافقين.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٢٢) كتاب الصوم، ومسلم (١١٠٢) كتاب الصيام.

(٣) الزهد والرقائق/ للإمام ابن المبارك (ص ١٤-١٦).

الزهد المذموم

۞ قال الإمام ابن الجوزى رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تأملت أحوال الصوفية والزُّهاد، فوجدت أكثرها منحرفًا عن الشريعة، بين جهل بالشرع، وابتداع بالرأى، يستدلون بآيات لا يفهمون معناها، وبأحاديث لها أسباب، وجمهورها لا يُثبَت.

فمن ذلك أنهم سمعوا فى القرآن العزيز: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[1]، ﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾[2]، ثم سمعوا فى الحديث: أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**الدنيا ملعونة ملعونٌ ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالمًا أو متعلمًا**»[3].

وأنه ﷺ قال: «**والله ما الدنيا فى الآخرة إلا مثلُ ما يجعل أحدكم أصبعه هذه فى اليم فلينظر بمَ يرجع**»[4].

فبالغوا فى هجرها من غير بحث عن حقيقتها! وذلك أنه ما لم يعرف حقيقة الشى، فلا يجوز أن يمدح ولا أن يذم.

فإذا بحثنا عن الدنيا، رأينا هذه الأرض البسيطة، التى جُعلت قرارًا للخلق، تخرج منها أقواتهم، ويُدفن فيها أمواتهم. ومثل هذا لا يُذم لموضع المصلحة فيه.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٨٥).

(٢) سورة محمد: الآية (٣٦).

(٣) حسن: رواه ابن ماجه، والطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٤١٤).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

ورأينا ما عليها من ماء وزرع وحيوان، كله لمصالح الآدمى، وفيه حفظ لسبب بقائه، ورأينا بقاء الآدمى سببًا لمعرفة ربه، وطاعته إياه وخدمته، وما كان سببًا لبقاء العارف العابد يُمدَح ولا يُذم.

فبان لنا أن الذَّم إنما هو لأفعال الجاهل، أو العاصى فى الدنيا، فإنه إذا اقتنى المال المباح، وأدَّى زكاته، لم يُلَمْ؛ فقد علم ما خلَّف الزبير وابن عوف وغيرهما، وبلغت صدقة علىٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أربعين ألفًا، وخلَّف ابن مسعود تسعين ألفًا، وكان الليث بن سعد يستغل كل سنة عشرين ألفًا، وكان سفيان يتجر بمال، وكان ابن مهدى يستغل كل سنة ألفى دينار.

وقد كان النبى ﷺ يأكل ما وجد، فإن وجد اللحم أكله، ويأكل لحم الدجاج وأحب الأشياء إليه الحلوى والعسل، وما نُقل عنه أنه امتنع من مباح.

وجىء على رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بفالوذج[1]، فأكل منه، وقال: ما هذا؟ قالوا: يوم النوروز[2]. فقال: نَورزونا كل يوم ... وإنما يُكره الأكل فوق الشِّبَع، واللبس على وجه الاختيال والبطر.

وقد اقتنع أقوام بالدون من ذلك؛ لأن الحلال الصافى لا يكاد يمكن فيه تحصيل المراد؛ وإلا فقد لبس النبى ﷺ حُلة اشتُريت له بسبع وعشرين بعيرًا، وكان لتميم الدارى حُلة اشتُريت بألف درهم يصلى فيها بالليل.

فجاء أقوام، فأظهروا التزهُّد، وابتكروا طريقة زيَّنها لهم الهوى، ثم تَطلَّبوا لها الدليل، وإنما ينبغى للإنسان أن يتبع الدليل، لا أن يتبع طريقًا،

---

(١) الفالوذج: نوع من الحلوى.

(٢) وهو من أعياد الفرس.

ويتطلب دليلها!

ثم انقسموا: فمنهم متصنع فى الظاهر، ليث الشَّرى فى الباطن، يتناول فى خلواته الشهوات، وينعكف على اللذات، ويُرى الناس بزيِّه أنه متصوف متزهد، وما تزهد إلا القميص، وإذا نُظر إلى أحواله، فعنده كِبْرُ فرعون.

ومنهم سليم الباطن، إلا أنه فى الشرع جاهل.

ولعمرى، إنه قد وقر فى النفوس تعظيم أقوام، فإذا نُقل عنهم شىء، فسمعه جاهل بالشرع، قَبِله، لتعظيمهم فى نفسه.

كما يُنقل عن أبى يزيد البسطامى رضي الله عنه: أنه قال: تراعنت على نفسى، فحلفت لا أشرب الماء سنة ... وهذا إذا صَحَّ عنه، كان خَطَئًا قَبِيْحًا، وزلةً فاحشةً؛ لأن الماء يُنفذ الأغذية إلى البدن، ولا يقوم مقامه شىء؛ فإذا لم يشرب، فقد سعى فى أذى بدنه، وقد كان يُستعذب الماء لرسول الله ﷺ.

أَفَترى هذا فعل من يعلم أن نفسه ليست له، وأنه لا يجوز التصرف فيها إلا عن إذن مالكه؟!

وكذلك ينقلون عن بعض الصوفية: أنه قال: سِرتُ إلى مكة على طريق التوكل حافيًا، فكانت الشوكة تدخل فى رجلى، فأحكُّها بالأرض، ولا أرفعها، وكان عَلَيَّ مسح، فكانت عينى إذا آلمتنى، أدلكها بالمسح، فذهبت إحدى عينى... وأمثال هذا كثير، وربما حملها القُصَّاص على الكرامات، وعظموها عند العوام، فيخايل لهم أن فاعل هذا أعلى مرتبة من الشافعى وأحمد.

ولعمرى، إن هذا من أعظم الذنوب، وأقبح العيوب: لأن الله تعالى

قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[١]، وقال النبى ﷺ: «**إن لنفسك عليك حقًّا**»[٢].

وقد طلب أبو بكر رضي الله عنه فى طريق الهجرة للنبى ﷺ ظلًّا، حتى رأى صخرة، ففرش له فى ظلها.

وقد نُقل عن قدماء هذه الأمة بدايات هذا التفريط، وكان سببها من وجهين: أحدهما: الجهل بالعلم. والثانى: قرب العهد بالرهبانية.

وكم يروون عن ذى النون: أنه لقى امرأة فى السياحة، فكلمها وكلمته، وينسون الأحاديث الصحاح: «**لا يحل لامرأة أن تسافر يومًا وليلةً إلا بمَحرم**»!! وكم ينقلون أن أقوامًا مشوا على الماء،... وقد قال إبراهيم الحربى. لا يصح أن أحدًا مشى على الماء قط! فإذا سمعوا هذا، قالوا: أتنكرون كرامات الأولياء الصالحين؟! فنقول: لسنا من المنكرين لها، بل نتبع ما صَحَّ... والصالحون هم الذين يتبعون الشرع، ولا يتعبدون بآرائهم.

وفى الحديث: «**إن بنى إسرائيل شددوا فشدد الله عليهم**».

وكم يحثون على الفقر، حتى حملوا أقوامًا على إخراج أموالهم، ثم آل بهم الأمر: إما إلى التسخُّط عند الحاجة، وإما إلى التعرُّض بسؤال الناس!

وكم تأذَّى مسلم بأمرهم الناس بالتقلُّل! وقد قال النبى ﷺ: «**مَا مَلَأَ آدَمِيّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ أَكَلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**»، فما قنعوا حتى أمروا بالمبالغة فى التقلل.

فحكى أبو طالب المكى فى «قوت القلوب»: أن فيهم من كان يزن قوته

---

(١) سورة النساء: آية (٢٩).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١١٥٣)، باب: (٢٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

بِكَرَبَةٍ رطبةٍ، ففى كل ليلة يذهب من رطوبتها قليل. وكنت أنا ممن اقتدى بقوله فى الصبا، فضاق المعىُ، وأوجب ذلك مرض سنين! أَفَتَرى هذا شيئًا تقتضيه الحكمة، أو ندب إليه الشرع؟! وإنما مطية الآدمى قواه، فإذا سعى فى تقليلها، ضعف عن العبادة.

وقد قال أحمد بن حنبل: أكره التقلُّل من الطعام، فإن أقوامًا فعلوه، فعجزوا عن الفرائض، ... وهذا صحيح، فإن المتقلل لا يزال يتقلل إلى أن يعجز عن النوافل، ثم الفرائض، ثم يعجز عن مباشرة أهله وإعفافهم، وعن بذل القوى فى الكسب لهم، وعن فعل خير قد كان يفعله.

ولا يهولنك ما تسمعه من الأحاديث التى تحث على الجوع، فإن المراد بها: إما الحث على الصوم، وإما النهى عن مقاومة الشبع، فأما تنقيص المطعم على الدوام، فمؤثر فى القوى فلا يجوز.

ثم فى هؤلاء المذمومين من يرى هجر اللحم،... والنبى ﷺ كان يود أن يأكله كل يوم.

واسمع منى بلا مُحَابَاةٍ: لا تحتجنَّ علىَّ بأسماء الرجال، فتقول: قد قال بشر، وقال إبراهيم بن أدهم، فإن من احتج بالرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أقوى حجة. على أن لأفعال أولئك وجوهًا نحملها عليهم بحسن الظن.

ولقد ذاكرت بعض مشايخنا ما يُروى عن جماعة من السادات أنهم دفنوا كتبهم! فقلت له: ما وجه هذا؟ فقال: أحسن ما نقول أن نسكت! يشير إلى أن هذا جهل من فاعله، وتأولت أنا لهم، فقلت: لعل ما دفنوا من كتبهم فيه شيء من الرأى، فما رأوا أن يعمل الناس به.

ولقد روينا فى الحديث عن أحمد بن أبى الحوارى: أنه أخذ كتبه؛ فرمى

بها فى البحر، وقال: نعم الدليل كنت، ولا حاجة لنا إلى الدليل بعد الوصول إلى المدلول!

وهذا إذا أحسنَّا به الظن، قلنا: كان فيها من كلامهم ما لا يرتضيه، فأما إذا كانت علومًا صحيحة، كان هذا من أفحش الإضاعة.

وأنا وإن تأولت لهم هذا؛ فهو تأويل صحيح فى حق العلماء منهم: لأنَّا قد روينا عن سفيان الثورى أنه قد أوصى بدفن كتبه، وكان ندم على أشياء كتبها عن قومٍ، وقال: حملنى شهوة الحديث، وهذه؛ لأنه كان يكتب عن الضعفاء والمتروكين، فكأنه لما عسر عليه التمييز، أوصى بدفن الكُل. وكذلك من كان له رأى من كلامه، ثم رجع عنه، جاز أن يدفن الكتب التى فيها ذلك. فهذا وجه التأويل للعلماء.

فأما المتزهدون الذين رأوا صورة فعل العلماء، ودفنوا كتبًا صالحةً، لئلَّا تشغلهم عن التعبُّد، فإنه جهل منهم؛ لأنهم شرعوا فى إطفاء مصباح يضىء لهم، مع الإقدام على تضييع مال لا يحل تضييعه.

ومن جملة من عمل بواقعة دفن كتب العلم يوسف بن أسباط، ثم لم يصبر عن التحديث، فخلَّط، فَعُدَّ فى الضعفاء.

ولقد بلغنا فى الحديث عن بعض من نُعظمه، ونزوره: أنه كان على شاطئ دجلة، فبال، ثم تيمم! فقيل له: الماء قريب منك! فقال: خفت ألا أبلغه!... وهذا، وإن كان يدل على قِصَر الأمل، إلا أن الفقهاء إذا سمعوا مثل هذا الحديث، تلاعبوا به، من جهة أن التيمم إنما يصح عند عدم الماء، فإذا كان الماء موجودًا، كان تحريك اليدين بالتيمم عبثًا، وليس من ضرورة وجود الماء أن يكون إلى جانب المحدث، بل لو كان على أذرع كثيرة، كان موجودًا، فلا فعل للتيمم، ولا أثر حينئذ.

ومن تأمل هذه الأشياء، علم أن فقيهًا واحدًا -وإن قَلَّ أتباعه، وخَفَتَ إذا مات أشياعه- أفضل من ألوف تتمسح العوام بهم تبرُّكًا! ويشيع جنائزهم ما لا يُحصَى.

وهل الناس إلا صاحب أثر نتبعه، أو فقيه يفهم مراد الشرع، ويفتى به؟!

نعوذ بالله من الجهل وتعظيم الأسلاف تقليدًا لهم بغير دليل، فإن مَن وَرَدَ المَشرب الأول، رأى سائر المشارب كدرة.

والمحنة العظمى مدائح العوام، فكم غرَّت! كما قال علىٌّ رضي الله عنه: ما أبقى خفق النعال وراء الحمقى من عقولهم شيئًا.

ولقد رأينا وسمعنا من العوام أنهم يمدحون الشخص، فيقولون: لا ينام الليل، ولا يفطر النهار، ولا يعرف زوجة، ولا يذوق من شهوات الدنيا شيئًا، قد نحل جسمه، ودَقَّ عظمه، حتى إنه يصلى قاعدًا، فهو خير من العلماء الذين يأكلون، ويتمتعون!... ذلك مبلغهم من العلم.

ولو علموا أن الدنيا لو اجتمعت فى لقمته، فتناولها عالم يفتى عن الله، ويخبر بشريعته، كانت فتوى واحدة منه، يرشد بها إلى الله تعالى خيرًا وأفضل من عبادة ذلك العابد باقى عمره، ... وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: فقيهٌ واحد أشد على إبليس من ألف عابد.

- ومن سمع هذا الكلام، فلا يظنن أننى أمدح من لا يعمل بعلمه؛ وإنما أمدح العاملين بالعلم، وهم أعلم بمصالح أنفسهم؛ فقد كان فيهم من يصلح على خشن العيش، كأحمد بن حنبل، وكان فيهم من يستعمل رقيق العيش، كسفيان الثورى مع ورعه، ومالك مع تدينه، والشافعى مع قوة فقهه.

ولا ينبغي أنِ يُطالَب الإنسان بما يقوى عليه غيره، فيضعف هو عنه، فإن الإنسان أعرف بصلاح نفسه، وقد قالت رابعة: إن كان صلاح قلبك فى الفالوذج، فكُلْهُ.

ولا تكونن أيها السامع ممن يرى صور الزهد، فَرُبَّ متنعم لا يريد التنعُّم، وإنما قصد المصلحة، وليس كل بدن يقوى على الخشونة، خصوصًا من قد لاقى الكدَّ، وأجهده الفكر، أو مضَّه الفقر؛ فإنه إن لم يرفق بنفسه، ترك واجبًا عليه من الرفق بها.

فهذه جملة، لو شرحتها بذكر الأخبار والمنقولات لطالت؛ غير أنى سطَّرتها على عَجَل حين جالت فى خاطرىَ. والله ولى النفع برحمته[١].

(١) صيد الخاطر (ص ٢٤-٣٣) بتصرف.

الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تُعمروها

۞ كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز فى ذم الدنيا كتابًا طويلًا فيه: أما بعد فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار مقام، وإنما أُنزل إليها آدم عقوبة، فاحذرها يا أمير المؤمنين، فإن الزاد منها تَرْكها، والغِنى فيها فقرها، تُذل من أعزها، وتُفقر مَن جمعها، كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه، فاحذر هذه الدار الغرارة الخيَّالة الخدَّاعة، وكن أسرّ ما تكون فيها، أَحذر ما تكون فيها، سرورها مشوب بالحزن، وصفوها مشوب بالكدر، فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرًا، ولم يضرب لها مثلًا لكانت قد أيقظت النائم، ونبَّهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله ﷻ عنها زاجر، وفيها واعظ، فما لها عند الله سبحانه قدر ولا وزن، وما نظر إليها منذ خلقها.

ولقد عُرضت على نبينا محمد ﷺ مفاتيحها وخزائنها[1]، لا ينقصها عند الله جناح بعوضة، فأبى أن يقبلها، وكره أن يحب ما أبغض خالقه، أو يرفع ما وضع مليكه،... زواها الله عن الصالحين اختيارًا، وبَسَطها لأعدائه اغترارًا، أفيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها ؟ ونسى ما صنع الله بمحمد ﷺ حين شَدَّ على بطنه الحجر، والله ما أحدٌ من الناس بُسط له فى الدنيا، فلم يَخف أن يكون قد مُكر به، إلا كان قد نقص عقله، وعجز رأيه

---

(١) والحديث عن أبي مويهبة في حديث خروج النبي ﷺ في المرض الذي توفى فيه واستغفاره لأهل البقيع وفيه: «**إني قد أُعطيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ...**» والحديث أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٨٩)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٥، ٥٦)، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، والبيهقي في الدلائل (٧/ ١٦٢، ١٦٣)، والدارمي في «سننه» (١/ ٧٨)، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٤): رواه أحمد والطبراني بإسنادين ورجال أحدهما صحيح.

وما أمسك عن عبد فلم يظن أنه قد خير له فيها، إلا كان قد نقص عقله وعجز رأيه.

وقال مالك بن دينار: اتقوا السحَّارة، فإنها تسحر قلوب العلماء، يعنى الدنيا.... ومن أمثلة الدنيا: قال يونس بن عُبيد: شبَّهت الدنيا كرجلٍ نائم، فرأى فى منامه ما يكره وما يحب، فبينما هو كذلك انتبه.

ومثل هذا قولهم: الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا. والمعنى: أنهم ينتبهون بالموت وليس فى أيديهم شئ مما ركنوا إليه وفرحوا به.

قيل: إن عيسى عليه السلام رأى الدنيا فى صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة. فقال لها: كم تزوجت ؟ قالت: لا أُحصيهم. قال: فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك ؟ قالت: بل كلهم قتلت، فقال عيسى عليه السلام:بؤسًا لأزواجك الباقين، كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين، كيف تهلكينهم واحدًا بعد واحد، ولا يكونون منك على حذر....

وروى ابن عباس رضي الله عنه قال: يُؤتَى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية، مُشوَّهٌ خَلقها، فتُشرف على الخلق، فيقال: هل تعرفون هذه ؟ فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه. فيقال: هذه الدنيا التى تشاجرتم عليها وبها تقاطعتم الأرحام، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثم تُقذَف فى جهنم، فتنادى: يا رب أين أتباعى وأشياعى ؟ فيقول: ألحقوا بها أتباعها وأشياعها.

۞ مثال آخر: واعلم أن أحوالك ثلاث:

حال لم تكن فيها شيئًا، وهى قبل أن توجد.

وحال أخرى، وهى من ساعة موتك إلى ما لا نهاية له فى البقاء

السرمدى، فإن لنفسك وجودًا بعد خروجها من بدنك، إما فى الجنة أو النار، وهو الخلود الدائم.

وبين هاتين الحالتين حالة متوسطة، وهى أيام حياتك فى الدنيا، فانظر إلى مقدار ذلك، وانسبه إلى الحالتين، تعلم أنه أقل من طرفة عين فى مقدار عمر الدنيا. ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن لها، ولم يبالِ كيف انقضت أيامه فى ضرر وضيق، أو سعة ورفاهية، ولهذا لم يضع رسول الله ﷺ لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة وقال: « **مالى وللدنيا ؟ إنما مثلى ومثل الدنيا كراكبٍ قال**[1] **تحت الشجرة، ثم راح وتركها** »[2].

وقال عيسى عليه السلام: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها....

هذا مثل واضح، فإن الحياة الدنيا مَعبر إلى الآخرة، والمهد هو الركن الأول على أول القنطرة، واللحد هو الركن الثانى على آخر القنطرة. ومن الناس من قطع نصف القنطرة، ومن الناس من قطع ثُلثيها، ومنهم من لم يبقَ له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها، وكيفما كان فلا بد من العبور، فمن وقف يبنى على القنطرة ويزينها وهو يستحث للعبور عليها، فهو فى غاية الجهل والحُمق.

وقيل: مثل طالب الدنيا، مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربًا ازداد عطشًا حتى يقتله.

وكان بعض السلف يقول لأصحابه: انطلقوا حتى أُريكم الدنيا فيذهب

---

(١) من القيلولة، وهى النوم فى الظهيرة.

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد في مسنده (١/ ٣٠١)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦٦٨).

بهم إلى مزبلة فيقول: انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم.

وفى «الصحيحين» من حديث أبى موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنما مثلى ومثل ما بعثنى الله به، كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم، إنى رأيت الجيش بعينى، وأنا النذير العريان، فالنَّجاء، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم، فنجوا، وكذبته طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم. فصبَّحهم الجيش فى مكانهم، فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعنى واتبع ما جئت به، ومثل من عصانى وكذب بما جئت به من الحق»**[1].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٢٨٣) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ومسلم (٢٢٨٣) كتاب الفضائل.

الدنيا لا تُذَمُّ لذاتها

الدنيا لا تُذَمُّ لذاتها وإنما يُذَمُّ ما يُفعل فيها من المعاصي والمخالفات والبُعد عن طاعة رب الأرض والسماوات (جل وعلا).

۞ فمن الناس من يجعل الدنيا زادًا للوصول إلى أعلى درجات الجنة ومنهم من يجعلها جسرًا يعبر عليه إلى النار... أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

۞ فلا يصلح أن نترك الدنيا ولا نعمل من أجل عمارة الكون ولا يصلح أن ننشغل بالدنيا حتى ننسى الدار الآخرة بما فيها من الثواب والعقاب.

وإنما التوسُّط هو المطلوب.

۞ قال الإمام ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اعلم: أن الدنيا عبارة عن أعيانٍ موجودة للإنسان، فيها حظ، وهى الأرض وما عليها، فإن الأرض مسكن الآدمى، وما عليها ملبس ومطعم ومَشرب ومَنكح، كل ذلك علف لراحلة بدنه السائر إلى الله ﷻ، فإنه لا يبقى إلا بهذه المصالح، كما لا تبقى الناقة فى طريق الحج إلا بما يُصلحها، فمن تناول منها ما يصلحه على الوجه المأمور به مُدح، ومن أخذ منها فوق الحاجة يكتنف الشره وقع فى الذم، فإنه ليس للشره فى تناول الدنيا وجه، لأنه يُخرج عن النفع إلى الأذى، وشُغل عن طلب الآخرة فيفوت المقصود، ويصير بمثابة من أقبل يعلف الناقة، ويرد لها الماء، ويغير عليها ألوان الثياب، وينسى أن الرفقة قد سارت، فإنه يبقى فى البادية فريسة للسباع هو وناقته.

ولا وجه أيضًا للتقصير فى تناول الحاجة، لأن الناقة لا تقوى على السير إلا بتناول ما يصلحها، فالطريق السليم هى الوسطى، وهى أن يؤخذ من الدنيا قدر ما يُحتاج إليه من الزاد للسلوك، وإن كان مشتهىً، فإن إعطاء النفس ما تشتهيه عون لها وقضاء لحقها.

وقد كان سفيان الثورى يأكل فى أوقاتٍ من طيب الطعام، ويحمل معه فى السفر الفالوذج.

وكان إبراهيم بن أدهم يأكل من الطيبات فى بعض الأوقات، ويقول: إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال، وإذا فقدنا صبرنا صبر الرجال.

ولينظر فى سيرة رسول الله ﷺ وصحابته، فإنهم ما كان لهم إفراط فى تناول الدنيا، ولا تفريط فى حقوق النفس[1].

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص ٢٤٢).

أضرار حب الدنيا

حُب الدنيا هو الذى عَمَّر النار بأهلها، والزهد في الدنيا هو الذي عمَّر الجنَّة بأهلها،... والسُّكْر بحب الدنيا أعظم من السُّكْر بالخمر، فالسُّكْر بالخمر يستفيق صاحبه غالبًا، أما السُّكْر بحبِّ الدنيا فلا يستفيق صاحبه إلَّا في ظُلمة اللَّحد.

قال يحيى بن معاذ: «الدنيا خَمر الشَّيطان مَن سَكِر منها فلا يفيق إلا في عسكر الموتى نادمًا بين الخاسرين،... وأقلُّ ما فيها أنه يُلهى عن حب الله وذكره، وإذا لهى القلب عن ذكر الله، سكنه الشيطان وصرفه حيث أراد، ومن فقهه فى الشرّ أنه يرضيه ببعض أعمال الخير ليريه أنه يفعل الخير».

وروى عن المسيح عليه السلام أنه قال: «حب الدنيا رأس كل خطيئة».

۞ قال العلماء: وإنَّما كان حبُّ الدنيا رأس الخطايا، وَمُفسِدًا للدين من وجوه:

أحدها: أن حُبَّها يقتضي تعظيمَها وهي حقيرةٌ عند الله، ومن أكبَرِ الذّنوبِ تعظيمُ ما حَقَّرَ الله عز وجل.

وثانيها: أن اللهَ لَعَنَها وَمَقَتَها وَأَبْغَضَها إلا ما كان له فيها، ومن أَحَبَّ ما لَعَنَهُ الله وَمَقَتَه وأبْغضَهُ فقد تَعَرَّض للِفْتنةِ وَمَقْتِهِ وَغَضَبه.

وثالثها: أنه إذا أحَبَّها صَيَّرها غايتَه وتوسَّلَ إليها بالأعمالِ الَّتِي جعلَها الله عز وجل وسائِلَ إليه وإلَى الدارِ الآخرة، فَعَكَس الأَمرَ، وَقَلَبَ الحِكْمَةَ فانتكسَ قلبهُ، وانعكس سَيْرُه إلَى وراءٍ.

۞ فها هنا أمران:

أحدهما: جَعْلُ الوسيلَةِ غايةً.

والثاني: التوسّلُ بأعمالِ الآخرةِ إلَى الدنيا.

وهذا شَرٌّ معكوسٌ من كل وجهٍ، وقلبٌ منكوسٌ غَايةَ الانتِكَاسِ، وهذا هو الذى انطبق عليه حذو القذَّةِ بالقذَّة قولهُ تعالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[1].

والأحاديث كثيرة ... منها ما رواه مسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه فِى الثلاثة الذين هم أوّل مَن تُسَعَّرُ بِهم النارُ: الغازى، والمتصدِّقُ، والقارئ الذين أرادوا بذلك الدنيا[2].

فانظر إلَى مَحَبّةَ الدنيا كيف حَرمت هؤلاء من الأجْرِ؛ وأَفسدت عليهم عَمَلَهم، وَجَعَلتَهم أَوّلَ الداخِلين إلَى النَّارِ.

ورابعها: أن محبَّتَها تَعْتَرِضُ بين العَبْدِ وبين فِعْلِ ما يَعودُ عليه نَفْعُه فِى الآخرة لاشتغالِه عنه بِمَحبوبِه.

۞ والناسُ هاهنا مراتب:

فمنهم: من يَشْغَلُه محبوبُه عن الإيمانِ وشرائِعه. ومنهم من يشغله حبها عن كثير من الواجبات، ومنهم من يشغله عن القيام بالواجب في الوقت الذي يعارض تحصيلها، وإن قام بغيره، ومنهم من يشغله عن عبودية قلبه في الواجب، وتفريغه لله عند أدائه، فيؤديه ظاهرًا لا باطنًا.

وأين هذا من عُشّاق الدُّنيا ومُحِبيها؟ وهذا مِن أَنْدَرِهم.

وَأَقَلُّ درجاتِ حُبِّها أن يَشْغَلَ عن سعادةِ العَبْدِ وهو تَفْريغُ القَلْبِ لِحُبِّ

(١) سورة هود: الآيتان (١٥، ١٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٠٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الله، ولِسانِه لذكرِه، وَجمع قَلْبِهِ على لِسانِه، وَجَمْع لِسانِه وقَلْبه على رَبِّه، فَعِشقُها وَمحبَتُها تَضُرُّ بالآخرةِ ولا بُدَّ، كما أن مَحَبَّةَ الآخِرَةِ تَضُرُّ بالدُّنيا.

وخامسها: أنَ مَحبتَّها تجعَلُها أَكْبَرَ هَمِّ العَبْدِ،... عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال: رسول الله ﷺ: «**من كانت الآخرةُ أكبَر هَمِّه جَعَل الله غناه فِى قلبهِ وَجَمَع له شَمْلَه، وأتته الدنيا وهى راغِمَةٌ، ومن كانت الدّنيا أَكْبَرَ هَمِّه جعل الله فَقْرَه بين عينيه وَفَرّق عليه شَمْلَه، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له**»[١].

وسادسها: أنَّ مُحِبَّها أَشَدُّ الناسِ عَذابًا بِها، وهو مُعَذَّبٌ فِى دورِه الثلاثِ؛ يُعَذَّبُ فِى الدنيا بتحصيلِه والسَّعى فيها ومنازَعةِ أهلِها، وفِى دارِ البرزخ بفواتها والحسرةِ عليها وكونه قد حيل بينه وبين محبوبِه على وَجهٍ لا يرجو اجتماعه به أَبدًا، ولم يحصُل له هناك محبوبٌ يُعَوِّضُه عنه، فهذا أَشدُّ الناس عَذابًا فِى قَبرِه، يعمل الهَمُّ والغَمُّ والحَزَنُ والحَسْرَةُ فِى روحه ما تَعْمَلُ الديدانُ وهَوَامُ الأرضِ فِى جِسْمِه.

والمقصود: أن مُحِبَّ الدنيا يُعَذَّبُ فِى قبره ويُعَذَّبُ يومَ لقاءِ ربِّه.

قال تعالَى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[٢].

قال بعض السلف: «يُعذَّبون بجمعِها، وَتَزْهَقُ أنفسُهم بِحُبِّها، وهم كافرون بِمَنْعِ حَقِّ الله فيها».

وسابعها: أن عاشِقَها ومُحِبَّها الذى يُؤْثِرُها على الآخرَةِ من أَسْفَهِ الخَلْقِ

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٦٥)، من حديث أنس بن مالك ﷺ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، برقم (٦٥١٠).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٥٥).

وَأَقلِّهم عَقلًا، إذ آثَرَ الخيالَ على الحقيقةِ، والمنَامَ على اليَقَظَةِ، والظِّلَّ الزّائِلَ على النّعيم الدّائِم، والدّارَ الفانِيَةَ على الدارِ الباقِيَةِ، وباع حياةَ الأَبَدِ فِي أرغدِ عيشٍ بحياةٍ إنَّما هي:

أحلامُ نَوْمٍ أو كَظِلٍّ زائِلٍ ... إن اللَّبيبَ بِمِثْلِها لا يُخْدَعُ

وكان بعضُ السَّلفِ يتمثل بِهذا البيت:

يا أَهْلَ لذّاتِ دُنيا لا بَقاءَ لَهَا ... إن اغترارًا بِظِلٍّ زائِلٍ حُمْقُ

قال يونس بن عبد الأعلى: «ما شَبَّهْتُ الدّنيا إلا كَرَجُلٍ نامَ فرأى فِي منامِه ما يَكْرَه وما يُحِبُّ؛ فبينما هو كذلك انتبه».

أَشْبَهُ الأشياءِ بالدّنيا الظِّلُّ، تَحسبُ أنَّ له حَقيقَةً ثابتَةً وهو فِي تَقَلُّص وانقباض فتتبعه لتُدركه فلا تَلْحَقه. وأشْبَهُ الأشياء بِها السَّرابُ: ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾(١).

وأشبَه الأشياءِ بِها عَجوزٌ شَوهاءُ قَبيحةُ المنظَرِ والمَخْبَرِ، غَدّارَةٌ بالأزواجِ تَزَيَّنَت للخُطّابِ بِكُلِّ زينَةٍ، وَسَتَرت كُلَّ قبيحٍ فاغتر بِها من لم يجاوز بَصَرُه ظاهَرها فَطَلَب النّكاحَ، فقالت: لا مَهْرَ إلا فَقْد الآخرةِ فإننا ضُرّتان واجتماعُنا غير مأذونٍ فيه ولا مُسْتَباحٍ، فآثر الخُطّابُ العاجِلَةَ وقالوا: ما على مَن واصل حَبيبته مِن جُناحٍ، فلما كَشَفَ قِناعَها وَحَلَّ إزارَها إذا كُلُّ آفةٍ وَبَلِيَّةٍ، فَمِنهم مَن طَلَّق واسْتراح، ومِنهم من اختار المقام فما استتمت ليلةُ عُرْسِه إلا بالعَويلِ والصِّيَاح،... تالله لقد أَذَّنَ مؤذنها على

(١) سورة النور: الآية: (٣٩).

رءوس الخلائق بحيَّ على غَيرِ الفَلاحِ، فقامَ المجتهدون والمصَلّون لَهَا فواصلوا فِى طَلَبِها الغُدُوَّ بالرَّواحِ، وَسَروا ليلهم فلم يَحمد القَوْمُ السُّرى عند الصَّباحِ، طاروا فِى صيدِها فما رَجَع أَحدٌ منهم إلا وهو مكسورُ الجناحِ، فوقعوا فِى شبَكَتِها فأسلمتهم للذَّبّاحِ[1].

❁ ونختم أضرار حب الدنيا بقول القائل:

حكمُ المنِيَّةِ فِى البَرِيَّةِ جارى ... ما هذه الدُّنيا بدارِ قَرارِ

اقضوا مآربَكم سِراعًا إنَّما ... أعمارُكم سَفَرٌ من الأسفارِ

وتراكضوا خَيْلَ السّباق وبادِروا ... أن تُستَرَدَّ فإنَّهن عَوارى

ودعوا الإقامة تحت ظلٍّ زائلٍ ... أنتم على سَفرٍ بهذى الدّارِ

من يرجو طِيبَ العَيْشِ فيها إنَّما ... يبنى الرّجاءَ على شَفيرٍ هارِ

والعَيْشُ كُلُّ العَيْشِ بعد فِراقِها ... فِى دارِ أَهْلِ السَّبْقِ أكْرَمِ دارِ

فنسأل الله ﷻ أن يتوفانا مسلمين غير خزايا ولا مفرطين، وأن يجمعنا فى الآخرة مع النبيين، والصدِّيقين، والشهداء، والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقًا[2].

---

(١) باختصار من «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» لابن القيم (١٨٥-١٩١).

(٢) الزهد والرقائق / للإمام ابن المبارك (ص ٢٤-٢٦).

ذَمّ البُخل ومدح القناعة

اعلم: أن المال لا يُذَم لذاته بل يقع الذم لمعنى من الآدمى، وذلك المعنى إما شدة حرصه أو تناوله من غير حِلِّه، أو حبسه عن حقه، أو إخراجه فى غير وجهه، أو المفاخرة به، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[1]. وفى « سنن الترمذى » عن النبى ﷺ أنه قال: « **ما ذئبان جائعان أُرسلا فى غنم، بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**»[2]. وقد كان السلف يخافون من فتنة المال.

وكان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا رأى الفتوح يبكى ويقول: ما حبس الله هذا عن نبيه ﷺ وعن أبى بكر لشرٍّ أراده الله بهما، وأعطاه عمر إرادة الخير له....

وقال يحيى بن معاذ: الدرهم عقرب، فإن لم تُحسن رُقيته فلا تأخذه، فإنه إن لدغك قتلك سُمُّه. قيل: ما رقيته ؟ قال: أَخْذُه من حِلِّه ووضعه فى حقه. وقال: مصيبتان للعبد فى ماله عند موته لا تسمع الخلائق بمثلهما، قيل: ما هما ؟ قال: يؤخذ منه كله، ويُسأل عنه كله.

وقد كان النبى ﷺ يقول: « **اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ**»[3].

وروى جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال النبى ﷺ لبنى سلمة: «**مَن سيدكم؟ قالوا: جد بن قيس على أننا نُبخله، قال: وأى داءٍ أدوأ من البخل؟ بل سيدكم بشر بن البراء بن معرور**»[4] وهى أصح من ذكر عمرو بن الجموح، وغلط بعض

---

(١) سورة الأنفال: الآية: (٢٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وأحمد، وصححه الألباني في الروض النضير (٥-٧).

(٣) صحيح: رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وصححه الألباني في غاية المرام (٣٤٧).

(٤) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الأدب (٢٢٧).

الرواة، فقال: البراء بن معرور... والبراء مات قبل الهجرة. وعن النبي ﷺ أنه قال: « **ثلاثٌ مُهلكات: شُحٌّ مُطاع، وهوىً مُتَّبع، وإعجاب المرء بنفسه**»(١).

قال الخطابى: الشح فى المنع أبلغ من البخل.

وقال سلمان الفارسي: إذا مات السخى، قالت الأرض والحَفَظة: رب تجاوز عن عبدك فى الدنيا بسخائه، وإذا مات البخيل قالت: اللهم احجب هذا العبد عن الجنة، كما حجب عبادك عما جعلت فى يديه من الدنيا.

وقال بعض الحكماء: من كان بخيلًا ورث ماله عدوه.

ووصف أعرابي رجلًا فقال: «لقد صغر في عيني لعِظم الدنيا في عينه».

وذَمَّ أعرابى قومًا فقال: يصومون عن المعروف ويفطرون على الفواحش.

من حكايات البخلاء

۞ روى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان الحاجب رجلًا من أهل العرب، وكان بخيلًا، وكان لا يوقد نارًا بليل كراهة أن يراها راءٍ فينتفع بضوئها، فإذا احتاج إلى إيقادها فأوقد ثم بصر بمستضيئ بها أطفأها.

۞ وقيل: كان مروان بن أبى حفصة من أبخل الناس، فخرج يريد المهدى، فقالت له امرأته: مالى عليك إن رجعت بالجائزة ؟

قال: إن أُعطيت مائة ألف درهم، أعطيتك درهمًا، فأُعطى ستين ألف درهم. فأعطاها أربعة دوانق.

(١) حسن: رواه الطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٨٠٢)، وصحيح الجامع (٣٠٤٥).

فصل في فضل الإيثار وبيانه

۞ اعلم أن السخاء والبُخل درجات:

فأرفع درجات السخاء الإيثار، وهو أن تجود بالمال مع الحاجة إليه.

وأشد درجات البخل، أن يبخل الإنسان على نفسه مع الحاجة.

فكم من بخيل يمسك المال، ويمرض فلا يتداوى، ويشتهي الشهوة فيمنعه منها البخل.

فكم بين من يبخل على نفسه مع الحاجة، وبين مَن يُؤْثِر على نفسه مع الحاجة، ... فالأخلاق عطايا يضعها الله ﷻ حيث يشاء.

وليس بعد الإيثار درجة في السخاء. وقد أثنى الله تعالى على أصحاب رسول الله ﷺ بالإيثار، فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[١]. وكان سبب نزول هذه الآية[٢] قصة أبي طلحة، لما آثر ذلك الرجل المجهود بقوته وقوت صبيانه، ... وحكايته مشهورة.

واستُشهد باليرموك عكرمة بن أبي جهل، وسُهيل بن عمرو، والحارث ابن هشام، وجماعة من بني المغيرة، فأُتوا بماءٍ وهم صَرعى، فتدافعوه (أي: دفعه كل واحد إلى أخيه) حتى ماتوا ولم يذوقوه.

۞ أُتي عكرمة بالماء فنظر إلى سهيل بن عمرو ينظر إليه، فقال: ابدأ بهذا، ونظر سهيل إلى الحارث ينظر إليه، فقال: ابدأ بهذا، وكل منهم يُؤْثِر الآخر على نفسه بالشربة، فماتوا كلهم قبل أن يشربوا، فمر بهم خالد بن

---

(١) سورة الحشر: الآية: (٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨٨٩) كتاب التفسير، ومسلم (٢٠٥٤) كتاب الأشربة.

الوليد فقال: بنفسى أنتم.

۞ وأُهدى إلى رجل من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رأس شاة، فقال: إن أخى أحوج إليه منى، فبعث به إلى الرجل، فبعث به ذلك إلى آخر، حتى تداولته سبع أبيات، فرجع إلى الأول.

۞ خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له، فنزل على نخلٍ لقوم فيها غلام أسود يعمل فيها، إذ أُتى الغلام بقوته، فدخل الحائط كلبٌ، فدنا من الغلام فرمى إليه قُرصًا فأكله، ثم رمى إليه قرصًا آخر فأكله، ثم رمى إليه ثالثًا فأكله، وعبد الله ينظر فقال: يا غلام! كم قوتك كل يوم ؟ قال: ما رأيت، قال: فلِمَ آثرت به هذا الكلب ؟ قال: ماهى بأرض كلاب، جاء من مسافة بعيدة جائعًا فكرهت رَدَّه، قال: فما أنت صانع ؟ قال: أطوى يومى هذا، فقال عبد الله بن جعفر: أُلام على السخاء وهذا أسخى منى، فاشترى الحائط وما فيه من الآلات، واشترى الغلام وأعتقه ووهبه له.

۞ واجتمع جماعة من الفقراء فى موضع لهم وبين أيديهم أرغفة معدودة لا تكفيهم فكسروا الرغفان، وأطفؤوا السراج، وجلسوا للأكل، فلما رُفع الطعام، إذا هو بحاله، لم يأكل أحد منهم شيئًا إيثارًا لأصحابه[1].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص ٢٥٤-٢٥٦).

من حكايات الأسخياء

۞ قد صَحَّ عن النبى ﷺ أنه كان أجود بالخير من الريح المُرْسَلة[١]، وأنه ما سُئل شيئًا قط فقال: لا[٢]، وأن رجلًا سأله، فأعطاه غنمًا بين جبلين، فأتى الرجل قومه، فقال: يا قوم: أسلموا، فإن محمدًا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر[٣].

وقيل: كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون ألف درهم، فخرج إلى المسجد، فقال له طلحة: قد تهيأ مالك فاقبضه، فقال: هو لك يا أبا محمد معونة على مروءتك.

وجاء أعرابى إلى طلحة، فسأله، وتعرَّف إليه برحمٍ، فقال: إن هذه الرحم ما سألنى بها أحد قبلك، فأعطاه ثلاثمائة ألف درهم.

وقال عروة: رأيت عائشة رضي الله عنها تقسم سبعين ألفا، وهى تُرقع درعها.

وروى أنها قسَّمت فى يوم ثمانين ومائة ألف بين الناس، فلما أمست قالت: يا جارية علىَّ فطورى، فجاءتها بخبز وزيت: فقالت لها أم درة: أما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه! ؟ فقالت: لو ذكرتنى لفعلت... واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة داره التى فى السوق بتسعين ألف درهم، فلما كان الليل، سمع بكاء أهل خالد. فقال لأهله: ما لهؤلاء ؟ قالوا: يبكون على دارهم، قال: يا غلام: ائتهم، فأعلمهم أن الدار والمال لهم جميعًا.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦) كتاب بدء الوحي، ومسلم (٢٣٠٨) كتاب الفضائل.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٣٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣١١) كتاب الفضائل.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٢) كتاب الفضائل.

وبعث رجل إلى عبد الله أنه قد وُصف لى لبن البقر، فابعث لى بقرة أشرب من لبنها. فبعث إليه بسبعمائة بقرة ورعاتها، وقال: القرية التى كانت ترعى فيها لك.

ودخل على بن الحسن على محمد بن أسامة بن زيد فى مرضه، فجعل يبكى: فقال: ما شأنك ؟ قال: علىَّ دَين، قال: كم هو ؟ قال: خمسة عشر ألف دينار، أو بضعة عشر ألف دينار. قال: فهى علىَّ... وجاء رجل إلى مَعِن، فسأله، فقال: يا غلام: ناقتى الفلانية وألف دينار، فدفعها إليه وهو لا يعرفه. وبلغنا عن معن أن شاعر أقام ببابه مدة فلم يتهيأ له لقاؤه، فقال لبعض خدمه: إذا دخل الأمير البستان فعرِّفنى، قال: فلما دخل عرَّفه، فكتب الشاعر بيتًا على خشبة، وألقاها فى الماء الذى يدخل البستان، فلما بصر معن بالخشبة، أخذها، فإذا فيها مكتوب:

أيا جود معن ناجِ معنًا بحاجتى فما لى إلى معن سواك شفيع

فقال: مَن صاحب هذه ؟ فدعا الرجل، فقال له: كيف قلت ؟

فقاله، فأمر له بعشر بِدَر[1]، فأخذها ووضع الأمير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط، وقرأ ما فيها ودعا الرجل، فدفع إليه مائة ألف درهم أخرى، فلما أخذها الرجل، خاف أن يعود فيستعيدها منه، فخرج، فما كان اليوم الثالث، قرأ ما فيها، فدعا الرجل فطُلب فلم يوجد. فقال معن: حق علىَّ أن أعطيه حتى لا يبقى فى بيت مالى درهم ولا دينار.

---

(١) بِدَر: جمع «بَدْرَة» وهو كيس فيه مقدار من المال يتعامل به، ويقدم في العطايا، ويختلف باختلاف العهود. «المعجم» (ص ٤٠).

ومرض قيس بن سعد بن عبادة، فاستبطأ إخوانه، فقيل له، إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدَّين. فقال: أخزى الله مالًا يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر مناديًا، ينادى: من كان عليه لقيس حق، فهو منه فى حِلٍّ، قال: فانكسرت درجته بالعشى لكثرة من عاده (زاره).

وقام رجل إلى سعيد بن العاص يسأله، فأمر له بمائة ألف درهم، فبكى، فقال سعيد: ما يُبكيك ؟ قال: أبكى على الأرض أن تأكل مثلك، فأمر له بمائة ألف أخرى[1].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص ٢٥١-٢٥٣) بتصرف.

بيان في مدح المال

قد بينَّا أن المال لا يُذَم لذاته بل ينبغى أن يُمدح، لأنه سبب للتوصل إلى مصالح الدين والدنيا، وقد سمَّاه الله تعالى خيرًا، وهو قوام الآدمى.

قال الله تعالى فى أول سورة النساء: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾[1] وقال سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ: لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حِلِّه، يَكُفُّ به وجهه عن الناس، ويصل به رحمه، ويعطى منه حقه. وقال أبو إسحاق السبيعى: كانوا يرون السعة عونًا على الدين.

وقال سفيان: المال فى زماننا هذا سلاح المؤمنين...

وحاصل الأمر؛ أن المال مثل حية فيها سُم وترياق، فترياقه فوائده، وغوائله سُمه، فمن عرف فوائده وغوائله، أمكنه أن يحترز من شره، ويستدرّ من خيره.

۞ أما فوائده، فتنقسم إلى دنيوية ودينية:

أما الدنيوية، فالخلق يعرفونها، ولذلك تهالكوا فى طلبها.

وأما الدينية، فتنحصر فى ثلاثة أنواع:

أحدها: أن ينفقه على نفسه، إما فى عبادة، كالحج والجهاد، وإما فى الاستعانة على العبادة، كالمطعم والملبس والمسكن وغيرها من ضرورات المعيشة، فإن هذه الحاجات إذا لم تتيسر، لم يتفرغ القلب للدين والعبادة، وما لا يتوصل إلى العبادة إلا به، فهو عبادة، فأَخْذُ الكفاية من الدنيا للاستعانة على الدين من الفوائد الدينية، ولا يدخل فى هذا التنعُّم والزيادة

---
(١) سورة النساء: الآية: (٥).

على الحاجة، فإن ذلك من حظوظ الدنيا.

النوع الثانى: ما يصرفه إلى الناس، وهو أربعة أقسام

أحدها: الصدقة، وفضائلها كثيرة ومشهورة.

القسم الثانى: المروءة، ونعنى بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف فى ضيافة وهدية وإعانة ونحو ذلك، وهذا من الفوائد الدينية، إذ به يكتسب العبد الإخوان والأصدقاء.

القسم الثالث: وقاية العرض نحو بذل المال لدفع هجو الشعراء، وثلب السفهاء، وقطع ألسنتهم، وكَفّ شرهم، فهو من الفوائد الدينية، وهذا لأنه يمنع المغتاب من معصية الغيبة، ويحرز مما يثير كلامه من العداوة التى تحمل فى الانتقام على مجاوزة حدود الشريعة.

القسم الرابع: ما يعطيه أجرًا على الاستخدام، فإن الأعمال التى يحتاج إليها الإنسان لتهيئة أسبابها كثيرة، ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته، وتعذَّر عليه سلوك الآخرة بالفكر والذكر اللذين هما أعلى مقامات السالك، ومن لا مال له يفتقر إلى أن يتولى خدمة نفسه بنفسه، فكل ما يتصور أن يقوم به غيرك، ويحصل بذلك غرضك، فإن تشاغُلك به غبن، لأن احتياجك إلى التشاغل بما لا يقوم به غيرك من العلم والعمل والذكر والفكر أشد.

النوع الثالث: ما لا يصرفه الإنسان إلى معين، لكن يحصل عليه به خيرًا عامًا، كبناء المساجد، والقناطر، والوقوف المؤبدة، فهذه جملة فوائد المال فى الدين، سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة، من الإخلاص من ذل السؤال، وحقارة الفقر، والعز بين الخلق، والكرامة فى القلوب، والوقار.

۞ وأما غوائل المال وآفاته، فتنقسم أيضًا إلى دينية ودنيوية:

أما الدينية فثلاث فئات

الأولى: أنه يَجُرّ إلى المعاصى غالبًا، لأنه من استشعر القدرة على المعصية، انبعثت داعيته إليها.

والمال نوع من القدرة يحرك داعيته إلى المعاصى، ومتى يئس الإنسان من المعصية، لم تتحرك داعيته إليها.

ومن العصمة أن لا تجد، فصاحب القدرة إن اقتحم ما يشتهى هلك، وإن صبر لقى شدة فى معاناة الصبر مع القدرة، وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء.

الثانية: أنه يتحرك إلى التنعُّم فى المباحات، حتى تصير له عادة وإلفًا، فلا يصبر عنها، وربما لم يقدر على استدامتها إلا بكسبٍ فيه شبهة، فيقتحم الشبهات، ويترقى إلى آفات من المداهنة والنفاق، لأن مَن كَثُر ماله خالط الناس، وإذا خالطهم لم يَسْلَم من نفاق وعداوة وحسد وغيبة، وكل ذلك من الحاجة إلى إصلاح المال.

الثالثة: وهى التى لا ينفك عنها أحد، وهو أن يلهيه ماله عن ذكر الله تعالى، وهذا هو الداء العضال، فإن أصل العبادات ذكر الله تعالى، والتفكير فى جلاله وعظمته، وذلك يستدعى قلبًا فارغًا. وصاحب الضيعة يمسى ويصبح متفكرًا فى خصومة الفلاحين ومحاسبتهم وخيانتهم، ويتفكر فى منازعة شركائه فى الحدود والماء، وأعوان السلطان فى الخَراج والأُجراء على التقصير فى العمارة ونحو ذلك. وصاحب التجارة يمسى ويصبح متفكرًا فى خيانة شريكه، وتقصيره فى العمل، وتضييعه المال. وكذا سائر

أصناف المال، حتى صاحب المال المجموع المكنوز يفكر فى كيفية حفظه، وفى الخوف عليه. ومن له قوت يوم بيوم فهو فى سلامة من جميع ذلك، وهذا سوى ما يقاسيه أرباب الأموال فى الدنيا، من الخوف والحزن والهم والغم والتعب. فإذا ترياق المال أخذ القوت منه، وصرف الباقى إلى الخيرات، وما عدا ذلك سموم وآفات[١].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص ٢٤٣-٢٤٦).



تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر في السؤال

اعلم: أنه قد ورد فى السؤال أحاديث فى النهى عنه، وفى الترخيص فيه.

أما الترخيص: فكقوله ﷺ: « **رُدُّوا السائل ولو بظِلفٍ مُحرَقٍ** »(١).

ولو كان السؤال حرامًا، لما جاز إعانة المعتدى على عدوانه،... والإعطاء إعانة.

وأما أحاديث النهى عن السؤال: فروى ابن عمر رضي الله عنهما: قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا تزال المسألة بأحدكم حتى يَلقى الله عز وجل وليس فى وجهه مُزعة لحم** »(٢).

وفيهما أيضًا: أنه ﷺ ذكر التعفُّف عن المسألة فقال: « **اليد العليا خير من اليد السفلى** ». واليد العليا المُعطية، والسفلى السائلة(٣).

وفى حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أنه ﷺ قال: « **من سأل وله ما يُغنيه، جاءت مسألته يوم القيامة خدوشًا أو كدوحًا فى وجهه** »(٤).

وكشف الغطاء فى هذا أن نقول: السؤال فى الأصل حرام، لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور:

---

(١) صحيح: رواه النسائي، وأحمد، ومالك، وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٠٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٧٤) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٤٠) كتاب الزكاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٢٩) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٣٣) كتاب الزكاة.

(٤) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٧٩).

أحدها: الشكوى.

والثانى: إذلال نفسه، وما ينبغى للمؤمن أن يُذل نفسه.

والثالث: إيذاء المسؤول غالبًا.

وإنما يُباح السؤال فى حال الضرورة والحاجة المهمة القريبة من الضرورة،... أما المضطر، فهو كسؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتًا أو مرضًا، وكسؤال العارى الذى ليس له ما يواريه.

وأما المحتاج حاجة مهمة فهو كمن له جُبة ولا قميص تحتها فى الشتاء، فهو يتأذى بالبرد تأذيًا لا ينتهى إلى حد الضرورة، فكذلك من يقدر على المشى لكن بمشقة، يجوز له أن يسأل أُجرة يكترى بها للركوب، وتَرْكُه أولى، ومن وجد الخبز وهو محتاج إلى الأُدم، فله أن يسأل مع الكراهة، وكذلك إذا سأل المَحمل من هو قادر على الراحلة.

وينبغى فى مثل هذه المسألة أن يُظهر الشكر لله تعالى، ولا يسأل سؤال محتاج، بل يقول: أنا مُستغنٍ بما أملكه، وإنما النفس تطالبنى، فيخرج بهذا عن حد الشكوى لله تعالى.

وينبغى أن يسأل أباه أو قريبه أو صديقه الذى لا ينقص بذلك فى عينه، أو السخى الذى أعد ماله للمكارم، فيخرج بذلك من الذل. وإن أخذ ممن يعلم أنه إنما أعطاه حياءً، لم يَجُز له الأخذ، ويجب رَدُّه إلى صاحبه.

ولا يجوز للفقير أن يسأل إلا مقدار ما يحتاج إليه، من بيت يُكِنّه، وثوب يستره، وطعام يقيمه[1].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٩٦-٣٩٨).

علاج الحرص والطمع والبُخل

۞ اعلم: أن هذا الدواء مُركَّب من ثلاثة أركان:

الصبر، والعلم، والعمل، ومجموع ذلك خمسة أمور:

الأول: الاقتصاد فى المعيشة، والرفق فى الإنفاق، فمن أراد القناعة فينبغى أن يسد عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه، ويرد نفسه إلى ما لا بُدَّ منه، فيقنع بأى طعام كان، وقليل من الإدام، وثوب واحد، ويوطن نفسه على ذلك، وإن كان له عيال، فيرد كل واحد إلى هذا القدر.

قال النبى ﷺ: « **ثلاث منجيات: خشية الله تعالى فى السر والعلانية، والقصد فى الغنى والفقر، والعدل فى الرضى والغضب** »[1].

الثانى: إذا تيسر له فى الحال ما يكفيه، فلا يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل ويعينه على ذلك قِصَر الأمل، واليقين بأن رزقه لا بد أن يأتيه، وليعلم أن الشيطان يَعِدُه الفقر.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أنّ نَفْساً لنْ تَمُوتَ حَتّى تَسْتَكْمِلَ أجَلَها وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَها فاتّقُوا الله وأجْمِلُوا فِي الطَّلبِ وَلا يَحْمِلنَّ أحَدَكُمُ اسْتِبْطاءُ الرِّزْقِ أنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ الله عز وجل فإنّ الله تَعَالَى لا يُنالُ مَا عِنْدَهُ إلاّ بِطاعَتِهِ**»[2].

وإذا انسدَّ عنه باب كان ينتظر الرزق منه، فلا ينبغى أن يضطرب قلبه.

---

(١) حسن: رواه البزار، وأبو نعيم، والطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني بمجموع طرقه في الصحيحة (١٨٠٢)، وصحيح الجامع (٣٠٤٥).

(٢) صحيح: رواه أبو نعيم في الحلية، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٨٥).

الثالث: أن يعرف ما فى القناعة من عز الاستغناء، وما فى الطمع والحرص من الذل. وليس فى القناعة إلا الصبر عن الشبهات والفضول، مع ما يحصل له من ثواب الآخرة، ومن لم يُؤْثِر عزَّ نفسه عن شهوته، فهو ركيك العقل، ناقص الإيمان.

الرابع: أن يكثر تفكُّره فى تنعُّم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقى منهم، ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء والصالحين، ويسمع أحاديثهم، ويُطالع أحوالهم، ويُخير عقله بين مشابهة أراذل العالمين، أو صفوة الخلق عند الله تعالى، حتى يهون عليه الصبر على القليل والقناعة باليسير، وأنه إن تنعَّم بالأكل فالبهيمة أكثر أكلًا منه، وإن تنعَّم بالوطء فالعصفور أكثر سفادًا منه.

الخامس: أن يفهم ما فى جمع المال من الخطر، كما ذكرنا فى آفات المال، وينظر إلى ثواب الفقر، ويتم ذلك بأن ينظر أبدًا إلى مَن دونه فى الدنيا، وإلى من فوقه فى الدين، كما جاء فى الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُو أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**»[1].

وعماد الأمر: الصبر وقِصَر الأمل، وأن يعلم أن غاية صبره فى الدنيا أيام قلائل لتمتُّع دائم، فيكون كالمريض الذى يصبر على مرارة الدواء لما يرجو من الشفاء[2].

فأما علاج البخل، فاعلم أن سبب البخل حب المال.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٣).

(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص ٢٤٨-٢٤٩).

۞ ولحب المال سببان:

أحدهما: حب الشهوات التى لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل، وإن كان قصير الأمل وله ولد، فإنه يقوم مقام طول الأمل.

الثانى: أن يحب عين المال، فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره لو اقتصر على ما جرت عادته به، ويفضل معه آلاف، ويكون شيخًا لا ولد له، ثم لا تسمح نفسه بإخراج الواجب عليه، ولا بصدقة تنفعه، ويعلم أنه إذا مات أخذه أعداؤه، أو ضاع إن كان مدفونًا، وهذا مرض لا يُرجَى علاجه.

ومثال ذلك رجل أحبَّ شخصًا، فلما جاء رسوله، أحب الرسول ونسى محبوبه واشتغل بالرسول، فإن الدنيا رسول مُبلِّغ إلى الحاجات، فيحب الدنانير لذاتها، وينسى الحاجات، وهذا غاية الضلال.

واعلم: أن علاج كل علة بمضادة سببها. فيعالج حب الشهوات بالقناعة والصبر، وطول الأمل بكثرة ذكر الموت. ويعالج التفات القلب إلى الولد، بأن مَن خلقه معه رزقه، وكم ممن لم يرث شيئا أحسن حالًا ممن ورث. فليحذر أن يترك لولده الخير، ويَقْدُم على الله بشرٍّ، فإن ولده إن كان صالحا فالله يتولاه، وإن كان فاسقًا فلا يترك ما يستعين به على المعاصى، وليُردِّد على سمعه ما ذكرناه فى ذم البخل ومدح السخاء.

واعلم: أنه إذا كثرت المحبوبات فى الدنيا، كثرت المصائب بفقدها، فمن عرف آفة المال لم يأنس به، ولم يأخذ منه إلا قدر حاجته، وأمسك ذلك لحاجته فليس ببخيل، والله أعلم[1].

---

(١) بتصرف من مختصر منهاج القاصدين.

تصنُّع الزهد

۞ قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عجبت لمن يتصنع للناس بالزهد، يرجو بذلك قربة من قلوبهم، وينسى أن قلوبهم بيد من يعمل له؛ فإن رضي عمله، ورآه خالصًا، ألفت القلوب إليه، وإن لم يره خالصًا، أعرض بها عنه.

ومتى نظر العامل إلى التفات القلوب إليه؛ فقد زاحم الشرك؛ لأنه ينبغي أن يقنع بنظر من يعمل له.

ومن ضرورة الإخلاص [ألا يقصد] إلفات القلوب إليه، فذاك يحصل لا بقصده، بل بكراهته لذلك.

وليعلم الإنسان أن أعماله كلها يعلمها الخلق جملة، وإن لم يطلعوا عليها، فالقلوب تشهد للصالح بالصلاح، وإن لم يشاهد منه ذلك.

فأما من يقصد رؤية الخلق بعمله؛ فقد مضى العمل ضائعًا؛ لأنه غير مقبول عند الخالق، ولا عند الخلق؛ لأن قلوبهم قد التفتت عنه، فقد ضاع العمل، وذهب العمر!

فليتق اللهَ العبدُ، وليقصد مَن ينفعه قصده، ولا يتشاغل بمدح مَن عن قليلٍ بِلَى هو وهُم[1] - أي: لا ينشغل بمدح الناس فإنهم جميعًا سيموتون ويرحلون عن الدنيا-.

---

(١) صيد الخاطر (ص ٣١٤) بتصرف.

بستان الزاهدين

۞ وتعالوا بنا لنقطف تلك الثمرات من بساتين الزاهدين.

- ولنبدأ بالأنبياء والمرسلين (صلوات ربى وسلامه عليهم) ثم بأصحاب النبى ﷺ ثم بالتابعين لنتعلم من تلك الصفحات التى سطروها على جبين التاريخ بسطورٍ من النور.

زهد سليمان (عليه السلام)

۞ عن وهب بن منبه قال: كان لسليمان بن دواد عليه السلام ألف بيت أعلاها قوارير وأسفلها حديد فركب الريح يومًا فمر بحراث فنظر إليه الحراث فقال: لقد أوتى آل داود ملكًا عظيمًا فحملت الريح كلامه فألقته فى أذن سليمان عليه السلام قال: فنزل حتى أتى الحراث فقال: إنى سمعت قولك وإنما مشيت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه،... لتسبيحة واحدة يقبلها الله عز وجل خير مما أوتى آل دواد فقال الحراث: أذهب الله همك كما أذهبت همى[1].

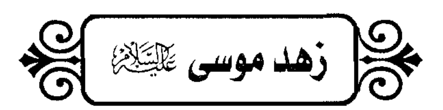
۞ وقال الحسن رحمه الله فى كتابه لعمر بن عبد العزيز- يصف زهد داود وسليمان عليهما السلام:

ولو شئت ربّعت بسليمان بن داود عليهما السلام فليس دونهم فى العجب؛ يأكل خبز الشعير فى خاصته، ويُطعم أهله الخشكار[2].. فإذا جنّه الليلُ لبس المسوح، وغل اليد إلى العنق، وبات باكيًا حتى يُصبح، ويأكل الخشن من الطعام.

(١) الزهد للإمام أحمد (ص: ٥١).

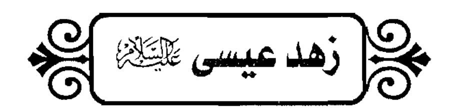
(٢) الخشكار: ردىء الدقيق.

ومن قبله كان داود صاحب المزامير، وقارئ أهل الجنة، يعمل سفائف الخوص بيده، ويقول لجلسائه: أيكم يكفينى بيعها؟ ويأكل قرص الشعير من ثمنها(١).



قال الحسن البصرى رحمه الله:

وأما موسى عليه السلام، فرُئى خضرة البقل من صفاق بطنه من هُزاله، ما سأل الله تعالى يوم أوى إلى الظل إلا طعامًا يأكله، من جوعه(٢).



وهذا عيسى عليه السلام ذلكم النبى الزاهد العابد.

وكان عيسى عليه السلام يقول: إدامى الجوع، وشعارى الخوف، ولباسى الصوف، وصلاتى فى الشتاء فى مشارق الشمس، وسراجى القمر، ودابتى رجلاى، وطعامى وفاكهتى ما أنبتت الأرض، أبيت وليس لى شىء، وأصبح وليس لى شىء، وليس على الأرض أحد أغنى منى.

وقال: اجعلوا كنوزكم فى السماء، فإن قلب المرء عند كنزه.

وقال: يا بنى إسرائيل، تهاونوا بالدنيا تهن عليكم، وأَهينوا الدنيا تكرم عليكم الآخرة، ولا تُكرموا الدنيا تهن عليكم الآخرة؛ فإن الدنيا ليست بأهل الكرامة وكل يوم تدعو إلى الفتنة والخسارة.

---

(١) «صلاح الأمة» / د. سيد العفانى (٤ / ٢٦١).

(٢) حلية الأولياء (٢ / ١٣٧).

۞ وعن وهب، قال:قال الحواريون: يا عيسى، مَن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟ قال: الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها، فأماتوا منها ما يخشون أن يُميتهم، وتركوا ما علموا أن سيتركهم، فصار استكثارهم منها استقلالًا، وذكرهم إيَّاها فواتًا، وفرحُهم بما أصابوا منها حزنًا، فما عرضهم من نائلها رفضوه، وما عارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه، خَلِقَت الدنيا عندهم فليسوا يجددونها، وخربت بينهم فليسوا يعمرونها، وماتت فى صدورهم فليسوا يحيونها، يهدمونها فيبنون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما بقى لهم، رفضوها فكانوا بها هم الفرحين، ونظروا إلى أهلها صرعى قد حلت بهم المثلات، فأحيوا ذكر الموت، وأماتوا ذكر الحياة، يُحبون الله ويحبون ذكره، ويستضيئون بنوره ويُضيئون به، لهم خبر عجيب، وعندهم الخبر العجيب، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وبهم عُلم الكتاب وبه عَملوا، ليسوا يرون نائلًا مع ما نالوا، ولا أمانًا دون ما يرجون، ولا خوفًا دون ما يحذرون(١).

مع سيد الزاهدين محمد بن عبد الله ﷺ

وها هو سيد الزاهدين وسيد ولد آدم محمد بن عبد الله ﷺ الذى عُرضت عليه الدنيا بزهرتها الفانية فأبى أن يقبلها.

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز فى ذم الدنيا كتابًا طويلًا فيه: أما بعد فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار مقام، وإنما أُنزل إليها آدم عقوبة،

(١) عدة الصابرين (ص: ٢١٣، ٢١٤).

فاحذرها يا أمير المؤمنين، فإن الزاد منها تركها، والغنى فيها فقرها، تذل من أعزها، وتفقر من جمعها، كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه، فاحذر هذه الدار الغرارة الخيالة الخداعة. وكن أسرّ ما تكون فيها أحذر ما تكون فيها، سرورها مشوب بالحزن، وصفوها مشوب بالكدر، فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرًا، ولم يضرب لها مثلًا لكانت قد أيقظت النائم ونبهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله ﷻ عنها زاجر، وفيها واعظ، فما لها عند الله سبحانه قدر ولا وزن، ما نظر إليها منذ خلقها.

ولقد عُرضت على نبينا محمد ﷺ مفاتيحها وخزائنها[١]، لا ينقصه عند الله جناح بعوضة، فأبى أن يقبلها، وكره أن يحب ما أبغض خالقه، أو يرفع ما وضعه مليكه، زواها الله عن الصالحين اختيارًا، وبسطها لأعدائه اغترارًا، أفيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أُكرم بها؟ ونسى ما صنع الله بمحمد ﷺ حين شد على بطنه الحجر، والله ما أحدٌ من الناس بُسط له فى الدنيا، فلم يخف أن يكون قد مُكر به إلا كان قد نقص عقله، وعجز رأيه وما أُمسك عن عبد فلم يظن أن قد خُيِّر له فيها، إلا كان قد نقص عقله وعجز رأيه[٢].

(١) والحديث عن أبى مويهبة فى حديث النبى ﷺ فى المرض الذى توفى فيه واستغفاره لأهل البقيع وفيه: «**إنى قد أُعطيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة..**» والحديث أخرجه أحمد فى مسنده (٣/ ٤٨٩)، والحاكم فى المستدرك (٣/ ٥٥، ٥٦)، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى، والبيهقى فى الدلائل (٧/ ١٦٢، ١٦٣)، والدارمى فى سننه (١/ ٧٨)، وقال الهيثمى فى المجمع (٩/ ٢٤)، رواه أحمد والطبرانى بإسنادين ورجال أحدهما صحيح.

(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٢٣٧، ٢٣٨).

هكذا كانت حياته ﷺ

۞ وتأمل معى كيف كانت حياة سيد ولد آدم ﷺ.

۞ ففى الحديث الذى رواه مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوى ما يجد من الدقل(١) ما يملأ به بطنه.

۞ وفى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبع آل محمد ﷺ من خُبز شعير يومين متتابعين حتى قُبض(٢).

۞ وفى الصحيحين عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: والله يا ابن أُختى إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثةُ أَهلة فى شهرين، وما أُوقد فى أبيات رسول الله ﷺ نارٌ. قُلت: يا خالة فما كان يُعيِّشُكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيرانٌ من الأنصار وكانت لهم منائح وكانوا يُرسلون إلى رسول الله ﷺ من أَلبانها فيسقينا(٣).

۞ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت علىَّ امرأةٌ من الأنصار، فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثنية، فرجعت إلى منزلها، فبعثت إلىّ بفراش حشوه الصوف، فدخل علىّ رسول الله ﷺ، فقال: «ما هذا؟» فقلت: فلانةٌ الأنصارية دخلت علىّ، فرأت فراشك، فبعثت إلىّ بهذا. فقال: «رُدّيه» فلم

---

(١) الدقل: ردىء التمر.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٤١٦) كتاب الأطعمة، و(٦٤٥٥) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٧٠) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٥٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٧٢) كتاب الزهد والرقائق.

أردّه، وأعجبنى أن يكون فى بيتى، حتى قال ذلك ثلاث مرات فقال: «**يا عائشة، رُدِّيه، والله لو شئت، لأجرى اللهُ معى جبال الذهب والفضةِ**»(١).

۞ وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر فى جنبه، قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «**ما لى وللدنيا؟ ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرةٍ ثم راح وتركها**»(٢).

۞ بل كان النبى ﷺ يُكثر من هذا الدعاء - كما فى الصحيحين - أنه ﷺ كان يقول: «**اللهم اجعل رزق آل محمدٍ قوتًا**»(٣).. أى: ما يسد الرمق.

۞ بل تأمل معى هذا المشهد الجليل.

- ففى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبى بكر وعُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فقال: «**ما أَخرجَكما من بيوتكما هذه الساعة؟**» قالا: الجوع يا رسول الله. قال: «**وأنا، والذى نفسى بيده، لأخرجنى الذى أَخرجَكما،.. قوما**» فقاما معه، فأتى رجلًا من الأنصار، فإذا هو ليس فى بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلًا. فقال لها رسول الله ﷺ: «**أين فلان؟**»، قالت: ذهب يستعذب لنا الماء، إذ جاء الأنصارى، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثُم قال: الحمد لله، ما أحدٌ اليوم أكرم أَضيافًا منى، فانطلق فجاءهم بعذق فيه بُسرٌ وتمرٌ ورُطبٌ، فقال: كُلُوا، وأخذ المُدية، فقال له رسول الله ﷺ: «**إياك والحلوب**» فذبح لهم،

---

(١) رواه أحمد بسندٍ صحيح.

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذى (٢٣٧٧) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٠٩) كتاب الزهد، وصححه الألبانى رَحِمَهُ اللهُ فى صحيح الجامع (٥٦٦٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٠) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠٥٥) كتاب الزهد والرقائق.

فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا. فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر رضي الله عنهما: «**والذى نفسى بيده، لتُسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم**»[1] [2].

۞ ففى الحديث الذى رواه البخارى عن عمرو بن الحارث أخى جُويرية بنت الحارث أُم المؤمنين رضي الله عنها، قال: «ما ترك رسول الله ﷺ، عند موته دينارًا ولا درهما، ولا عبدًا، ولا أمة، ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها، وسلاحه، وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة»[3].

۞ وكيف لا يكون هذا هو حال النبى ﷺ وهو الذى قال - كما فى الصحيحين: «**لو كان لى مثل أُحد ذهبًا، لسرنى ألا تمر عليَّ ثلاث ليالٍ وعندى منه شىءٌ إلا شىءٌ أُرصده لدين**»[4].

۞ بل وفى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، قالت: تُوفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعًا من شعير[5].

---

(١) قولها: «يَستَعذْب» أى: يطلب الماء العذب، وهو الطيب. و«العِذْق» بكسر العين وإسكان الذال المعجمة: وهو الكباسة، وهى الغُصن. و«المُدية» بضم الميم وكسرها: هى السكين. و«الحلُوب» ذات اللبن. والسؤال عن هذا النعيم سؤال تعديد النعم لا سؤال توبيخ وتعذيب والله أعلم. وهذا الأنصارى الذى أتوه هو أبو الهيثم بن التيهان رضي الله عنه، كذا جاء مبينًا فى رواية الترمذى وغيره.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٣٨) كتاب الأشربة.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٧٣٩) كتاب الوصايا.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٨٩) كتاب فى الاستقراض وأداء الديون، ومسلم (٩٩١) كتاب الزكاة.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩١٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٦٠٣) كتاب المساقاة.

۞ وفى الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: تُوفى رسول الله ﷺ وما فى بيتى من شىء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رفٍّ لى، فأكلت منه حتى طال علىَّ، فكلتُهُ ففنى[1].

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٩٧) كتاب فرض الخمس، ومسلم (٢٩٧٣) كتاب الزهد والرقائق.

زهد الصحابة والتابعين رضي الله عنهم

۞ اقتدى الصحابة الكرام ومَن تبعهم من التابعين برسول الله ﷺ في الزهد كما اقتدوا به في سائر أحواله، وكانوا أمثلةً حيةً للإسلام فما ظهر فيهم زهد المتصوفة لقوة يقينهم وسلامة منهجهم.

عن أنس رضي الله عنه قال: «رأيت عمر وهو يومئذٍ أمير المؤمنين، وقد رقَّع بين كتفيه برقاعٍ ثلاث، لبد بعضها على بعض».

وعن محمد بن سيرين قال: كنا عند أبي هريرة رضي الله عنه وعليه ثوبان ممشقان من كتان، فمخط في أحدهما ثم قال: بخٍ بخٍ يتمخط أبو هريرة في الكتان لقد رأيتني وإني لأَخِرُّ فيما بين منبر رسول الله ﷺ وحُجرة عائشة من الجوع مغشيًّا عليَّ فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي، يرى أن بي الجنون وما هو إلا الجوع[1].

وعن فُضالة بن عُبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس يَخِرُّ رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة - وهم أصحاب الصُّفَّة- حتى يقول الأعراب هؤلاء مجانين - أو مجانون- فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم فقال: **«لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة»**[2][3].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٣/ ٣٠٣) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، والترمذي (٩/ ٢١٦، ٢١٧) كتاب الزهد.

(٢) رواه الترمذي (٩/ ٢١٨) الزهد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٦٥).

(٣) الزهد والرقائق / للإمام ابن المبارك (ص ١٩).

زهد أبى بكر الصديق رضي الله عنه

۞ عن زيد بن أرقم، أن أبا بكر استسقى، فأُتى بإناء فيه ماء وعسل، فلما أدناه من فيه - فمه - بكى، وأبكى مَنْ حوله، فسكت وما سكتوا، ثم عاد فبكى حتى ظنوا أن لا يقدروا على مساءلته، ثم مسح وجهه وأفاق، فقالوا: ما هاجك على هذا البكاء؟ قال: كنتُ مع النبى ﷺ، وجعل يدفع عنه شيئًا، ويقول: «**إليك عنى، إليك عنى**» ولم أر معه أحدًا، فقلت: يا رسول الله، أراك تدفع عنك شيئًا، ولا أرى معه أحدًا؟ قال: «**هذه الدنيا تمثلت لى بما فيها، فقلت لها: إليك عنى، فتنحت وقالت: أما والله لئن انفلت منى لا ينفلت منى من بعدك**» فخشيت أن تكون قد لحقتنى، فذاك الذى أبكانى»[1].

زهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

۞ كان رضي الله عنه متواضعًا فى الله، خشن العيش، خشن المطعم، شديدًا فى ذات الله، يرقِّع الثوب بالأدم - الجلد - ويحمل القربة على كتفيه، مع عظيم هيبته، ويركب حمارًا عريًا، والبعير مخطومًا بالليف، وكان قليل الضحك لا يمازح أحدًا، وكان نقش خاتمه: «**كفى بالموت واعظًا يا عمر**»[2].

---

(١) ضعيف جدًّا: رواه الحاكم فى المستدرك (٤/ ٣٤٤) وأعله الحافظ الذهبى فى التلخيص فقال: عبدالصمد تركه البخارى وغيره، وضعفه الحافظ العراقى فى المغنى عن حمل الأسفار (٣/ ١٦٢، ٢٠٣)، وضعفه الألبانى رحمه الله فى السلسلة الضعيفة (٤٨٧٨) وقال: ضعيف جدًّا.

(٢) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥/ ٢١٤).

ولما تولى الخلافة، قال: «لا يحل لى من مال الله إلا حُلتان، حلة للشتاء وحلة للصيف، وقوت أهلى كرجل من قريش ليس بأغناهم، ثم أنا رجل من المسلمين!!».

قال ابن الجوزى فى مناقب عمر: قال عبد العزيز بن أبى جميلة: أبطأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمعة بالصلاة فلما خرج صعد المنبر، واعتذر إلى الناس فقال: «إنما حبسنى قميصى هذا لم يكن لى قميص غيره كان يُخاط، أبيض، لا يجاوز كمه رسغ كفيه[١].

۞ وعن حميد بن هلال أن حفص بن أبى العاص كان يحضر طعام عمر، فكان لا يأكل. فقال له عمر: ما يمنعك من طعامنا؟

قال: إن طعامك جَشبٌ غليظ، وإنى راجع إلى طعامٍ لين قد صنع لى فأصيب منه. قال: أترانى أعجزُ أن آمر بشاة فيُلقى عنها شعرها، وآمر بدقيق فينخل فى خرقة ثم يُصب فى خرقة، ثم آمر به فيخبز خبزًا رقاقًا، وآمر بصاع من زبيب فيُقذف فى سُعن، ثم يُصب عليه من الماء فيصبح كأنه دمُ غزال؟ فقال: إنى لأراك عالمًا بطيب العيش.

فقال: أجل والذى نفسى بيده لولا أن تنتقص حسناتى لشاركتكم فى لين عيشكم[٢].

وعوتب عمر فقيل له: لو أكلت طعامًا طيبًا كان أقوى لك على الحق؟ فقال: إنى تركت صاحبيَّ[٣] على جادة، فإن تركت جادتهما، فلن أدركهما

---

(١) الطبقات لابن سعد (٣ / ٢٥١) وإسناده صحيح.

(٢) الطبقات لابن سعد (٣ / ٢١٢) بسندٍ رجاله ثقات.

(٣) يعنى: النبى ﷺ وأبى بكر رضي الله عنه.

فى المنزل».

وكان فى عام الرمادة لا يأكل إلا الخبز والزيت حتى اسودَّ جلده، ويقول: «بئس الوالى أنا إن شبعتُ والناس جياع!!»... لله درُّك يا عمر.

۞ وصدق من قال:

يا رافعًا راية الشورى وحارسها جزاك ربك خيرًا عن مُحبِّيها

رأى الجماعة لا تشقى البلاد به رغم الخلاف ورأى الفرد يشقيها

إن جاع الخليفة فى شدة قوم شركتهم الجوع أو تنجلى عنهم غواشيها

جُوع الخليفة والدنيا بقبضته منزلة فى الزهد سبحان موليها

فمن يبارى أبا حفصٍ وسيرته أو من يحاول للفاروق تشبيها

يوم اشتهت زوجه الحلوى فقال لها من أين لى بثمن الحلوى فأشريها

ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به أولى فقومى لبيت المال رُدِّيها

كذاك أخلاقه كانت وما عُهدت بعد النبوة أخلاقٌ تحاكيها

زهد عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال الحسن البصرى: «رأيتُ عثمان نائمًا فى المسجد حتى جاءه المؤذن فقام: فرأيت أثر الحصى على جنبه»[1].

وكان رضي الله عنه - وهو خليفة - يحمل حزمة الحطب على عاتقه.

(١) السير (٤/ ٥٦٨).

زهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه

لما بكت الدنيا عليه، اشتاقت وضحكت الآخرة إليه.

كان يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب -أى ما غلظ-.

هذا الذى كان يقف وقد أرخى الليل سجوفه وغارت نجومه، وقد مثل فى محرابه قابضًا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكى بكاء الحزين، وهو يقول: يا دنيا أبى تعرَّضت؟! أم بى تشوّقت؟! هيهات غُرِّى غيرى، قد بنتك ثلاثًا لا رجعة لى فيك، فعمرك قصير، وعيشكِ حقير، وخطرك كبير، آهٍ من قلة الزاد، وبعد السفر ووحشة الطريق.

❁ كان رضي الله عنه يقول: العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل، والمال تنقصه النفقة. ومحبة العالم دين يُدان بها.

وقال رضي الله عنه: «إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل: فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسى الآخرة، ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، ألا وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل»[١].

---

(١) صفة الصفوة (١/ ١٣٠).

سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه وزهده فى الدنيا

۞ روى مسلم وأحمد عن ابن سعد أنَّ أباه سعدًا، كان فى غنمٍ له، فجاء ابنه عمر، فلما رآه قال: أعوذ بالله من شرِّ هذا الراكب، فلما انتهى إليه، قال: يا أبتِ أرضيتَ أن تكون أعرابيًّا فى غنمك، والناسُ يتنازعون فى الملك بالمدينة، فضرب صدر عمر، وقال: اسكت، فإنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله عز وجل يحبُّ العبد التقى الغنى الخفى**»[1].

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٥) كتاب الزهد والرقائق.



عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ... وزهده في الدنيا



۞ روى البخارى عن سعد بن إبراهيم عن أبيه: أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أُتى بطعام، وكان صائمًا، فقال: قُتل مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو خير منى كُفِّن فى بُردة، إن غُطى رأسه بدت رجلاه، وإن غطى رجلاه بدا - أى ظهر- رأسه وقتل حمزة رضي الله عنه وهو خير منى، ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسط، أو قال: أُعطينا من الدنيا ما أعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا قد عُجِّلت لنا، ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام.

۞ وعن عبد الرحمن بن أزهر أن عثمان اشتكى رُعافًا، فدعا حمران فقال: اكتب لعبد الرحمن العهد من بعدى. فكتب له، وانطلق حمران إلى عبد الرحمن، فقال: البشرى. قال: وما ذاك؟ قال: إنَّ عثمان قد كتب لك العهد من بعده. فقام بين القبر والمنبر، فدعا، فقال: اللهم إن كان من تولية عثمان إياى هذا الأمر، فأمتنى قبله. فلم يمكث إلا ستة أشهر حتى قبضه الله [١].

۞ قال الذهبى: «من أفضل أعمال عبد الرحمن بن عوف: عزله نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأمة من أشار به أهلُ الحل والعقد، فنهض فى ذلك أتم نهوض على جميع الأمة على عثمان، ولو كان محابيًا فيها، لأخذها لنفسه، أو لولاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه: سعد بن أبى وقاص» [٢].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٨٨).

(٢) السير (١/ ٨٦).

أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وزهده فى الدنيا

وها هو أبو عبيدة رضي الله عنه لا تستطيع الدنيا أن تصل إلى قلبه بحال من الأحوال، فهو - إن كان - يعيش على الدنيا بجسده إلا أن روحه تسرح فى جنة الرحمن، فهو لا يريد سواها.

يرسل إليه عمر بن الخطاب بأربعة آلاف درهم وأربعمائة دينار، وقال لرسوله: «انظر ما يصنع»، فقسمها أبو عبيدة، فلما أخبر عمر رسوله بما صنع أبو عبيدة بالمال، قال: «الحمد لله الذى جعل فى الإسلام من يصنع هذا!»[1].

ولما قدم عمر الشام، تلقاه أمراءُ الأجنادِ وعظماءُ أهل الأرض، فقال عمر: «أين أخى؟» فقالوا: مَن؟ قال: «أبو عبيدة». قالوا: يأتيك الآن، فجاء على ناقة مخطومةٍ بحبلٍ، فسلم عليه، فقال عمر للناس: «انصرفوا عنا!»، وسار مع أبى عبيدة حتى منزله فنزل عليه، فلم ير فى بيته إلا سيفه وترسه، فقال عمر: «لو اتخذت متاعًا» فقال أبو عبيدة: «يا أمير المؤمنين، إن هذا سيبلغنا المقيل»[2].

وفى رواية أن عمر قال: «اذهب بنا إلى منزلك يا أبا عبيدة» فقال له: «وما تصنع عندى يا أمير المؤمنين؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك علىّ!». ودخل عمر فلم ير فى البيت شيئًا فقال: أين متاعك لا أرى إلا لبدًا، وصحفة، وشنًّا[3] وأنت أمير!، أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٤١٣).

(٢) الإصابة (٤/ ١٢)، وأسد الغابة (٣/ ٨٦)

(٣) القربة الخَلِق.

جونة[١] فأخذ منها كسيرات، فبكى عمر، فقال له أبو عبيدة: قلت لك: إنك ستعصر عينيك عليَّ يا أمير المؤمنين! يكفيك من الزاد ما بلغك المحل!! فقال عمر: «غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة»![٢].



۞ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ما شبعت بعد النبى ﷺ من طعام إلا ولو شئت أن أبكى لبكيت، وما شبع آل محمد ﷺ حتى قُبض.

وعن عروة عن عائشة - رحمها الله- قال: رأيتها تقسم سبعين ألفًا وهى ترقع درعها[٣].

۞ عن عروة بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «ما كانت عائشة أم المؤمنين تستجد ثوبًا حتى ترقع ثوبها وتنكسه[٤]. قال: ولقد جاءها يومًا من عند معاوية ثمانون ألفًا، فما أمسى عندها درهم، قالت لها جاريتها: فهلا اشتريتِ لنا منه لحمًا بدرهم؟. قالت: «لو ذكرتنى لفعلت»[٥].

سلمان الفارسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وزهده فى الدنيا

قال النعمان بن حميد: «دخلت مع خالى على سلمان بالمدائن - وهو

---

(١) السلة المستديرة.

(٢) نقلًا من صلاح الأمة/ د. سيد حسين (ص ٥١٤-٥١٧) بتصرف.

(٣) الزهد للإمام أحمد (ص ٢٠٦).

(٤) تنكسه: تلبسه منكسًا أي: ما كان داخلًا مستتراً منه يصبح من الظاهر، وما كان ظاهرًا يصبح باطنًا.

(٥) الترمذي (١٧٨١) وهذه زيادة من كتاب رزين، وله شواهد في الصحيحين، وانظر الزهد لوكيع (١/ ٣٣٧).

أميرٌ عليها - فسمعته يقول: أشترى خُوصًا بدرهم، فأبيعه بثلاثة دراهم، فأعيد درهمًا فيه، وانفق درهمًا على عيالى، وأتصدَّق بدرهم، ولو أن عمر نهانى عنه ما انتهيت»[١].

وقال الحسن: كان عطاء سلمان خمسة آلاف، وكان على ثلاثين ألفًا من الناس، يخطب فى عباءة، يفرش نصفها، ويلبس نصفها، وكان إذا خرج عطاؤه أمضاه، ويأكل من سفيف يديه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢].

وعن ثابت، عن أنس قال: دخل سعد وابن مسعود على سلمان عند الموت، فبكى. فقيل له: ما يبكيك؟ قال: عهد عهده إلينا رسول الله ﷺ لم نحفظه. قال: «**ليكن بلاغُ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب**».

قال ثابت: فبلغنى أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهمًا نفيقة كانت عنده[٣].

مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ... وزهده فى الدنيا

لقد كان (مصعب) قبل الإسلام هو أنعم فتيان مكة، فلم يكن هناك من يلبس مثل ثيابه ولا يضع مثل عطره حتى إنه كان إذا مرَّ من طريق وجاء بعده أناس قالوا: لقد مر مصعب بن عمير من هذا الطريق - مما يجدون من عطره الجميل -[٤].

---

(١) الإصابة (٤/ ٢٢٥).

(٢) الحلية (١/ ١٩٨).

(٣) رواه ابن ماجه، والحاكم (٤/ ٣٢٧) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) صور من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين للمصنف (١/ ٦٦٢).

۞ وفى الصحيحين عن خباب بن الأرت أنه قال:

هاجرنا مع النبى ﷺ نريدُ وجه الله فوقع أجرُنا على الله فمنَّا من مضى لم يأخذ من أجره شيئًا... منهم مصعبُ بن عُمير، قُتل يوم أُحد وترك نمرة فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه ونجعل على رجليه شيئًا من إذخر، ومنا من أينعت له ثمرتُهُ فهو يهدبها.

ابن عمر رضي الله عنهما... وزهده فى الدنيا

ولعل أبلغ كلمة تصف زهده رضي الله عنه هى تلكم الكلمة التى قالها جابر بن عبد الله رضي الله عنهما حيث قال: ما منا أحد أدرك الدنيا إلا وقد مال بها أو مالت به إلا عبد الله بن عمر.

قال الليث بن سعد وغيره: كتب رجل إلى ابن عمر أن اكتب إلىَّ بالعلم كله. فكتب إليه: إن العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم، كافَّ اللسان عن أعراضهم، لازمًا لأمر جماعتهم، فافعل[١].

وعن مجاهد، عن ابن عمر، قال: «لا يصيب عبد شيئًا من الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله عز وجل وإن كان عليه كريمًا».

وعن عمر بن ميمون، عن أبيه قال: قيل لعبد الله بن عمر: توفى فلان الأنصارى. قال: رحمه الله. فقال: ترك مائة ألف: قال: لكن هى لم تتركه[٢].

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٢٢٢).

(٢) صفة الصفوة (١/ ٢٤١).

ابن عمرو رضي الله عنهما... وزهده فى الدنيا

وهذه صفحة مضيئة من زهد هذا الصحابى الجليل عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما.

كان مثالًا عظيمًا للقوة فى العبادة وكثرة الاجتهاد فى الطاعة.

عن أبى عبد الرحمن الحبلى، قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: لأن أكون عاشر عشرة مساكين يوم القيامة، أحبُّ إلىَّ من أن أكون عاشر عشرة أغنياء، فإنَّ الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة، إلا من قال هكذا وهكذا، يقول: يتصدق يمينًا وشمالًا[1].

۞ وعن سلمان بن ربيعة أنه حج فى عصابة من قُراء أهل البصرة فقال: والله لا نرجع حتى نلقى رجلًا من أصحاب محمد ﷺ مرضيًا يحدثنا بحديث. فلم نزل نسأل حتى حُدثنا أن عبد الله بن عمرو نازل فى أسفل مكة. فعمدنا إليه فإذا نحن بثقل عظيم ويرتحلون ثلاثمائة راحلة، منها مائة راحلة ومائتا زاملة.. فقلنا: لمن هذا الثقل فقالوا: لعبد الله بن عمرو. فقلنا: أكل هذا له؟ وكنا نحدث أنه من أشد الناس تواضعًا. فقالوا لنا: أما هذه المائة راحلة فلإخوانه يحملهم عليها، وأما المائتان فلمن نزل عليه من أهل الأمصار ولأضيافه. فعجبنا من ذلك. فقالوا: لا تعجبوا من هذا فإن عبد الله رجل غنى وإنه يرى حقًّا عليه أن يكثر من الزاد لمن نزل عليه من الناس. فقلنا: دلونا عليه. فقالوا: إنه فى المسجد الحرام. قال: فانطلقنا بطلبه حتى وجدناه فى دبر الكعبة جالسًا بين بردتين وعمامة ليس عليه قميص، قد علق نعليه فى شماله[2].

(١) الحلية (١/ ٢٨٨).

(٢) صفة الصفوة (١/ ٢٧٧).

عثمان بن مظعون رضي الله عنه... وزهده فى الدنيا

كان إلى الاستجابة لله سابقًا، وبمعالى الأحوال لاحقًا، وفى العبادة ناسكًا، لم تنقصه الدنيا، ولم تحطّه عن العليا. ويكفى فى علو زهده شهادة رسول الله ﷺ له بذلك: فعن أبى النضر، قال: لما مر بجنازة عثمان بن مظعون، قال رسول الله ﷺ: «**ذهبت ولم تلبَّس منها بشىء**»[١].

نعم، ما تلبس منها بشىء! ربما لبس النمرة قد تخللت، فرقعها بقطعة من فروة.. فرضى الله عنك أبا السائب صاحب الهجرتين.

«عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قبَّل عثمان بن مظعون وهو ميت ودموعه تسيل على خد عثمان بن مظعون»[٢].

أبو هريرة رضي الله عنه... وزهده فى الدنيا

عن عبد الرحمن بن عبيد عن أبى هريرة قال: إن كنت لأتبع الرجل أسأله عن الآية من كتاب الله عز وجل؛ لأنا أعلم بها منه ومن عشيرته، وما أتبعه إلا ليطعمنى القبضة من التمر أو السفة من السويق أو الدقيق أسد بها جوعى.

فأقبلت أمشى مع عمر بن الخطاب ذات ليلة أحدثه حتى بلغ بابه فأسند ظهره إلى الباب فاستقبلنى بوجهه فكلما فرغت من حديث حدثته آخر.

---

(١) أخرجه مالك (٥٧٢) في الجنائز مرسلًا، وقال الزرقاني: وصله ابن عبد البر من طريق يحيى بن سعيد، عن القاسم، عن عائشة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣١٦٣) كتاب الجنائز، والترمذي (٩٨٩) كتاب الجنائز، وابن ماجه (١٤٥٦) كتاب ما جاء فى الجنائز، وأحمد (٢٣٦٤٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى مختصر الشمائل.

حتى إذا لم أر شيئًا انطلقت فلما كان بعد ذلك لقينى فقال: أبا هريرة: أما لو أنه فى البيت شىء لأطعمناك.

وعن أبى رافع أن أبا هريرة قال: ما أحد من الناس يهدى لى هدية إلا قبلتها، فأما أن أسأل فلم أكن لأسأل[١].

وعن محمد قال: كنا عند أبى هريرة، فتمخَّط، فمسح بردائه، وقال: الحمدُ لله الذى تمخّط أبو هريرة فى الكتان! لقد رأيتنى، وإنى لأخرُّ فيما بين منزل عائشة والمنبر مغشيًّا علىَّ من الجوع، فيمرُّ الرجل، فيجلس على صدرى، فأرفع رأسى فأقول: ليس الذى ترى، إنما هو الجوع[٢].

قال الإمام الذهبى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلتُ: كان يظنه من يراه مصروعًا فيجلس فوقه ليرقيه، أو نحو ذلك[٣].

وعن أبى هريرة، قال: والله؛ إن كنت لأعتمدُ على الأرض من الجوع، وإن كنتُ لأشدُّ الحجر على بطنى من الجوع؛ ولقد قعدتُ على طريقهم، فمر بى أبو بكر، فسألته عن آية فى كتاب الله - ما أسأله إلا ليستتبعنى - فمرَّ، ولم يفعل، فمر عمر (فكذلك)، حتى مر بى رسول الله ﷺ، فعرف ما فى وجهى من الجوع، فقال: «**أبو هريرة**»؟ قلت: لبيك يا رسول الله. فدخلت معه البيت، فوجد لبنًا فى قدح، فقال: «**من أين لكم هذا؟**» قيل: أرسل به إليك فلان. فقال: «**يا أبا هريرة، انطلق إلى أهل الصفة[٤]، فادعهم**» - وكان

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٩٣).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٣٢٤) كتاب الاعتصام، والترمذى (٢٣٦٧) كتاب الزهد.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبى (٢/ ٥٩١).

(٤) الصُّفة: كانت فى مسجد النبى ﷺ فى المدينة يكون فيها فقراء المهاجرين، ومن لا منزل له منهم، وأهلها منسوبون إليها. وكان أهل الصفة يقومون بفروض عظيمة، منها تلقى القرآن والسنة، =

أهل الصفة أضياف الإسلام، لا أهل ولا مال إذا أتت رسول الله ﷺ صدقة، أرسل بها إليهم، ولم يُصب منها شيئًا، وإذا جاءته هدية، أصاب منها، وأشركهم فيها - فساءنى إرساله إياى، فقلت: كنت أرجو أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، وما هذا اللبن فى أهل الصفة!.

ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بُد، فأتيتهم، فأقبلوا مجيبين، فلما جلسوا، قال: «**خذ يا أبا هريرة، فأعطهم**». فجعلت أعطى الرجل، فيشرب حتى يروى، حتى أتيت على جميعهم؛ وناولته رسول الله ﷺ، فرفع رأسه إلىَّ متبسمًا، وقال: «**بقيت أنا وأنت**». قلت: صدقت يا رسول الله. قال: «**فاشرب**». فشربت. فقال: «**اشرب**»، فشربت فما زال يقول: اشرب، فأشرب؛ حتى قلت: والذى بعثك بالحق ما أجدُ له مساغًا، فأخذ فشرب من الفضلة[1].

أهل الصفة رضي الله عنهم

عن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس، يخر رجال من قامتهم فى الصلاة من الخصاصة - الفقر الشديد - وهم أصحاب الصفة، حتى تقول الأعراب: هؤلاء مجانين أو مجانون، فإذا صلى ﷺ انصرف إليهم فقال: «**لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة**». قال فضالة: أنا يومئذٍ مع رسول الله ﷺ[2].

= فكانت الصفة مدرسة الإسلام، ومنها حراسة النبى ﷺ، ومنها الاستعداد لتنفيذ أوامره وحاجاته فى طلب من يريد طلبه من المسلمين وغير ذلك، وكانوا قائمين بهذه الفروض عن المسلمين.

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٣٧٥) كتاب الأطعمة، والترمذى (٢٤٧٧) كتاب صفة القيامة.

(٢) صحيح: رواه الترمذي(٢١٦٨) كتاب الزهد وابن حبان وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٦٥).

أبو ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ... وزهده فى الدنيا

قال الذهبى عنه: «أحد السابقين الأولين، من نجباء أصحاب محمد ﷺ... وكان رأسًا فى الزهد والصدق، والعلم والعمل».

قال أبو ذر الغفارى: «ما تؤيسنى رقة عظمى، ولا بياض شعرى، أن ألقى عيسى ابن مريم»[١].

وعن ابن سيرين: سألت ابن أخت لأبى ذر: ما ترك أبو ذر؟ قال: ترك أتانين، وحمارًا، وأعنزًا، وركائب.

قد كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من أهل الصفة، وكان فى بداية أمره ينام فى المسجد، لم يكن له بيت.

وأرسل إليه عثمان، وقال له: إنما أرسلنا إليك لتجاورنا فى المدينة. قال: لا حاجة لى فى ذلك، ائذن لى إلى «الربذة». قال: نعم، ونأمر لك بنعم من نعم الصدقة، تغدو عليك وتروح. قال: لا حاجة لى فى ذلك، يكفى أبا ذر صريمته[٢]. فلما خرج قال: دونكم معاشر قريش، دنياكم فاعذموها[٣]، ودعونا وربنا.

وقال ثابت البنانى: بنى أبو الدرداء مسكنًا، فمر عليه أبو ذر، فقال: ما هذا! تعمر دارًا أذن الله بخرابها؟! لأن تكون رأيتك تتمرغ فى عذرة، أحب إلىّ من أن أكون رأيتك فيما رأيتك فيه»[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٣٠).

(٢) الصريمة: تصغير الصرمة: وهى القطيع من الإبل والغنم.

(٣) أى: خذوها، والعذم: العض والأكل بجفاء.

(٤) إسناده صحيح: سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٧، ٦٨)، وطبقات ابن سعد (٤/ ٢٣٢).

وعن أم طلق، قالت: «دخلت على أبى ذر فرأيته شعثًا شاحبًا، بيده صوف، قد جعل عودين، وهو يغزل بهما، فلم أر فى بيته شيئًا، فناولته شيئًا من دقيق وسويق، فقال لى: أما ثوابك، فعلى الله»[(١)].

وعندما مات بالربذة لم يكن عنده ثوب يسعه كفنًا، وكفنه صحابة مروا به، كفنه فتى من الأنصار فى عيبته من غزل أمه» [(٢)].

۞ وعن جعفر بن سليمان قال: دخل رجل على أبى ذر فجعل يقلب بصره فى بيته فقال: يا أبا ذر أين متاعكم؟ قال: لنا بيت نوجه إليه صالح متاعنا. قال: إنه لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا، قال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه.

سعيد بن عامر رضي الله عنه ... وزهده فى الدنيا

۞ قال حسان بن عطية: لما عزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه معاوية عن الشام، بعث سعيد بن عامر بن جذيم الجمحى. قال: فخرج معه بجارية من قريش نضيرة الوجه، فما لبث إلا يسيرًا حتى أصابته حاجة شديدة، قال: فبلغ ذلك عمر، فبعث إليه بألف دينار. قال: فدخل بها على امرأته، فقال: إن عمر بعث إلينا مما ترين. فقالت: لو أنك اشتريت لنا أدمًا وطعامًا، وادخرت سائرها. فقال لها: أو لا أدلك على أفضل من ذلك؟ نعطى هذا المال من يتجر لنا فيه، فنأكل من ربحها، وضمانها عليه. قالت: فنعم إذن. فاشترى أدمًا وطعامًا، واشترى بعيرين، وغلامين يمتاران عليهما

---

(١) السير (٢/ ٧٤).

(٢) العيبة: ما تجعل فيه الثياب، السير (٢/ ٧٧).

حوائجهم، وفرقها فى المساكين وأهل الحاجة. قال: فما لبث إلا يسيرًا حتى قالت له امرأته: إنه قد نفذ كذا وكذا، فلو أتيت ذلك الرجل فأخذت لنا من الربح فاشتريت لنا مكانه. قال: فسكت عنها. قال: ثم عاودته. قال: فسكت عنها حتى آذته، ولم يكن يدخل بيته إلا من ليل إلى ليل. قال: وكان رجل من أهل بيته ممن يدخل بدخوله، فقال لها: ما تصنعين، إنك قد آذيته؟ وإنه قد تصدق بذلك المال. قال: فبكت أسفًا على ذلك المال، ثم إنه دخل عليها يومًا، فقال: على رِسلك، إنه كان لى أصحاب فارقونى منذ قريب، ما أحب أنى صددت عنهم وأن لى الدنيا وما فيها،ولو أن خيِّرة من خيرات الحسان اطلعت من السماء، لأضاءت لأهل الأرض، ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر، ولَنصيفٌ تُكسى خير من الدنيا وما فيها، فلأنت أحرى فى نفسى أن أذعك لهن من أن أدعهن لك. قال: فسمحت ورضيت.

قال خالد بن معدان: استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر بن جذيم الجمحى، فلما قدم حمص، قال: يا أهل حمص، كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه. وكان يقال لأهل حمص: الكويفة الصغرى، لشكايتهم العمال. قالوا: نشكو أربعًا؛ لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. قال: أعظِم بها. قال: وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحدًا بليل. قال: وعظيمة. قال: وماذا؟ قالوا: وله يوم فى الشهر لا يخرج فيه إلينا. قال: عظيمة. قال: وماذا؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام. يعنى: تأخذه موتة. قال: فجمع عمر بينهم وبينه، وقال: اللهم لا تُفيل[1] رأيى فيه اليوم، ما تشكون منه؟ قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. قال سعيد: والله إن كنت لأكره ذكره، ليس

(١) لا تُفيِّل: لا تُخيِّب.

لأهلى خادم، فأعجن عجينى، ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبز خبزى، ثم أتوضأ، ثم أخرج إليهم. فقال عمر: ما تشكون منه؟ قالوا: لا يجيب أحدًا بليل. قال: ما تقول؟ قال: إن كنت لأكره ذكره؛ إنى جعلت النهار لهم، وجعلت الليل لله ﷻ. قال: وما تشكون؟ قالوا: إن له يومًا فى الشهر لا يخرج إلينا فيه. قال: ما تقول؟ قال: ليس لى خادم يغسل ثيابى، ولا لى ثياب أبدلها، فأجلس حتى تجف، ثم أدلكها، ثم أخرج إليهم من آخر النهار. قال: ما تشكون منه؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام. قال: ما تقول؟ قال: شهدت مصرع خبيب الأنصارى بمكة؛ وقد بضعت قريش لحمه، ثم حملوه على جذعة، فقالوا: أتحب أن محمدًا مكانك؟ فقال: والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى، وأن محمدًا ﷺ شيك بشوكة. ثم نادى: يا محمد. فما ذكرت ذلك اليوم، وتركى نصرته فى تلك الحال -وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم- إلا ظننت أن الله عزوجل لا يغفر لى بذلك الذنب أبدًا. قال: فتصيبنى تلك الغنظة. فقال عمر: الحمد لله الذى لم يفيل فراستى. فبعث إليه بألف دينار، وقال: استعن بها على أمرك. فقالت امرأته: الحمد لله الذى أغنانا عن خدمتك. فقال لها: فهل لك فى خير من ذلك: أدفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها؟ قالت: نعم. فدعا رجلًا من أهل بيته يثق به، فصرها صررًا، ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى يتيم آل فلان، وإلى مسكين آل فلان، وإلى مُبتلى آل فلان، فبقيت منها ذهيبة، فقال: أنفقى هذه. ثم عاد إلى عمله، فقالت: ألا تشترى لنا خادمًا؟ ما فعل ذلك المال؟ قال: سيأتيك أحوج ما تكونين[1].

(١) الحلية: (١/ ٢٤٤-٢٤٦).

عُمير بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ... وزهده فى الدنيا

وها هو عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذى كان لا يحابى أحدًا ولا يجامل أبدًا فى دين الله... أراد أن يختار واليًا على مدينة حمص.

وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يشترط شروطًا فى هؤلاء الولاة لا تكاد تسمع عنها إلا فى دنيا الأحلام.

فكان يختارهم من الزاهدين الورعين الصادقين المخبتين الصائمين القائمين الذين يفرون من الإمارة ولا يرغبون فيها.

فكان يقول فى نفسه: أريد رجلًا إذا كان فى القوم، وليس أميرًا عليهم بدا وكأنه أميرهم... وإذا كان فيهم وهو عليهم أمير، بدا وكأنه واحد منهم..!!

أريد واليًا، لا يميز نفسه على الناس فى ملبس، ولا فى مطعم، ولا فى مسكن...

يقيم فيهم الصلاة... ويقسم بينهم بالحق... ويحكم فيهم بالعدل... ولا يغلق بابه دون حوائجهم[1].

وفى تلك اللحظة تبادر إلى ذهن عمر (عمير بن سعد) فاختاره كما اختار من قبله (سعيد بن عامر) ليكمل من بعده مسيرة الزهد والورع والعدل والتضحية.

وكان عمير وقتها يجاهد فى سبيل الله فى بلاد الشام فدعاه أمير المؤمنين (عمر) وعهد إليه بولاية (حمص) فحاول «عمير» أن يعتذر عنها، لكن أمير المؤمنين ألزمه بها إلزامًا. فأذعن «عمير» لأمره على كُره منه؛ لأنه كان

(١) رجال حول الرسول ﷺ/ الأستاذ: خالد محمد خالد (ص:٤٨١).

يتمنى أن يظل عمره كله فى الجهاد لكى يرزقه الله الشهادة فى سبيله.

وذهب عمير إلى مدينة (حمص) ليبدأ الولاية بتلك الكلمات التى سطرها على جبين التاريخ بسطور من نور.

فما إن دخل المدينة حتى جمع الناس إلى صلاة جامعة، فلما انقضت الصلاة خطب فى الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قال: ألا إن الإسلام حائط منيع وباب وثيق، فحائط الإسلام العدل وبابه الحق فإذا نُقض الحائط وحُطم الباب استُفتح الإسلام، فلا يزال الإسلام منيعًا ما اشتد السلطان، وليس شدة السلطان قتلًا بالسيف، ولا ضربًا بالسوط، ولكن قضاءً بالحق وأخذًا بالعدل[1].

وبتلك الكلمات الناصعة بدأ عمير حياته فى مدينة حمص ومكث فيها عامًا كاملًا لا يصل منه أى شىء إلى أمير المؤمنين فكتب إليه (عمر): إذا وصلت رسالتى فأقبل بما جبيت من الفىء. فأخذ جرابه وقصعته، وعلق إداوته، وأخذ عنزته[2]، وأقبل راجلًا -يمشى على رجليه- فدخل المدينة، وقد شحب، واغبَّر، وطال شعره. فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال: ما شأنك؟ قال: ألست صحيح البدن، معى الدنيا! فظن عمر أنه جاء بمال، فقال: جئت تمشى؟ قال: نعم. قال: أما كان أحد يتبرع لك بدابة؟ قال: ما فعلوا، ولا سألتهم. قال: بئس المسلمون!

قال: يا عمر، إن الله قد نهاك عن الغيبة. فقال: ما صنعت؟ قال: الذى جبيته وضعته مواضعه، ولو نالك منه شىء، لأتيتك به. قال: جددوا لعمير

(١) الطبقات لابن سعد (٤/ ٢٧٧).

(٢) العنزة: عصا فى قدر نصف الرمح أو أكبر يتوكأ عليها.

عهدًا. قال: لا عملت لك ولا لأحد[١].

واستأذن (عمير) (عمرًا) أن يذهب إلى أهله فى قرية من ضواحى المدينة فأذن له.

وبعد فترة ليست بالطويلة أراد عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يختبر صدق عمير ليطمئن قلبه من اختياره للولاية وحفظه للأمانة.

فبعث رجلًا يقال له: الحارث وأعطاه مائة دينار وقال: انطلق إلى عمير حتى تنزل به كأنك ضيف فإن رأيت أثر شىء -من الثروة- فأقبل. وإن رأيت حالًا شديدًا فادفع إليه هذه المائة دينار. فانطلق الحارث فإذ هو بعمير جالس يفلى قميصه إلى جنب الحائط فقال له عمير: انزل رحمك الله. فنزل ثم سأله فقال: من أين جئت؟ فقال: من المدينة. فقال: كيف تركت أمير المؤمنين؟ فقال: صالحًا. قال: فكيف تركت المسلمين؟ قال: صالحين. قال: أليس يقيم الحدود؟ قال: بلى ضرب ابنًا له على فاحشة. فقال عمير: اللهم أعن عمر فإنى لا أعلمه إلا شديد الحب لك.

قال: فنزل به ثلاثة أيام وليس لهم إلا قرصة من شعير كانوا يخصونه بها ويطوون حتى أتاهم الجهد. فقال له عمير: إنك قد أجعتنا فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل. قال: فأخرج الدنانير فدفعها إليه فقال: بعث بها أمير المؤمنين فاستعن بها. قال: فصاح وقال: لا حاجة لى فيها فردها.

فقالت له امرأته: إن احتجت إليها وإلا فضعها فى مواضعها. فقال عمير: والله ما لى شىء أجعلها فيه. فشقت المرأة أسفل درعها فأعطته خرقة فجعلها فيها ثم خرج فقسمها بين أبناء الشهداء والفقراء.

(١) السير للإمام الذهبى (٢/ ٥٦١) بتصرف.

فرجع الحارث إلى عمر فقال: ما رأيت؟ قال: رأيت يا أمير المؤمنين حالًا شديدًا. قال: فما صنع بالدنانير؟ قال: لا أدرى. قال: فكتب إليه عمر: إذا جاءك كتابى هذا فلا تضعه من يدك حتى تُقبل. فأقبل إلى عمر فدخل عليه فقال له عمر: ما صنعت بالدنانير؟ قال: صنعت ما صنعت وما سؤالك عنها؟ قال: أنشد عليك لتخبرنى ما صنعت بها. قال: قدمتها لنفسى فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون. قال: رحمك الله. فأمر له بوسق من طعام وثوبين. فقال: أما الطعام فلا حاجة لى فيه قد تركت فى المنزل صاعين من شعير إلى أن آكل ذلك يكون قد جاء الله بالرزق (ولم يأخذ الطعام).

وأما الثوبان فإن أم فلان عارية -يعنى زوجته- فأخذهما وعاد إلى أهله[١].

وددت أن لى رجالاً مثل عمير بن سعد أستعين بهم فى أعمال المسلمين

وظل حياته كلها زاهدًا ورعًا لا يريد الولاية ولا المناصب، بل لا يريد الدنيا بأسرها فهو يريد أن يلحق بنبيه ﷺ ويخشى أن تحول الدنيا بينه وبين تلك الأمنية الغالية.

ولم يلبث طويلًا حتى فاضت روحه إلى بارئها ليلحق بحبيبه وقرة عينه محمد ﷺ...ومات الزاهد العابد.

فبلغ ذلك عمر فشق عليه وترحم عليه وخرج يمشى ومعه المشاؤون إلى بقيع الغرقد. فقال لأصحابه: ليتمن كل رجل منكم أمنية. فقال رجل: يا أمير المؤمنين وددت أن عندى مالًا فأنفقه فى سبيل الله، وقال آخر: وددت

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٩٧-٢٩٨) بتصرف.

أن لى قوة فأميح بدلو زمزم لحجاج بيت الله، فقال عمر بن الخطاب: وددت أن لى رجالًا مثل عمير بن سعد أستعين بهم فى أعمال المسلمين[١].

وعن عبد الرحمن بن عمير بن سعد قال: قال لى ابن عمر: ما كان من المسلمين رجل من الصحابة أفضل من أبيك.

وعن ابن سيرين، قال: كان عمر من عُجبه بعمير بن سعد يسميه (نسيج وحده).

وقال المفضل الغلابى: زهَّاد الأنصار ثلاثة: أبو الدرداء، وشداد بن أوس، وعمير بن سعد[٢].

أويس القرنى رَحِمَهُ اللَّهُ... وزهده فى الدنيا

«قال علقمة بن مرثد: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين: عامر بن عبد الله، وأويس القرنى، وهرم بن حيان، والربيع بن خُثيم، وأبو مسلم الخولانى، والأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع، والحسن بن أبى الحسن»[٣].

۞ وروى مسلم عن أسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إذا أتى عليه أمدادُ أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى عليه أويس، فقال: أويس بن عامر؟ قال: نعم. قال: من «مراد» ثم من «قرن»؟ قال: نعم. قال: فكان بك برص فبرئت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم. قال: لك والدة؟ قال: نعم. قال: رسول الله ﷺ يقول: «**يأتى عليكم أويس بن**

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٩٨).

(٢) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى (٢/ ١٠٥).

(٣) زهد الثمانية من التابعين لعلقمة بن مرثد، رواية: ابن أبى حاتم (ص: ٣٨) تحقيق د. عبد الرحمن الفريوائى مكتبة الدار، بالمدينة النبوية.

عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد، ثـم مـن قـرن، كـان بـه بـرص فبـرئ منـه إلا موضع درهم، له والدة هو برٌّ بها، لو أقسم على الله لأبـره...فإن استطعت أن يستغفر لك، فافعل». فاستغفِر لي، فاستغفر له، فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة. قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إليَّ. فلما كان من العام المقبل، حج رجل من أشرافهم، فوافق عمر، فسأله عن أويس قال: تركته رث البيت، قليل المتاع. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول...ثم ذكر الحديث الذى تقدم، فأتى أويسًا، فقال: استغفر لي. قال: أنت أحدث عهدًا بسفر صالح، فاستغفر لي. قال: استغفر لي. قال: أنت أحدث عهدًا بسفر صالح، فاستغفر لي. قال: لقيت عمر؟ قال: نعم، فاستغفر له. ففطن له الناس، فانطلق على وجهه، قال أسير: وكسوته بردة، فكان كلما رآه إنسان قال: من أين لأويس هذه البردة»[١].

أبو مسلم الخولاني رحمه الله... وزهده في الدنيا

قال عنه كعب: هذا حكيم هذه الأمة.

عن علقمة بن مرثد قال: «انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم أبو مسلم الخولاني، وكان لا يجالس أحدًا قط، ولا يتكلم في شيء من أمر الدنيا إلا تحول عنه، فدخل ذات يوم المسجد، فنظر إلى نفر قد اجتمعوا فرجا أن يكونوا على ذكر خير، فجلس إليهم، فإذا بعضهم يقول: قدم غلامي فأصاب كذا وكذا، وقال آخر: جهزت غلامي. فنظر إليهم فقال: سبحان الله! أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ كرجل أصابه مطر غزير وابل. فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين، فقال: لو دخلت هذا البيت حتى

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٤٢) كتاب فضائل الصحابة.

يذهب عنى هذا المطر. فدخل، فإذا البيت لا سقف له، جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على ذكر وخير، فإذا أنتم أصحاب الدنيا»[١].

عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ... وزهده فى الدنيا

عن عون بن المعمر، أن عمر بن عبد العزيز دخل على فاطمة فقال: يا فاطمة عندك درهم أشترى به عنبًا؟ قالت: لا. قال: فعندك الفلوس أشترى به عنبًا؟ قالت: لا. وأقبلت عليه، فقالت: أنت أمير المؤمنين، لا تقدر على درهم تشترى به عنبًا، ولا فلوس تشترى به عنبًا؟! قال: هذا أهون علىَّ من معالجة الأغلال غدًا فى جهنم [٢].

وقال مالك بن دينار: يقولون: مالك زاهد، أى زهد عند مالك، وله جبة وكساء؟! إنما الزاهد: عمر بن عبد العزيز؛ أتته الدنيا فاغرة فاها فتركها[٣].

۞ بل تدبر معى إلى حاله عندما تزوج من فاطمة بنت عبد الملك بن مروان...وكيف جعلها تتحول من امرأة لا تشغلها إلا زخارف الدنيا وزينتها إلى امرأة زاهدة عابدة.

فهذه السيدة التى كانت بنت خليفة، وزوجة خليفة، وأخت أربعة من الخلفاء، خرجت من بيت أبيها إلى بيت زوجها يوم زُفَّت إليه وهى مثقلة بأثمن ما تملكه امرأة على وجه الأرض من الحلى والمجوهرات.

واستراحت من أثقال الحلى والمجوهرات واللآلئ والدرر التى حملتها معها من بيت أبيها فبعثت بذلك كله إلى بيت مال المسلمين.

---

(١) الحلية (٢/ ١٢٣).

(٢) الزهد الكبير (ص: ١٠٠-١٠١).

(٣) الزهد الكبير (ص: ١٠٠).

وتوفى عقب ذلك أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، ولم يخلف لزوجته وأولاده شيئًا، فجاءها أمين بيت المال، وقال لها: «إن مجوهراتك يا سيدتى لا تزال كما هى، وإنى اعتبرتها أمانة لك، وحفظتها لذلك اليوم، وقد جئت أستأذنك فى إحضارها».

فأجابته بأنها وهبتها لبيت مال المسلمين طاعة لأمير المؤمنين، ثم قالت: وما كنت لأطيعه حيًّا وأعصيه ميتًا.

وأبت أن تسترد من مالها الحلال الموروث ما يساوى الملايين الكثيرة، فى الوقت الذى كانت محتاجة فيه إلى دريهمات.

محمد بن واسع رَحِمَهُ اللَّهُ... وزهده فى الدنيا

وهذا محمد بن واسع رَحِمَهُ اللَّهُ الذى كانت الدنيا لا تشغله على أى حال... وتدبر معى أخى الحبيب تلك القصة لتعرف قدر هذا الرجل.

ذكر ابن كثير فى البداية والنهاية، فى أحداث سنة ثمان وتسعين فى فتح يزيد بن المهلب لجرجان: «قالوا: أصاب يزيد بن المهلب أموالًا كثيرة جدًّا، فكان من جملتها تاج فيه جواهر نفيسة، فقال: أترون أحدًا يزهد فى هذا؟ قالوا: لا نعلمه. فقال: والله إنى لأعلم رجلًا، لو عُرض عليه هذا وأمثاله، لزهد فيه. ثم دعا بمحمد بن واسع -وكان فى الجيش مغازيًا- فعرض عليه أخذ التاج، فقال: لا حاجة لى فيه. فقال: أقسمت عليك لتأخذنَّه. فأخذه، وخرج به من عنده، فأمر يزيد رجلًا أن يتبعه، فينظر ماذا يصنع بالتاج، فمر بسائل، فطلب منه شيئًا، فأعطاه التاج بكماله وانصرف، فبعث يزيد إلى ذلك السائل فأخذ منه التاج، وعوضه عنه مالًا كثيرًا»[(١)].

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٩/ ١٨٣).



الحسن البصرى رَحِمَهُ اللَّهُ... وزهده فى الدنيا

قال سلام بن مسكين: كان الحسن كثيرًا ما يقول: يا معشر الشباب، عليكم بالآخرة فاطلبوها، فكثيرًا ما رأينا من طلب الآخرة، فأدركها مع الدنيا، وما رأينا أحدًا طلب الدنيا، فأدرك الآخرة مع الدنيا.

وقال هشام: سمعت الحسن يحلف بالله، ما أعز أحد الدرهم إلا أذله الله.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والله لقد أدركت سبعين بدريًّا، أكثر لباسهم الصوف، لو رأيتموهم لقلتم: مجانين، ولو رأوا خياركم، لقالوا: ما لهؤلاء من خلاق، ولو رأوا شراركم، لقالوا: ما يؤمن بيوم الحساب...ولقد رأيت أقوامًا، كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه، ولقد رأيت أقوامًا، يمسى أحدهم لا يجد عَشاءً إلا قوتًا، فيقول: لا أجعل هذا كله فى بطنى، لأجعلن بعضه لله عَزَّوَجَلَّ. فيتصدق ببعضه، وإن كان هو أحوج ممن يُتصدق عليه»(١).

بشر الحافى رَحِمَهُ اللَّهُ...وزهده فى الدنيا

قال بِشر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قل لمن طلب الدنيا تهيأ للذل».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو سقطت قلنسوة من السماء، ما سقطت إلا على رأس من لا يريدها»(٢).

وكان الإمام أحمد إذا سُئل عن الزهد، فيقول: أتسألونى عن الزهد وفيكم بِشر؟!

---

(١) زهد الثمانية من التابعين (ص: ٦٦).

(٢) الحلية (٨/ ٣٥٥).

وقال بشر: ليس الزهد فى الدنيا ترك الدنيا، إنما الزهد أن يُزهد فى كل ما سوى الله... هذا داود وسليمان عليهما السلام قد ملكا الدنيا، وكانا عند الله من الزاهدين.

إن لم يكن داود النبى زاهدًا فمن يكون؟! وقد كان مع ملكه يأكل من عمل يده.

إبراهيم بن أدهم رحمه الله... وزهده فى الدنيا

قال إبراهيم بن بشار: أمسينا مع إبراهيم بن أدهم ذات ليلة، وليس معنا شىء نفطر عليه، ولا لنا حيلة، فرآنى مغتمًّا حزينًا، فقال: يا إبراهيم بن بشار: ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعيم والراحة فى الدنيا والآخرة، لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا حج، ولا عن صدقة، ولا عن صلة رحم، ولا عن مؤاساة، وإنما يُسأل ويحاسب على هذا هؤلاء المساكين، أغنياء فى الدنيا فقراء فى الآخرة، أعزة فى الدنيا أذلة يوم القيامة. لا تغتم ولا تحزن؛ فرزق الله مضمون، سيأتيك. نحن والله الملوك الأغنياء، نحن الذين قد تعجلنا الراحة فى الدنيا، لا نبالى على أى حال -أصبحنا وأمسينا- إذا أطعنا الله. ثم قام إلى صلاته وقمت إلى صلاتى، فما لبثنا إلا ساعة، فإذا نحن برجل قد جاء بثمانية أرغفةٍ وتمر كثير، فوضعه بين أيدينا، فقال: كلوا، رحمكم الله. قال: فسلم، ثم قال: كل يا مغموم. فدخل سائل فقال: أطعمونا شيئًا. فأخذ ثلاثة أرغفة مع تمر، فدفعه إليه، وأعطانى ثلاثة، وأكل رغيفين، وقال: المؤاساة من أخلاق المؤمنين[1].

(١) الزهد الكبير (ص: ١٠٨)، والحلية (٩/ ٣٧٠).

قال إبراهيم بن بشار الصوفى: خرجت أنا وإبراهيم بن أدهم وأبو يوسف الغسولى، وأبو عبد الله السنجارى، نريد الإسكندرية، فمررنا بنهر يقال له: «نهر الأردن»، فقعدنا نستريح، وكان مع أبى يوسف كسيرات يابسات، فألقاهن بين أيدنا، فأكلنا وحمدنا الله، فقمت أسعى أتناول ماء لإبراهيم، فبادر إبراهيم، فدخل النهر، حتى بلغ الماء ركبتيه، فقال بكفيه فى الماء فملأهما، ثم قال: بسم الله. وشرب، فقال: الحمد لله. ثم إنه خرج من النهر، فمد رجليه، قال: يا أبا يوسف، لو علم الملوك وأبناء الملوك، ما نحن فيه من النعيم والسرور، لجالدونا بالسيوف أيام الحياة، على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب، فقلت له: يا أبا إسحاق، طلب القوم الراحة والنعيم، فأخطؤوا الطريق المستقيم. فتبسم، ثم قال: من أين لك هذا الكلام[1].

---

(١) الحلية (٨/ ٣٧١)، وصفة الصفوة (٤/ ١٢٧)، والزهد الكبير (ص: ١٠٨) واللفظ له.

من فوائد الزهد

(١) فيه تمام التّوكُّل على الله.

(٢) يغرس فى القلب القناعة.

(٣) صرف المسلم عن التّعلُّق بالملذّات الفانية إلى العمل من أجل النّعيم المقيم.

(٤) فيه كبح جماح النّفس إلى الشّهوات.

(٥) يؤصِّل العفّة والنّزاهة فى نفوس المؤمنين.

(٦) يُعلِّم المسلم كيف يُسدّد هدفه إلى الدّار الآخرة.

(٧) الزّاهد يحبّه الله ويقرّبه إليه.

(٨) راحة فى الدّنيا وسعادة فى الآخرة.

(٩) حبّ النّاس له حيث أنّه لا يزاحمهم على دنياهم.

(١٠) فيه التّأسِّى برسول الله ﷺ وصحابته الكرام.

(١١) الاطمئنان إلى جناب الله والرّضى بما قسم.

(١٢) يؤصّل فى النّفس حبّ الإنفاق فى سبيل الله وعدم التّعلُّق بالدّنيا.

(١٣) يُخرج نفسه من عبوديّة الشّيطان والدنيا والنّفس.[١]

---

(١) نضرة النعيم (٦/ ٢٢٣٤).

ما الذي يعينك على الزهد

وإذا أردت أن تعيش حياة الزهد الحقيقية فإن الذى يعينك على ذلك ثلاثة أشياء:

أحدها: علم العبد أن الدنيا ظل زائل، وخيال زائر، فهى كما قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ﴾[1].

وسماها الله: ﴿مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ ونهى عن الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين، وحذرنا مثل مصارعهم، وذم من رضى بها، واطمأن إليها.

الثانى: علمه أن وراءها دارًا أعظم منها قدرًا، وأجلَّ خطرًا، وهى دار البقاء، فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها.

والثالث: معرفته وإيمانه الحق بأن زهده فيها لا يمنعه شيئًا كُتب له منها، وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يُقض له منها فمتى تيقن ذلك ثلج له صدره، وعلم أن مضمونه منها سيأتيه.

فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد الزهد فى الدنيا وتثبت قدمه فى مقامه[2].

---

(١) سورة الحديد: الآية: (٢٠).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢٥٤-٢٥٥) بتصرف.

الورع

إن الورع منزلة عظيمة لا يصل إليها إلا من تعلق قلبه بالآخرة وزهد فى الدنيا وزينتها الفانية... فكلما ازداد العبد ورعًا وزهدًا فى الدنيا كلما كان أكمل فى عبوديته لله وكلما كان من الفائزين بمحبة الله (جل وعلا).

۞ عن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله، وأحبنى الناس، فقال: «**ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**»[(١)].

وقال ﷺ لأبى هريرة رضي الله عنه: «**كن ورعًا تكن أعبد الناس...**»[(٢)].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[(٣)]، فأمر بالأكل من الطيبات قبل العمل.

وقال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[(٤)].

قال قتادة ومجاهد: نفسك فطهِّرْها من الذنب،... فكنَّى عن النفس بالثوب.

قال ابن عباس: لا تلبسْها على معصية ولا غدْر.

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٠٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٤٤)، وصحيح الجامع (٩٢٢).

(٢) صحيح: رواه البيهقي في شُعب الإيمان، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥٨٠).

(٣) سورة المؤمنون: الآية: (٥١).

(٤) سورة المدثر: الآية: (٤).

ونجاسة الباطن تُورث نجاسة الظاهر، وبين الثياب والقلوب مناسبة ظاهرة وباطنة، ويُؤثِّر كلٌّ منهما فى الآخر، وتأثير القلب والنفس فى الثياب أمْرٌ خَفىٌّ يعرفه أهل البصائر من نظافتها ودنسها ورائحتها، حتى إن ثوب البَرِّ لَيُعرَف من ثوب الفاجر وليسا عليهما.

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُن وَرِعًا تَكُنْ أعبدَ النَّاس**»[1].

قال رسول الله ﷺ: «**فضلُ العلم أحبُّ إلىَّ من فضل العبادة، وخيرُ دينكم الوَرَعُ**»[2].

۞ **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد جمع النبى ﷺ الورع كله فى كلمة واحدة، فقال: «**من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[3]. فهذا يعم الترك لما لا يعنى؛ من الكلام، والنظر، والاستماع، والبطش، والمشى، والفكر، وسائر الحركات الظاهرة والباطنة. فهذه الكلمة شافية فى الورع.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة، هو الورع.

وقال إبراهيم بن أدهم: ما أدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل جوفه.

وقال الحسن فى قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾[4]، قال: الورع.

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في الشُّعب، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٨٠).

(٢) صحيح: رواه البزار، والطبراني في الأوسط، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢١٤)

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٣١٧) كتاب الزهد، وابن ماجه (٣٩٧٦) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى صحيح الجامع (٥٩١١).

(٤) سورة البقرة: الآية: (٢٦٩).

وعن معاوية بن قرة قال: دخلت على الحسن وهو متكئ على سريره، فقلت: يا أبا سعيد، أى الأعمال أحب إلى الله؟ قال: الصلاة فى جوف الليل والناس نيام. قلت: فأى الصوم أفضل؟ قال: فى يوم صائف. قلت: فأى الرقاب أفضل؟ قال: أنفسها عند أهلها وأغلاها ثمنًا، قلت: فما تقول فى الورع؟ قال: ذاك رأس الأمر كله.

وعن أرطأة بن المنذر قال: قال عيسى ابن مريم ﷺ: «لو صليتم حتى تصيروا مثل الحنايا، وصمتم حتى تكونوا أمثال الأوتاد، وجرى من أعينكم الدموع أمثال الأنهار، ما أدركتم ما عند الله إلا بورع صادق».

وقال أبو إسماعيل المؤدب: جاء رجل إلى العمرى، فقال: عظنى، فأخذ حصاة من الأرض، فقال: زنة هذه من الورع يدخل قلبك؛ خير لك من صلاة أهل الأرض، قال: زدنى، قال: كما تحب أن يكون الله لك غدًا فكن له اليوم.

وقال يونس بن عبيد: لو أعلم موضع درهم من حلال من تجارة لاشتريت به دقيقًا، ثم عجنته، ثم جففته، ثم دققته، أداوى به المرضى.

وقال الضحاك: أدركت الناس وهم يتعلمون الورع، وهم اليوم يتعلمون الكلام... وقال: لقد رأيتنا وما يتعلم بعضنا من بعض إلا الورع[1].

وقال خالد بن معدان: من لم يكن له حلم يضبط به جهله، وورع يحجزه عما حرم الله عليه، وحسن صحابة عمن يصحبه، فلا حاجة لله فيه[2].

وقال سهل التسترى: لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون فيه أربع

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢١).

(٢) الورع لابن أبى الدنيا (ص: ١١٧).

خصال: أداء الفرائض بالسنة، وأكل الحلال بالورع، واجتناب النهى من الظاهر والباطن والصبر على ذلك إلى الموت.

وقال سهل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى، علم أو لم يعلم، ومن كانت طعمته حلالًا أطاعته جوارحه، ووُفقت للخيرات.

وقال الحسن: مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة.

وقال أبو هريرة: جلساء الله غدًا أهل الورع.

وقال بعض الصحابة: كنا ندع سبعين بابًا من الحلال مخافة أن نقع فى باب من الحرام.

۞قال سفيان الثورى رحمه الله تعالى: «عليك بالورع يخفف الله حسابك، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك».

۞ قال حبيب - يعنى: ابن أبى ثابت رحمه الله تعالى-: «لا يعجبكم كثرة صلاة امرئ ولا صيامه ولكن انظروا إلى ورعه فإن كان ورعًا مع ما رزقه الله من العبادة فهو عبد لله حقًّا».

۞قال الشافعى رحمه الله تعالى: «زينة العلم الورع والحلم».

ما الورع

قال المناوى: قيل (فى تعريفه): الورع ترك ما يريبك، ونفى ما يعيبك، والأخذ بالأوثق، وحمل النفس على الأشق.

وقيل: ترك ما لا بأس به حذرًا مما به بأس.

وقيل هو: ترك الشبهات وهو الورع المندوب، ويُطلق على ترك المحرمات.

وقال الإمام ابن تيمية: هو الورع عما قد تخاف عاقبته وهو ما يُعلم تحريمه وما يُشك فى تحريمه، وليس فى تركه مفسدة أعظم من فعله، وكذلك الاحتيال بفعل ما يشك فى وجوبه لكن على هذا الوجه[١].

وقال ابن القيم: ترك ما يُخشى ضرره فى الآخره[٢].



مراتب الورع

قسَّم الراغب الأصفهانى الورع إلى ثلاث مراتب:

١- واجب: وهو الإحجام عن المحارم، وذلك للناس كافة.

٢- مندوب: وهو الابتعاد عن الشبهات، وذلك للأواسط.

٣- فضيلة: وهو الكف عن كثير من المباحات والاقتصار على أقل الضرورات، وذلك للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين[٣].

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٥١١، ٥١٢).

(٢) الفوائد (ص: ١١٨).

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص: ٣٢٣).

كمال الورع

۞ قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: تمام الورع أن يعلم الإنسان خير الخيرين وشر الشرين، ويعلم أن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها وإلا فمن لم يوازن ما فى الفعل والترك من المصلحة الشرعية، والمفسدة الشرعية فقد يدع واجبات ويفعل محرمات، ويرى ذلك من الورع، كمن يدع الجمعة والجماعة خلف الأئمة الذين فيهم بدعة أو فجور ويرى ذلك من الورع، ويمتنع عن قبول شهادة العباد وأخذ علم العالم لما فى صاحبه من بدعة خفية، ويرى ترك قبول سماع هذا الحق الذى يجب سماعه من الورع[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٥١٢).

درجات الورع عن الحرام عند الإمام الغزالي[١]

۞ قال الغزالى رَحِمَهُ اللَّهُ: الورع عن الحرام على أربع درجات:

الأولى ورع العدول: وهو الذى يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرُّض للنار بسببه ... وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء.

الثانية ورع الصالحين: وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحريم ولكن المفتى يُرخِّص فى التناول بناء على الظاهر فهو من مواقع الشبهة على الجملة.

الثالثة ورع المتقين: ما لا تُحرمه الفتوى ولا شُبهة فى حِلِّه ولكن يُخاف منه أداؤه إلى مُحرم وهو ترك ما لا بأس به مخافة مما به بأس وهذا ورع المتقين.

أخذ الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تمرة من الصدقة - وكان صغيرًا - فقال النبى ﷺ: **«كخْ كخْ، ألقِهَا»**[٢].

ومن ذلك ما سُئل أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ عن رجل يكون فى المسجد يحمل مجمرة لبعض السلاطين، ويبخر المسجد بالعود، فقال: ينبغى أن يخرج من المسجد، فإنه لا يُنتفع من العود إلا برائحته، .... وسُئل أحمد بن حنبل عمن سقطت منه ورقة فيها أحاديث، فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردها؟ فقال: لا، بل يستأذن ثم يكتب».

(١) المدارج (٢/ ٢٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٤٩١).

ومن ذلك: التورُّع عن الزينة؛ لأنه يخاف منها أن لا تدعو إلى غيرها، وإن كانت الزينة مباحة فى نفسها، ... وقد سُئل أحمد بن حنبل عن النِّعال السبتية، فقال: أما أنا فلا استعملها، ولكن إن كان للطين فأرجو، وأمَّا من أراد الزينة فلا.

ومن ذلك: ما رُوى عن على بن معبد أنه قال: كنت ساكنًا فى بيت بكراء، فكتبتُ كتابًا، وأردت أن آخذ من تراب الحائط لأُترِّبه وأُجففه، ثم قلت: الحائط ليس لى، فقالت لى نفسي: وما قدرُ تراب من حائط، فأخذت من التراب حاجتى، فلما نمتُ إذا أنا بشخص واقف يقول لى، يا على بن معبد، سيعلم غدًا الذى يقول: وما قدرُ ترابٍ من حائط، ولعلَّ معنى ذلك: أنه يرى كيف يحطُّ من منزلته، فإن للتقوى درجة تفوت بفوات ورع المتقين، وليس المراد به أن يستحق عقوبة على فعله.

وهكذا المباحات كلها إذا لم تؤخذ بقدر الحاجة فى وقت الحاجة مع التحرُّز من غوائلها بالمعرفة أوَّلًا ثم بالحذر ثانيًا.

ولقد كره السلف الثوب الرقيق، وقالوا: مَن رَقَّ ثوبه رَقَّ دينه.

وكل ذلك؛ خوفًا من سريان اتباع الشهوات فى المباحات إلى غيرها، فإن المحظور والمباح تشتهيهما النفس بشهوة واحدة، وإذا تعودت المسامحة استرسلت، فاقتضى خوف التقوى الورع عن هذا كله.

الدرجة الرابعة: ورع الصِّدِّيقين: ما لا بأس به أصلًا ولا يُخاف منه أن يُؤدى إلى ما به بأس ولكنه يُتناول لغير الله وعلى غير نية التقوى به على عبادة الله.

فالأمر عندهم: كلُّ ما لا تتقدَّم فى أسبابه معصية، ولا يُستعان به على

معصية، ولا يُقصد منه فى الحال والمآل قضاءُ وطر، بل يُتناول لله تعالى فقط، وللتقوى على عبادته، واستبقاء الحياة لأجله، وهذه رتبة الموحدين المتجردين عن حظوظ نفوسهم، المنفردين لله تعالى بالقصد.

ومن هذا: ما رُوى عن ذى النون المصرى أنه كان جائعًا محبوسًا، فبعثت إليه امرأة صالحة طعامًا على يد السجَّان فلم يأكل، ثم اعتذر وقال: جاءنى على طبق ظالم؛ يعنى أن القوة التى أوصلت الطعام إلىَّ لم تكن طيبة. وهذه الغاية القصوى فى الورع.

ومن ذلك: أن بِشرًا رَحِمَهُ اللَّهُ كان لا يشرب الماء من الأنهار التى حفرها الأمراء، فإن النهر سبب لجريان الماء ووصوله إليه، وإن كان الماء مُباحًا فى نفسه، فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور بأعمال الأُجراء، وقد أُعطوا الأجرة من الحرام»[١].

قلت: وهذا النَّوع من الزُّهد فيه مشقة على النفس البشرية.

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ١٠٧ - ١١٠) بتصرف.

فى أى شىء يكون الورع

قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى بعد كلام ذكر فيه الفرق بين الزهد والورع-: وبهذا يتبين أن الواجبات والمستحبات لا يصلح فيها زهد ولا ورع،وأما المحرمات والمكروهات فيصلح فيها الزهد والورع(١).

ورع الجوارح

والمؤمن يحتاج أن يكون ورعًا فى كل حركاته وسكناته وأن يجعل كل جوارحه تتفاعل مع هذا الخُلق الجليل.

(١) الورع فى النظر:

قال عمرو بن مرة العابد الثقة: «ما أحب أنى بصير، كنت نظرت نظرة وأنا شاب».

قال أنس بن مالك: «إذا مرت بك امرأة فغمض عينيك حتى تجاوزك»(٢).

فالمقصود أن يتورع العبد عن النظر إلى النساء الأجنبيات.

قال خالد بن الأحمر: سمعت وكيعًا يقول: مررت مع سفيان على دار مشيد، فرفعت رأسى إليها، فقال: «لا ترفع رأسك تنظر إليها، إنما بنوها لهذا»(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٥١٢).

(٢) الورع لابن أبى الدنيا (ص: ٦٦).

(٣) الورع لأحمد (ص: ٩٦).

(٢) الورع فى السمع:

۞عن نافع مولى ابن عمر: «أن ابن عمر سمع صوت زمارة راعٍ، فوضع أصبعيه فى أذنيه، وعدل راحلته عن الطريق وهو يقول: يا نافع، أتسمع؟ فأقول: نعم، فيمضى، حتى قلت: لا، فوضع يديه وأعاد راحلته إلى الطريق، وقال: رأيت رسول الله ﷺ سمع صوت زمارة راعٍ فصنع مثل هذا»[1].

وعن **محمد بن المنكدر** قال رَحِمَهُ اللهُ: «إذا كان يوم القيامة نادى المناد: أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان، أسكنوهم بياض المسك، ثم يقول للملائكة: أسمعوهم تمجيدى وتحميدى»[2].

(٣) الورع فى الشم:

وعن يونس بن أبى الفرات: «أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أُتى بغنائم مسك، فأخذ بأنفه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، تأخذ بأنفك لهذا!! قال: إنما يُنتفع من هذا بريحه، فأكره أن أجد ريحه دون المسلمين».

(٤) الورع فى البطن:

عن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾[3]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ

(١) صحيح: رواه أحمد (٤٥٢١، ٤٩٤٥) وصححه الشيخ أحمد شاكر (٦/ ٢٤٦) برقم (٤٥٣٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى تحريم آلات الطرب (صـ ١١٦).

(٢) الورع لابن أبى الدنيا (ص: ٧١).

(٣) سورة المؤمنون: الآية: (٥١).

مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[١]، ثم ذكر العبد يطيل السفر، أشعث أغبر، رافعًا يديه: يا رب يا رب؛ مطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِّى بالحرام، فأَنَّى يُستجاب لهذا»[٢].

فجعل النبى ﷺ أكل الحرام من أسباب عدم إجابة الدعاء ولذلك يجب على كل مسلم أن يتحرى الرزق الحلال وأن يحرص كل الحرص على البعد عن أكل الحرام.

(٥) الورع فى المسعى:

قال قتادة: كان المؤمن لا يُرى إلا فى ثلاثة مواطن: فى مسجد يعمره، أو بيت يستره، أو حاجة لا بأس بها.

وعن شبيل بن عوف أنه قال: ما اغبرَّت رجلاى فى طلب دنيا، ولا جلست فى مجلس إلا منتظرًا لجنازة أو لحاجة لا بد منها[٣].

(٦) الورع فى الفرج:

وذلك بأن يحفظ فرجه عن كل ما يثير شهوته وعن كل ما يغضب ربه -عز وجل- وأن لا يمس فرجه إلا لضرورة شرعية كقضاء حاجة أو استنجاء أو علاج أوغير ذلك.

(٧) الورع فى اللسان:

وذلك بأن تنشغل بعيوب نفسك فلا تذكر أحدًا بسوء وأن تحفظ لسانك من الكذب والغيبة والنميمة ولهو الحديث وغير ذلك من الكلام

(١) سورة البقرة: الآية: (١٧٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠١٥) كتاب الزكاة.

(٣) الورع لابن أبى الدنيا (ص: ٩٧).

الذى إن لم يبعدك عن الله فلن يقربك منه.

عن إبراهيم بن بشار قال: سُئل إبراهيم بن أدهم: بم يتم الورع؟ قال: بتسوية كل الخلق من قلبك، واشتغالك عن عيوبهم بذنبك، وعليك باللفظ الجميل من قلب ذليل لرب جليل،....فكِّر فى ذنبك، وتب إلى ربك، يثبت الورع فى قلبك، واحسم الطمع إلا من ربك[١].

❁ عن عائشة رضي الله عنها زوج النبى ﷺ حين قال لها أهل الإفك.... الحديث، وفى آخره: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمرى، فقال: «يا زينب، ما علمت؟ ما رأيت؟» فقالت: يا رسول الله، أحمى سمعى وبصرى، والله ما علمت عليها إلا خيرًا، قالت عائشة رضي الله عنها: وهى التى كانت تُسَامِينِى[٢]فعصمها الله بالورع[٣].

---

(١) الحلية (٨/ ١٦).

(٢) تسامينى: أى تقترب منى فى المنزلة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٦١) كتاب الشهادات، ومسلم (٢٤٤٥) كتاب فضائل الصحابة.

قلب ينتقل من وطن الدنيا إلى وطن الآخرة

۞ قال الإمام ابن القيم: الخوف يثمر الورع، والاستعانة وقِصَر الأمل، وقوة الإيمان باللقاء تثمر الزهد، والمعرفة تثمر المحبة والخوف والرجاء، والقناعة تثمر الرضا، والذكر يثمر حياة القلب، والإيمان بالقدر يثمر التوكل، ودوام تأمل الأسماء والصفات يثمر المعرفة، والورع يثمر الزهد أيضًا، والتوبة تثمر المحبة أيضًا، ودوام الذكر يثمرها، والرضا يثمر الشكر، والعزيمة والصبر يثمران جميع الأحوال والمقامات، والفكر يثمر العزيمة، والمراقبة تثمر عمارة الأوقات وحفظ الأيام، والحياء والخشية والإنابة وإماته النفس وإذلالها وكسرها يوجب حياة القلب وعِزِّه وجبره، ومعرفة النفس ومقتها يوجب الحياء من الله ﷻ، واستكثار ما منه، واستقلال ما منك من الطاعات، ومحو أثر الدعوى من القلب واللسان... وصحة البصيرة تثمر اليقين، وحسن التأمل لما ترى وتسمع من الآيات المشهودة والمتلوة يثمر صحة البصيرة.

وملاك ذلك كله أمران: أحدهما: أن تنقل قلبك من وطن الدنيا فتُسكنه فى وطن الآخرة، ثم تُقبل به كله على معانى القرآن واستجلائها وتدبرها، وفهم ما يراد منه وما نزل لأجله، وأخذ نصيبك وحظك من كل آية من آياته، وتُنزلها على داء قلبك.

فهذه طريقة مختصرة قريبة سهلة، موصلة إلى الرفيق الأعلى، آمنة لا يلحق سالكها خوف ولا عطب، ولا جوع ولا عطش، ولا فيها آفة من آفات سائر الطريق ألبتة، وعليها من الله حارس وحافظ يكلأ السالكين فيها ويحميهم ويدفع عنهم،ولا يعرف قدر هذه الطريق إلا من عرف طرق الناس وغوائلها وآفاتها وقُطاعها. والله المستعان(١).

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٨).

لا يؤخذ الحرام إلا من جهتين

۞ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما أخذ العبد ما حُرم عليه إلا من جهتين:

إحداهما: سوء ظنه بربه، وأنه لو أطاعه وآثره لم يعطه خيرًا منه حلالاً.

والثانية: أن يكون عالمًا بذلك، وأن من ترك لله شيئًا أعاضه خيرًا منه، ولكن تغلب شهوته صبره، وهواه عقله.

فالأول من ضعف علمه، والثاني من ضعف عقله وبصيرته[1].



النعم ثلاثة

۞ وقال أيضًا الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

النعم الثلاثة: نعمة حاصلة يعلم بها العبد، ونعمة منتظرة يرجوها، ونعمة هو فيها لا يشعر بها. فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده، عرَّفه نعمته الحاضرة، وأعطاه من شكره قيدًا يقيدها به حتى لا تشرد، فإنها تشرد بالمعصية وتقيد بالشكر.

ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة، وبصَّره بالطرق التى تسدها وتقطع طريقها ووفقه لاجتنابها، وإذا بها قد وافت إليه على أتم الوجوه، وعرفه النعم التى هو فيها ولا يشعر بها.

ويُحكى أن أعرابيًّا دخل على الرشيد، فقال: يا أمير المؤمنين، ثبت الله عليك النعم التى أنت فيها بإدامة شكرها، وحقق لك النعم التى ترجوها بحسن الظن به ودوام طاعته، وعرفك النعم التى أنت فيها ولا تعرفها

(١) الفوائد (ص: ٧٣).

لتشكرها... فأعجبه ذلك منه وقال: ما أحسن تقسيمه[١].

كان النبى ﷺ مثالاً فى الورع

لقد كان النبى ﷺ أسوة وقدوة ومثالاً يُقتدى به فى الورع.

۞ عن أبى هريرة رضي الله عنه أن الحسن بن على رضي الله عنهما أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها فى فيه، فقال له النبى ﷺ بالفارسية: «**كِخْ كِخْ[٢]، أما تعرف أَنَّا لا نأكل الصدقة**»[٣].

۞ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنى لأنقلب إلى أهلى فأجد التمرة ساقطة على فراشى ثم أرفعها لآكلها، ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها**»[٤].

النبى ﷺ يحض الأمة على الورع

وها هو الحبيب ﷺ يحض الأمة على الورع فيقول ﷺ: «**فضل العلم أحب إليَّ من فضل العبادة وخير دينكم الورع**»[٥].

۞ عن الحسن بن على رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة**»[٦].

---

(١) الفوائد (ص: ٢٤٨).

(٢) كخ كخ: كلمة زجر للصبى.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٩١) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٦٩) كتاب الزكاة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٣٣) كتاب فى اللقطة، ومسلم (١٠٧١) كتاب الزكاة.

(٥) صحيح: رواه البزار فى مسنده (٧/ ٣٧١)، والطبراني في الأوسط، والحاكم فى المستدرك (١/ ١٧٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٢١٤).

(٦) صحيح: رواه الترمذى، وأحمد، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٧٨).

۞ عن النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[١].

۞ عن طريف أبي تميمة قال: «شهدت صفوان وجُندبًا وأصحابه وهو يوصيهم فقالوا: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا؟ قال: سمعته يقول: «من سمَّع سمَّع الله به يوم القيامة»، قال: «ومن شاقَّ شاقَّ الله عليه يوم القيامة»، فقالوا: أوصنا، فقال: «إن أول ما ينتن من الإنسان بطنه، فمن استطاع أن لا يأكل إلا طيبًا فليفعل، ومن استطاع أن لا يحال بينه وبين الجنة بملء كف من دم هراقه فليفعل»[٢].

۞ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو إلى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس»[٣].

۞ وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لان يأخذ أحدكم حبله فيذهب إلى الجبل فيحتطب ثم يأتي به يحمله على ظهره، فيبيعه فيأكل خير له من أن يسأل الناس، ولأن يأخذ ترابًا فيجعله في فيه خير له من أن يجعل في فيه ما حرم الله عليه»[٤].

۞ وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أربعٌ إذا كن

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٥٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٧١٥٢) كتاب الأحكام.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٧٠) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٤٢) كتاب الزكاة.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٧٤٣٩)، وصححه الشيخ أحمد شاكر (٧٤٨٢).

فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة فى طعمة»[(١)].

۞ وقال ﷺ: «الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كراعٍ يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله تعالى فى أرضه محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب»[(٢)].

۞ وقال ﷺ: «كن ورعًا تكن أعبد الناس، وكن قنعًا تكن أشكر الناس، وأَحِبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلمًا، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب»[(٣)].

ثمرة الورع فى الأمم السابقة

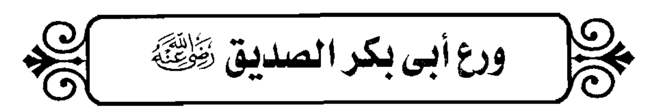
إن العبد يجنى ثمرة الورع فى الدنيا والآخرة .. ولذا أخبرنا النبى ﷺ عن ثمرة الورع من خلال قصة من قصص بنى إسرائيل التى حدثت فعلا وعلمها النبى ﷺ بالوحى فقال ﷺ: «اشترى رجل من رجل عقارًا له، فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب، فقال الذى اشترى العقار:

(١) صحيح: رواه أحمد (٦٦١٤)، والحاكم، والبيهقي، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٧٣٣)، وصحيح الجامع (٨٧٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢) كتاب الإيمان، ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة.

(٣) صحيح: رواه البيهقى فى الشعب (٥/ ٥٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥٨٠).

خذ ذهبك منى، إنما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع الذهب، وقال الذى له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل، فقال الذى تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما لى غلام، وقال الآخر: لى جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسكما منه، وتصدقوا»(١).



ورع أبى بكر الصديق رضي الله عنه

وها هى صفحة ناصعة من ورع صديق الأمة الأكبر رضي الله عنه....

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لأبى بكر غلام يُخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خَراجه، فجاء يومًا بشىء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدرى ما هذا؟ فقال: أبو بكر وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية، وما أُحسن الكهانة، إلا أنى خدعته فأعطانى بذلك، فهذا الذى أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شىء فى بطنه»(٢).

ورع الفاروق عمر رضي الله عنه

وها هو الفاروق رضي الله عنه يسطر على جبين التاريخ صفحات مضيئة تتألق روعة وجمالاً وإجلالاً من الورع.

وإليكم جميعًا تلك المشاهد التى يعجز القلم عن وصفها أو حتى عن مجرد التعليق عليها.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: اشتريت إبلاً وسقتها إلى الحِمى، فلما سمنت قدمت بها، فدخل عمر السوق، فرأى إبلاً سمانًا فقال: لمن هذه؟

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٧٢) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٧٢١) كتاب الأقضية.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٨٤٢) كتاب المناقب.

فقيل: لعبد الله بن عمر، فجعل يقول: يا عبد الله بخٍ بخٍ.. ابن أمير المؤمنين! فجئته أسعى، فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين؟ قال: ما هذه الإبل؟ قلت: إبل أنضاء - هزيلة- اشتريتها، وبعثت بها إلى الحمى أبتغى ما يبتغى المسلمون، فقال عمر: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين! اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين! يا عبد الله بن عمر! خذ رأس مالك، واجعل الربح فى بيت مال المسلمين[1].

وعن مجاهد قال: أنفق عمر بن الخطاب فى حجة حجها ثمانين درهمًا من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى المدينة، قال: ثم جعل يتأسف، ويضرب بيده على الأخرى، ويقول: ما أخلقنا أن نكون قد أسرفنا فى مال الله تعالى[2].

وعن قتادة قال: لما ورد عمر الشام، صُنع له طعام لم يُر قبله مثله فلما أوتى به قال: هذا لنا، فما لفقراء المسلمين الذين باتوا لا يشبعون من خبز الشعير؟ فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: لهم الجنة، فاغرورقت عيناه، فقال: إن كان حظنا فى هذا ويذهب أولئك بالجنة لقد بانوا بونًا بعيدًا.

وعن البراء بن معرور أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج يومًا حتى أتى المنبر وقد كان اشتكى شكوى له فنُعت له العسل - وصفوه له - وفى بيت المال عُكة عسل فقال: إن أذنتم لى فيها أخذتها، وإلا فهى علىَّ حرام[3].

---

(١) أخبار عمر رضي الله عنه (ص: ٢٩٢).

(٢) أخرجه ابن الأثير فى أسد الغابة (٤/ ١٦١) بسند صحيح.

(٣) الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٠٩).

أبوالدرداء رضي الله عنه

۞ **عن معاوية بن قرة قال:** «كان لأبى الدرداء جمل يقال له: الدمون، فكان إذا استعاره منه رجل؛ قال: لا تحمل عليه إلا طاقته، فلما كان عند الموت؛ قال: يا دمون لا تخاصمنى عند ربى، فإنى لم أكن أحمل عليك إلا ما كنت تطيق»(١).



عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

۞ **قال طاوس:** ما رأيت رجلاً أورع من ابن عمر!

عن قزعة، قال: رأيت على ابن عمر ثيابًا خشنة فقلت له: إنى قد أتيتك بثوب لين مما يُصنع بخراسان، وتَقَرُّ عيناى أن أراه عليك، قال: أرنيه،فلمسه، وقال: أحرير هذا؟ قلت: لا، إنه من قطن. قال: إنى أخاف أن ألبسه، أخاف أن أكون مختالاً فخورًا، والله لا يحب كل مختال فخور(٢).

أبو بكرة الثقفى رضي الله عنه

۞ **عن الحكم بن الأعرج قال:** جلب رجل خشبًا، فطلبه زياد، فأبى أن يبيعه، فغصبه إياه، وبنى صفة مسجد البصرة، قال: فلم يُصلِّ أبو بكرة فيها حتى قُلعت(٣).

---

(١) الورع لابن أبى الدنيا (ص: ١١٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٣٣).

(٣) تاريخ ابن عساكر (١٧/ ٣٢٠).

عمرو بن عتبة بن فرقد رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ «عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: خَرَجْنَا وَمَعَنَا مَسْرُوقٌ، وَعَمْرُو بْنُ عُتْبَةَ، وَمِعْضَدٌ؛ غَازِينَ، فَلَمَّا بَلَغْنَا مَاءَ «سِنْدَانَ» وَأَمِيرُهَا عُتْبَةُ بْنُ فَرْقَدٍ؛ قَالَ لَنَا ابْنُهُ عَمْرُو بْنُ عُتْبَةَ: إِنَّكُمْ إِنْ نَزَلْتُمْ عَلَيْهِ صَنَعَ لَكُمْ نُزُلًا، وَلَعَلَّهُ يَظْلِمُ فِيهِ أحدًا، وَلَكِن إن شِئْتُمْ قِلْنَا فِي ظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، فَأَكَلْنَا كِسْرَنَا ثُمَّ رَجَعْنَا. فَفَعَلْنَا»[1].

أبو وائل شقيق بن سلمة رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ قَالَ عَاصِمُ بنُ بَهْدَلَةَ: كَانَ أبو وائل يقول لجاريته: إِذَا جَاءَ يَحْيَى - يَعْنِي ابْنَهُ- بِشَيْءٍ، فَلاَ تَقْبَلِيْهِ، وَإِذَا جَاءَ أَصْحَابِي بِشَيْءٍ فَخُذِيْهِ. وَكَانَ ابْنُهُ قَاضِيًا عَلَى الكُنَاسَةِ[2] قَالَ: وَكَانَ لأَبِي وَائِلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ خُصٌّ مِنْ قَصَبٍ، يَكُوْنُ فِيْهِ هُوَ وَفَرَسُهُ، فَإِذَا غَزَا نَقَضَهُ، وَتَصَدَّقَ بِهِ، فَإِذَا رَجَعَ أَنْشَأَ بِنَاءَهُ.

قُلْتُ: قَدْ كَانَ هَذَا السَّيِّدُ رَأْسًا فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ[3].

---

(١) الورع للإمام أحمد (ص ٤٢).

(٢) محلة بالكوفة.

(٣) السير (٤/ ١٦١).

سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ قال الأعمش: لما جيء بسعيد بن جبير وطلق بن حبيب وأصحابهما؛ دخلت عليهم السجن، فقلت: جاء بكم شرطي من مكة إلى القتل، أفلا كتفتموه وألقيتموه فى البرية؟! فقال سعيد: فمن كان يسقيه الماء إذا عطش[1]!

محمد بن سيرين (رَحِمَهُ اللَّهُ)

۞ قال العلاء بن زياد: لو كنت متمنيًا لتمنيت فقه الحسن وورع ابن سيرين، وصواب مطرف، وصلاة مسلم بن يسار.

وعن بكر بن عبد الله قال: من سره أن ينظر إلى أعلم رجل أدركناه فى زمانه؛ فلينظر إلى الحسن، فما أدركنا أعلم منه، ومن سره أن ينظر إلى أورع رجل أدركناه فى زمانه؛ فلينظر إلى ابن سيرين، إنه ليدع بعض الحلال تأثمًا.

وقال مورق: ما رأيت رجلًا أفقه فى ورعه، ولا أورع فى فقهه من محمد - أى: ابن سيرين-.

---

(١) السير (٤/ ٣٤٠).

عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ أخرج الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَاشِدٍ صَاحِبِ الطِّيبِ قَالَ: أَتَيْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِالطِّيبِ الَّذِى كَانَ يُصْنَعُ لِلْخُلَفَاءِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ فَأَمْسَكَ عَلَى أَنْفِهِ وَقَالَ: إِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِرِيحِهِ(١).

وقَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ: دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْدَ الْفَجْرِ فِى بَيْتٍ كَانَ يَخْلُو فِيهِ بَعْد الفَجْرِ فَلا يَدْخُلُ عَلَيْهِ أَحْدٌ، فَجَاءَتْهُ جَارِيَةٌ بِطَبَقٍ عَلَيْهِ تَمْرٌ صَيْحَانِيٌّ، وَكَانَ يُعْجِبُهُ التَّمْرَ فَرَفَعَ بِكَفِّهِ مِنْهُ، فَقَالَ: يَا مَسْلَمَةَ أَتَرَى لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ هَـذَا ثُـمَّ شَرِبَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَاءِ -على التمر طيب- أَكَانَ مُجْزِئه إِلَى اللَّيْلِ؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِى قَالَ: فَرَفَعَ أَكْثَرَ مِنْهُ. فَقَالَ: هَذَا قُلْتُ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ كَافِيهِ دُونَ هَذَا حَتَّى لَا يُبَالِى أَنْ لَا يَذُوق طَعَامًا غَيْرَهُ. فَقَالَ: فَعَلامَ يَدْخُلُ النَّارَ؟ قَالَ مَسْلَمَةُ: فَمَا وَقَعَتْ مِنِّى مَوْعِظَةٌ مَا وَقَعَتْ هَذِهِ(٢).

قالَ فُرَاتِ بْن مُسْلِمٍ: كُنْتُ أَعْرِضُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ كُتُبِى فِى كُلِّ جُمُعَةٍ، فعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ فَأَخذَ مِنْهَا قِرْطَاسًا قَدْرَ أَرْبَعِ أَصَابِعَ، فَكَتَبَ فِيهِ حَاجَةً قَالَ: فَقُلْتُ: «غفَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ»، فَأَرْسَلَ مِنَ الْغَدِ: أَنْ جِئْنِى بِكُتُبك. قَالَ: «فَجِئْتُ بِهَا» فَبعَثَنِى فِى حَاجَةٍ، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَ لِى: مَا لَنَا أَنْ نَنْظُرَ فِيهَا؟. قُلْتُ: «إِنَّمَا نَظَرْتَ فِيهَا أَمْسِ». قَالَ: فَاذْهَبْ أَبْعَثُ إِلَيْكَ، فَلَمَّا فتحتُ كُتُبِى وَجَدْتُ فِيهَا قِرْطَاسًا قَدْرَ الْقِرْطَاسِ الَّذِى أَخذَ»(٣).

(١) الورع لأحمد (ص ٢٥).

(٢) الورع لأحمد (ص ٦٣).

(٣) الورع لابن أبي الدنيا (ص ١٢٣).

سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ قال الذهبي في «السير» (٧/ ٢٦٠): قَالَ قُتَيْبَةُ: لَوْلاَ سُفْيَانُ لَمَاتَ الوَرَعُ.

«قال الْفِرْيَابِيُّ: قِيلَ لِسُفْيَانَ أَوْ سُئِلَ عَنِ الشُّرْبِ مِنْ زَمْزَمَ، فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتُ دَلْوًا فَاشْرَب»[1].

قال سُفْيَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَلَيْكَ بِالزُّهْدِ يُبَصِّرْكَ اللهُ عَوْرَاتِ الدُّنْيَا، وَعَلَيْكَ بِالْوَرَعِ يُخَفِّفِ اللهُ عَنْكَ حِسَابَكَ، وَدَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، وَادْفَعِ الشَّكَّ بِالْيَقِينِ يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ»[2].

(١) الورع لأحمد (ص ٦).

(٢) الحلية (٧/ ٢٠).

عثمان بن زائدة رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ قال عنه ابن حبان: كان من العُبَّاد المُتقشِّفين، وأهل الورع الدقيق والجهد الجهيد.

قال أبو بكر المروزى: سمعتُ أبا عبد الله، وذكر ورع عثمان بن زائدة، فقال أبو عبد الله: قد قيل لسفيان – يعنى الثورى-: مَن نسأل بعدك؟ فقال: سلوا عثمان بن زائدة.

وقال عَبَّاسٌ الْعَنْبَرِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا الْوَلَيدِ يقُولُ: كُنْتُ مَعَ عُثْمَانَ بْنِ زَائِدَةَ فَانطَفَأَ مِصْبَاحُهُ، فَذَهَبَ غُلامُهُ، فَأَخَذَ لَهُ نَارًا مِنْ قَوْمٍ. فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مِنْ أَيْنَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ مَوْضِعِ سَمَّاهُ. قَالَ: فَطَفَأَهُ عُثْمَان وَقَالَ: لَا نستضئ بِنَارِهِمْ. سَمِعْتُ عَبَّاسًا الْعَنْبَرِيَّ يَقُولُ قَالَ لِى بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ: انْظُرْ أَنْ تَكْتُبَ لِي بِأَخلاقِ عُثْمَانَ بْنِ زَائِدَةَ»[1].

روى ابن أبى الدنيا فى «الورع»: قِيلَ لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ: «مَنْ أَوْرَعُ مَنْ رَأَيْتَ؟ قَالَ: عُثْمَانُ بْنُ زَائِدَةَ».

وقال أبو الْوَلِيدِ: «مَا سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ زَائِدَةَ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ قَطُّ لَا يَسْتَثْنِى فِيهَا وَكَانَ يَقُولُ: يَا أَبَا الْوَلِيدِ، إِنْ حَدَّثَ أَبَا الْوَلِيدِ وَكَانَ يُكَلِّمُنِى نَهَارًا طَوِيلًا، ثُمَّ يَقُولُ: كُلُّ مَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَهُوَ إِنْ كَانَ كَذَاكَ إِنْ شَاءَ اللهُ»[2].

---

(١) الورع لأحمد (ص ٥، ٦).

(٢) الورع لابن أبي الدنيا (ص ١٠٠، ١٠٢).

الإمام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ

قال الحسن بن عرفة: قال لى ابن المبارك: استعرت قلمًا بأرض الشام، فذهبت على أن أرده، فلما قدمت (مرو) نظرت فإذا هو معى، فرجعت إلى الشام حتى رددته على صاحبه[١].

❁ قال الحسن بن الربيع: لما احتضر ابن المبارك فى السفر قال: أشتهى سويقًا، فلم نجده إلا عند رجل كان يعمل للسلطان، وكان معنا فى السفينة، فذكرنا ذلك لعبد الله، فقال: دعوه. فمات ولم يشربه.

محمد بن واسع (رَحِمَهُ اللَّهُ)

قال الربيع اليحمدى: رأيت محمد بن واسع يبيع حمارًا بسوق بلخ، فقال له رجل: أترضاه لى؟ قال: لو رضيته لم أبعه[٢].

بشر الحافى (رَحِمَهُ اللَّهُ)

كان بشر الحافى رَحِمَهُ اللَّهُ من الورعين، فقيل له: من أين تأكل؟ فقال: من حيث تأكلون، ولكن ليس من يأكل وهو يبكى كمن يأكل وهو يضحك، وقال: يد أقصر من يد، ولقمة أصغر من لقمة... وهكذا كانوا يحترزون من الشبهات[٣].

---

(١) السير (٨/ ٣٩٥).

(٢) الورع لابن أبى الدنيا (ص: ١٠٦).

(٣) إحياء علوم الدين (٢/ ١٠٤).

الإمام أحمد بن حنبل (رَحِمَهُ اللَّهُ)

كان رَحِمَهُ اللَّهُ لا يأخذ من الخلفاء شيئًا.... حتى في سجنه.

ولقد صبر رَحِمَهُ اللَّهُ على مقدار ربع سويق خمسة عشر يومًا بمعسكر المتوكل، يعتصم بذلك حتى أتته النفقة من بغداد، ولا يذوق من مائدة المتوكل[1].

ولقد دفع المأمون إلى إسحاق بن موسى الأنصارى مالًا، وقال: اقسمه على أصحاب الحديث، فإنهم ضعفاء؛ فما بقى أحد منهم إلا أخذ؛ إلا أحمد بن حنبل، فإنه أبَى[2].

(١) الورع لأحمد (ص: ٥٠).

(٢) مناقب الإمام أحمد (ص: ٣٢٧).

من ثمرات الورع

إن ثمرات الورع كثيرة ولكن حسبنا أن نقف على بعضها: فالورع من أعظم أسباب البعد عن الحرام ومن ثم فهو من أسباب إجابة الدعاء... وهو من أسباب زيادة الإيمان فى قلب العبد بل وهو من أسباب راحة البال وانشراح الصدر وطمأنينة القلب... وإذا شاع هذا الخلق الجليل فى أى مجتمع فإنه يكون سببًا فى طهارة المجتمع وصلاحه... وأعظم ثمرة من ثمرات الورع أن صاحبه يفوز بمحبة الله (جل وعلا) ومحبة الناس من حوله.



قصص
الزاهدين والزاهدات



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه

۞ قال القاضى أبو بكر بن عبد الباقى بن محمد البزار الأنصارى المتوفى سنة (٥٣٥ هـ) ببغداد:

كنت مجاورًا بمكة - حرسها الله تعالى -، فأصابنى يومًا من الأيام جوع شديد لم أجد شيئًا أدفع به عنى الجوع، فوجدت كيسًا من أبريسم مشدودًا بشرابة من إبريسم أيضًا، فأخذته وجئت به إلى بيتى، فحللته فوجدت فيه عقدًا من لؤلؤ لم أر مثله.

فخرجت فإذا بشيخ ينادى عليه، ومعه خرقة فيها خمسمائة دينار، وهو يقول: هذا لمن يرد علينا الكيس الذى فيه اللؤلؤ، فقلت: أنا محتاج، وأنا جائع، فآخذ هذا الذهب فأنتفع به، وأرد عليه الكيس.

فقلت له: تعال إلىّ، فأخذته وجئت به إلى بيتى، فأعطانى علامة الكيس، وعلامة الشرابة، وعلامة اللؤلؤ وعدده، والخيط الذى هو مشدود به، فأخرجته ودفعته إليه، فسلم إلىَّ خمسمائة دينار، فما أخذتها، وقلت: يجب علىَّ أن أعيده إليك، ولا آخذ له جزاءً.

فقال لى: لا بد أن تأخذ وألحَّ علىَّ كثيرًا، فلم أقبل ذلك منه، فتركنى ومضى.

وأما ما كان منى، فإنى خرجت من مكة وركبت البحر، فانكسر المركب وغرق الناس، وهلكت أموالهم، وسَلِمت أنا على قطعة من المركب، فبقيت مدة فى البحر لا أدرى أين أذهب؟ فوصلت إلى جزيرة فيها قوم، فقعدت فى بعض المساجد، فسمعونى أقرأ، فلم يبق فى تلك الجزيرة أحد إلا جاء إلىَّ وقال: علمنى القرآن، فحصل لى من أولئك شىء كثير من المال.

ثم إنى رأيت فى ذلك المسجد أوراقًا من مصحف، فأخذتها أقرأ فيها، فقالوا لى: تُحسن تكتب؟

فقلت: نعم، فقالوا: علمنا الخط، فجاؤوا بأولادهم من الصبيان والشباب، فكنت أعلمهم، فحصل لى أيضًا من ذلك شىء كثير، فقالوا لى بعد ذلك: عندنا صبية يتيمة، ولها شىء من الدنيا، نريد أن تتزوج بها، فامتنعت، فقالوا: لا بد، وألزمونى فأجبتهم إلى ذلك.

فلما زفوها إلىَّ، مددت عينى أنظر إليها، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقًا فى عنقها، فما كان لى حينئذٍ شغل إلا النظر إليه.

فقالوا: يا شيخ، كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد، ولم تنظر إليها، فقصصت عليهم قصة العقد، فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة، فقلت: ما بكم؟

فقالوا: ذلك الشيخ الذى أخذ منك العقد أبو هذه الصبية، وكان يقول: ما وجدت فى الدنيا مسلمًا أتقى من هذا الرجل الذى ردَّ علىَّ هذا العقد.

وكان يدعو ويقول: اللهم اجمع بينى وبينه حتى أزوجه بابنتى.

والآن قد حصلت... قال: فبقيت معها مدة، ورُزقت منها بولدين، ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولداى، ثم مات الولدان، فحصل العقد لى، فبعته بمائة ألف دينار، وهذا المال الذى ترونه معى من بقايا ذلك المال.

نجَّاه زهده من تلك المكيدة

إن طاووس كان من أهل اليمن... وكانت الولاية في اليمن في ذلك الوقت لمحمد بن يوسف الثقفي أخي الحجاج بن يوسف فقد ولاه الحجَّاج على بلاد اليمن بعدما أصبح له مكانة كبيرة عند الخليفة وبخاصة بعد قتله لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

وكان محمد بن يوسف الثقفي أشد ظلمًا وبطشًا من الحجاج بن يوسف.

۞ وفي يوم من الأيام أراد طاووس بن كيسان أن يدخل على محمد يوسف ليعظه ويُذكره بالله عسى أن ينتهي عن ظلمه وعدوانه فلما جلس الإمام طاووس على الكرسي وبدأ يتكلم.

وإذا بمحمد بن يوسف الثقفي يقول لغلامه: أحضِر طيلسانًا وألقِه على كتفي أبي عبد الرحمن (طاووس).

فألقوه عليه، فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى عنه الطيلسان، فغضب محمد بن يوسف... فقال له وهب: والله إن كنت لغنيًّا أن تُغضبه علينا، لو أخذت الطيلسان فبعته، وأعطيت ثمنه المساكين. فقال طاووس: نعم، لولا أن يقال من بعدي: أخذه طاووس، فلا يصنع فيه ما أصنع لفعلت[1].

۞ فأراد محمد بن يوسف أن يرد هذه الإهانة لطاووس بن كيسان فنصب له شراكًا ليقع فيه.

فقد أعدَّ صُرة فيها سبعمائة دينار ذهبي واختار رجلًا ماكرًا وقال له:

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ٥٤١ - ٥٤٢) - وصفة الصفوة (٢/ ٢٨٦).

اذهب بهذا المال إلى طاووس وافعل أى حيلة من أجل أن يقبل هذا المال... فإذا أخذ منك هذا المال سوف أكسوك وأُحسن إليك وأكرمك.

فخرج بها الرجل حتى قدم على طاووس، وكان يسكن مدينة يمنية تسمى الجَنَد.

فلما دخل عليه قال له: يا أبا عبد الرحمن هذا المال بعثه إليك أمير المؤمنين.

قال طاووس: ما لى به من حاجة!!

فحاول الرجل مرة أخرى، فأبى طاووس ورفض رفضًا باتًّا، فجاهده بالحيلة، والكلمة الرقيقة فأبى...، فأخذها ورمى بها أمامه فى كُوة فى البيت.

عند ذلك عاد الرجل سعيدًا وأبلغ محمد بن يوسف الثقفى أن طاووس أخذ المال،... فانتظروا وقتًا قصيرًا حتى بلغهم وشاية أن طاووس تحدث فى شىء يكرهونه.

فقال الثقفى: فليردَّ لنا مالنا فإنه لا يستحقه.

فجاءه الرسول قائلًا: رُدَّ على أمير المؤمنين ماله الذى أجزله لك.

قال طاووس: ما أخذت شيئًا. فعاد الرجل وأبلغهم أنه قال: ما أخذت شيئًا، فقالوا له: ذكِّره بصُرة المال التى أخذها منك.

فعاد الرسول وقال له: يا أبا عبد الرحمن المال الذى جئتك به.

قال طاووس: هل قبضت منك شيئًا؟

قال الرجل: لا.

قال طاووس: هل تعلم أين وضعته حينما أعطيتنى إياه؟

قال الرجل: نعم فى تلك الكوة.

قال طاووس: إذًا انظر حيث وضعته.

فمدَّ الرجل يده فإذا هو بالصرة قد بنت عليها العنكبوت عشها وخيوطها[1].

(١) الحلية (٤/ ١٤ - ١٥).

موقفه مع هشام بن عبد الملك

وكان له موقف عجيب مع خليفة المسلمين هشام بن عبد الملك.

قَدِم هشام بن عبد الملك حاجًّا إلى مكة، فلما دخلها قال: ائتونى برجل من الصحابة. فقيل: يا أمير المؤمنين قد تفانوا. قال: فمن التابعين، فائتوا بطاووس اليمانى، فلما دخل عليه، خلع نعليه بحاشية بساطه، ولم يُسلِّم بإمرة أمير المؤمنين، ولكن قال: السلام عليك. ولم يُكنِّه ولكن جلس بإزائه. قال: كيف أنت يا هشام؟ فغضب هشام غضبًا شديدًا، حتى همَّ بقتله، فقيل له: أنت فى حرم الله ورسوله، فلا يمكن ذلك فقيل له: يا طاووس! ما الذى حملك على ما صنعت؟ قال: وما الذى صنعت؟! فازداد هشام غضبًا، وقال: لقد خلعت نعليك بحاشية بساطى، ولم تُقبِّل يدى، ولم تُسلم بإمرة أمير المؤمنين ولم تُكننى وجلست بإزائى بغير إذنى، وقلت: كيف أنت يا هشام، فقال: أما ما خلعت نعلى بحاشية بساطك؛ فإنى أخلعها بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات، فلا يعاتبنى ولا يغضب علىَّ. وأما قولك: لم تُقبل يدى؛ فإنى سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﵁ يقول: لا يحل لرجل أن يُقبِّل يد أحدٍ، إلا امرأته من شهوة أو ولده برحمة، وأما قولك: لم تسلم بإمرة أمير المؤمنين، فليس كل الناس راضين بإمرتك، فكرهت أن أكذب، وأما قولك: جلست بإزائى؛ فإنى سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار، فانظر إلى رجل جالس وحوله ناس قيام، وأما قولك: لم تُكننى فإن الله ﷻ سمَّى أولياءه، وقال: يا داود، يا يحيى، يا عيسى، وكنَّى

أعداءه، فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[١]. فقال هشام: عظنى. فقال: سمعت أمير المؤمنين عليًّا رضي الله عنه يقول: «إن فى جهنم حيات كأمثال القلال، وعقارب كالبغال، تلدغ كل أميرٍ، لا يعدل فى رعيته»، ثم قام وذهب[٢].

---

(١) سورة المسد: الآية: (١).

(٢)مواعظ ومواقف للعلماء والصالحين أمام الحكام والسلاطين، ص(٦٢) نقلًا من كتاب نزهة الناظرين لعبيد الضرير.

معاوية رضي الله عنه .. وموقف أغرب من الخيال

كان لعبد الله بن الزبير أرض مجاورة لأرض معاوية بن أبى سفيان، وكان فيهما عبيد لعمارة كل أرض، فدخل عبيد معاوية أرض عبد الله واغتصبوا منها قطعة، فكتب عبد الله بن الزبير إلى معاوية.

أما بعد، يا معاوية! فإن عندك عبيدًا قد اغتصبوا أرضى، فمرهم بالكف عنها، وإلا كان لى ولكم شأن.

فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير، دفعه إلى ولده يزيد، فلما رآه وقرأه.

قال: ما تقول يا يزيد؟

قال: أرى أن تبعث إليه جيشًا يكون أوله عنده وآخره عندنا، يأتيك برأسه، وتستريح منه.

قال: عندى خير من ذلك!

قال: ما هو يا أبت؟

فقال: علىَّ بدواة وقرطاس؟

ثم كتب إليه فيه: وقفت على كتاب ابن أخى، وقد ساءنى والله ما ساءه، والدنيا وما فيها هينة فى جنب رضاك، وقد كتبت على نفسى مسطورًا أشهدت فيه الله وجماعة من المسلمين أن الأرض وما فيها والعبيد الذين بها ملكك، فضمها إلى أرضك، والعبيد إلى عبيدك والسلام.

فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتابه، وكتب له جوابًا فيه: وقفت على كتاب أمير المؤمنين، لا أعدمنى الله بقاءه، ولا أعدمه هذا الرأى الذى أحله

هذا المحل، والسلام.

فلما وقف معاوية على الكتاب أعطاه لولده يزيد، فلما قرأه تهلل وجهه فرحًا.

فقال له: يا بنى! إذا بُليت بشىء من هذا الداء، داوه بمثل هذا الدواء، وإنّا لقوم لم نر فى الحِلم إلا خيرًا.

بركة الإحسان إلى الأرامل والأيتام

قال ﷺ: «**الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار**» متفق عليه.

فالأرملة التى تُوفى عنها زوجها وترك لها أولادًا يتامى قد تجرعوا غصص اليتم منذ نعومة أظفارهم، فهم أحوج ما يكون إلى يد حانية تمتد؛ لتمسح جراحاتهم من على صفحات قلوبهم المنكسرة، ومن هذا المنطلق حثَّ النبى ﷺ أصحاب القلوب الرحيمة على أن يتسابقوا من أجل هؤلاء اليتامى، ومن أجل تلك الأم التى انكسر فؤادها بموت زوجها، فمن سعى عليها وعلى أولادها فهو كالمجاهد فى سبيل الله، وكالذى يقوم الليل؛ ليناجى ربه، وهو كذلك كالذى يصوم النهار، فأين أصحاب العقول، وأين المشمرون للفوز بهذا الأجر العظيم وتلك المكانة السامية؟!!

رُوى أنه كان هناك رجل قد نزل فى بلد من بلاد العجم، وله زوجة وله منها بنات، وكانوا فى سعة ونعمة، فمات الزوج، وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة.

فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء، واتفق خروجها فى شدة البرد، فلما دخلت ذلك البلد، أدخلت بناتها فى بعض المساجد المهجورة ومضت تبحث لهم عن القوت، فمرت بجمعين؛ جمع على رجل مسلم، وهو شيخ البلد، وجمع على رجل مجوسى، وهو ضامن البلد، فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له.

وقالت: أنا امرأة مسلمة ومعى بنات أيتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة، وأريد الليلة قُوتهم - أى طعامًا -، فقال لها: أقيمى عندى البينة

أنك مسلمة شريفة.

فقالت: أنا امرأة غريبة ما فى البلد من يعرفنى،... فأعرض عنها.

فمضت من عنده منكسرة القلب، فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسى فشرحت له حالها، وأخبرته أن معها بنات أيتامًا، وهى امرأة شريفة غريبة، وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم، فقام وأرسل بعض نسائه، وأتوا بها، وبناتها إلى داره فأطعمهن أطيب الطعام، وألبسهن أفخر اللباس، وباتوا عنده فى نعمة وكرامة.

قال: فلما انتصف الليل، رأى ذلك الشيخ المسلم فى منامه كأن القيامة قد قامت، وقد عُقد اللواء على رأس النبى ﷺ وإذا القصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت، وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان، فقال: يا رسول الله! لمن هذا القصر؟

قال: لرجل مسلم موحد.

فقال: يا رسول الله! أنا رجل مسلم موحد.

فقال رسول الله ﷺ: «لما قصدتك المرأة العلوية قلت أقيمى عندى البينة أنك مسلمة شريفة فكذا أنت أقم عندى البينة أنك مسلم؟!»، فانتبه الرجل حزينًا على ردِّه المرأة خائبة، ثم جعل يطوف بالبلد، ويسأل عنها، حتى دُلَّ عليها أنها عند المجوسى، فأرسل إليه فأتاه، فقال له: أريد منك المرأة المسلمة الشريفة وبناتها.

فقال: ما إلى هذا من سبيل وقد لحقنى من بركاتهم ما لحقنى.

قال: خذ منى ألف دينار وسلمهن إلىَّ.

فقال: لا أفعل. لا بد منهن.

فقال له: إن الذى تريده أنت أنا أحق به، والقصر الذى رأيته فى منامك خُلق لى، أتدل علىَّ بالإسلام؟ فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد هذه المرأة المسلمة، ورأيت مثل الذى رأيت فى منامك، وقال لى رسول الله ﷺ: «المرأة وبناتها عندك» قلت: نعم يا رسول الله.

قال: «القصر لك ولأهل دارك، وأنت وأهل دارك من أهل الجنة، خلقك الله مؤمنًا فى الأزل».

قال: فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله، فانظر -رحمك الله- إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة فى الدنيا[1].

فاحرص أخى الحبيب على الإحسان إلى اليتامى والأرامل؛ لتفوز بصحبة النبى ﷺ فى الجنة.

قال ﷺ كما عند البخارى: **«أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا** - وأشار بالسبابة والوسطى - وفرج بينهما».

وفى رواية مسلم: **«أنا وكافل اليتيم له، أو لغيره فى الجنة، والساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله»**.

(١) الكبائر للإمام الذهبى (ص: ١٢١، ١٢٢).

صنائع المعروف تقى مصارع السوء

قال ﷺ: «صنائع المعروف تقى مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد فى العمر»[١].

حُكى أن رجلًا جلس يومًا يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج إليه وانتهره وطرده.

ودارت الأيام وافتقر هذا الرجل وزالت نعمته حتى إنه طلق زوجته، وتزوجت من بعده برجل آخر فجلس يأكل معها فى بعض الأيام وبين أيديهما دجاجة مشوية وإذا بسائل يطرق الباب، فقال الرجل لزوجته: ادفعى إليه هذه الدجاجة، فخرجت بها إليه فإذا به زوجها الأول فأعطته الدجاجة ورجعت وهى تبكى إلى زوجها فسألها عن بكائها، فأخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذى انتهره زوجها الأول وطرده فقال لها زوجها: ومم تعجبين وأنا والله السائل الأول!

فتأمل معى - أخى الحبيب - كيف أن الرجل لما انتهر السائل وطرده حدث له ما حدث... ولو كان رد السائل بلطف ورحمة، أو أعطاه شيئًا يسيرًا فلربما كان الأمر على خلاف ذلك - والله أعلم.

---

(١) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٧٩٧).

طعام بطعام

❁ كان هناك شيخ فقير لكنه كان كريمًا لا يرد سائلًا أبدًا ما دام أنه يستطيع أن يعطيه أى شيء حتى أنه كان أحيانًا يرى رجلًا يكاد يموت من شدة البرد فيخلع الجبة التى يلبسها ليعطيها لهذا الرجل البردان.

وكان أحيانًا يجلس هو وزوجته وأولاده فيمر السائل فيقول له: ليس فى بيتى طعام فيقوم ويعطيه الطعام الذى عنده.

- وفى يوم من أيام شهر رمضان جلس هذا الشيخ هو وزوجته وأولاده على مائدة الطعام انتظارًا لأذان المغرب... وفجأة جاء رجل سائل وقال له: والله لا أجد لقمة واحدة لأولادى ونريد أى طعام نفطر عليه... فخرج الشيخ وأعطاه كل الطعام.

فقامت امرأته وقالت: لن أجلس فى هذا البيت وسأذهب لأسرتى الليلة.

سكت الشيخ ولم يتكلم... وبينما تُعد الزوجة ملابسها لتذهب لأسرتها وإذا بالباب يطرق.

ففتح الشيخ الباب فوجد من يحمل أطباقًا كثيرة فيها ألوان الطعام والحلوى والفاكهة فسألهم ما الخبر؟

قالوا له: إن الرجل الغنى الذى يسكن فى القصر الكبير الذى فى أول المدينة كان قد دعا بعض الأغنياء من أصدقائه فاعتذروا بعد ما أعد لهم الطعام فحلف ألا يأكل أحد من أهله من هذا الطعام وأمر الخدم أن يحملوا هذا الطعام كله إلى دار هذا الشيخ الفقير الكريم فابتسمت الزوجة وجلست فى البيت فقال لها زوجها الشيخ الكريم: إن اليقين الذى يـ لأ

قلبي يجعلني أُنفق دائمًا وأنا على يقين من أن الله (جل وعلا) سيعوضني أفضل منه فقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[1].

(١) سورة سبأ: الآية: (٣٩).

محمد بن واسع.. وشجاعة وزهد يفوقان الخيال

لقد كان محمد بن واسع فارسًا فى كل ميدان من ميادين الطاعة والعبادة فهو فارس فى العلم والزهد والإخلاص والورع والتواضع والعبادة والأدب وهو أيضًا فارس فى ميادين الجهاد.

۞ **وها هى صورة مشرقة من جهاده فى سبيل الله (جل وعلا):**

تطوع التابعى الجليل محمد بن واسع الأزدى فى جيش المسلمين الذى توجه لغزو بلاد الفرس، وبصفة خاصة منطقة جرجان وطبرستان، وكان قائد الجيش هو يزيد بن المُهلَّب بن أبى صُفرة، وكان وقتها واليًا على خراسان.

نزل الجيش فى منطقة يقطنها قوم من الترك تسمى دهستان، أهلها أقوياء، وبأسهم شديد، وحصونهم منيعة، مما أزعج المسلمين وجعل الاقتحام عليهم صعبًا للغاية.

وكان دور محمد بن واسع الأزدى فى هذه الشدة التى مرت على أبطال المسلمين دورًا إعلاميًّا عظيمًا، يشحذ من خلاله همم الرجال وعزائمهم، فينادى قائلًا وبأعلى صوت: يا خيل الله اركبى، يا خيل الله اركبى.

فتندفع قوافل الجند، وتصنع مدًّا كمدِّ البحر لا يقف أمامه شىء، فتصول وتجول فى صفوف الأعداء فتزيل هاماتهم.

ولم يقتصر دور عابد البصرة محمد بن واسع الأزدى على الإعلام وشحذ الهمم فقط، بل حان الوقت الذى يسلّ فيه سيفه فيضرب به هنا وهناك، حان الوقت عندما برز فارس من صفوف الأعداء، جسيمًا، قويًّا،

جريئًا، راح يضرب بسيفه فى صفوف المسلمين هنا وهناك، حتى تراجع الأبطال من شدة ضرباته، فأثار فى النفوس الرعب، ورفع حرارة الدم العربى الإسلامى الثائر، ثم وقف فى غطرسة واستكبار يدعو فرسان المسلمين: من يبارز؟ من يبارز؟

وجاء صوت الشيخ العابد البصرى محمد بن واسع يجيب دعوة هذا المتكبر الجبار.

فخرج فرسان المسلمين ينصحونه بألا يفعل وهو شيخ كبير، فمسح على غمد سيف أحدهم ودعا له بالنصر، وخرج الفارس المسلم محاطًا بدعوات مباركة من رجل تابعى جليل هو محمد بن واسع الأزدى.

ويندفع الفارس المسلم، فيضرب عدوه ضربة ويتلقى هو ضربته.

فأما ضربته فقد أتت على رأس الفارس فشطرته نصفين، وأما الضربة التى تلقاها فقد ثبَّتت سيف عدوه فى خوذته الحديدية فوق رأسه، ولم يستطع نزعه منها... لكنها لم تُصبه بأى ضرر.

فعاد وسيفه يقطر دمًا، وخوذته الحديدية يشطرها سيف عدوه، ولا يصل إليه بأذى.

هلَّل المسلمون، وكبَّروا، ونظروا إلى شيخهم الجليل، وبركة دعائه للفارس وشدُّوا على يده، واندفع الجيش يضرب الأعداء حتى استسلموا، وأرسلوا يطلبون المصالحة، فطلب المسلمون الجزية من أعدائهم، فدفعوها غنائم لا تُحصى ولا تُعد. مئات الآلاف من الدراهم، وكؤوس الفضة، وتيجانًا مصوغة من الذهب الخالص.

وأمسك أمير جيش المسلمين يزيد بن المهلب بأكبر تاج ذهبى وهو

يقول: لا أظن أحدًا يزهد فى هذا التاج الذهبى؟

فقال الناس: نعم أيها الأمير.

قال يزيد: بل سترون أنه ما زال فى أمة محمد ﷺ من يزهد به.

ثم طلب محمد بن واسع الأزدى، فجئ به إليه بعد بحث عنه استنفذ وقتًا، فرفع يزيد التاج الذهبى، وقال: يا أبا عبد الله (محمد بن واسع) لقد آثرك جند المسلمين بهذا، فجعلته من نصيبك. فقال محمد بن واسع الأزدى: لا حاجة لى به أيها الأمير، جزاك الله عنى خيرًا.

فأقسم عليه يزيد أن يأخذه، مما جعل محمد بن واسع الأزدى يمد يده ويأخذه ثم ينصرف.

فقال الجند: ها هو قد آثر نفسه بالتاج، وأخذه ومضى به.

فأمر يزيد غلامًا أن يتبعه مستترًا عنه، لينظر ماذا يصنع بالتاج، فتبعه الغلام.

مضى عابد البصرة فى الطريق حائرًا ماذا يفعل بهذا؟ فلقيه رجل أشعث، أغبر، رَثّ الثياب، فقال له الرجل: أعطنى من مال الله، فأعطاه التاج الذهبى، ثم انطلق يعدو فرحًا، كأنما أزال كابوسًا مخيفًا من على صدره، فأمسك الجند بالرجل الأشعث وجاؤوا به إلى أمير الجيش يزيد بن المهلب، فوقف بين الجند يقول: أما قلت لكم إنه ما زال فى أمة محمد ﷺ من يزهد بهذا التاج؟!

۞ وجاء عابد البصرة (محمد بن واسع) مستأذنًا أمير الجيش فى الخروج إلى الحج وقد أنهى دوره، وأدَّى واجبه بعد انتصار المسلمين.

فقال له يزيد: امضِ ما شئت يا أبا عبد الله، وقد أمرنا لك بمبلغ من

المال يعينك على رحلتك المباركة إلى بيت الله الحرام.

فقال عابد البصرة: وهل ستأمر بمثل هذا المال لكل جندى من جنود المسلمين؟ فقال يزيد: لا يا أبا عبد الله.

فقال عابد البصرة: لا حاجة لى بمال أُميَّز به عن غيرى والآن أستودعك الله يا أمير الجيش، والسلام عليكم.

فقال يزيد باسمًا وقد بدت الدهشة على وجهه: وعليك السلام يا أبا عبد الله، أُدْعُ لنا وأنت فى رحاب الكعبة.

وانطلق الشيخ تاركًا الدنيا، ضاربًا المثل فى زهد مالها وجاهها ومتاعها، فلم تذهب عينه ولا يده لمتاع من متاع الدنيا، فكل ما كان يشغله بعد الجهاد فى سبيل الله هو الذهاب إلى بيت الله الحرام، وأداء ما عليه من النُّسك، ولعلها هى المرة الرابعة أو الخامسة فى عداد زياراته لبيت الله الحرام رضوان الله عليه (١).

۞ وفى سنة سبع وثمانين للهجرة قام القائد الفاتح قتيبة بن مسلم الباهلى بتجهيز جيش كبير وخرج به من مدينة (مرو) متوجهًا إلى ناحية (بخارى) فقد عقد العزم على أن يفتح ما تبقَّى من بلاد ما وراء نهر جيحون فى خراسان.

وأن يغزو أطراف الصين... فإما أن يسلموا أو يضرب عليهم الجزية.

لكن ما إن وصل قتيبة بن مسلم إلى الضفة الأخرى من النهر حتى علم أهل بخارى بذلك فأخذوا يستصرخون الناس من حولهم من الترك والصين وغيرهم فأقبلت عليهم أعداد غفيرة لا حصر لها ولا حدود حتى

(١) عصر التابعين/ أ. عبد المنعم الهاشمى (صـ٣٥٨: ٣٦١) بتصرف.

أصبحوا أضعاف أضعاف جيش المسلمين فى العدد والعدة... وأغلقوا على المسلمين كل الثغور والمسالك.

وهنا لم يستطع قتيبة أن يفعل أى شىء سوى أن يعسكر بالقرب من مدينة (بيكند).

وأخذ جيش الأعداء يقترب منهم مع إشراقة كل صباح ويحدث بينهم قتال طيلة النهار فإذا أقبل الليل عادوا إلى قواعدهم مرة أخرى واستمر الأمر على هذا الحال شهرين متتابعين... وقتيبة لا يدرى ماذا يصنع أمام تلك الجيوش الجرارة.

ووصلت أخبار قتيبة بن مسلم وجنوده إلى المسلمين فى كل مكان فحزن المسلمون على ذلك الجيش الكبير الذى فتح الله على يديه الكثير والكثير.

وهنا صدرت الأوامر من الولاة إلى الناس وإلى أئمة المساجد بأن يدعو جميعًا لهؤلاء المجاهدين فى بلاد ما وراء النهر، وأخذت المساجد تضج بالدعاء لقتيبة وجنوده وكان على رأس هؤلاء الذين يدعون للجيش محمد بن واسع الأزدى.

وبدأت الجيوش المسلمة تتدفق من كل مكان لنجدة جيش قتيبة ومَن معه... وكان من بين هؤلاء المتطوعين لنجدة هذا الجيش إمامنا الجليل محمد بن واسع الذى ذهب ليجود بنفسه فى سبيل الله.

ولما وصل ذلك المدد من الجيوش الإسلامية فرح قتيبة بقدومهم لكن فرحته الكبرى كانت بقدوم الإمام الجليل محمد بن واسع الذى ما إن رآه الجيش حتى أحس بالراحة والسعادة فقد كان الإمام يرفع من معنوياتهم

بكثرة ذكر الشهادة وفضلها والجنة ونعيمها.

ووقف الجيشان -جيش المسلمين وجيش الكافرين- وأحس قتيبة بن مسلم بحاجته إلى دعاء الصالحين عسى الله أن يأتى بالنصر من عنده.

وفجأة سأل قتيبة جنوده قائلًا: أين محمد بن واسع؟

قالوا: إنه هناك فى الميمنة أيها القائد.

فقال: انظروا ماذا يصنع.

فذهبوا فوجدوه متكئًا على رُمحه قائمًا على ركبتيه، يدعو ويشير بأصبعه، فأُخبر بذلك قتيبة، فقال: احملوا على القوم، فإن الله لا يضيع جيشًا فيه محمد. فقال بعض رؤساء العسكر: إنا لم نرَ عند هذا الرجل الذى طلبت كبير قوة، إنما كان يدعو ويشير بإصبعه، فقال:

أبشروا بالنصر... فوالله لأصبعى محمد بن واسع وهى تدعو وتشير إلى السماء أحب إلىَّ من مائة ألف سيفٍ شهير ومن مائة ألف شابٍ طرير.

وتزاحف جيش المسلمين كالأسود وهى تزحف على فريستها والتقى الجمعان وأخذ المسلمون يقاتلون تحت صيحات (الله أكبر) وأنزل الله على قلوبهم السكينة وأمدهم بمددٍ من عنده... وقذف الرعب فى قلوب الكافرين فأجهضهم المجاهدون قتلًا وأَسْرًا وتشريدًا.

فما كان منهم إلا أن استسلموا وطلبوا من قتيبة الصلح والفدية - أى: أن يفدوا أنفسهم بالمال -فصالحهم قتيبة.

وكان من جملة الأسرى رجل خبيث النفس كان يؤلِّب قومه على المسلمين فقال هذا الرجل لقتيبة: أيها الأمير... إنى أريد أن أفدى نفسى بخمسة آلاف حريرة (صينية) ثمنها ألف ألف فنظر قتيبة بن مسلم لجنوده

وقال لهم: ماذا ترون؟ فقالوا: نرى أن هذا المال سيزيد فى غنائم المسلمين ويكون قوة لهم.

فنظر قتيبة إلى محمد بن واسع وقال له: وما تقول أنت يا أبا عبد الله؟

فقال: أيها الأمير... إننا لم نخرج من ديارنا لجمع الغنائم والأموال وإنما خرجنا طلبًا لمرضاة الله ونشرًا لدينه.

فقال قتيبة: جزاك الله خيرًا... والله لا أتركه يُروِّع امرأة مسلمة بعد اليوم ولو أعطانا أموال الدنيا فداء لنفسه... ثم أمر بقتله.

۞ وهكذا عاش محمد بن واسع بقية حياته عالمًا عاملاً زاهدًا ورعًا مجاهدًا فى سبيل الله (جل وعلا).

سلمة بن دينار.. وسليمان بن عبد الملك

ففى السنة السابعة والتسعين من هجرة النبى ﷺ شَدَّ سليمان بن عبد الملك (خليفة المسلمين) الرحال إلى المدينة المنورة فقد كان فى شوقٍ شديد لزيارة مسجد النبى ﷺ والسلام على الحبيب المصطفى ﷺ والصلاة فى الروضة الشريفة.

وفى هذه الرحلة المباركة اصطحب معه الفقهاء والعلماء والقُرَّاء والمحدثين، فلما بلغ المدينة المنورة وصلى المكتوبة فى مسجد النبى ﷺ أقبل وجوه الناس من أهل المدينة يصافحون أمير المؤمنين ويرحبون به.

لكن سلمة بن دينار لم يذهب إلى أمير المؤمنين، وبعد دقائق قال سليمان بن عبد الملك لمن حوله: أما فى المدينة رجل أدرك طائفة من صحابة رسول الله ﷺ يُذكرنا؟

فقالوا: بلى يا أمير المؤمنين، ها هنا أبو حازم الأعرج.

فقال: ومن أبو حازم الأعرج؟

فقالوا: سلمة بن دينار عالم المدينة وإمامها، وأحد التابعين الذين أدركوا عددًا من الصحابة الكرام.

فقال سليمان بن عبد الملك: ادعوه لنا وتلطفوا فى دعوته.

فدعوه، ولما آتاه رحَّب به وقال له:

ما هذا الجفاء يا أبا حازم؟

فقال: وأى جفاء رأيت منى يا أمير المؤمنين؟

قال سليمان: زارنى الناس ولم تزرنى يا أبا حازم!!

قال سلمة بن دينار: إنما يكون الجفاء بعد المعرفة، وأنت ما عرفتنى قبل اليوم، ولا أنا رأيتك، فأى جفاء وقع منى؟[١]

علت وجه الخليفة إشراقة وابتسامة، وقال لوجوه مجلسه: أصاب الشيخ وغلبنى باعتذاره، وأخطأت فى عتبى عليه.

ثم التفت إليه قائلًا: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟!

فقال سلمة بن دينار: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب.

قال سليمان بن عبد الملك: صدقت يا أبا حازم، ليتنى أعلم كيف العرض على الله غدًا؟

قال أبو حازم (سلمة بن دينار): أما المحسن فهو كالغائب يَقْدُم على أهله، وأما المسيء فكالعاصى يُقْدَم به على مولاه ﷻ.

فبكى سليمان من كلمات الشيخ وتأثر الناس، ثم قال سليمان بن عبد الملك: يا أبا حازم كيف لنا أن نُصلح؟

قال أبو حازم: بأن تدعوا عنكم الصَّلف، وتتمسكوا بالمروءة، وتقسموا بالسوية وتعدلوا.

قال سليمان بن عبد الملك: أثقلت عليك أيها الشيخ.

فقال سلمة: سَلْ ما شئت يا أمير المؤمنين.

فقال سليمان: يا أبا حازم ما أفضل الخلائق؟

قال: أصحاب المروءة والنُّهى، الذين ينهون الناس عن كل شيء منكر.

---

(١) الحلية لأبى نعيم (٣/ ٢٣٤).

قال سليمان: فما أعدل العدل؟

قال سلمة: كلمةُ صدقٍ عند من تخافه وترجوه.

قال سليمان: يا أبا حازم، فما أسرع الدعاء إجابة؟

قال: دعاء المحسن للمحسنين.

قال سليمان: فما أفضل الصدقة؟

قال: جُهْدُ المُقل -القليل المال- يضعه فى يد البائس من غير أن يتبعه مَنٌّ ولا أذى.

فقال الخليفة سليمان: مَن أكيس الناس وأكثرهم فطنة وتعقلًا، يا أبا حازم؟

فقال سلمة بن دينار: رجل ظفر بطاعة الله تعالى فعمل بها، ثم دَلَّ الناس عليها.

فقال الخليفة: فمن أحمق الناس[1]؟

فقال: رجل انساق مع هوى صاحبه، وصاحبه ظالم، فباع آخرته بدنيا غيره.

قال الخليفة فى نهاية حديثه: هل لك أن تصحبنا -يا أبا حازم- فتصيب منا وتصيب منك، تأخذ منا وتعطينا؟

فقال: كلا يا أمير المؤمنين.

قال الخليفة: ولِمَ؟!

فقال: أخشى أن أركن إليكم قليلًا فيذيقنى الله ضِعف الحياة وضِعف

---

(١) أحمق الناس: أفسدهم فكرًا وعملًا.

الممات.

فقال الخليفة: ارفع لنا حاجتك يا أبا حازم.

فسكت ولم يُجب.

فأعاد الخليفة عليه قوله: ارفع لنا حاجتك يا أبا حازم نقضها لك مهما كانت.

فقال: حاجتى أن تُنقذنى من النار وتُدخلنى الجنة.

فقال الخليفة: ذلك ليس من شأنى يا أبا حازم.

فقال أبو حازم: ما لى من حاجة سواها يا أمير المؤمنين [(١)].

فقال الخليفة: أُدْعُ لنا يا أبا حازم.

فقال: اللهم إن كان عبدك سليمان من أوليائك فيسره إلى خيرى الدنيا والآخرة، وإن كان من أعدائك فأصلحه واهده إلى ما تحب وترضى.

فقال رجل من الحاضرين: بئس ما قلت منذ دخلت على أمير المؤمنين، فلقد جعلت خليفة المسلمين من أعداء الله وآذيته.

فقال أبو حازم: بل بئس ما قلت أنت، فلقد أخذ الله على العلماء العهد والميثاق بأن يقولوا كلمة الحق، فقال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[(٢)].

ثم التفت أبو حازم الأعرج (سلمة بن دينار) وقال له: يا أمير المؤمنين، إن الذين مضوا قبلنا من الأمم الخالية ظلوا فى خير وعافية ما دام أُمراؤهم

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ٣٣٥).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٨٧).

يأتون علماءهم رغبة فيما عندهم من علم.

ثم وُجد قوم من أراذل الناس وسفهائهم تعلَّموا العلم وأتوا به الأمراء يريدون أن ينالوا به شيئًا من عرض الدنيا، فاستغنت الأمراء عن العلماء، فتعسوا، ونكسوا، وسقطوا من عين الله ﷻ، ولو أن العلماء زهدوا فيما عند الأمراء لرغب الأمراء فى علمهم، ولكنهم رغبوا فيما عند الأمراء فزهدوا فيهم وهانوا عليهم.

فقال الخليفة سليمان بن عبد الملك: صدقت يا أبا حازم.

ثم أضاف - وابتسامة تشرق على وجهه -: زدنى يا أبا حازم من موعظتك، فما رأيت أحدًا الحكمة أقرب إلى فمه منك.

فقال: إن كنت من أهل الاستجابة فقد قلت لك ما فيه الكفاية، وإن لم تكن من أهلها فما ينبغى لى أن أرمى عن قوسٍ ليس لها وتر.

فقال الخليفة: عزمت عليك وأقسمت عليك أن توصنى يا أبا حازم.

فقال: نعم سوف أوصيك وأوجز....، عَظِّم ربك ﷻ وَنَزِّههُ أن يراك حيث نهاك، وأن يفقدك حيث أمرك.

ثم سلَّم سلمة بن دينار على أمير المؤمنين وانصرف عائدًا بعد أن ودَّعه أمير المؤمنين قائلًا: جزاك الله خيرًا من عالمٍ ناصح.

ما كاد سلمة بن دينار يصل إلى داره حتى لحق به رسول أمير المؤمنين ورجل من رجاله يقول له: يا أبا حازم قد بعث أمير المؤمنين لك بهذه الصُّرة.

قال: وما بها؟

قال: إنها صرة مُلئت بمئات الدنانير، ويقول لك أمير المؤمنين: أنفقها

ولك مثلها كثير عندى.

فردَّها سلمة بن دينار وكتب إليه يقول: يا أمير المؤمنين، أعوذ بالله أن يكون سؤالك إياى هزلًا، ورَدِّى عليك باطلًا، فوالله ما أرضى ذلك يا أمير المؤمنين لك، فكيف أرضاه لنفسى؟!

يا أمير المؤمنين إن كانت هذه الدنانير حقًّا لى فى بيت مال المسلمين فهل سويت بينى وبين الناس جميعًا فى هذا الحق؟! [1].

(١) حلية الأولياء (٣/ ٢٣١ - ٢٣٣).

هارون الرشيد والفضيل بن عياض

۞ قال الفضيل بن الربيع: حج أمير المؤمنين الرشيد، فأتاني فخرجت مسرعًا، فقلت: يا أمير المؤمنين!.. لو أرسلت إليَّ أتيتك.

فقال: ويحك! قد حك في نفسي شيء، فانظر لي رجلًا أسأله.

فقلت: ها هنا سفيان بن عيينة.

فقال: امض بنا إليه.

فأتيناه فقرعنا الباب.

فقال: من ذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين.

فخرج مسرعًا فقال: يا أمير المؤمنين! لو أرسلت إليَّ أتيتك.

فقال: خذ لما جئناك له رحمك الله.

فحدثه ساعة، ثم قال له: عليك دَين؟ فقال: نعم.

فقال: أبا عباس! اقض دينه.

فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئًا، انظر لي رجلًا أسأله.

قلت: ها هنا عبد الرزاق بن همام.

قال: امض بنا إليه، فأتيناه، فقرعنا الباب.

فخرج مسرعًا فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين.

فقال: يا أمير المؤمنين! لو أرسلت إليَّ أتيتك.

فقال: خذ لما جئناك له.

فحدثه ساعة: ثم قال: عليك دَين؟ فقال: نعم.

قال: أبا العباس! اقض دَينه.

فلما خرجنا قال: ما أغنى عنى صاحبك شيئًا، انظر لى رجلًا أسأله.

قلت: ها هنا الفضيل بن عياض.

قال: امض بنا إليه.

فأتيناه فهذا هو قائم يصلى يتلو آية من القرآن يرددها.

فقال: اقرع الباب، فقرعت الباب، فقال: من هذا؟

فقلت: أجب أمير المؤمنين.

فقال: ما لى ولأمير المؤمنين.

فقلت: سبحان الله! أما عليك طاعة.

فنزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة، فأطفأ السراج، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت.

فدخلنا، فجعلنا نجول بأيدينا عليه، فسبقت كف هارون قبلى إليه.

فقال: يا لها من كف ما ألينها إن نجت غدًا من عذاب الله - عز وجل.

فقلت فى نفسي: ليكلمنه الليلة بكلام نقى من قلب تقى.

فقال له: خذ لما جئناك به - رحمك الله.

فقال الفضيل: إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة، دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظى، ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إنى قد ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا علىَّ، فعدَّ الخلافة بلاءً، وعددتها أنت وأصحابك نعمة.

فقال سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله، فصم عن الدنيا، وليكن إفطارك منها الموت.

وقال له محمد بن كعب القرظى:إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المؤمنين عندك أبًا، وأوسطهم عندك أخًا، وأصغرهم عندك ولدًا.

وقال له رجاء بن حيوة:إن أردت النجاة غدًا من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إذا شئت.

وإنى أقول لك:فإنى أخاف عليك أشد الخوف، يومًا تزل فيه الأقدام، فهل معك رحمك الله مثل هذا، أو من يشير عليك بمثل هذا.

فبكى هارون بكاءً شديدًا حتى غُشى عليه.

فقلت له:ارفق بأمير المؤمنين.

فقال:يا ابن الربيع، تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا!!

ثم أفاق:فقال له: زدنى - رحمك الله.

فقال:يا أمير المؤمنين! بلغنى أن عاملًا لعمر بن عبد العزيز شكا إليه، فكتب إليه عمر: يا أخى أذكرك طول سهر أهل النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء، قال: فلما قرأ الكتاب، طوى البلاد، حتى قدم على عمر بن عبد العزيز، فقال له: ما أقدمك؟

قال:خلعت قلبى بكتابك، لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله ﷻ

قال:فبكى هارون بكاءً شديدًا، وقال له: زدنى - رحمك الله.

قال:يا حسن الوجه، أنت الذى يسألك الله ﷻعن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتمسى وفى قلبك غشّ لأحد من رعيتك، فإن النبى ﷺقال: «**من أصبح لهم غاشًا؛ لم يرح رائحة الجنة**».

فبكى هارون وقال له: عليك دَين؟

قال: نعم، دَين لربى يحاسبنى عليه، فالويل إن سألنى، والويل لى إن ناقشنى، والويل لى إن لم أُلَهم حُجتى.

قال: إنما أعنى من دَين العباد.

قال: إن ربى لم يأمرنى بهذا، إنما يأمرنى أن أصدق وعده وأطيع أمره، فقال ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[1].

فقال له: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك، وتقوَّ بها على عبادتك.

فقال: سبحان الله! أنا أدلك على طريق النجاة، وأنت تكافئنى بمثل هذا سلمك الله ووفقك، ثم صمت فلم يكلمنا.

فخرجنا من عنده، فلما صرنا على الباب، قال هارون: إذا دللتنى على رجل فدلنى على مثل هذا، هذا سيد المسلمين.

فدخلت عليه امرأة من نسائه، فقالت: يا هذا! قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال فتفرجها به.

فقال لها: مثلى ومثلكم، كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه، فأكلوا لحمه.

فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبل المال.

فلما علم الفضيل خرج فجلس فى السطح على باب الغرفة، فجاء

(١) سورة الذاريات- الآيات: (٥٦ - ٥٨).

هـارون، فجلـس إلـى جنبـه فجعـل يكلمـه فـلا يجيبـه، فبينـا نحـن كـذلك، إذ خرجـت جاريـة سـوداء، فقالـت: يـا هـذا! قـد آذيـت الـشيخ منـذ الليلـة، فانصرف -رحمك الله-، فانصرف[١].

❊ ❊ ❊

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٨).

إن كان هو لا يدري فإن الله يدري

لقد كان الربيع رجلًا كريمًا سخيًّا في بيته، إذا جاءه سائل يقول: أطعموهُ سُكَّرًا فإن الربيع يحب السُّكر.

وذات يوم كان يأخذ مجلسه من الطعام وقد جاء ابنه يقول: يا أبت إن أُمي قد صنعت لك طعامًا طيبًا فيه حلوى تحبُّه، وتود أن تأكل منه فقال: هاته يا بُني.

فانصرف الفتى يحضر الطعام، وجاء سائل يطرق الباب فقال الربيع: ادخل، فدخل السائل وقد كان رجلًا كهلًا ممزق الثياب، وبدا من ملامح وجهه أنه معتوهُ لا يدرى ما يفعل.

وأقبل الفتى بالطعام المحبَّب إلى قلب أبيه الربيع بن خثيم، فأشار إليه أبوه بأن يضع الطعام بين يدى السائل؛ ففعل الفتى.

فأقبل السائل على الطعام يلتهمه التهامًا، وظل على حاله حتى أتى عليه كله فلم يُبقِ منه شيئًا.

فامتعض ابنه وقال: أبعد تعب أمي يا أبى تعطيه للسائل، إنه لا يدرى الحلو من المر.

فقال الربيع: على رِسلك يا بُنى، إذا كان هو لا يدرى فإن الله يدرى، أما سمعت يا بنى قول الله ﷻ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1].

فانصرف الفتى مقتنعًا بما نصحه به أبوه.

۞ وفى يوم من الأيام اشتهى الربيع أن يأكل لحم الدجاج فأخذ يقاوم

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٩٢).

نفسه أربعين يومًا... ثم قال لامرأته: والله لقد اشتهيت لحم دجاج منذ أربعين يومًا، فكففتُ نفسى رجاء أن تكف فأبت. فقالت امرأته: سبحان الله! وأىُّ شىءٍ هذا فتكُف نفسك عنه، وقد أحلَّ الله لك. فأرسلت امرأتُه إلى السوق، فاشترت له دجاجة بدرهم ودانقين، فذبحتها وشوتها، وخبزت له خُبزًا، وجعلت له أصباغًا، ثم جاءت بالطعام حتى وضعته بين يديه، فلما ذهب ليأكل قام سائل على الباب فقال: تصدقوا علىَّ بارك الله فيكم. فكَفَّ عن الأكل وقال لامرأته: خذى هذا فَلُفِّيه وادفعيه إلى السائل. فقالت: امرأتُه: سبحان الله! فقال: افعلى ما أمرتك به. قالت: فأنا أصنعُ ما هو خيرٌ له وأحب إليه من هذا. قال: وما هو؟ قالت: نُعطيه ثمن هذا، وتأكلُ أنت لحم الدجاج قال: أحسنت، ائتينى بثمنه. قال: فجاءت بثمن الدجاجة والخبز والأصباغ، فقال: ضعيه على هذا وادفعيه جميعًا إلى السائل[1].

وكان الربيع لا يُعطى السائل أقل من رغيف، ويقول: إنى لأستحى أن يُرى فى ميزانى أقلُ من رغيف[2].

۞ هكذا كان كرمه وسخاؤه - رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة-.

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ٦٤-٦٥).

(٢) صفة الصفوة (٣/ ٦٧).

أمانة تفوق الخيال

۞ قد يشترى تاجرٌ بضاعة ليتاجر فيها.. فإن وجدها صالحة باعها للناس، وإن وجدها فاسدة فإنه يردها فى التوِّ واللحظة لمن اشتراها منه.. أما أن يجد التاجر عيبًا فى تلك السلعة، فلا يبيعها ولا يردها لمن اشتراها منه خوفًا أن يبيعها للناس فيتسبب فى إلحاق الضرر بهم.. ويُؤْثِر أن يسكب تلك السلعة على الأرض ليتخلص منها خوفًا على المسلمين ثم يتحمل ثمنها ويركبه الدَّين ويدخل السجن.. فهذا من أعجب ما قرأت فى حياتى عن تلك الأمانة التى تفوق الخيال.

۞ ولعل القارئ قد تاقت نفسه؛ لأن يعرف مَن هو هذا الرجل الذى فعل هذا؟.

وأقول لك: إنه الإمام الكبير محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ.

لقد تعرض هذا الإمام لابتلاء شديد بسبب صدقه وورعه وأمانته فكانت النتيجة أن يبقى الإمام فترة بين جدران السجون.

۞ وكان سبب حبسه أنه اشترى ذات مرة من رجل زيتًا بأربعين ألفًا مؤجلة الدفع.. فلما فتح أحد زقاق الزيت وجد فيها فأرة ميتة فقال فى نفسه: لقد كان الزيت كله فى المعصرة وفى مكان واحدٍ وقد تكون النجاسة قد أصابت باقى الزيت فلئن بِعتُ الزيت هكذا فقد غششت المسلمين ولئن رددت الزيت للرجل فقد يرمى الفأرة ويبيع الزيت كما هو ويضر المسلمين.

فما كان منه إلا أن سكب الزيت كله وحلَّت به خسارة كبيرة وركبه الدَّين... ومرت الأيام وجاء موعد السداد فلم يكن عنده درهمٌ واحد فما

كان من التاجر إلا أن رفع أمره إلى الوالى الذى أمر بحبس الإمام حتى يسد ما عليه.

فلما رأى السجان زهده وورعه وعبادته أشفق عليه وقال له: أيها الشيخ إذا كان الليل فاذهب إلى أهلك وإذا أصبحت فتعالَ إلىَّ.

فقال له: لا والله.. لا أكون لك عونًا على خيانة السلطان.

وها هو يُغسِّل أنس بن مالك رضي الله عنه

وبينما كان محمد بن سيرين فى السجن كان أنس بن مالك رضي الله عنه فى النزع الأخير فأوصى كل مَن حوله بأن يُغسله محمد بن سيرين ويصلى عليه.. وبعد أيام مات أنس بن مالك خادم الرسول ﷺ.

فذهب الناس إلى الوالى وأخبروه بوصية خادم الرسول ﷺ أنس بن مالك واستأذنوه فى أن يأمر السجَّان بأن يُخلى سبيل محمد بن سيرين ليُغسِّل أنس بن مالك ويُصلى عليه ثم يعود إلى السجن مرة أخرى فأذِن لهم الوالى.. فلما ذهبوا لإخراج محمد بن سيرين من السجن رفض أن يخرج وقال لهم: لا أخرج حتى تستأذنوا صاحب المال؛ لأن الوالى لم يحبسنى وإنما حبسنى صاحب المال.

فذهبوا إلى صاحب المال واستأذنوه فأذِن لهم من أجل إنفاذ وصية أنس بن مالك رضي الله عنه .

فخرج ابن سيرين من السجن وذهب إلى أنس بن مالك فغسَّله وكفَّنه وصلى عليه، ثم عاد إلى السجن مرة أخرى دون أن يذهب إلى أهله ليطمئن عليهم ويراهم.

أمنياتٌ غالية

۞ عن ابن أبى الزناد عن أبيه قال: اجتمع فى الحجر مصعب، وعبد الله، وعروة بنو الزبير، وابن عمر، فقالوا: تمنّوا، قال عبد الله: أما أنا فأتمنى الخلافة، وقال عروة: أتمنى أن يؤخذ عنى العلم، وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إمرة العراق، والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين، وأما ابن عمر فقال: أتمنى المغفرة، فنالوا ما تمنّوا، ولعل ابن عمر قد غُفر له(١).

۞ وجاء فى رواية أخرى أن عبد الملك بن مروان كان بدلًا من عبد الله ابن عمر وهو الذى تمنى الخلافة.

- فقد جلس عبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعروة بن الزبير وعبد الملك بن مروان بالقرب من الركن اليمانى ودار الحديث بينهم.

فقال قائل منهم: ما رأيكم فى أن يتمنى كل واحد منا أمنية لعل الله أن يحققها له.

فأخذ كل واحدٍ منهم يفكر فى أغلى أمنية يتمناها على الله.. عسى الله أن يحققها له فى القريب العاجل.

فقال عبد الله بن الزبير: أتمنى أن أملك الحجاز وأن أنال الخلافة فأُصبح خليفة على المسلمين.

وقال أخوه مصعب بن الزبير: أما أنا فأتمنى أن أملك العراقين(٢).

وقال عبد الملك بن مروان: أما أنا فأتمنى أن أنال الخلافة بعد معاوية بن

---

(١) رواه أبو نُعيم فى الحلية (٢/ ١٧٦)، وذكره الذهبى فى السير (٤/ ٤٣١).

(٢) أى: الكوفة والبصرة.

أبى سفيان.

۞ **وهنا نظروا جميعًا لعروة وقالوا له:** وأنت ماذا تتمنى يا عروة؟ فقال: أتمنى أن أكون عالمًا أُعلِّم الناس كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأن أفوز برضوان الله وجنته.

۞ ثم دارت الأيام.. وإذا بعبد الله بن الزبير يُبايَع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية فيحكم مصر والحجاز والعراق واليمن وخُراسان ثم يُقتل بعد ذلك عند الكعبة.

وأما أخوه مصعب بن الزبير فقد تولى إمرة العراق من قِبل أخيه عبد الله... ويُقتل هو الآخر كما قُتل أخوه.

وأما عبد الملك بن مروان فقد آلت إليه الخلافة بعد موت أبيه واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب فأصبح خليفة المسلمين.

۞ وأما عروة بن الزبير فقد تحقق حلمه ونال أمنيته التى كان يسعى إليها بعد سنوات جهدٍ طويلة... فقد عكف على طلب العلم واغتنم فرصة وجود بعض أصحاب الرسول ﷺ فأخذ يطلب العلم على أيديهم ويتتبع مجالسهم حتى روى عن زيد بن ثابت وعلى بن أبى طالب وأبى هريرة وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن عوف وأسامة بن زيد وأبى أيوب الأنصارى.

بل أخذ كثيرًا عن خالته عائشة أم المؤمنين حتى أصبح عالمًا كبيرًا بل صار أحد فقهاء المدينة السبعة الذين نفع الله بهم المسلمين.

أمانة نادرة

۞ لما جلس سعد بن أبى وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فى إيوان كسرى بعد الانتصار الساحق لجيوش المسلمين فى معركة القادسية، أمر بجمع الغنائم وحصرها، ليقسم على المجاهدين نصيبهم، ويرسل الباقى إلى بيت مال المسلمين، وبينما عماله يفعلون ذلك، إذا برجل عليه أثر المعركة يدخل عليهم حاملًا صندوقًا كبيرًا ثقيلًا، مملوءً بالجواهر والدرر والكنوز النفيسة، فوضعه بين يدى العمال، وهمَّ بالانصراف.

فقالوا له فى دهشة عجيبة: أين وجدت هذا الكنز الثمين؟!

فقال: غنمته فى المعركة فى مكان كذا.. فقالوا: وهل أخذت منه شيئًا؟

فقال: هداكم الله.. والله إن هذا بما فيه، وجميع ما ملكته ملوك فارس، لا يساوى عندى قلامة ظفر، ولولا الله، ما رفعته من أرضه، ولا أتيتكم به.

فقالوا: من أنت أكرمك الله؟

فقال: لا والله، لا أخبركم لتحمدونى، ولكنى أحمد الله، وأرجو ثوابه، ثم تركهم ومضى، فأمروا رجلًا منهم أن يتبعه ليتعرف عليه، فلم يعرفه، فسأل عنه، فقالوا: هو زاهد البصرة «عامر بن عبد الله التميمى» رَحِمَهُ اللَّهُ

فرحم الله هذا التابعى الجليل، ورضى الله عن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين.

جزاء الأمانة

۞يُحكى أن أحد الأمراء خرج فى يوم من الأيام من قصره ليطمئن على أحوال رعيته، فظل يسير ساعات طوال حتى اشتد به التعب فجلس يستريح تحت ظل شجرة، وبينما هو كذلك إذا بغلام قوى الجسم يسوق أغنامًا كثيرة أمامه.

فلما رآه الأمير استوقفه، وقال له: يا غلام، إن أغنامك سمينة ونظيفة، وأريدك أن تبيعنى واحدة منها، فقال له الغلام: إن الغنم ليست ملكى، ولو كانت ملكًا لى لأهديتك منها ما تريد، فقال له الأمير: إن سيدك لا يرانا الآن فأعطنى طلبى ولا تخف، فقال له الغلام: وماذا أقول لسيدى عندما أعود إليه؟!

فقال الأمير: قل له إن الذئب خطف واحدة وهرب.

غضب الراعى الأمين من قول الأمير، وقال له: وإذا صدقنى صاحب الغنم فماذا أقول لربى الذى يسمعنا ويرانا؟! اتركنى أيها الرجل لأرعى غنمى فى سلام، وساق الغُلامُ أغنامه أمامه فى عِزَّةٍ وإباء، فأُعجب به الأمير، وقرر أن يسير خلفهُ، فلما وصلا إلى صاحب الغنم تقدم الأمير نحوه، وقال له: يا صاحب الغنم أريد أن اشترى منك هذا الغلام الأمين، وكل ما عندك من أغنام، فقال له صاحب الغنم: طلبك لا يُرد يا أمير البلاد، ثم نظر الأمير إلى الغلام، وقال له: يا بنى أنت حر لوجه الله، وهذه الأغنام هدية لك نظير أمانتك وإخلاصك[١].

---

(١) الأمانة/ أ. سلامة محمد سلامة (ص: ١١).

وهذه قصة أخرى

كان هناك رجل فقير يعيش مع زوجته وأولاده فى مكة المكرمة... وكانت زوجته صائمة قائمة خاشعة لله (جل وعلا).

وفى يوم من الأيام اشتد الجوع بالزوج وزوجته فقالت له: اخرج والتمس لنا طعامًا حتى لا نموت من الجوع.

فخرج الزوج يبحث عن صديق يقترض منه مالًا فلم يجد... فدخل بيت الله الحرام وأمسك بأستار الكعبة وأخذ يدعو ويقول: اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عمن سواك.

وبينما هو خارج من الحرم إذ وجد كيسًا مغلقًا ففتحه فوجد به ألف دينار ففرح به وأخذه إلى زوجته ليسألها ماذا تريد من ألوان الطعام.

فقالت له الزوجة: ارجع إلى الحرم واسأل عن صاحب الكيس فإن هذا لا يحل لنا أن نأخذه.

فعاد الرجل إلى الحرم فسمع رجلًا ينادى: من وجد كيسًا صفته كذا وكذا؟

فقال له الرجل الفقير: أنا وجدت الكيس لكن أخبرنى عن المال الذى بداخله.

فقال له: إنها ألف دينار.

فقال الرجل الفقير: نعم إنها ألف دينار فخذ الكيس بارك الله فيك.

فقال له الرجل: بل هو لك هدية وخذ فوقه تسعة آلاف دينار أخرى ليكون معك عشرة آلاف دينار.

فتعجب الرجل الفقير وقال: أتسخر منى أم تتكلم بصدق؟

قال الرجل: والله أنا لا أسخر منك ولكنى أعمل عند رجل غنى فأراد أن يتصدق بهذا المال ولكنه يريد أن يطمئن أن المال قد وصل لمن يستحق... فقال لى: ضع ألف دينار فى كيس واتركه فى الحرم ثم نادِ بعد ذلك فإذا جاءك الذى أخذ الكيس وأعطاه لك فأعطه باقى الدنانير لأنه رجل أمين... والأمين يأكل ويتصدق على الناس فيكون بذلك قد وصل المال لمن يستحق.

فأخذ الرجل الفقير المال كله وأحضر الطعام لزوجته وأولاده واحتفظ لأسرته بجزء من المال وتصدق بباقى المال على إخوانه الفقراء من حوله.

هكذا يكون الوُلاة

أمضى عُمير بن سعد عامًا كاملًا فى ولايته على حمص بالشام، ولم تصل إلى عمر أية أخبار عنه طوال هذه المدة، ولم يرسل عُمير الخَراج إليه، ولا تصل عنه أية أنباء! فقال عمر لكاتبه: اكتب إلى عُمير فإنى أخاف أن يكون خاننا، وأرسل إليه يستدعيه.

وذات يوم شهدت شوارع المدينة رجلًا أشعث أغبر تغشاه وعثاء السفر، يكاد يقتلع قدميه من الأرض اقتلاعًا من طول ما لاقى من عناءٍ وبَذَل من جهدٍ... على كتفه اليمنى جراب وقصعة، وعلى كتفه اليسرى قِربة صغيرة فيها ماء...، وإنه ليتوكأ على عصا لا يؤودها حمله الضامر الوهنان.

ودلف إلى مجلس عمر فى خطوات وئيدة، وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين... ويرد عمر السلام، ثم يسأله وقد آلمه ما رآه عليه من جهد وإعياء: ما شأنك يا عمير؟! قال: شأنى ما ترى، ألست ترانى صحيح البدن ظاهر الدم معى الدنيا أَجُرُّها بقرنيها؟! قال عمر: وما هذا الذى معك؟

قال عمير: معى جرابى أحمل فيه زادى، وقصعتى آكل فيها، وإداوتى[1] أحمل فيها وضوئى وشرابى، وعصاى أتوكأ عليها، وأجاهد بها عدوًّا إن عرض لى، فوالله ما الدنيا إلا تبعٌ لمتاعى!!.

قال عمر: أجئت ماشيًا؟!

قال: نعم.

---

(١) الإداوة: إناء من جلد يُحمل فيه الماء.

قال عمر: أَوَ لم تجد من يتبرع لك بدابة تركبها؟

قال: إنهم لم يفعلوا...، وإنى لم أسألهم!

قال عمر: فماذا عملت فيما عهدنا إليك به؟

قال عمير: أتيتُ البلد الذى بعثتنى إليه، فجمعتُ صُلحاء أهله، ووليتهم جباية الأموال، حتى إذا جمعوها وضعتها فى مواضعها، ولو بقى لك منها شىء لأتيتك به.

قال عمر: فما جئتنا بشىء؟

قال: لا.

قال عمر: وهو منبهر سعيد: جَدِّدوا لعمير عهدًا[١].

قال عمير: تلك أيام قد خلت، لا عملتُ لك ولا لأحدٍ بعدك.

ثم استأذن، فأذن له فرجع إلى منزله وبينه وبين المدينة أميال.

بعد أن انصرف عمير بعث عمر رجلًا يقال له الحارث وأعطاه مائة دينار وقال: انطلق إلى عمير حتى تنزل به كأنك ضيف، فإن رأيت أثر شىء فأقبل... وإن رأيت حالًا شديدًا فادفع إليه هذه المائة دينار، فانطلق الحارث فإذا هو بعمير جالس يفلى قميصه إلى جنب الحائط، فقال له عمير: انزل رحمك الله. فنزل ثم سأله فقال من أين جئت؟ قال: من المدينة. فقال كيف تركت أمير المؤمنين، فقال: صالحًا، قال: فكيف تركت المسلمين؟ قال: صالحين. قال: أليس يقيم الحدود، قال: بلى ضرب ابنًا له على فاحشة فمات من ضربه. فقال عمير: اللهم أعِن عمر فإنى لا أعلمه إلا شديدًا حبه لك.

---

(١) جددوا له الولاية على حمص مرة أخرى.

نزل الحارث به ثلاثة أيام وليس لهم إلا قرصة من شعير كانوا يخصونه بها[١] ويطوون[٢] حتى أتاهم الجهد. فقال له عمير: إنك قد أجعتنا فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل،... فأخرج الدنانير فدفعها إليه فقال: بعث أمير المؤمنين إليك هذه فاستعن بها. فصاح وقال: لا حاجة لى فيها فَرُدَّها فقالت له امرأته: إن احتجت إليها وإلا فضعها فى مواضعها. فقال عمير: والله ما لى شىء أجعلها فيه، فشقَّت المرأة أسفل درعها فأعطته خرقة فجعلها فيها، ثم خرج فقسمها بين أبناء الشهداء والفقراء.

ثم رجع الحارث إلى عمر فقال له عمر: ما رأيت؟ قال: يا أمير المؤمنين رأيت حالًا شديدًا، قال: فما صنع بالدنانير؟ قال: لا أدرى، فكتب عمر إلى عمير: إذا جاءك كتابى هذا فلا تضعه من يدك حتى تُقْبِل، فأقبَل إلى عمر فدخل عليه، فقال له عمر: ما صنعتَ بالدنانير؟ قال: صنعت ما صنعت وما سؤالك عنها؟ قال: أُقسم عليك لتُخبرنى ما صنعتَ بها، قال: قدَّمتها لنفسى[٣] قال: رحمك الله...، فأمر لى بوسقٍ من طعام وثوبين، فقال: أما الطعام فلا حاجة لى فيه، قد تركتُ فى المنزل صاعين من شعير، إلى أن آكل ذلك يكون قد جاء الله بالرزق،... ورفض عمير أن يأخذ الطعام، وأما الثوبان فأخذهما وقال: إن أم فلان عارية، فأخذهما ورجع إلى منزله.

---

(١) أي: الضيف.

(٢) لا يأكلون هم.

(٣) تصدقت بها.

قمة في المروءة

۞ عن عَلِيّ بن زيد كاتب العباس بن المأمون، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاق ابن إبراهيم الموصلى، قَالَ: حَدَّثَنِي أبى، قَالَ: حج الرشيد ومعه جعفر ابن يَحْيَى البرمكى، قَالَ: وكنت معهم، فلما صرنا إِلَى مدينة الرسول ﷺ قَالَ لى جعفر بن يَحْيَى: أحب أن تنظر لى جارية، ولا تُبْقِى غَايَةً فِى حَذَاقَتِهَا بِالْغِنَاءِ وَالضَّرْبِ، وَالْكَمَالِ فِى الظرْفِ وُالأَدَبِ، وجنبنى قولهم صفراء.

قَالَ: فوضعتها عَلَى يد من يعرف، قَالَ: فَأُرْشِدْتُ إِلَى جَارِيَةٍ لِرَجُلٍ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَرَأَيْتُ رُسُومَ النِّعْمَةِ، وأخرجها إِلَيَّ فلم أرَ أجمل منها، ولا أصبح مِنْهَا، ولا آدب، قَالَ: ثم تغنَّت لى أصواتًا فأجادتها، قَالَ: فقلت لصاحبها: قل ما شئت.

قَالَ: أقول لك قولًا لا أنقص منه درهمًا، قَالَ: قُلْتُ: قل، قَالَ: أربعين ألف دينار، قَالَ: قُلْتُ: قد أخذتها واشترطت عليك نظرة، قَالَ: ذاك لك، قَالَ: فأتيت جعفر بن يَحْيَى، فقلت: قد أصبت حاجتك عَلَى غاية الكمال، والظرف والأدب والجمال، ونقاء اللون، وجودة الضرب والغناء، وقد اشترطت نظرة، فاحمل المال وسِرْ بنا، قَالَ: فحملنا المال عَلَى حمالين، وجاء جعفر مستخفيًا، فدخلنا عَلَى الرجل فأخرجها، فلما رآها جعفر أُعجب بها، وعرف أن قد صدقته، ثم غنَّته فازداد بها عجبًا، فَقَالَ لى: اقطع أمرها، فقلت لمولاها: هذا المال قد نقدناه ووزنَّاه، فإن قنعت وإلا فوجِّه إِلَيَّ مَن شئت لينقده.

فَقَالَ: لا بل أقنع بما قلتم.

قَالَ: فَقَالَتِ الجارية: يا مولاى فِى أى شىء أنت؟ فَقَالَ: قد عرفت ما كنا فيه من النعمة، وما كنت فيه من انبساط اليد، وقد انقبضت عَنْ ذلك لتغيُّر الزمان علينا، فقدرت أن تصيرى إِلَى هذا الملك فتنبسطى فِى شهواتك وإرادتك.

فَقَالَتِ الجارية: والله يا مولاى لو ملكتُ منك ما ملكت منى ما بعتك بالدنيا وما فيها، وبعد فاذكر العهد (وقد كان حلف لها أن لا يأكل لها ثمنًا)، قَالَ: فتغرغرت عين المولى، وَقَالَ: اشهدوا أنها حرة لوجه الله، وأنى قد تزوجتها وأمهرتها دارى.

فَقَالَ لى جعفر: انهض بنا.

قَالَ: فدعوت الحمَّالين ليحملوا المال، قَالَ: فَقَالَ جعفر لا والله، لا يصحبنا منه درهم، قَالَ: ثم أقبل عَلَى مولاها، فَقَالَ: هو لك مباركًا لك فيه، أنفقه عليها وعليك.

قَالَ: وقمنا فخرجنا[1].

(١) أخرجها الخطيب في تاريخ بغداد (٧/ ١٥٥)، وابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق (١/ ٧٩٤)

اشتريت لك بيتًا في الجنة!!

۞ قال السرى بن يحيى: قَدِم رجلٌ من أهل خُراسان وقد باعَ ما كان له بها، وهَمَّ بسُكْنى البصرة ومعه عشرةُ آلاف درهم فلما قدم البصرة وهَمَّ بالخروجِ إلى مكة هو وامرأتُه سأل لمن يُودع العشرةَ آلاف درهم؟ فدُفع إلى حبيب، فأحضرها عنده. وقال: أردت أن أشترى بها منزلًا بالبصرة، فإن وجدتَ منزلًا ويخفُّ عليك أن تشترىَ لنا بها فعلت. فسار الرجلُ إلى مكة، فأصابَ الناسَ بالبصرة مجاعة، فشاور حبيبٌ أصحابَهُ أن يشترىَ بالعشرة آلاف دقيقًا ويتصدَّق به، فقالوا: إنما وضعها لتشترىَ بها منزلًا. فقال: أتصدَّقُ بها وأشترى له بها منزلًا من ربى ﷻ فى الجنة، فإن رضى وإلا دفعتُ إليه دراهمَه.

قال: فاشترى دقيقًا وخَبزَهُ وتصدَّق به. فلما قدِم الخراسانيُّ من مكة أتى حبيبًا. فقال: يا أبا محمد! أنا صاحبُ العشرةِ آلاف درهم، فما أدرى أشتريتَ لنا بها منزلًا أو تردّها علىَّ فأشترى أنا بها؟ فقال: لقد اشتريتُ لك منزلًا فيه قصورٌ وأشجارٌ وثمارٌ وأنهارٌ. فانصرف الخراسانيُّ إلى امرأته فقال: فقد اشترى لنا حبيبٌ منزلًا أراهُ كان لبعض الملوك، قد عظَّم أمرَهُ وما فيه. فأقام يومين أو ثلاثة ثم أتى حبيبًا، فقال: يا أبا محمد! المنزل؟ فقال: فقد اشتريتُ لك من ربِّى ﷻ منزلًا فى الجنة بقصورِه وأنهارِه ووُصَفائه. فانصرف الرجلُ إلى امرأته فقال لها: إن حبيبًا إنما اشترى لنا من ربِّه المنزل فى الجنة. فقالت: يا أبا فلان! أرجو أن يكون قد وَفَّقَ الله حبيبًا، وما قَدْرُ ما يكونُ لبْثُنا فى الدنيا، فارجع إليه فليكتب لنا كتابًا بعُهْدَةِ المنزل.

قال الخُراسانى: فأتيتُ حبيبًا فقلت له: يا أبا محمد! قد قبِلْنا ما اشتريتَ

لنا، فاكتب لنا كتابَ عُهْدَة. فدعا من يكتب له الكتاب فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اشترى حبيبٌ أبو محمد من ربِّه ﷻ لفلانٍ الخراسانى،... اشترى له منزلًا فى الجنَّة بقصورِهِ وأنهارِهِ وأشجاره ووصفائه ووصيفاته بعشرةِ آلاف درهم، راجيًا من ربه تعالى أن يدفع هذا المنزل إلى فلان الخراسانى ويُبرئَ حبيبًا من عُهْدَتِه.

فأخذ الخراسانيُّ الكتاب وانطلق به إلى امرأته فدفعه إليها.

وأقام الخراسانى نحوًا من أربعين يومًا. ثم حضرَتْهُ الوفاة، فأوصى امرأتَه إذا غسَّلتمونى وكفَّنتمونى فادفعوا هذا الكتابَ إليهم يجعلونه فى أكفانى. ففعلوا ودُفن الرجل الخراسانى.

۞ فرأتْ زوجته فى المنام من يقول لها: بَرَاءَةٌ لِحَبِيبٍ أَبِى مُحَمَّدٍ مِنَ الْمَنْزِلِ الَّذِى اشْتَرَاهُ لِفُلَانٍ الْخُرَاسَانِىِّ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ. فَقَدْ دَفَعَ رَبُّهُ إِلَى الْخُرَاسَانِىِّ مَا شَرَطَ لَهُ حَبِيبٌ وَأَبْرَأَهُ مِنْهُ. فأرسلت إلى حَبِيبٍ من يقص عليه تلك الرؤيا، فَجَعَلَ حبيب يَمْشِى إِلَى أَصْحَابِهِ وَيَقُولُ: هَذِهِ بَرَاءَتِى مِنْ رَبِّى ﷻ[1].

۞۞۞

(١) الحلية (٦/ ١٥٠-١٥٢) بتصرف.

ما ولدت العرب أكرم منك

❁ قال إبراهيم بن مخرمة:

قصدت رجلًا من أهل البيت المعروفين بالكرم والجود لأنال من فضله شيئًا، وأظفر من سخائه بنصيب، فوجدت على بابه حاجبًا يدفع الناس عنه ويحول بينهم وبين لقائه، فمنعنى من الدخول عليه، وقال: والله ما أوقفنى على بابه هذا الموقف إلا لأمنعك أنت وأمثالك لا بُخلًا منه ولا شُحًّا بماله ولكن لقصور يده ورِقّة حاله، قال الرجل: فلم يقنعنى قول الحاجب وقلت: أحتال لنفسى حتى أُبلغه حاجتى، فدسست إليه هذا البيت مع أحد خدمه وكتبته فى رقعة بعثت إليه بها، وكان هذا البيت:

إذا كان الكريم له حجاب ... فما فضل الكريم على اللئيم

فأرسل إلىَّ مع خادمه رقعة مكتوب فيها هذا البيت جوابًا على بيتى:

إذا كان الكريم قليل مال ... تحرَّز بالحجاب عن الغريم

ثم عاد الخادم ومعه كيس فيه ألف دينار، قال الرجل: فأخذتها فرحًا مسرورًا وحمدت الله على نجاح سعيي وبلوغ أملى وقلت: والله لأُتحفن أمير المؤمنين المأمون بهذه القصة، فلما رآنى قال: من أين يا إبراهيم؟

فقلت: من عند رجل هو من أكرم الناس يدًا وأسخاهم كفًّا حاشا أمير المؤمنين، فقال الخليفة: ومن هو يا ترى؟ فأخرجت له الرقعة التى بها الشعر والصرة التى بها المال وقصصت عليه القصة كما وقعت، فلما تأمل المأمون الصرة والخاتم الذى عليها، قال: إن هذه الدنانير من بيت المال ولابد من إحضار الرجل إلى مجلسى الساعة، قال إبراهيم: فتوسلت إليه

ألا تُزعجه بسلطانك ولا تُرهبه بأعوانك، فبعث إليه أحد خاصته، فلما حضر إلى مجلسه، قال له المأمون: يا هذا – ألست الذى شكوت لنا حالك بالأمس وذكرت لنا فقرك فدفعنا إليك هذا المال، فقصدك هذا الرجل ببيت من الشعر فدفعت الكيس مختومًا إليه، فقال الرجل: نعم يا أمير المؤمنين والله ما كذبتك فيما شكوت لك ولكننى استحييت من الله أن أُعيد قاصدى إلا كما أعادنى أمير المؤمنين ولقد قصدت بذلك وجه الله، وقلت فى نفسى لعله أشد احتياجًا منى، ولعل وراءه أولادًا يتضورون جوعًا، أو نساءً يتوارين عريًا، ... فاعتدل المأمون فى جلسته وقال له: لله أنت ما ولدت العرب أكرم منك، ثم أمر له بألفين من الدنانير وجعله من خاصته المقربين.

وما أنفقتم من شيء فهو يُخلفه

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[1]، وقال ﷺ: «**ثلاثٌ أقسم عليهن: ما نقص مالٌ من صدقة...**»[2].

جاء فى كتب التاريخ أن وزير المهدى واسمه سوار كان مُحبًّا لفعل الخير، مُغرمًا باصطناع المعروف، وكان أمير المؤمنين الخليفة العباسى يحبه كثيرًا ويأنس إليه، ويتوسم فيه حب الخير وقضاء الحوائج للناس، وقد وقعت له قصة عجيبة تدل على مبلغ حبه للخير، وحرصه على اصطناع المعروف، وإسداء الجميل حتى لمن لم يعرفهم فقال: انصرفت من عند الخليفة إلى منزلى لأستريح من عناء العمل وأعباء الوزارة فلما استقر بى المقام فى بيتى دعوت بطعام فأحضروه لى، وكان أشهى ما يكون طعامًا وأحدث ما يكون فاكهة فلم تُقبِل على المائدة نفسى فرفعوا المائدة فانصرفت إلى مخدعى أنشد الراحة وابتغى النوم فكأنما كان بكل شبر منه مُدية -سكين- أو كما يقول القائل يصف فراشًا قلقًا لا يطمئن صاحبه إليه:

رشقت به في كل جنب مدية[3] وانساب فيه بكل ركن أرقم[4]

فلما جفانى النوم، وأخذنى القلق هتفت بسائس الخيل فأعدَّ لى جوادًا فارهًا فركبته وانطلقت إلى جهة مبهمة لا أعلمها، واتفق أن قابلنى وكيلى القائم على شئونى، وكان معه مال كثير لى يزيد على ألف دينار فلما رأيته

---

(١) سورة سبأ: الآية: (٣٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٢٤).

(٣) المدية: هي السكين الحامية.

(٤) والأرقم: هو الثعبان وهما كناية عن شدة القلق.

قلت له: اتبعنى، فإن نفسى قد أخذها الملل. فانطلقنا معًا إلى غير جهة معلومة، وما زلت أسعى ويسعى معه الوكيل حتى انتهينا إلى قصرٍ عظيم وكان العطش قد نال منى كل منال، فملت إلى هذا القصر فاستسقيتهم فسقونى من قُلة نظيفة وهم لا يعرفوننى وكان قريبًا من هذا القصر مسجد مأموم فقصدته لأصلى فيه العصر. وبينما أنا فى طريقى إليه أبصرت رجلًا أعمى يتلمس الطريق إلى المسجد فأخذت بيده، فلما دخلنا المسجد قلت له يا أخى ألك حاجة؟ قال: نعم، لى إليك حاجة ماسة وقد يقضيها الله على يديك، فقلت: وما حاجتك؟ فقال الرجل: وكان ذكيًا لبيبًا، وفطنًا أريبًا: يا سيدى إن ريحك طيب، ومروءتك حية، وروحك شفاف فظننك من أهل النعمة فأردت أن أحدثك بحاجتى،... فشرح الله صدرى لسماع حديثه، وأيقنت أن الله قد اختارنى لشيء أراده لى، وجنَّدنى له، فقال الرجل المكفوف وهو يشير إلى جهة القصر: يا سيدى ألا ترى باب هذا القصر؟ فقال له: نعم، وما شأنك به؟ فقال: إنه كان مملوكًا لأبى فباعه ثم خرج إلى «خراسان» وكنت معه، ومكثنا به زمنًا حتى زالت عنا النعمة التى كنا نتمتع بها، وبعد أيام مات أبى، وذهب بصرى فعدت إلى «بغداد» وجئت صاحب القصر أسأله شيئًا من نعمته أستعين به على أمرى، وأتوصل بفضله إلى وزير الخليفة «سوار» لأسأله معروفه فإنه كان صديقًا لأبى، قال الوزير: فدُهشت من قوله، وقلت له: ومن أبوك يا أخى؟ فقال: أبى فلان، فعرفته، فإذا هو كان صديقًا لى حقًا وكان من أحب الناس إلىَّ فأقبلت على الرجل وقلت له: يا أخى، وإن الله قد أتاك بسوار حتى أجلسه بين يديك، وقد منعه الطعام، والنوم والراحة حتى جاء به إليك، ثم التفتُّ إلى وكيلى فأخذت

منه المال الذى كان معه فدفعته إلى الرجل ثم قلت له: إذا كان الغد فأتنا أعطيك كل ما تريد. ثم قمت إلى صلاتى، وعُدت مع وكيلى من حيث جئنا، وقلت فى نفسى، والله ما أُحدِّث الخليفة بأعجب ولا أروع من هذا، فلما دخلت عليه حدثته بالقصة فطابت نفسه بها، وسُرَّ قلبه بسماعها، وأجازنى بمالٍ أضعاف ما دفعته لصاحبى فلما كان الغد جاء الرجل فاستأذن علىَّ فأذنت له، ثم قلت له: يا ابن أخى أعليك دَين؟ قال: نعم خمسة آلاف درهم فدفعتها إليه، وعلم الخليفة بمقدمه فأعطاه عشرة آلاف، وأمر لى بمثل عطائه مكافأة على معروفى فقلت له يا ابن أخى إن الله كافأنى على معروفى إليك، وإنى أهبك كل ما وصلنى من أمير المؤمنين.

فخرج الرجل من عندى، ولسانه يلهج بالثناء والدعاء، فترحمت على أبيه وجعلت أنشد هذا البيت:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ... ذخرًا يكون كصالح الأعمال

اذهب فلا تُخبر أحداً

۞ عن يونس بن سليمان البلخي قال: كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف وكان أبوه كثير المال والخدم، فخرج إبراهيم يومًا في الصيد مع الغلمان والخدم والنجائب، فبينا إبراهيم في ذلك وهو على فرسه يركضه، إذا هو بصوت من داخله يقول: يا إبراهيم ما هذا العبث؟ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[1]. اتق الله وعليك بالزاد ليوم الفاقة. قال: فنزل عن دابته ورفض الدنيا وأخذ في عمل الآخرة.

قال بشير بن المنذر: كنت إذا رأيت إبراهيم بن أدهم كأنه ليس فيه روح لو نفخته الريح لوقع قد اسودَّ، متدرع بعباء.

۞ قال إبراهيم بن بشار: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: ما كانت لي مؤنة قط على أصحابي ولا على غيرهم إلا في شيء واحد، فقلت أي شيء يا أبا إسحاق؟ فقال: ما كنت أحسن أكرى نفسي في الحصادين، فيحتاجون إلى أن يكروني، ويأخذون لي الأجرة، فهذه كانت مؤونتي عليهم.

۞ قال ابن بشار: ومضيت مع إبراهيم بن أدهم إلى مدينة يقال لها طرابلس ومعي رغيفان ما لنا شيء غيرهما، وإذا سائل يسأل، فقال لي: ادفع إليه ما معك فتلبثت، فقال لي: مالك؟ أعطِه، فأعطيته وأنا متعجب من فعله، فقال لي: يا أبا إسحاق إنك تلقى غدًا ما لم تلقه قط،واعلم أنك تلقى ما أسلفت ولا تلقى ما خلَّفت، فمهِّد لنفسك فإنك لا تدري متى يفجئوك أمر ربك. قال: فأبكاني كلامه وهون عليَّ الدنيا، فلما نظر إليَّ أبكي، قال: هكذا فكن.

(١) سورة المؤمنون: الآية: (١١٥).

۞ قال ابن بشار: وخرجت أنا وإبراهيم بن أدهم، وأبو يوسف الغسولى، وأبو عبد الله السنجارى، نريد الأسكندرية فمررنا بنهر يقال له: نهر الأردن فقعدنا نستريح، وكان مع أبى يوسف كُسيرات يابسات، فألقاها بين أيدينا فأكلناها وحمدنا الله ﷻ، فقمت أسعى، أتناول ماءً لإبراهيم فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء إلى ركبتيه، فقال بكفَّيه فى الماء فملأهما ثم قال: بسم الله. وشرب الماء ثم قال: الحمد لله، ثم ملأ كفيه، وقال: بسم الله، وشرب الماء، ثم قال: الحمد لله، ثم إنه خرج من النهر فمدَّ رجليه ثم قال: يا أبا يوسف لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا عليه بالسيوف أيام الحياة، فقلت: يا أبا إسحاق طلب القوم الراحة والنعيم، فأخطأوا الطريق المستقيم، فتبسَّم وقال: من أين لك هذا الكلام؟

۞ قال ابن بشار: مررنا مع إبراهيم بن أدهم بمقبرة فتقدم إلى قبر فوضع يده عليه ثم قال. رحمك الله يا فلان، ثم تقدم إلى آخر فقال مثل ذلك، فعل ذلك بسبعة من القبور ثم قام قائمًا بين تلك القبور فنادى يا فلان يا فلان، بأعلى صوته، لقد مُتم وخلفتمونا ونحن بكم سريعًا لاحقون، ثم بكى وغرق فى فكره ثم رجع بعد ساعة فأقبل إلينا بوجهه، ودموعه تنحدر كاللؤلؤ الرطب وقال: إخوتى، عليكم بالمبادرة والجد والاجتهاد، سارعوا وسابقوا فإنَّ نعلًا فقدت أختها سريعة اللحاق بها.

۞ قال شقيق بن إبراهيم: بينا نحن ذات يوم عند إبراهيم بن أدهم إذ مر به رجل، فقال إبراهيم: أليس هذا فلان؟ فقيل: نعم. فقال لرجل: أدركه، فقل له: قال لك إبراهيم: لِمَ لَمْ تُسلِّم؟ فقال له. فقال: والله إن امرأتى

وضعت وليس عندى شىء فخرجت شبه المجنون. قال: فرجعت إلى إبراهيم فقلت له، فقال: إنَّا لله، كيف غفلنا عن صاحبنا حتى نزل به هذا الأمر؟ وقال: يا فلان إيتِ صاحب البستان فاستسلف منه دينارين، فادخل السوق، فاشترِ له ما يصلحه بدينار، وادفع الدينار الآخر إليه.

فدخلت السوق، فأوقرت بدينار من كل شىء، وتوجهت إليه فدققت الباب، فقالت امرأته: من هذا؟ قلت: أنا، أردت فلانًا. قالت: ليس هو هاهنا. قلت: فمُرى بفتح الباب وتنحَّى. قال: ففتحت الباب فأدخلت ما على البعير وألقيته فى صحن الدار وناولتها الدينار، فقالت: على يدى مَن بعث هذا؟ فقلت: قولى على يد أخيك إبراهيم بن أدهم. فقالت: اللَّهم لا تنسَ هذا اليوم لإبراهيم.

۞ **قال شقيق:** وقلت لإبراهيم، يا إبراهيم تركت خُراسان، فقال: ما تهنَّيت بالعيش إلا فى بلاد الشام، أفِرُّ بدينى من شاهق إلى شاهق، ومن جبل إلى جبل، فمن يرانى يقول: هو موسوس، ومن يرانى يقول: هو جمَّال، ثم قال لى: يا شقيق لم ينبُل عندنا مَن نبُل بالحج والجهاد، إنما نبُل من كان يعقل ما يدخل جوفه،يعنى: الرغيفين، من حِلِّه. يا شقيق ماذا أنعم الله على الفقراء؟ لا يسألهم يوم القيامة لا عن زكاة ولا عن حج، ولا عن جهاد، ولا عن صلة رحم، إنما يسأل هؤلاء المساكين (يعنى: الأغنياء).

۞ **قال أحمد بن داود:** مَرَّ يزيد بإبراهيم بن أدهم وهو ينظر، كرمًا (عنبًا)، فقال: ناولنا من هذا العنب، قال: ما أذن لى صاحبه. قال: فقلب السوط، فجعل يقنع رأسه، فطأطأ إبراهيم رأسه، وقال: اضرب رأسًا طالما عصى الله ﷻ، فأعجز الرجل عنه.

۞ وعن على بن بكار: كنا جلوسًا بالمصيصة، وعندنا إبراهيم بن أدهم، فقدم رجل من خراسان، فقال: أيكم إبراهيم بن أدهم؟ فقال القوم: هذا. قال: إن إخوتك بعثونى إليك، فلما سمع ذكر إخوته قام، فأخذ بيديه فنحَّاه، فقال: ما جاء بك؟ فقال: أنا مملوكك، معى فرس وبغلة وعشرة آلاف درهم بعث بها إليك إخوتك، فقال: إن كنت صادقًا فأنت حُرٌّ، وما معك لك، اذهب فلا تُخبر أحدًا،... فذهب.

۞ عن يحيى بن الكُدير بن أسود الكلابى مَن أهل عسقلان قال: كان إبراهيم بن أدهم أجيرًا فى بستان لى سنةً أبتذله فيما يُبتذل[١] الأجير، فزارنى إخوانٌ لى فى بستانى فقلت لإبراهيم: ايتنا بِرُمَّان حلو، فجاء برمان لم نحمده، فقلت له: أنت فى هذا البستان منذ سنة لا تعرف موضع الجيد الحلو من الحامض؟ قال: فأى موضع هو من البستان؟ فوصفته له فأنكرت أمره، وإذا رجل قد أقبل على نجيب[٢] يسأل عن إبراهيم بن أدهم. فأُخبر بمكانه عندى، فنزل إليه فرأيته قد قبَّل يديه وعظَّمه، فقال له إبراهيم: ما جاء بك؟ فقال: مات بعض مواليك فجئتك بميراثه ثلاثين ألف درهم، فقال: ما لكم واتِّباعى؟ فقال الرجل: قد تعنَّيتُ من بلخ فاقبلها منى، فقال للرجل: ابسط إزارك، وصُبَّ عليه ما معك، ففعل، فقال إبراهيم: اقسمه ثلاثة أقسام، فقسمه، فقال: ثلث لك لعنائك من بلخ إلى هاهنا، وثلث اقسمه على المساكين ببلخ، وثلث أنت يا يحيى اقسمه فى مساكين أهل عسقلان[٣].

---

(١) يُبذل: يستخدم.

(٢) النجيب: الفريد الفاضل على مثله في نوعه، وهو هنا يقصد الدابة الأصيلة.

(٣) صفة الصفوة (٤/ ٣٤٢-٣٤٥) بتصرف.

قصة الحلاق مع عطاء وأبي حنيفة

۞ يحكى الإمام الكبير أبو حنيفة النعمان رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يحج فى عامٍ من الأعوام فلما أراد أن يحلق ليتحلل من إحرامه ذهب إلى الحلاق وقال له: بكم تحلق لى رأسى؟

فقال الحلاق: هداك الله.. وهل هناك أحدٌ يشارط على العبادة.. اجلس واحلق ثم أعطنى ما يتيسر لك.

قال الإمام أبو حنيفة: فشعرت بالخجل الشديد من كلامه... فجلست فقال لى الحلاق: ياليتك تستقبل القبلة.

قال الإمام: فجلست مستقبلًا القبلة ثم أعطيته رأسى من الشق الأيسر.

فقال لى الحلاق: أعطنى شِقك الأيمن لأبدأ به.

قال الإمام: فأعطيته شِقى الأيمن فأخذ يحلق رأسى وأنا ساكت أُفكر فى شأن هذا الحلاق.

فقال الحلاق: ألا تُكبِّر... لماذا أراك ساكتًا؟

قال الإمام: فأخذت أُكبِّر.. فلما انتهى من حلاقة رأسى وأردت أن أنصرف قال لى الحلاق: إلى أين تريد أن تذهب؟

قال الإمام: أريد أن أذهب إلى رَحلى.

فقال له الحلاق: ادعُ الله ثم اذهب إلى حيث تشاء.

فقال الإمام فى نفسه: مُحال أن يكون هذا الرجل مجرد حلاق.. لابد أنه على علمٍ.

فسأله الإمام: أين تعلمت تلك الأشياء التى أمرتنى بها؟

فقال الحلاق: لقد رأيت عطاء بن أبى رباح يفعلها فأخذتها عنه لأُعلمها لكل من جاء يحلق رأسه.

قصة أغرب من الخيال

لقد أقبلت الدنيا على عطاء بن أبى رباح ولكنه كان فى قمة الزهد لا يريد شيئًا من الدنيا.. حتى أنه ظل عمره كله يلبس قميصًا لا يزيد ثمنه على خمسة دراهم.

۞ ولقد كان الخلفاء يدعونه إلى مجالسهم فكان يرفض ذلك لأنه كان يخشى على دينه من دنياهم... لكن ذلك لم يمنعه من أن يذهب إليهم أحيانًا إذا كان فى تلك الزيارة خيرٌ يعود على المسلمين.

۞ لم يخطئ عمرو بن دينار أحد التابعين الثقات المعاصرين لعطاء عندما قال:

«ما رأيت مثل عطاء قط وما رأيت على عطاء قميصًا ولا رأيت عليه ثوبًا يساوى خمسة دراهم»[1].

ولم يمنعه مظهره من نشر علمه وفتواه ولم يرغب فى مال ولا عرض دنيا. كان بإمكانه أن ينال منه الكثير لو رغب، ولنترك العنان لقصة لابد أن نسجلها لعطاء بن أبى رباح هى مزيج من زهد العالم فى الدنيا ورغبته فى الآخرة، وقد أتته الدنيا بكل ما فيها من مال وسلطان.

هذا عطاء الخراسانى أحد أبناء الأشراف فى عصره وقد ركب بغلته وارتدى ثيابه التى تناسب لقاء أمير المؤمنين، وصحب أباه للقاء هشام بن

---

(١) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين (٦/ ٨٩-٩٠).

عبد الملك... يقول عطاء الخراسانى: انطلقت مع أبى وهو يريد هشام بن عبد الملك، فلما ركبنا إذا شيخٌ أسود على حمار، عليه قميص دَنس رث، وجبة دَنسه وقلنسوة لاطئة أصابها من عدم المداومة على نظافتها والاهتمام بشأنها، وركاباه من خشب.

فضحكت وقلت لأبى: من هذا الأعرابى يا أبى؟

قال أبوه: اسكت، هذا سيد فقهاء أهل الحجاز، هذا عطاء بن أبى رباح فلما قربا منه نزل والد عطاء الخراسانى عن بغلته، ونزل عطاء بن أبى رباح فهشَّ وبَشَّ كل منهما للآخر فاعتنقا وتسالما، ثم عادا فركبا فانطلقا، حتى وقف الجميع بباب هشام.

وانطلق حارس هشام يبلغه بوصول فقيه مكة عطاء بن أبى رباح.

قال هشام: أدخله ومن معه على الفور، حتى قال والد عطاء الخراسانى: «فوالله ما دخلت إلا بسببه».

فلما رآه هشام قال: مرحبًا هاهنا، مرحبًا هاهنا، وراح يفسح له مجلسه فرُفع حتى تساوت ركبته بركبة هشام، وكان فى مجلس هشام أشراف القوم والناس يتحدثون، فسكتوا لدخول عطاء بن أبى رباح وبعد الترحيب بالعالم الرثّ الملابس كما وصفه الخراسانى فى أول حديثه قال أمير المؤمنين مبادرًا عطاء فى الحديث[1]:

- ما حاجتك يا أبا محمد؟

قال عطاء بن أبى رباح يا أمير المؤمنين، أهل الحرمين أهل الله، وجيران رسول الله ﷺ تقسم فيهم عطياتهم وأرزاقهم.

(١) العقد الثمين جـ٦ ص ٨٥.

قال هشام: نعم، ثم صاح على غلامه: يا غلام اكتب لأهل المدينة وأهل مكة بعطاءين وأرزاقهم لسنة.

ثم قال هشام: أمن حاجةٍ غيرها يا أبا محمد؟

قال عطاء: نعم يا أمير المؤمنين أهل الحجاز وأهل نجد أصل العرب وقادة الإسلام، رُدَّ فيهم فضول صدقاتهم.

فأجابه هشام: نعم، اكتب يا غلام، بأن تُرد فيهم صدقاتهم، هل من حاجة غيرها يا أبا محمد.

قال عطاء: نعم يا أمير المؤمنين، أهل الثغور من وراء بيضتكم، ويقاتلون عدوكم، قد أجريتم لهم أرزاقًا تدرها عليهم، فإنهم إن هلكوا غُزيتم.

قال أمير المؤمنين: نعم، اكتب يا غلام، تُحمل أرزاقهم إليهم، هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟

قال عطاء: نعم يا أمير المؤمنين، أهل ذمتكم لا تجبى صغارهم، ولا تتعتع كبارهم ولا يُكلَّفون ما لا يطيقون، فإن ما تُجبونه معونة لكم على عدوكم.

قال هشام: نعم، اكتب يا غلام بأن لا يُحمَّلوا ما لا يطيقون.

هل من حاجة غيرها؟

قال عطاء: نعم يا أمير المؤمنين، اتق الله فى نفسك، فإنك خُلقت وحدك، وتُحشر وحدك وتُحاسَب وحدك ولا والله ما معك ممن ترى أحد.

فأكبَّ هشام وراح ينتحب ويبكى من شدة ما سمع من شيخ مكة وإمامها بينما انصرف الناس فى المجلس إلى صمت خاشع ودموع تغسل

الذنوب وفكر يمحص ويقلب هذه المعانى العظيمة فى حديث إمام وفقيه من فقهاء مكة الأجلاء،... هل من علم وعالم أجلّ من هذه المعانى أو من هذا الأجلُّ الأفضل الذى آثر على نفسه العمل من أجل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

واستودع عطاء أمير المؤمنين وخرج، وما إن وصل الباب حتى وجد رجلًا من رجال هشام بن عبد الملك يتبعه وقد حمل بين يديه كيسًا من المال وقال له: إن أمير المؤمنين أمر لك بهذا.

فقال عطاء: قل لأمير المؤمنين: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

ثم خرج الشيخ بينما وقف رجل هشام مبهوتًا وقد أصابته الدهشة من هذا الرجل... فإنه نسيج وحده.

ويضيف الخراسانى قائلًا: «لا والله ما شرب حسوة من ماءٍ فما فوقها».

أى أنه لم يشرب فى كل هذا المجلس حتى شربة ماء.

❊❊❊

(١) سورة الأنعام: الآية: (٩٠).

تجارة مع الله (جل وعلا)

❁ عن ابن عباس رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا قال:

حدث فى خلافة أبى بكر الصدِّيق رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أن أصاب الناس قحطٌ، فلما اشتد بهم الأمر ذهبوا إلى الخليفة، وقالوا له: يا خليفة رسول الله، إن السماء لم تُمطر، والأرض لم تنبت وقد توقع الناس الهلاك، فماذا نصنع؟! فقال لهم: انصرفوا واصبروا، فإنى أرجو الله أن لا تُمسوا حتى يفرّج الله عنكم فلما كان آخر النهار، وردت الأنباء بأن عِيرًا لعثمان بن عفان، جاءت من الشام، وتصبح بالمدينة. فلما جاءت، خرج الناس يتلقونها، فإذا هى ألف بعير موسوقة بُرًّا وزيتًا وزبيبًا، فأناخت بباب عثمان، فلما جعلها فى داره، جاء التجار، فقال لهم: ماذا تريدون؟ قالوا: إنك لتعلم ما نريد. بعنا من هذا الذى وصل إليك، فإنك تعلم ضرورة الناس إليه، قال: حُبًّا وكرامة، كم تُربحونى على شرائى؟ قالوا: الدرهم درهمين، قال: أُعطيت زيادة على هذا، فقالوا: أربعة، قال: أُعطيت زيادة على هذا، قالوا: نُربحك خمسة. قال: أُعطيت أكثر، فقالوا: ما فى المدينة تجار غيرنا، وما سبقنا أحد إليك، فمن الذى أعطاك أكثر مما أعطينا؟ قال: إن الله أعطانى بكل درهم عشرة. فهل عندكم زيادة؟ قالوا: لا، قال: فإنى أُشهد الله، أنى جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله على المساكين وفقراء المسلمين، ثم أخذ يُفرق بضاعته، فما بقى من فقراء المدينة أحد إلا أخذ ما يكفيه وأهله.

إنهم إخوة بعضهم من بعض

۞ روى عن عمر بن الخطاب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه صرَّ أربعمائة دينار، وقال للغلام: إذهب بها إلى أبى عُبَيدة بن الجراح، ثم تربَّص عنده فى البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع بها.

فذهب بها الغلام إليه، وقال له: يقول لك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: اجعل هذه فى بعض حوائجك، فقال له: وصله الله ورحمه، ثم دعا بجارية وقال لها: اذهبى بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفذها، فرجع الغلام إلى عمر وأخبره، فوجده قد أعدَّ مثلها لمعاذ بن جبل، وقال له: انطلق بها إلى معاذ بن جبل، وانظر ما يكون من أمره، فذهب إليه وقال له كما قال لأبى عبيدة بن الجراح، ففعل معاذ كما فعل أبو عبيدة، فرجع الغلام وأخبر عمر، فقال: إنهم إخوة، بعضهم من بعض رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

جزاء العفة

۞ روى الشيخ شجاع الدين الشيرازى هذه القصة عن نفسه ..

فقد وقعت له قصة عجيبة وحادثة غريبة تؤكد أن الله لا يخلف وعده مع عباده المؤمنين.

حدَّث الشيخ عن نفسه فقال: بِتنا عند رجل من الصعيد المصرى فأكرمنا وأحسن إلينا إلا إننا أبصرنا فى بيته عجبًا أثار دهشتنا وأطلق فضولنا، لقد أبصرنا سُمرة فى وجه الرجل ورأينا أولادًا بيضًا، لا يشبه لونهم لونه فلم نستطع أن نمسك فضولنا وسألناه، أهؤلاء أولادك، فدُهش من سؤالنا إياه، وقال: نعم، وأى عجب رأيتموه فى هذا، هل أنكرتم بياضهم وسُمرتى؟ فقلنا له: نعم، فقال: حُقَّ لكم ذلك فإن أمهم أفرنجية تزوجتها أيام حرب صلاح الدين الأيوبى للصليبيين وكنت يومئذٍ شابًّا، فقلنا له: وكيف تمَّ ذلك؟ فقال: حديثى معها عجيب، فقلنا له: أتحفنا به الليلة، فقال الرجل: لقد زرعت هنا بأرض الصعيد كِتَّانًا وأنفقت عليه حتى بدا إصلاحه ودنا حصاده، فقلعته وأنفقت عليه ألف دينار وعرضته على التُّجَّار هنا فلم يبلغوا به عُشر ثمنه فاستأجرت مركبًا وحملته إلى القاهرة ليزيد ثمنه، فلم يأتِ ثلث الثمن. فحملته إلى الشام فلم يزد على ذلك إلا قليلًا، فتحولت به إلى مدينة عكَّا فكانت الأثمان هنالك سيئة، فوجدتنى مضطرًّا إلى أن أبيع بعضه بالأجل والبعض منه ادّخرته عندى واستأجرت حانوتًا لأبيعه بنفسى، فبينما أنا أباشر عرضه فى السوق إذ مرت بى امرأة جميلة بارعة الحسن ساحرة الدلال وكانت من الفرنجة، ورأيتها عارية الوجه مياسة القوام، فأرادت أن تشترى منى حاجتها وسامحتها فى الثمن فَسُرَّت لإكرامى لها وعادت بعد

أيام فتساهلت معها أيضًا وأدركتْ أنى أحبها فكانت تتردد علىَّ من حين إلى حين وفى صحبتها عجوز ظننت أنها صديقتها فأعطيت العجوز شيئًا من المال وكلمتها فى شأنها وعرضت عليها أن تحتال لى، فكلمتها وعرضت عليها رغبتى فرحَّبت بى، وقالت: نذهب إلى المنزل، فدفعت إليها ألف درهم وللعجوز مثلها وأرشدتها إلى المنزل الذى أقيم فيه، والوقت الذى سوف يحضران فيه، فلما كان الليل وهدأ الناس وسكن الطريق جاءتا إلى المنزل، وكنت قد أعددت طعامًا فاخرًا وشرابًا شهيًّا، فلما جَنَّ الليل عرضتْ نفسها علىَّ فأدركتنى خشية من الله وقلت فى سِرِّى. أَوَمَا تستحيى من الله وأنت ضيفه فى أرض غربة أن تعصيه مع نصرانية، فسكنت نفسى عنها ولم أعد أشعر بشىء من حرارة حُسنها وفتنة جمالها، فرفعت وجهى إلى الله وقلت: اللهم إنى أُشهدك أنى قد عفوت عنها بعد ما ملكتها حياءً منك وخوفًا من عقابك، وأُشهدك أنى قد سامحتها فيما أخذته من مالى ثم نِمنا حتى الصباح وذهبت هى إلى حالها مع العجوز وأنا إلى حانوتى، وبعد أيام مرت علىَّ مُغضبة فمالت إليها نفسى وتعلق بها قلبى وزيَّنها الشيطان لى، وقلت أوبخ نفسى: مَن أنت حتى تعف عن هذا الحُسن، وتترفع عن هذا الجمال الفتَّان، ولم أجد بُدًّا من أن أضرب لها موعدًا آخر نلتقى فيه ونقدتها المال الذى طلبته، فلما حضرت إلىَّ عاودنى الخوف من الله وغاب عنى طبعى وخذلتنى فطرتى، فمضت لحالها، فلما كان الصباح جاءتنى فى حانوتى وكانت مستعربة تجيد النطق بالعربية، فعاتبتنى على هذا الجفاء، ثم قالت مُغضبة وحق المسيح لا أعود إليك بعد اليوم إلا بألفين، وبينما كنت أترضَّاها وأُروِّح عن نفسها وأشرح لها سطوة الحسن وروعة اللقاء، إذ

بادى المنادى أن الهدنة بين المسلمين والصليبيين قد انقضت وقد أمهلنا مَن هُنا من المسلمين إلى سبعة أيام، فاشتغلت بشأنى وغابت المرأة عنى وجعلت أجمع مالى وأُحصِّل ديونى ... وما بقى من بضاعتى عزمت على نقله إلى القاهرة، وكان فى قلبى من حبها لوعة مريرة ورغبة حارة، وقد بعت بضاعتى بدمشق وربحت كثيرًا من الدراهم والدنانير وأخذت أتجر فى الجوارى عسانى أظفر بمثلها أو بمن يدانيها فى حُسنها، ليسكن ما بى من وجدٍ وغرام.

ومرت ثلاث سنين وأنا أعمل فى هذه التجارة وأخيرًا انتصر المسلمون على الصليبيين، وبينما أن مشغول بأمرى إذ جاءنى جندى ومعه كتاب من قائد الجند يطلب منى جارية للسلطان فبعت له واحدة بألف، فدفع إلىَّ تسعمائة وبقى من الثمن مائة دينار، وكان السلطان قد أنفق جميع المال فى الحرب، وكان عادلًا لا يظلم أحدًا فكلمته فى شأن المائة الباقية فقال للقائمين على الأمر: أعطوه واحدة من السبى، فأعطونى جارية فإذا هى صاحبتى فأخذتها إلى خيمتى وخلوت بها ثم قلت لها: أَوَ تعرفيننى؟ فقالت: لا. فقلت لها: إنى بائع الكتان وقد أقسمتِ أنك لا تعودين إلىَّ إلا بألفين وقد أخذتك ملكًا بمائة فقط، فبادرت قائلة إنى أَشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله فتراجعت عنها، وقلت: والله لا أقربها إلا حلالًا فهيأت الجو لذلك وتزوجتها فحملت منى، وبعد أيام جاء رسول السلطان يطلب الأسرى بُناءً على اتفاق تمَّ بين المسلمين والصليبيين، فاستعرضوا الأسرى فلم يكن غائبًا إلا صاحبتى فسألوا عنها حتى علموا أنها عندى، فأحضروها إلى مجلس الأمير وخيَّروها بين أن تبقى كما هى أو تعود إلى

أهلها. فقالت: إنى مسلمة وإنى حُبلى ولا أختار على زوجى أحدًا، فسمع قومها كلامها وأبلغوه إلى أهلها. فعاد رجل من قومها ومعه صرة عظيمة، وقال: هذه هدية من أمها إليها لأنها أسيرة، فأخذتها إلى البيت ثم فتحت الصرة فإذا فيها كل ما أخذته منى وزيادة، فحمدت الله على ما كان من عِفتى وشكرته على ما كان من عصمتى، وقد بارك الله لى فى ثروتى على يديها ورزقنى منها أولادًا كثيرين، ولا تزال حتى اليوم بصحبتى وهى التى صنعت لكم الطعام[1].

(١) قلت: كان من الممكن أن يحكي هذا الرجل قصته دون أن يصف جمال امرأته لهؤلاء الرجال .. لأنه لا يجوز له أن يصف جمال جارته فكيف له أن يصف لهم جمال زوجته ... وقد يكون فيهم رجل غير تقي فيُفتن بها ويخرج من عنده ويصفها لأُناسٍ آخرين.

داووا مرضاكم بالصدقة

۞ على مدى عدة سنوات كان الزوج والزوجة فى خلاف مع بعضهما يتخلل ذلك صفاءٌ لعدة أسابيع ثم تتعكر الأمور.

وقد حملت المرأة وسقط جنينها ثلاث مرات.

وفى يوم كانا فيه متصافيين أخبر الزوج زوجته أنه رأى رجلًا شكا له حاله قائلًا: إنى أعمل طباخًا فى أحد المطاعم فباع الكفيل المطعم لشخص آخر نقلت كفالتى إليه وضايقنى أنه جعل صوت الغناء يرتفع فى أنحاء المطعم، فحاولت جاهدًا الرجوع إلى كفيلى الأول فلم أستطع، عندها سألت كفيلى الجديد نقل كفالتى مقابل خمسة آلاف ريال هى كل ما أملكه فوافق فأعطيته المبلغ الذى كنت جمعته لإحضار زوجتى وأنا الآن فى ضيق شديد وأمر عصيب فزوجتى تتصل دومًا تسأل: متى أحضرها؟ وأهلى يقولون: نحن مُحرجون من أهل زوجتك، فأريد هذا المبلغ على أن أسدده بأقساط شهرية.

فعندما سمعت الزوجة هذه القصة قالت لزوجها: سأعطيه المبلغ ولا أريد منه شيئًا سوى الدعاء فأخذ الزوج المبلغ وأعطاه الطباخ وأخبره بقولِ الزوجة، فجلس يبكى من الفرح ولم ينم تلك الليلة بل ظل يدعو للمرأة وزوجها وبفضل من الله - تعالى - حملت المرأة منذ ذلك الشهر وثبت حملها وحسنت حالهم وظهرت علامات الانشراح بينهم.

۞ بل ها هى قصة رجل كان يمتلك ثروة كبيرة وكان له ابن أُصيب بمرض خطير فسافر به إلى أوروبا وأمريكا للعلاج ولم يجد له علاجًا حتى

كان يقول: وددت أن الله يشفى ولدى من مرضه ولو فقدت مالى كله..

وفى يوم من الأيام كان الرجل يقرأ كتابًا عن الصبر وإذا به يقرأ حديث النبى ﷺ: «**داووا مرضاكم بالصدقة**»، فخرج فى تلك اللحظة وأخذ معه مبلغًا من المال فوجد امرأة عجوزًا فقيرة فأعطاها المال وعاد إلى البيت وإذا به يجد المفاجأة التى تكاد أن تذهب بالعقول.. لقد وجد ابنه تبدو عليه علامات الصحة والعافية فسأله: ما الذى حدث يا بنى؟

فقال له ابنه: والله لا أدرى يا أبى؛ ولكنى فجأة أحسست بالعافية تدب فى جسدى.

أخذ الرجل ابنه وذهبا إلى أوروبا لإعادة الفحص مرة أخرى فكانت المفاجأة الثانية..

قال له الطبيب: ماذا صنعت لقد ذهب المرض كله من جسد ولدك، فأخبره الرجل أنه سمع حديث النبى ﷺ: «**داووا مرضاكم بالصدقة**» وأنه عمل بهذا الحديث فكان الذى حدث من شفاء هذا الولد..

وإذا بالمفاجأة الثالثة: فلقد أعلن الطبيب إسلامه أمام هذه الآية التى رآها فى هذا الشاب ومن صدق كلام النبى ﷺ.

۞ فيا مَن له مريض قد طال مرضه.. اذهب فتصدق عنه ولا تفعل ذلك على سبيل التجربة وإنما افعله على سبيل اليقين.

صدقة السرِّ تطفئ غضب الرب

۞ لقد كان علي بن الحسين بن علي (زين العابدين) يعطى الناس ويُغدق عليهم.. وقدوته فى ذلك رسول الله ﷺ الذى كان يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة أبدًا وكان أجود من الريح المُرسلة ﷺ.

۞ وكان زين العابدين قد وسَّع الله عليه من صنوف النعم وأفاض عليه من الخيرات والأرزاق فكانت له تجارته وزراعته وكانت تُدر عليه الخير الكثير.. ومع ذلك لم يتعلق قلبه بزهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية بل جعل ماله مطية للفوز فى الآخرة فكان كما قيل: نعم المال الصالح للرجل الصالح.

۞ وكان يحب أن يُخرج صدقته سرًا لأن صدقة السر تُطفئ غضب الرب.

قال أبو حمزة الثمالى: كان على بن الحُسين يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين فى ظُلمة الليل ويقول: إن الصدقة فى سواد الليل تطفئ غضب الرب[١].

وقال عمرو بن ثابت: لما مات علىُّ بن الحُسين وجدوا بظهره أثرًا فسألوا عنه فقالوا: هذا مما كان ينقل الخبز على ظهره إلى منازل الأرامل[٢].

وقال شيبة بن نعامة: كان على بن الحسين يُبخَّل؛ - أى: يُتهم بالبخل

(١) تاريخ ابن عساكر (١٢/ ٢١ أ)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٣٩٢).
(٢) تاريخ ابن عساكر (١٢/ ٢ أ)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٣٩٢).

فلما مات وجدوهُ يعول مائة من أهل بيت من المدينة[١].

قال أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السر حتى مات على بن الحسين[٢].

۞ وقال عمرو بن دينار: دخل علىُّ بن الحسين على محمد بن أسامة ابن زيد فى مرضه، فجعل يبكى فقال: ما شأنك؟ فقال: علىَّ دين. قال: كم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار، أو بضعة عشر ألف دينار. قال علىُّ بن الحسين: فهى علىَّ[٣].

۞ وقال محمد الباقر: إن أباه على بن الحُسين قاسم الله ﷻ ماله مرتين - أى: تصدَّق بنصف ماله مرتين -.

۞ وقال على بن الحسين: إنى لأستحى من الله تعالى أن أرى الأخ من إخوانى، فأسأل الله له الجنة، وأبخل عليه بالدنيا، فإذا كان يوم القيامة قيل: لو كانت الجنة بيدك، لكنت بها أبخل وأبخل وأبخل[٤].

وكان إذا أتاه السائل رحب به وقال: مرحبًا بمن يحمل زادى إلى الآخرة[٥].

۞ وأما عن أخبار عتقه للعبيد والأرقاء فقد كانت أعجب من الخيال فقد كان يعتق العبد إذا أحسن فى عبادته مكافأة له على إحسانه وتشجيعًا له على استمراره على ذلك.

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ٢٢٢)، والحلية (٣/ ١٣٦).

(٢) الحلية (٣/ ١٣٦)، وتاريخ ابن عساكر (١٢/ ٢١ أ - ب).

(٣) الحلية (٣/ ١٤١)، وتاريخ ابن عساكر (١٢/ ٢١ ب).

(٤) تهذيب الكمال (٢٠/ ٣٩٣).

(٥) صفة الصفوة (٢/ ٩٥).

وكان يعتق العبد إذا أذنب ثم تاب جزاءً له على توبته حتى قيل أنه أعتق ألف عبدٍ.

وكان يعتق عبيده طوال العام لكن أكثر ما كان يعتق عبيده فى ليلة عيد الفطر حيث كان يحرر فى تلك الليلة عددًا كبيرًا من العبيد ويزودهم بالمال والهدايا التى تُدخل عليهم السعادة فى العيد فتجعل العيد عيدين والفرحة فرحتين ثم يطلب منهم أن يتوجهوا إلى القبلة ويقولوا: اللهم اغفر لعلى بن الحسين.

هكذا تكون المروءة

۞ انعقد مجلس موسى بن إسحاق القاضي - بالري - سنة سِتٍّ وثمانين ومائتين، وتقدمت امرأة فادَّعى وليها على زوجها خمسمائة دينار مهرًا، فأنكر، فقال القاضي: شهودك، قَالَ: قد أحضرتهم فاستدعى بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة ليشير إليها في شهادته، فقام الشّاهد وقال للمرأة: قومي، فقال الزوج: تفعلون ماذا؟ قَالَ الوكيل: ينظرون إلى امرأتك وهي مُسفرة لتصحّ عندهم معرفتها، فقال الزوج: وإني أُشهد القاضي أن لها عليَّ هذا المهر الذي تدَّعيه، ولا تُسفر عن وجهها، فردَّت المرأة وأخبرت بما كان من زوجها، فقالت المرأة: فإني أُشهد القاضي أن قد وهبت له هذا المهر وأبرأته منه في الدنيا والآخرة. فقال القاضي: يُكتَب هذا في مكارم الأخلاق[1].

۞ وهكذا تكون المروءة... فالرجل لما رفض أن تكشف زوجته وجهها أمام القاضي وأقر بأن لها صَداقًا عنده.

وقد يكون الرجل قد دفع صداقها؛ لكنه لا يريد أن تكشف وجهها - فلما رأت المرأة شهامته ومروءته بادلته بمروءة مثلها وقالت: هو في حِلٍّ من صَداقي في الدنيا والآخرة.

---

(١) الخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ٥٢).

إيثار يفوق الخيال

۞ قال الواقدى: كان لى صديقان، أحدهما هاشمى، وكنا كنفسٍ واحدة، فنالتنى ضائقة شديدة، وحضر العيد، فقالت امرأتى: أمَّا نحن فى أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطَّعوا قلبى رحمة لهم؛ لأنهم يرون صبيان الجيران وقد تزينوا فى عيدهم وأصلحوا ثيابهم، وهم على هذه الحال من الثياب الرثّة، فلو احتلْتَ فى شىء تصرفه فى كسوتهم، قال: فكتبت إلى صديقٍ لى وهو الهاشمى أسأله التوسعة علىَّ، فوجَّه إلىَّ كيسًا مختومًا ذكر أن فيه ألف درهم، فما استقر قرارى حتى كتب إلىَّ الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبى، فوجَّهت إليه الكيس بحاله، وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليلتى مستحييًا من امرأتى، فلما دخلت عليها استحسنَتْ ما كان منى ولم تُعنفنى عليه.

فبينا أنا كذلك إذ وافى صديقى الهاشمى ومعه الكيس كهيئته، فقال لى: اصدقنى عما فعلته فيما وجَّهت به إليك، فعرَّفته الخبر على وجهه، فقال لى: إنك وجهت إلىَّ وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة، فوجَّه كيسى بخاتمى، قال الواقدى: فتواسينا الألف درهم فيما بيننا، ... ونمى الخبر إلى المأمون، فدعانى وسألنى، فشرحت له الخبر، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار، لكل واحد منا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار.

البُخلاء والكُرماء

۞ عن الهيثم بن عدي قال:

خرجتُ من عند أهلى أريد ديار بعض إخوانى، ومعى ناقة أركبها، إذ ندَّت فذهبت فجعلت أتبعها حتى أمسيتُ فأدركتها، ونظرت فإذا خيمة أعرابىّ فأتيتها، فقالت ربَّة الخباء: من أنت؟ فقلت: ضيف، فقالت: وما يصنع الضيف عندنا ؟ إن الصحراءَ لواسعة.

ثم قامت إلى بُرٍّ فطحنته، ثم عجنته وخبزته، وقعدت فأكلت، ولم ألبث أن أقبل زوجها ومعه لبن، فسلم، ثم قال: من الرجل؟

فقلت: ضيف.

فقال: مرحبًا حيَّاك الله، فدخل الخباء وملأ قعبًا من لبن، ثم أتانى به وقال: اشرب، فشربت شرابًا هنيئًا، فقال: ما أراك أكلت شيئًا، وما أراها أطعمتك.

فقلت: لا والله.

فدخل إليها مغضبًا وقال: ويلك! أكلت وتركت ضيفك، فقالت: وما أصنع به؟ أُطعمه طعامى ؟ وجاراها فى الكلام حتَّى شجها، ثم أخذ شفرة وخرج إلى ناقتى، فنحرها، فقلت: ما صنعت عافاك الله؟

فقال: لا والله ما يبيت ضيفى جائعًا.

ثم جمع حطبًا وأجَّج نارًا، وأقبل يكبِّبُ ويطعمنى ويأكل ويلقى إليها ويقول: كلى لا أطعمك الله، حتى إذا أصبح تركنى ومضى، فقعدتُ مغمومًا، فلما تعالى النهار، أقبل ومعه بعير ما يسأم الناظر أن ينظر إليه،

فقال: هذا مكان ناقتك، ثم زوَّدنى من ذلك اللحم ومما حضره، وخرجت من عنده، فضمَّنى الليل إلى خباء، فسلمت، فردت صاحبة الخباء السلام، وقالت: من الرجل؟ فقلت: ضيف.

فقالت: مرحبًا بك، حيَّاك الله وعافاك، فنزلت، ثم عمدت إلى بُرٍّ فطحنته وعجنته، ثم خبزته خبزة روَّتها بالزبد واللبن، ثم وضعته بين يدى فقالت: كل واعذر.

فلم ألبث أن أقبل أعرابىّ كريه الوجه، فسلم فرددت عليه السلام، فقال: من الرجل؟ قلت: ضيف.

قال: وما يصنع الضيف عندنا، ثم دخل إلى أهله، فقال: أين طعامى؟

فقالت: أطعمته الضيف.

فقال: أتطعمين الضيف طعامى.

فتجاريا الكلام، فرفع عصاه وضرب بها رأسها فشجَّها، فجعلت أضحك، فخرج إلىَّ فقال: ما يضحكك؟

قلت: خير.

فقال: والله لتخبرنى.

فأخبرته بقضية المرأة والرجل اللذين نزلت عندهما قبله، فأقبل علىَّ وقال: إن هذه التى عندى هى أخت الرجل، وتلك التى عنده أختى، فبتُّ ليلتى متعجبًا وانصرفت[1].

۞ ونحن نعلم أن إكرام الضيف وإطعام الطعام له فضلٌ كبير كما

---

(١) وفيات الأعيان (٦/ ١٠٨).

أخبرنا بذلك الحبيب المصطفى ﷺ:

۞ عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أطعموا الجائع، وعودوا المريض؛ وفُكُّوا العانى**[١]» [٢]. العانى: أى الأسير -.

۞ وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خُتم له بإطعام مسكين محتسبًا على الله عز وجل دخل الجنة، ومن خُتم له بصوم يوم محتسبًا على الله عز وجل دخل الجنة، ومن خُتم له بقول: لا إله إلا الله محتسبًا على الله عز وجل دخل الجنة**»[٣].

۞ وعن عدى بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**»[٤].

۞ وعن هانئ بن يزيد رضي الله عنه أنه لما وفد على رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله، أى شىء يوجب الجنة؟ قال ﷺ: «**عليك بحُسن الكلام، وبذل الطعام**»[٥].

۞ عن صهيب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خيارُكم من أطعم الطعام**»[٦].

---

(١) فك الأسير، انظر: فتح البارى، ابن حجر (١٠/ ١١٢).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٦٤٩) كتاب المرضى.

(٣) صحيح: رواه أبو نعيم فى أخبار أصبهان، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٦٤٥).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٧) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

(٥) صحيح: رواه البخارى فى الأدب المفرد والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٤٩).

(٦) حسن صحيح: رواه أبو الشيخ ابن حيان فى كتاب الثواب وقال الألبانى فى صحيح الترغيب (٩٤٨): حسن صحيح.

۞ وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحبُّ الأعمال إلى الله** عَزَّ وَجَلَّ **سرورٌ تُدخلُه على مسلم، أو تكشف عنه كُربةً، أو تطردُ عنه جوعًا، أو تقضى عنه دينًا**»(١).

۞ وعن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: إن رجلًا شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال له: «**إن أردت أن يلين قلبك، فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم**»(٢).

۞ فهذا كله فى فضل إطعام الطعام.

وأما عن إكرام الضيف خاصة فقد ورد فى ذلك أحاديث كثيرة منها:

۞ عن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ قال: «**من كان يُؤمنُ بالله واليوم الآخر، فليُكرم ضيفهُ**»(٣).

۞ وعن سعد بن أبى وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كريم يحبُّ الكُرماء، جواد يحب الجَوَدة، يحب معالى الأخلاق، ويكره سفاسفها**»(٤).

۞ وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما فى الناس مثل رجل آخذ بعنان فرسه فيجاهد فى سبيل الله، ويجتنب شرور الناس، ومثل رجل بادٍ فى غنمه، يقرى الضيف، ويؤدى حقهُ**»(٥).

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج والطبرانى فى الكبير وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٦).

(٢) رواه الطبرانى والبيهقى فى الشُّعب، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٤١٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٣٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه ابن عساكر والضياء وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٠٠).

(٥) صحيح: رواه أحمد (١/ ٣١١)، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٢٥٩).

۞ وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا خير فيمن لا يُضيفُ»[1].

(١) صحيح: رواه أحمد والبيهقى فى الشعب، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٤٩٢).

هكذا تفعل الدنيا بأهلها

۞ قال وهب بن مُنبِّه: خرج عيسى عليه السلام يسيح في الأرض فصحبه يهودي وكان معه رغيفان ومع عيسى رغيف، فقال له عيسى: تشاركني في طعامك؟ قال اليهودي: نعم، فلما علم أن ليس مع عيسى إلا رغيف واحد ندم، فقام عيسى عليه السلام إلى الصلاة. فذهب صاحبه وأكل رغيفًا، فلما أتم عيسى قدما طعامهما.

فقال عيسى لصاحبه: أين الرغيف الآخر؟ فقال: ما كان إلا رغيفًا واحدًا، فأكل عيسى رغيفًا وصاحبه رغيفًا، ثم انطلقا فجاؤوا إلى شجرة فقال عيسى لصاحبه: لو أنا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال: افعل.

فباتا ثم أصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له: أرأيت إن أنا عالجتك حتى يرد الله بصرك فهل تشكره؟ قال: نعم.

فمس بصره ودعا الله له فأبصر.

فقال عيسى لليهودي: بالذي أراك الأعمى يبصر أما كان معك من رغيف؟ فقال: والله ما كان إلا رغيفًا واحدًا، فسكت عيسى عنه، فمرَّا بظباء ترعى فدعا عيسى عليه السلام ظبيًا منها فذبحه، ثم أكلا منه، ثم قال عيسى للظبي: قم بإذن الله فقام فقال الرجل: سبحان الله!

فقال عيسى: بالذي أراك هذه الآية، مَنْ أكل الرغيف الثالث؟ فقال: ما كان إلا رغيفًا واحدًا.

فمضيا فمرَّا بنهرٍ عظيم فأخذ عيسى بيده فمشى به على الماء حتى جاوزاه، فقال الرجل: سبحان الله! فقال عيسى: بالذي أراك هذه الآية مَن صاحب الرغيف الثالث؟

فقال الرجل: والله ما كان إلا رغيفًا واحدًا.

فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خربة وإذا قريب منهما ثلاثة أحجار كبيرة من ذهب فقال عيسى عليه السلام: واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث.

فقال الرجل: أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلى.

فقال عيسى: هى لك كلها... وفارقه، فأقام الرجل عليها ليس معه ما يحملها عليه، فمر به ثلاثة نفر، فقتلوه وأخذوا الذهب.

فقال اثنان منهم لواحد: انطلق إلى القرية فائتنا بطعام.

فقال أحد الباقين: نقتل هذا إذا جاء ونقسم هذا بيننا.

قال الآخر: نعم.

قال الذى ذهب يشترى الطعام: أجعل فى الطعام سمًّا فأقتلهما وآخذ الذهب وحدى، ففعل ما أملاه عليه شيطانه، فلما عاد بالطعام المسموم أكلاه بعد أن قتلاه فماتا هما أيضًا بجوار الذهب، فمر سيدنا عيسى عليه السلام بعد ذلك وعندما رأى الأربعة صرعى عند الذهب أشار إليهم وإلى الذهب قائلًا لمن معه من الحواريين: هكذا الدنيا تفعل بأهلها فاحذروها... اهـ.

۞ ولقد حذرنا النبى ﷺ من أن تتعلق قلوبنا بالدنيا فقال ﷺ - كما فى الصحيحين -: «**فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكنى أخشى أن تُبسط الدنيا عليكم، كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، فتُهلككم كما أهلكتهم**»[1].

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٥٨) كتاب الجزية، ومسلم (٢٩٦١) كتاب الزهد والرقائق.

وعن أبى سعيد الخدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر، وجلسنا حوله.

فقال: **«إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يُفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»**(١).

وعنه أن رسول الله ﷺ قال - كما عند مسلم -: **«إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»**(٢).

وعن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله! دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله، وأحبنى الناس، فقال: **«ازهد فى الدنيا؛ يحبك الله، وازهد فيما عند الناس؛ يحبك الناس»**(٣).

وعن سهل بن سعد الساعدى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرًا منها شربة ماء»**(٤).

وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى، وما والاه وعالمًا ومتعلمًا»**(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٦٥) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٥٢) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٢) كتاب الذكر والدعاء.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٠٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى السلسلة الصحيحة (٩٤٤)، وصحيح الجامع (٩٢٢).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٠) كتاب الزهد، والضياء، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى صحيح الجامع (٥٢٩٢).

(٥) حسن: رواه ابن ماجه، والترمذى، وحسنه الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى صحيح الجامع (٣٤١٤).

وعن عبيد الله بن محصن الأنصارى الخطمى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أصبح منكم آمنًا فى سربه، معافىً فى جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»**(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«قد أفلح من أسلم، وكان رزقه كفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه»**(٢).

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٣٤٦) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٤١) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٣١٨)، وصحيح الجامع (٦٠٤٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠٥٤) كتاب الزكاة.

العوض من الله (جل وعلا)

۞ قال الراوى: أخبرنى أحد أعيان مدينة الرياض أنه فى عام ١٣٧٦هـ، ذهب مجموعة من البحارة من أهل الجبيل إلى البحر، يريدون اصطياد السمك، ومكثوا ثلاثة أيام بلياليهن لم يحصلوا على سمكة واحدة، وكانوا يصلون الصلوات الخمس، وبجانبهم مجموعة أخرى لا تسجد لله سجدة، ولا تصلى صلاة، وإذا هم يصيدون، ويحصلون على طلبهم من هذا البحر، فقال بعض هؤلاء المجموعة: سبحان الله! نحن نصلى لله - ﷻ - كل صلاة، وما حصلنا على شىء من الصيد، وهؤلاء لا يسجدون لله سجدة وها هو صيدهم!!

فوسوس لهم الشيطان بترك الصلاة، فتركوا صلاة الفجر، ثم صلاة الظهر، ثم صلاة العصر، وبعد صلاة العصر أتوا إلى البحر فصادوا سمكة، فأخرجوها وبقروا بطنها، فوجدوا فيها لؤلؤة ثمينة، فأخذها أحدهم بيده، وقلبها ونظر إليها، وقال: سبحان الله! لما أطعنا الله ما حصلنا عليها، ولما عصيناه، حصلنا عليها!! إن هذا الرزق فيه نظر.

ثم أخذ اللؤلؤة ورمى بها فى البحر، وقال: يعوضنا الله، والله لا آخذها وقد حصلت لنا بعد أن تركنا الصلاة،... هيا ارتحلوا بنا من هذا المكان الذى عصينا الله فيه، فارتحلوا ما يقارب ثلاثة أميال، ونزلوا هناك فى خيمتهم، ثم اقتربوا من البحر ثانية، فصادوا سمكة الكنعد، فبقروا بطنها فوجدوا اللؤلؤة فى بطن تلك السمكة، وقالوا: الحمد لله الذى رزقنا رزقًا طيبًا. بعد أن بدؤوا يصلون ويذكرون الله ويستغفرونه، فأخذوا اللؤلؤة. اهـ[1] .

---

(١) لا تحزن (ص: ٤٢٦ - ٤٢٧)..

ما نقص مالٌ من صدقة

۞ عن الفضل بن محمد الرقاشى قال: رأيت يومًا من الأيام معروفًا الكرخى يبكى فقلت: ما يُبكيك؟

قال: ذهب الإخوان، وشَحَّ الناس على الدنيا، وتركوا الدِّين، ونسوا الآخرة، ثم قام، ومشى، ومشيت معه إلى دكان أخيه، فسلَّم على أخيه وقعد وكان أخوه دَقَّاقًا «يبيع الدقيق» فقال له أخوه: اجلس ساعة فإن لى شُغلًا، ثم قام الأخ، وذهب فى حاجته، فرأى معروف الأرامل والضعفاء جلوسًا، فأخذ يفرق عليهم الدقيق بلا شىء إلى أن نظَّف الدكان، فجاء أخوه، فقال: أفقرتنى، فقام معروف ورجع إلى مسجده، ففتح صاحب الدكان الصندوق وإذا المجرى مملوء دراهم، فوزنها فإذا به قد ربح لكل درهم سبعين، فلما كان بعد ساعة إذا هو يعدو إلى معروف، ويقول: غدًا تجىء إلى دكانى ساعة، فقال على التجربة!... لا يجىء هذا ولا كرامة.

ثم قال: سبحانه! مِن مَلِك يعطى من يشاء كما يشاء، ولو سألناه الدنيا بما فيها لم يمنعنا ذلك، ولكن سألناه أن يحمينا عنها، ففعل ذلك[1].

---

(١) عيون الحكايات (ص ٢٣٠).

محمد بن المنكدر.. ونعمة التوكل واليقين

۞ لابد أن نعلم أن من أراد السعادة فى الدنيا والآخرة فلابد أن يتوكل على الله... فالتوكل هو الثقة بالله ﷻ.

۞ وها هى صور مشرقة من توكل الإمام محمد بن المنكدر.

يُروى أنه حَجَّ، فوهب كل ما معه حتى بقى فى إزار، فلما نزل بالروحاء، قال وكيله: ما بقى معنا درهم، فرفع صوته بالتلبية، فلبَّى أصحابه ولبَّى الناس،... وبالماء محمد بن هشام، فقال: إنى أظن محمد بن المنكدر بالماء، فنظروا، فقالوا: نعم. قال: ما أظن معه شيئًا، احملوا إليه أربعة آلاف، فأُتى محمد بها.

۞ وعن ابن زيد قال: خرج ناس غزاة فى الصائفة، فيهم محمد بن المنكدر، فبينا هم يسيرون فى الساقة، قال رجل منهم: أشتهى جبنًا رطبًا، قال محمد: فاستطعِمه الله، فإنه قادر، فدعا القوم، فلم يسيروا إلا شيئًا حتى وجدوا مكتلًا، فإذا هو جبن رطب، فقال بعضهم: لو كان لهذا عسلًا، فقال: الذى أطعمكمُوه قادر على ذلك. فدعوا، فساروا قليلًا، فوجدوا فاقرة عسل على الطريق، فنزلوا فأكلوا الجبن والعسل(١).

وقال محمد بن عمر الواقدى: كان محمد بن المنكدر قد ضاق، فبينا صفوان بن سُليم يصلى فى المسجد شطر الليل إلى أن أتاه آتٍ، فوضع على نعله خمسين دينارًا، فأخذها وحمد الله، وانصرف صفوان إلى بيته، فقال لمولاته سلاَّمة: إن أخى محمدًا أمسى مضيقًا، اذهبى إليه بهذه الدنانير، فإنه

---

(١) السير (٥/ ٣٥٩-٣٦٠) بتصرف.

يكفينا أن نأخذ منها خمسة أو أربعة. فقالت: الساعة؟ قال: نعم، إنك تجدينه الساعة فى محرابه يسأل الله تعالى، يقول: ائتنى بها من حيث شئت، وكيف شئت، وأنَّى شئت، قال: فخرجت بستة وأربعين دينارًا أو بخمسة وأربعين دينارًا، فوقفت تسمع، فإذا هو يقول: اللهم، ائتنى بها من حيث شئت، وكيف شئت، وأنَّى شئت، من ساعتى هذه، يا إلهى. قالت: فدققت الباب عليه، فدفعتها إليه. فحمد الله على ذلك[1].

وقال: استودعنى رجل مئة دينار، فقلت له: أى أخى، إن احتجنا إليها أنفقناها حتى نقضيك؟ قال: نعم. قال: فاحتجنا إليها، فأنفقناها، فأتى رسوله، فقال: إنا قد احتجنا إليها. قال: وليس فى بيتى شىءٌ فأخذت أدعو: يا رب، لا تخرب أمانتى، وأدِّها. قال: فخرجت، فحين رجعت لأدخل فإذا رجل يأخذ بمنكبى لا أعرفه، فدفع إلىَّ صرة فيها مائة دينار. فأديتها، فأصبح الناس لا يدرون من أين ذلك، فما علموا حتى مات عامر، وابن المنكدر. فإذا رجل يخبر، قال: بعثنى بها عامر - يعنى ابن عبد الله بن الزبير - فقال: ادفعها إليه، ولا تذكرها حتى أموت أنا وابن المنكدر. فما ذكرتها حتى ماتا جميعًا[2].

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢٧/ ٢٦٢).

(٢) الخبر فى المعرفة والتاريخ للفسوى (١/ ٦٥٧)، وفى الحلية (٣/ ١٥٢)، ومختصر تاريخ دمشق (٢٣/ ٢٦٤).

الكلب.. والعبد السخي

۞ حُكى أن عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو مشهور بالسخاء مر على بستان، فرأى فيه عبدًا من العبيد يعمل فيه، ويجمع التمر، فجاءه ابن سيده برغيفين؛ ليأكل، فجلس العبد ليأكل، فرأى كلبًا قد أقبل نحوه، يهمهم ويحرك ذيله، فألقى إليه برغيف، فالتهمه سريعًا، واقترب منه يحرك ذَنَبه، فرمى إليه بالرغيف الثانى، وقام لعمله.

فعجب عبد الله بن جعفر من فعل هذا العبد، واقترب منه وسأله: يا غلام! كم قوتك كل يوم؟

قال العبد: هو ما رأيت.

قال عبد الله: ولِمَ آثرت بهما هذا الكلب؟

قال العبد: إن أرضنا ليست بأرض كلاب، وعلمت أن هذا الكلب ما ساقه إلينا إلا الجوع، فآثرته على نفسى.

قال عبد الله: وكيف تصنع بنفسك هذا اليوم؟

قال العبد: أطوى هذه الليلة، أى: أبيت على الجوع.

قال عبد الله: يلومنى الناس على السخاء، وهذا الغلام أسخى منى.

فذهب عبد الله بن جعفر إلى سيد الغلام، وطلب منه أن يبيعه غلامه هذا.

قال سيد الغلام: ولِمَ تريد شراءه؟

فأخبره بما رأى منه، وأنه يريد شراءه وعتقه، وشراء البستان وإهداءه إليه.

فقال له السيد: أنت تريد أن تفعل به ذلك، بهذه الخصلة الواحدة، ونحن لا نزال نرى منه العجائب كل يوم.

أُشهدك أنه حر لوجه الله تعالى، وأن البستان هبة مني إليه[1].

---

(١) أنيس الصالحين (ص: ٢٨).

جود ابن المبارك

۞ عن محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال: سمعت أُبى يقول: كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو فيقولون: نصحبك يا أبا عبد الرحمن فيقول لهم: هاتوا نفقاتكم. فيأخذ نفقاتهم فيجعلها فى صندوق ويقفل عليها ثم يكترى لهم (يستأجر لهم الدواب) ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلواء.

ثم يُخرجهم من بغداد بأحسن زى وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ، فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم: ما أمرك عيالك أن تشترى لهم من المدينة، من طُرفها؟

فيقول: كذا. ثم يخرجهم إلى مكة فإذا وصلوا إلى مكة فقضوا حوائجهم قال لكل رجل منهم: ما أمرك عيالك أن تشترى لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا. فيشترى لهم ويخرجهم من مكة.

فلا يزال ينفق عليهم حتى يصيروا إلى مكة فإذا وصلوا إلى مرو جصَّص(١) أبوابهم ودورهم.

فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة وكساهم فإذا أكلوا وشربوا دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صُرته بعد أن كتب عليها اسمه.

قال أبى: أخبرنى خادمه أنه عمل آخر سفرة سافرها دعوة فقدم إلى

(١) جصص: أي طلى (دهن) أبوابهم ودورهم بالجبس.

الناس خمسة وعشرين خوانًا فالوذجًا. (نوع من الحلوى الفاخرة).

قال: وبلغنا أنه قال للفضيل بن عياض: لولاك وأصحابك ما اتَّجرت.

قال أُبي: وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مائة ألف درهم[1].

---

(١) أخرجها الخطيب في تاريخ بغداد (١٠/ ١٥٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٢/ ٤٥٢)، وابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ١٩١)، والمزي في تهذيب الكمال (١٦/ ٢١).

اذكروا صاحب الرغيف

۞ عن أبى بُردة قال: لما حضرت أبا موسى الوفاةُ قال: يا بَنىّ اذكروا صاحب الرغيف. قال: كان رجل يتعبد فى صومعته، سبعين سنة، لا ينزل إلا فى يوم واحد. قال: فزيَّن الشيطان فى عينه امرأة. قال: فكان معها سبعة أيام أو سبع ليال. قال: ثم كُشف عن الرجل غطاؤه فخرج تائبًا، فكان كلما خطا خطوة صلى وسجد، فآواه الليل إلى دكان عليه اثنا عشر مسكينًا، فأدركه الإعياء فرمى بنفسه بين رجلين منهم وكان ثَمَّ راهبٌ يبعث إليهم كل ليلة بأرغفة فيعطى كل إنسان رغيفًا، فجاء صاحب الرُّغف، فأعطى كل إنسان رغيفًا. فقال المتروك لصاحب الرغيف: ما لك لم تعطنى رغيفى؟ قال: أترانى أُمسكه عنك؟ سل هل أعطيتُ أحدًا منكم رغيفين؟ قالوا: لا. قال: أترانى أُمسكه عنك؟ والله لا أعطيك الليلة شيئًا، فعمد التائب إلى الرغيف الذى دفعه إليه فدفعه إلى الرجل الذى تُرك، فأصبح التائب ميتًا. قال: فوُزنت السبعون سنة بالسبع ليالى، فرجحت الليالى. فوُزن الرغيف بالسبع ليالى، فرجح الرغيف، فقال أبو موسى، يا بَنى اذكروا صاحب الرغيف[1].

---

(١) صحيح: أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٧/ ٦١، ٦٢)، والمروزي في البر والصلة (٢٨٠)، وابن الجوزي في صفة الصفوة (١/ ٥٦١-٥٦٢)، وانظر جامع العلوم والحكم (١/ ٤٥٣) بتصرف.

لأن يكون فِعْلى أحسن من قولي أحبُّ إليَّ من أن يكون قولي أحسن من فِعْلى

۞ إنه عبد الرحمن بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان:

كان رجلًا فقيهًا فاضلًا موسرًا كثير الغزو والحج، أعطى حتى بلغت عطاياه قواعد المسجد، قال: فبينا هو يومًا يتغدَّى حيث فرغ من غدائه-: إذ استأذن عليه رجلٌ مكفوفٌ من بنى فهرٍ، تقوده أَمةٌ سوداءٌ، فقال: يا غلام، طعامك، فأقبل يأكل معه كأنه لم يأكل شيئًا، ثم قال: حاجتك، قال: حفظك الله، شيخٌ من بنى فهر، لى أربع بنات، ليس لى ولا لهن إلا الأمة السوداء، فإن خدمتنى أضرَّ ذلك بهن، وإن خدمتهن أضرّ ذلك بى، والله ما أصبحت أملك شيئًا، فانظر فى حاجتى وصلك الله، فأقبل يعتذر إليه: ويذكر مسيره ومن يأتيه من قومه وما يتكلف، فقلنا: يعطيه خمسة دنانير، فإن أعطاه عشرةً فذلك كثير! فقال:

يا غلام، أعطه أربع مائة دينار، وأخدم كل ابنة له خادمًا، وأعطه قائدًا، وأجرِ عليه من مالنا بالسُّقيا كذا وكذا وسقًا من تمر. فلما نهض الشيخ قيل له: يرحمك الله! اعتذرت إليه فقلنا: يعطيه خمس دنانير فإن زاده أعطاه عشرة دنانير! فقال: إى والله! لأن يكون فِعلى أحسن من قولى أحبُّ إلىَّ من أن يكون قولى أحسن من فعلى!! [1]

---

(١) لباب الآداب (ص ١٠٣-١٠٥).

اعذرني فيما يأتيك مني!!

۞ قال إبراهيم بن هرمة: أردتُ البناء على ابنى (أي: أردت أن أُزوِّج ابني)، وخروجًا إلى باديتى، (وكان يخرج إلى العقيق فى كلِّ سنةٍ) ومؤنةً للشتاء، فتفكَّرتُ فى قريش، فلم أذكُر إلا إبراهيم بن محمد بن طلحة، فخرجتُ إليه فى مالٍ له بين شرقى المدينة وغربيها ممَّا يلى أُحدًا، يقال له: رحبة، وقد هيَّأتُ له شِعرًا، فلمَّا جئتُه قال لبنيه: قوموا إلى عمِّكم. فقاموا إلىَّ حتى أنزلونى عن دابّتى فسلَّمتُ عليه، وجلستُ أتحدَّث معه، ورحَّب بى، وبشَّ إلىَّ، فقلتُ له، حيث اطمأنَّ بى المجلس: أردتُ البادية، وحَضر الشتاءُ ومؤنته، وأردتُ أن أجمع على ابنى أهْلَهُ، وكانت الأشياء متعذّرة فتَفكَّرتُ فى قومى، فلم أذكر إلا أنت وقد هيَّأتُ لك ما أُحبُّ أن تسمعه. فقال: بحقى عليك أن لا تُسمعنى شِعرًا؛ ففى قَرابتِك ورَحمِك وواجب حقّك، ما تُوصَل به رحمُك، وتُقضَى به حاجتُك، فامضِ إلى باديتك واعذرنى فيما يأتيك منى. قال: فلمَّا انصرفتُ، مضيتُ إلى باديتى بالعقيق، فإنى لجالس بعد أيام إذ نظرتُ إلى شُوَيْهاتٍ تتسايل: يتبع بعضها بعضًا، فأعجبنى ما رأيت من حُسنها، فما زالت تتسايل حتى انفرشت فى الوادى، وإذا غلامان أسودان فيها، وإنسان راكب على بغلٍ يحمل بين يديه رِزْمَة، حتى جاءنى فثنى رِجْلَه، ثم قال: أرسلنى إليك أخوك إبراهيمُ بن محمد بن طلحةٍ، وهذه ثلاثمائة شاة من غنمه، وهذان راعيان، وهذه أربعون ثوبًا، ومائتا دينار، وهو يسألك أن تعذره[1].

(١)«المستجاد» (ص ٩٥-٩٦).

اقبلي ما حضر وتفضَّلي بالعذر

۞ قَدِم إبراهيم بن محمد المدينة، فأتتْهُ عجوزٌ من ولد الحارث بن عبد المطلب، فَشَكَتْ إليه ضنْك المعيشة، فقال: ما يحضرنى لك الكثير، ولا أرضَى لك بالقليل، وإنّا على ظهر سفر، اقبلى ما حضر، وتفضّلى بالعذر، ثم دعا مولى له، فقال: ادفع إليها ما بقى من نفقتنا، وخذى هذا البعير والعبد. فقالت: بأبى وأمى! أجزل الله فى الآخرة أجرك، وأعلى فى الدنيا كعبك، ورفع فيها ذِكْرك، وغفر لك يوم الحساب ذنبك.

۞ وقَدِم إبراهيم المدينة، فأتاه قومه يكلِّمونه فى حِمالةٍ، فأجابهم، فقال له رجل من الأنصار: أنت والله كما قال الأعشى:

تـرى البُّخـلَ مُـرًّا والعطـاءَ كأنَّمـا ... تلَـذُّ بـه عـذْبًا مـن المـاء بـاردَا

وأحْلَمُ من قيسٍ وأمْضَى من الـذي ... بِذِي الغيل من جفانٍ يـصبح حـارِدَا

فقال: يا أخا الأنصار، لسنا نفعل ما ترى من سعةٍ، ولكن وَلَدُ أبى -أى: بنى هاشم- لا يُحسنون إلا ما ترى. ثم تمثَّل بقول لبيد:

وبنـــو الـــديّان لا يـــأتُون لا ... وعلـــى ألـــسُنهم خفَّـــت نعـــمْ

زيَّنـــتْ أحلامهـــم أحـــسابَهم ... وكـــذاك الـــدِّين زَيْـــنٌ للكـــرم[1]

(١) ابن عساكر (٢/ ٥٤١/ ق)، والمستجاد (ص ١٠٤).

يجود بما يفوق الخيال

۞ إنه عبيد الله بن أبي بكرة مولى رسول الله ﷺ.

عن قريش بن أنس قال: وجَّه محمد بن المهلب بن أبى صفرة إلى عبيد الله بن أبى بكرة أنه أصابتنى علة، فوُصف لى لبن البقر، فابعث إلىَّ ببقرة أشرب من لبنها، قال: فبعث إلى بسبع مئة بقرة ورعاتها، وقال: القرية التى ترعى فيها لك[1].

۞ وعن ابن سيرين قال: اشتكى رجل، فوُصف له لبن الجواميس، فبعث إلى عبد الرحمن بن أبى بكرة: ابعث إلينا بجاموسةٍ، قال: فبعث إلى قيِّمه: كم حَلوب لنا؟ قال: تسعمائة، قال: ابعث بها إلينا. فلما أتته قال: إنما أردت واحدة ! قال: فبعث إليه: اقبضها كلها[2].

۞ وعن محمد بن عبد الرحمن الهمدانى قال: رأى عبيد الله بن أبى بكرة على أبى الأسود الدئلى جُبَّةً رَثَّة، كان يكثر لبسها، فقال: يا أبا الأسود! أما تَملُّ هذه الجبة؟ فقال: لَرُبَّ مَمْلولٍ لا يُستطاع فراقه. قال: فبعث إليه بمئة ثوب.

۞ وقال أبو الحسن المدائنى: لقى ابن أبى بكرة سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنهم- وقد ولَّاه معاوية خُراسان، وابن أبى بكرة يريد المدينة- فرأى خِباءً مضروبًا رَثًّا، فقال: لمن هذا؟ قالوا: لسعيد بن عثمان بن عفان، يريد خُراسان. فمشى إليه، وقال: أنت ابن أمير المؤمنين عثمان ووالى خُراسان

(١) رواه الذهبي في «السير»، والمحاملي في « أماليه » ، وابن عساكر، والدارقطني في المُستجاد.

(٢) حسن: أخرجه الدارقطني في «المستجاد»، وابن عساكر، والذهبي، وقال: هذا بعبيد الله أشبه من عبد الرحمن، وهو كذلك لسعة مال عبيد الله وشهرته في السخاء.

فى هذه الهيئة؟! اجعل طريقك بالبصرة، وأكتب إلى وكيلى يجهِّزك.

فكتب إلى وكيله سُليم الناصح: أن أعطه عشرين ألفًا وعشرين عبدًا وعشرين برذونًا وعشرين بعيرًا وعشرين طيلسانًا. فظن سعيد بن عثمان بن عفان رَحِمَهُ اللَّهُ أنه يهزأ به، فدخل البصرة، فنزل على مولى لعثمان بن عفان رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال: إن ابن أبى بكرة قد كتب إلى وكيله بشىء، أفتراه ينفذ ما كتب به؟ فأرسل إلى وكيله، فأعطاه الكتاب، فقال: أجِّلنى جمعةً، فأجَّله، فأتاه بما فى الكتاب، ثم قال له سليم: ألك حاجة؟ فقال له سعيد: لو كان لى حاجة كنت تقضيها؟ قال: أمَّا فى مثل ما أعطاك مولاى ما كنت لأفعل، فقال سعيد: ما أدرى أيكما أكرم[1].

۞ ووسَّع لعبيد الله بن أبى بكرة رجل فى مجلس، فلما قام قال للرجل: الحقنى، فأمر له بعشرة آلاف درهم.

۞ وابتنى رَحِمَهُ اللَّهُ دارًا بالبصرة، أنفق عليها عشرة آلاف دينار، فدخل عليه فيها بعض أصحابه فاستحسنها، فقال: هى لك بما فيها من الفرش والأثاث والرقيق، فقال الرجل: عمَّرها الله بك ومتعك بها. فقال: والله لتقبلنَّها، فقبلها.

۞ ودخلت عليه امرأة وقالت: سألت أحياء العرب: من المرجو نايله؟ فأُرسلتُ إليك ودخلت عليك، وأنا - أصلح الله أمرك - امرأة قد هلك عنها الوالد والولد، وذهب الطارف والتالد، ومثلك من يسدُّ الخلة، ويزيح العلة، فإمَّا أن تُحسن صَفدى فتقيم أودى، وإما أن تردَّنى إلى بلدى.

فقال: بل أجمع لك كل ما ذكرت، وأمر لها بعشرة آلاف درهم وزادٍ

(١) لباب الآداب (٩٠ - ٩١).

و كسوة وراحلة[١].

۞ ومن جوده أنه أدلى إليه رجل بحرمة فأمر له بمائة ألف درهم فقال: أصلحك الله، ما وَصلنى أحدٌ بمثلها قط، ولقد قطعت لسانى عن شكر غيرك، وما رأيت الدنيا فى يدِ أحدٍ أحسن منها فى يدك[٢].

۞ وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ينفق على جيرانه أربعين دارًا من كل جانب ويفطر على الكسرة، وكان يبعث إليهم بالأضاحى والكسوة فى الأعياد وكان يعتق كل سنة فى عيد الفطر مائة مملوك[٣].

(١) الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود (ص ٧٢).

(٢) العقد الفريد (١/ ٣٠٠).

(٣) تنبيه المغترين للشعراني.

أيهما أجود؟!

۞ اجتمع جماعة بفناء الكعبة، فتذاكروا الأجواد، وتلاحقوا ثلاثة منهم، فقال أحدهم: أجود الناس عبد الله بن جعفر، وقال أحدهم: أجود الناس قيس بن سعد، وقال الآخر: أجود الناس عرابة الأوسى، وكثر نزاعهم فقال رجل: ليمض كلٌّ واحدٍ لصاحبه حتى ننظر ما يعطيه، ونحكم على العيان، ... فقام صاحب عبد الله بن جعفر فصادفه قد وضع رجله فى الركاب يريد سفرًا، فقال له: يا ابن عم رسول الله ﷺ، ابن سبيل ومنقطع به، فثنى رجله وقال: خذ الناقة بما عليها، ولا تُخدع على السيف فإنه من سيوف ابن أبى طالب، قُوِّم علىَّ بألف دينار. فجاد بالناقة بما عليها.

ومضى الآخر إلى قيس بن سعد فوجده نائمًا، فقال غلامه: ما حاجتك؟ قال: ابن سبيل ومنقطع به، قال: حاجتك أيسر من أن أوقظه، هذا كيس فيه سبعمائة دينار، والله ما فى داره اليوم غيرها، خذه وامضِ إلى معاطن الإبل بغلامه كذا، إلى من فيها، فخذ راحلة وعبدًا، وامضِ لشأنك، فلما انتبه قيس، وأعلمه غلامه بما صنع أعتقه، وقال: هلا أيقظتنى فكنت أزيده.

ومضى صاحب عرابة إليه، فلقيه قد خرج من منزله يريد الصلاة، وهو متوكئ على عبدين، وقد كُفَّ بصره، فقال: ابن سبيل ومنقطع به، فتخلى عن الغلامين، وصفق بيديه وقال: أواه!! ما تركت الحقوق لعرابة مالًا، خذ العبدين، فقال الرجل: ما كنت بالذى أقصُّ جناحيك. قال: إن لم تأخذهما فهما حُرَّان، فإن شئت خُذ وإن شئت فاعتق، ورفع يديه عنهما، وتركهما وأقبل يلتمس الحائط بيديه، فأخذ الرجل الغلامين ومضى.

فأجمع الناس على أن عرابة أجود الثلاثة، لأنه أعطى جهدًا من مُقلٍّ وغيره أعطى من سعة وفضل.

وفي عرابة يقول الشماخ:

رأيت عرابة الأوسي يسمو إلى العلياء منقطع القرين

إذا ما رأته رفعت لحد تلقاها عرابة باليمين[1]

(١) «الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود» (ص ٧٠ - ٨١).

ما غلبنا إلا الشيخ العذري

۞ عن بديح مولى عبد الله بن جعفر قال: خرجت مع عبد الله بن جعفر فى بعض أسفاره، فنزلت إلى جانب خباء من شعر، وإذا صاحب الخباء رجل من بنى عُذرة، فبينا نحن كذلك إذا نحن بالأعرابى قد أقبل يسوق ناقة حتى وقف علينا، ثم قال: أى قوم، ابغونى شفرة، فناولناه الشفرة، فوجأ فى لبتها[1] وقال: شأنكم بها!

قال: فأقمنا اليوم الثاني فإذا نحن بالعذرى يسوق أخرى حتى وقف علينا.

فقال: أى قوم ابغونى شفرة، فقلنا: إن معنا من اللحم ما ترى! قال: أبحضرتى تأكلون الغاب[2]؟ ناولنى شفرة، فناولناه الشفرة، فوجأ فى لبتها، ثم قال: شأنكم بها!

وبقينا اليوم الثالث، فإذا نحن بالعذرى يسوق أخرى، حتى وقف علينا فقال: أى قوم: ابغونى شفرة! فقلنا: إن معنا من اللحم ما ترى، قال: أبحضرتى تأكلون الغاب، إنى لأحسبكم لئامًا ناولونى الشفرة، فناولناه الشفرة، فوجأ فى لبتها، ثم قال: شأنكم بها!

قال: وأخذنا فى الرحيل، فقال ابن جعفر لخادمه: ما معك؟ قال: رزمة ثياب، وأربعمائة دينار.

قال: اذهب بها إلى الشيخ العذرى. قال: فذهب بها، فإذا جارية فى

---

(١) أي: ضرب أعلى عنق الناقة بالسكين.

(٢) الغاب: اللحم البائت.

الخباء، فقال: يا هذه، خُذى هدية ابن جعفر.

قالت: إنَّا قوم لا نقبل على قِرَانا جزاءً (أي: لا نقبل على ضيافة الناس جزاءً)، فجاء ابن جعفر فأخبره، فقال: عد إليها، فإن هى قبلت، وإلا فارم بها على باب الخيمة، فعاودها، فقالت: اذهب عنا بارك الله فيك، فإنا قوم لا نقبل على قِرَانا أجرًا، فوالله لئن جاء شيخى، فرآك ها هنا لتلقين منه أذىً.

قال: فرمى بالرزمة والصُرَّة على باب الخباء، ثم ارتحلنا فما سرنا إلا قليلًا، فإذا نحن بشىء يرفعه السراب مرة، ويضعه أخرى، فلما دنا منا إذا نحن بالشيخ العذرى، ومعه الصرَّة والرزمة، فرمى بذلك إلينا، ثم ولى مدبرًا، فجعلنا ننظر فى قفاه: هل يلتفت؟ فهيهات! فكان ابن جعفر يقول: ما غلبنا [بالسخاء][1]، إلا الشيخ العذرى[2].

---

(١) سقط في المطبوعة.

(٢) أخرجها ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧/ ٢٧٨).

هكذا تكون مكافأة أهل الكرم

۞ قد تدخل أحيانًا على إنسان فقير ليس عنده إلا قوت يومه ومع ذلك تجده كريمًا يقدم لك كل ما عنده، ويؤثرك على نفسه وأولاده... فتجد نفسك فى حيرة شديدة وتريد أن تبادل إحسانه إليك بإحسانٍ لا يخطر على قلب بشر.

هذا هو الذى حدث مع أمير المؤمنين المهدى.

۞ خرج المهدى أبو عبد الله بن أبى جعفر المنصور إلى الأنبار متنزهًا، فدخل عليه الربيع بن يونس، ومعه قطعة من جراب، فيه كتابة برماد، وخاتم من طين قد عُجن بالرماد، وهو مطبوع بخاتم الخلافة، فقال: يا أمير المؤمنين، ما رأيت أعجب من هذه الرقعة، جاءنى بها أعرابى وهو ينادى: هذا كتاب أمير المؤمنين، دلونى على هذا الرجل الذى يُسمَّى الربيع، فقد أمرنى أن أدفعها إليه.

فأخذها المهدى وضحك وقال: صدق، هذا خطِّى وهذا خلقى، أفلا أخبركم بالقصة كيف كانت؟ قلنا: أمير المؤمنين أعلى رأيًا فى ذلك.

قال: خرجت أمس إلى الصيد فى غير سيمائى فلما أصبحت هاج علينا ضباب شديد، وفقدت أصحابى حتى ما رأيت منهم أحدًا، وأصابنى من البرد والجوع والعطش ما الله به أعلم، فتحيرت عند ذلك، فذكرت دعاء سمعته من أبى يحكيه عن أبيه عن جده عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه قال: «من **قال إذا أصبح وإذا أمسى: بسم الله وبالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وُقى وكُفى وهُدى وشُفى من الحرق والغرق والهدم وميتة السوء**».

فلما قلتها رفع الله لى ضوء نار، فقصدتها فإذا بهذا الأعرابى فى خيمة له، وإذا هو يوقد نارًا بين يديه، فقلت: أيُّها الأعرابى هل من ضيافة؟ قال: انزل فنزلت، فقال لزوجته: هاتى ذلك الشعير، فأتت به، فقال: اطحنيه فابتدأت بطحنه، فقلت: اسقنى ماءً، فأتانى بسقاء فيه مذقة من لبن أكثرها ماء، فشربت منها شربة ما شربت شيئًا قط إلا وهى أطيب منه، وأعطانى حلسًا له (يعنى كساءً رقيقًا)، قال: فوضعت رأسى عليه ونمت نومة ما نمت أطيب منها وألذّ، ثم انتبهت فإذا هو قد وثب إلى شويهة فذبحها، وإذا امرأته تقول له: ويحك قتلت نفسك وصبيتك، انما كان معاشكم من هذه الشاة فذبحتها، فبأى شىء نعيش؟

قال: فقلت: لا عليك هاتِ الشاة، وشققت جوفها، واستخرجتُ كبدها بسكين كانت فى خفى، فشرحتها ثم طرحتها على النار فأكلتها، ثم قلت له: هل عندك شىء أكتب فيه؟ فجاءنى بهذه القطعة من جراب، وأخذت عودًا من الرماد الذى بين يديه، وكتبت له هذا الكتاب، وختمته بهذا الخاتم، وأمرته أن يجىء ويسأل عن الربيع فيدفعها إليه، فإذا فيها خمس مائة ألف درهم.

فقال: والله ما أردت إلا خمسين ألف درهم، ولكن جُدت بخمس مائة ألف درهم لا أنقص والله منها درهمًا واحدًا، ولم يكن فى بيت المال غيرها، احملوها معه، قال: فما كان إلا قليل حتى كثرت إبله وشاؤه وصار منزله من المنازل ينزله الناس من أراد الحج... وسُمِّى منزل مضيف أمير المؤمنين المهدى[1].

---

(١) مرآة الجنان (١/ ٢٧٧).

هذا هو دَعْلَج بن أحمد بن دعلج

۞ قال الحاكم: دعلج الفقيه، شيخ أهل الحديث فى عصره، له صدقاتٌ جارية على أهل الحديث بمكة وببغداد وسجستان ... وقال الخطيب: كان دعلج من ذوى اليسار، له وقوفٌ على أهل الحديث.

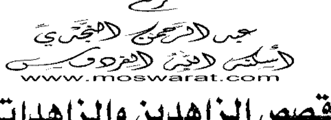
۞ قَالَ أبو عُمَر بْن حَيُّوَيْهِ: أدخلنى دعلج إِلَى داره، وَأرانى بِدَرًا من المال معبأة فِى منزله وَقَالَ لى: يا أبا عُمَر خذ من هذه ما شئت. فشكرت له وَقلت: أنا فِى كفاية وَغنى عنها، فلا حاجة لى فيها.

۞ وحدَّثَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْد اللهِ الحداد- وَكَانَ من أَهْل الدين وَالقرآن وَالصلاح- عَنْ شيخ سمَّاه، فذهب عنى حفظ اسمه، قال: حضرت يوم الجمعة مسجد الجامع بمدينة المنصور، فرأيت رجلا بين يدى فِى الصف حسن الوقار ظاهر الخشوع، دائم الصلاة، لم يزل يتنفَّل مُذْ دخل المسجد إِلَى قرب قيام الصلاة ثُمَّ جلس، قَالَ: فعلتنى هيبته وَدخل قلبى محبته، ثُمَّ أُقيمت الصلاة فلم يُصلِّ مَعَ الناس الجمعة، فكَبُر علىَّ ذلك من أمره، وَتعجبت من حاله، وَغاظنى فعله، فلما قضيت الصلاة تقدمت إليه وَقلت له أيها الرجل ما رأيت أعجب من أمرك! أطلت النافلة وَأحسنتها وَتركت الفريضة وَضيعتها؟ فَقَالَ: يا هذا إن لى عُذرًا وَبى علة منعتنى عَنِ الصلاة، قلت وَما هى؟ فَقَالَ: أنا رجل علىَّ دَينٌ اختفيت فِى منزلى مدة بسببه، ثُمَّ حضرت اليوم الجامع للصلاة فقبل أن تُقام التفتُّ فرأيت صاحبى الَّذِى له الدَّين علىَّ وَرائى، فمن خوفه أحدثت فِى ثيابى فهذا خبرى. فأسألك بالله إِلا سترت علىَّ وَكتمت أمرى، قَالَ فقلت: وَمن الَّذِى له عليك الدَّين؟ قَالَ دعلج بْن أَحْمَد، قَالَ وَكَانَ إِلَى جانبه صاحب

لدعلج قد صلى وَهُوَ لا يعرفه، فسمع هذا القول، وَمضى فِي الوقت إِلَى دعلج فذكر له القصة، فَقَالَ له دعلج: امضِ إِلَى الرجل وَاحمله إِلَى الحمام، وَاطرح عَلَيْهِ خلعة من ثيابي، وَأجلسه فِي منزلي حَتَّى أنصرف من الجامع، ففعل الرجل ذلك، فلما انصرف دعلج إِلَى منزله أمر بالطعام فأُحضر. فأكل هو وَالرجل، ثُمَّ أخرج حسابه فنظر فيه، وَإذا له عَلَيْهِ خمسة آلاف درهم، فَقَالَ له: انظر لا يَكُون عليك فِي الحساب غلط، فَقَالَ الرجل لا، فضرب دعلج على حسابه وَكتب تحته علامة الوفاء ثُمَّ أحضر الميزان وَوزن خمسة آلاف درهم وَقَالَ له: أما الحساب الأول فقد حللناك مما بيننا وَبينك فيه، وَأسألك أن تقبل هذه الخمسة آلاف درهم وَتجعلنا فِي حِلٍّ من الروعة الَّتِي دخلت قلبك برؤيتك إيانا فِي مسجد الجامع.

۞ وأُودع أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشميّ عشرة آلاف درهمٍ ليتيم، فضاقت يده فامتدت إليها، فأنفقها وحَلَّ موعدُ فكِّ الحِجر عن الغلام، وضاقتْ بالهاشمي الأرضُ بما رَحُبَتْ، فذهب إلى دعلج وقصَّ عليه القصة، فأعطاه إياها، حتى كاد عَقْلُه يطير فرحًا، وبعد ثلاث سنين أتى بها إلى دعلج شاكرًا فما قَبِلها، وقال: يا سبحانَ الله، والله ما خَرجتْ الدنانيرُ عن يدي فنويت أن آخذ عِوَضها، حَلٍّ بها الصِّبْيان»[1].

(١) تاريخ بغداد (٨/ ٣٨٩-٣٩١).



هذا أكرم رجل رأيته بعد أمير المؤمنين

۞ عن الحسن بن خضر قال: لما أفضت الخلافة إلى بنى العباس اختفت رجالٌ من بنى أمية، وكان فيمن اختفى إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك، حتّى أخذ له داود بن العباس أمانًا، وكان إبراهيم رجلًا عالمًا حَدِثًا[١]، فخُصَّ بأبى العباس، فقال له يومًا: حدثنى عن ما مرَّ بك فى اختفائك؟ قال: كنت- يا أمير المؤمنين- مختفيًا بالحيرة، فى منزلٍ شارعٍ إلى الصحراء، فبينا أنا على ظهر بيتٍ اذ نظرت إلى أعلامٍ سودٍ قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة، فوقع فى روعى أنها تريدنى، فخرجت من الدار متنكّرًا، حتى أتيت الكوفة، ولا أعرف بها أحدًا أختفى عنده، فبقيت مُتلدِّدًا[٢]، فإذا بباب كبيرٍ ورحبةٍ واسعةٍ، فدخلت فيها، فإذا رجلٌ وسيم الهيئة على فرسٍ قد دخل الرحبة، ومعه جماعةٌ من غلمانه وأتباعه، فقال: من أنت؟ وما حاجتك؟ فقلت: رجلٌ مختفٍ يخاف على دمه، استجار بمنزلك ... فأدخلنى منزله، ثم صيَّرنى فى حجرةٍ تلى حرمه، وكنت عنده فيما أحبُّ من مطعمٍ ومشربٍ وملبس، ولا يسألنى عن شىءٍ من حالى، إلاَّ أنه يركب فى كلِّ يومٍ ركبةً. فقلت له يومًا:

أراك تُدمن الرُّكوب، ففيم ذلك؟ فقال: إن إبراهيم بن سليمان قتل أبى صبرًا، وقد بلغنى أنه مختفٍ، وأنا أطلبه لأُدرك منه ثأرى!

فكثر- والله- تعجُّبى، إذ ساقنى القدر إلى حتفى، فى منزل مَن طلب دمى! وكرهت الحياة. فسألت الرجل عن اسمه واسم أبيه؟ فخبَّرنى.

---

(١) أي: كثير الحديث، حسن السياقة له.

(٢) التَّلدد: أين يحتارَ فيلتفتُ يمينًا وشمالًا.

فعرفت أنَّ الخبر صحيح، وأنا قتلت أباه صبراً. فقلت: يا هذا، قد وجب علىَّ حقك، ومن حقك علىَّ أن أدلك على خصمك، وأُقرِّب عليك الخطوة. قال: وما ذاك؟

قلت: أنا ابراهيم بن سليمان قاتل أبيك، فخذ بثأرك! فقال: إنى أحسبك رجلًا قد مضَّه[1] الاختفاء، فأَحبَّ الموت. فقلت: بل الحقُّ ما قلت لك، أنا قتلته يوم كذا وكذا، بسبب كذا وكذا. فلما عرف صِدْقِى اربدَّ وجهه واحمرَّت عيناه، وأطرق مليًّا، ثم قال: أما أنت فستَلقى أبى فيأخذ بثأره منك، وأما أنا فغير مُخفرٍ ذمَّتى، فاخرج عنى، فلست آمن نفسى عليك! وأعطانى ألف دينارٍ. فأخذتها وخرجت من عنده .... فهذا أكرم رجلٍ رأيته بعد أمير المؤمنين[2].

---

(١) مضَّه وأَمضَّه: أي شقَّه عليه.

(٢) لباب الآداب (١٢٨-١٢٩).

كرم يزيد بن المهلب رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ كان أهل المهلب فى دولة بنى أمية أشبه بالبرامكة فى دولة بنى العباس، ذاع صيتهم فى الكرم، ووقف على أبوابهم الشعراء والأدباء يمدحونهم ويُعددون منقابهم ويظفرون منهم بالكرم والجود، وكانوا ينافسون بجودهم الملوك والأمراء والخلفاء والوزراء إلى حَدٍّ جعل الناس يقصدونهم فى الشدائد ويلجأون إليهم فى الأزمات والخطوب، وكان لهم فى الكرم باعٌ طويل وحبلٌ مديد. حتى ضُرب بهم المثل وبرزت أسماؤهم فى قصائد الشعراء وأقوال الأدباء ... قالوا: إن المهلب الوزير قصد يومًا بيت الله الحرام مع الخليفة هشام فلما فرغ من الوقوف بعرفة وتوجه إلى مِنى وجاء أوان الحلق، وتقدم رجل ليحلق له شعره أعطاه خمسة آلاف درهم فدُهش الحلاق، وكاد يُغمى عليه من سعة العطاء، فأقبل بلغته المتواضعة على المهلب وقال له: أيَّد الله الوزير وسدَّده، والله لأذهبن بهذا العطاء إلى زوجتى ولأخبرنها أن رجلًا من آل المهلب قد أغنانى إلى الأبد، فأطرق المهلب حياءً من قوله، وقال لرجاله الذين معه أعطوه خمسة آلاف أخرى، فلما قبضها قال له: زادك الله أَنعُمًا، أُشهدك أن زوجتى طالق إن حلقت لأحدٍ بعدك. ولقد كان الحجَّاج يحقد عليه ويكره أن يجرى ذكره فى مجلسه، وكان يتصيد له الأخطاء والأغلاط ويستأجر من يختلق عليه العيوب وينسب له القبائح والمنكرات وما زال حقده على المهلب يضطرم فى صدره وتتأجج ناره فى نفسه حتى حاك له فتنة ودبَّر له مكيدة ولفَّق له مؤامرة جعلت الخليفة يأمر بسجنه وينسب إليه خيانة فى مالٍ اغتصبه من الدولة وطالبه بأدائه فى وقت لا يقدر عليه وكان ذلك المال يزيد على

عشرين ألف دينار، فلما أدخله السجن وبلغ ذلك أحبابه والمخلصين له العارفين بقدره والناطقين بفضله وكانوا أكثر من أن يُعَدُّوا لما بلغهم سجن الحجاج له، فكَّروا فى شأن المهلب وحرصوا على أن يُخرجوه من هذا السجن، وكان أول شىء يعملونه هو أن يجمعوا هذا المبلغ حتى لا يكون للحجَّاج سلطان عليه، وتم جمعه فى أيام قليلة وحُمل إليه وهو فى السجن وحدث أن دخل عليه الفرزدق الشاعر المشهور ليزوره فى سجنه، فلقى صعوبة فى دخوله عليه من السجَّان، ولكنه تمكن من الوصول إليه، فأنشده قصيدة طويلة ننقل منها هذه الأبيات، وسيحس القارئ مقدار هذا الكلام وأنه كلام يقطر عسلًا إن صَحَّ أن يقاس مذاق المعنويات بالمحسوسات، فاسمع يا أخى إلى هذه الأبيات التى يخاطب الفرزدق بها يزيد بن المهلب وكان مقره أرض خُراسان

أبا خالدٍ ضاقتْ خراسانُ بعدكُمُ ... وقال ذوو الحاجات أين يزيد

فما قطرتْ بالشرق بعدك قطرةٌ ... ولا اخضرَّ بالمرباع بعدك عود

فما السرور بعد عزّك بهجةٌ ... وما الجود بعد المهلب جود

فدفع إليه يزيد بن المهلب المال الذى جُمع له لتخليصه من السجن والتفت إلى إخوانه قائلًا: دعوا الحجَّاج ولحمى يفعل به ما شاء.

فأقبل السجَّان على الفرزدق، وقال له: يا هذا، والله ما منعتك من الدخول عليه إلا خوفًا من كرمه،... ومع ذلك لم ييأس أهله وأتباعه من جمع مبلغ آخر ليفتدوا به ابن المهلب من سجنه، وهكذا كان شأنه عند أحبائه وجلسائه، ولم تمضِ شهور حتى غَلَتْ أرضه وبساتينه، فأعطى كل إنسان صنع إليه معروفًا أضعاف ما ساهم به فى محنته،... لقد حدثوا عنه أنه

كان جالسًا فى إمارته يومًا، فدخل عليه أعرابى، يسأله شيئًا، فأمر بإطعامه وكسائه وسأله عن ديونه فأخبره بها، فإذا هى خمسة آلاف، فقال له خازنه: أيها الأمير إنه أعرابى ويكفيه القليل، وهو لا يعرفنا حتى نخشاه أو نخاف لسانه، فقال له يزيد بن المهلب: إن كان لا يعرفنى فأنا أعرف نفسى، وإن كان يُرضيه القليل فأنا لا يُرضينى إلا الكثير.

فولَّى الأعرابى وهو يقول يخاطب يزيد بن المهلب:

أمسك ندا كفيك عني ولا تزد ... فقد خفت أن يطغى وأن يتجبرا

۞ ومن خير ما رُوى فى مدح المهلب وأغرب ما قيل فيه من الشعر قول الفرزدق فيه وكان قد وهب إليه حلة غالية فكتب إليه يقول:

كسوتني حُلة تبلى محاسنها ... فلسوف أكسوك من حسن الثنا حُللا

إن نلت حسن الثنا قد نلت مكرمة ... ولست تبقى بما قدمته بدلا

إن الثناء ليُحيي ذِكر صاحبه ... كالغيث يحيى نداه السهل والجبلَ

لا تزهد الدهر عرف بدأت به ... كل امرئ سيجزي بالذي فعلَ

۞ وخير ما نختم به ما حُكى عن اليزيد بن المهلب وهو يوصى أولاده عند موته، قال لهم وهو يجود بروحه: يا بَنى لا تزهدوا فى معروفٍ طُلب منكم فإن الدهر ذو صروف وتقلبات، فكم من راغبٍ كان مرغوبًا إليه، وطالبٍ كان مطلوبًا ما لديه واعلموا أنَّ حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملُّوا النعم فتنقلب نقمًا.

كرم معن بن زائدة رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ وكان معن بن زائدة من أجود الناس فى أيَّام الدولة العباسية، وقد تناقلت الأخبار عن كرمه وسارت بأنبائه الرُّكبان، وشاع جودُه وذاع حتى وصلت أخباره إلى مسامع الخليفة أبى جعفر المنصور فكاد أن يحسده على هذا الشرف لولا أن مَعِنًا كان من العقلاء الحكماء، فكان يصانعه حتى يهرب من شره وكيده،... ولقد رثاه أحد الشعراء بقصيدة عصماء بكى فيها كرمه وأثنى فيها على سخائه ومنها هذه الأبيات:

فَيا قبر معن كيف واريت جُودَهُ وقد كان منه البَرُّ والبحر مُترعا

بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيًّا ضقت حتى تصدعا

وكان لهذا الشاعر مع معن بن زائدة قصة طريفة فى حياته ... قصده الشاعر يومًا يريد عطاءه وينشد جوده، فمنعه حاجبه من الدخول عليه، وقال له إنه جالس مع أهله فى بستانه، فاحتال الشاعر حتى توصَّل إليه وأحضر قطعة من الغاب وكتب فيها بيتًا من الشعر وجعلها فى مجرى الماء الذى يروى الحديقة فحملها الماء إلى حيث يجلس معن، وكان هنالك صبيان يعبثون حول مجرى الماء إلى حيث يجلس معن، فالتقطوا هذه الغابة ورأوا بداخلها هذه الرقعة فقدموها إلى مَعِن، فإذا فيها هذا البيت:

أيا جود مَعِن ناجِ مَعِنًا بحاجتي فليس إلى مَعِن سواك شفيع

فاستحضر الحاجب وسأله مَن بالباب من الشعراء؟ قال: هنالك أبو حفص يرغب فى لقائك فمنعته من الدخول، فقال له: علىَّ به الساعة، فأحضره الحاجب فقضى مَعِن حاجته، وأجازه بكثير من المال ثم نحَّى هذا

الحاجب عن بابه، فلامه أهله على كرمه وسخائه وعنَّفته زوجته، فأجابها قائلًا:

دعيني أبذل الأموال حتى أُعِفَّ الأكرمين عن اللئام

كرم عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما

۞ كان عبد الله بن جعفر من أعلام الكرم والجود وكان يقصده الناس لكرمه وسخائه إلى حَدٍّ أن الحسن بن على لامَه على هذا الإسراف وقال له: إنك لا تُمسك مالًا ولا تدَّخر لغدك، وكان لابد أن يقول له ذلك لأنه زوج أخته السيدة زينب ابنة الإمام علىٍّ ... فبماذا أجابه عبد الله بن جعفر؟ لقد أجابه بجواب يتجلى فيه إيمانه ويظهر فيه يقينه وتتجسد فيه ثقته فى الله. فأجاب الحسن قائلًا إن الله عوَّدنى أن يتفضل علىَّ بنعمه وعوَّدته أن أتفضل على عباده، فأخاف إن قطعت عن عباده ما عوَّدتهم أن يقطع الله عنى ما عوَّدنى... وكان كريمًا يهزه المديح ويُطلِق يده الثناء وكان يقصده الشعراء لهذا الطبع الكريم. قالوا إن (نصيب) الشاعر المشهور قصده ليمدحه ابتغاء جوده ونُبل عطائه، فلما فرغ من إنشاد قصيدته فيه وكانت قصيدة عصماء أعطاه مالًا وفيرًا وخلفًا كثيرًا. فقالوا: فعتب عليه بعض إخوانه، وقالوا له: لقد أسرفت فى إكرام هذا العبد الأسود. وكان أقل من ذلك يكفيه ويُغنيه، فقال لهم: لا تقولوا ذلك، فلئن كان أسود الوجه فإنه أبيض الثناء، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال، وهل أعطيناه إلا ثيابًا تبلى ومالًا يفنى، أما هو فقد أعطانا مديحًا يُروى وثناءً يَبقى... ومن مناقب عبد الله بن جعفر رضي الله عنه، ما جاء فى ترجمته وسيرته، فقد حُكى عنه أنه كان له ضيعة (وهى ما نسميها فى أيامنا هذه بالعزبة)، وكانت مليئة بالأشجار والنخيل فكان يستدعى إليها العمال والرجال ليقوموا بإصلاحها وليتعهدوها بالرى والتسميد حتى تُؤتى أُكُلها، ... وحدث أن خرج عبد الله هذا إلى ضيعته ليراها ويتفقد أحوالها فوقعت عينه على عبدٍ أسود يعمل بين العمال ورأى معه طعامًا قد أعدَّه

لنفسه، وبينما هو يعمل فى النخيل إذ رأى كلبًا يُحمحِم حوله وكأنما يسأله الطعام فما كان من العامل إلا أن دفع إليه كل ما كان معه ... وعبد الله ينظر إليه ويعجب منه فكلَّمه، وكأنما أراد أن يقف على حقيقة نفسه، وقال له: كم قوتك يا أخى فى كل يوم؟ فقال الرجل: هو ما رأيت. فقال له: فلِمَ آثرت الكلب على نفسك؟ فأجابه قائلًا: يا سيدى إن أرضنا هذه ليست بأرض كلاب، وقد يمضى الشهر والشهران لا أُبصر فيها كلبًا، وأظن هذا الكلب قد جاء من بعيد يقصد بِرَّنا، فكرهت أن أردَّه جائعًا فازداد عبد الله تعجُّبًا وهو يقول: وماذا أنت صانع اليوم فى نفسك؟ فقال: سأطوى معدتى على الجوع يومًا وأكتسب هذا الثواب، وهنا استصغر عبد الله جوده وكرمه، وقال: أَوَ أُلام بعد ذلك على السَّخاء، والله إن هذا لأسخى منى، ثم سأل عن سيِّده، واشتراه منه واشترى له حديقة صغيرة ووهبها له وأعتقه من الرِّق، فما كان منه إلا أن قال: يا سيدى إن كان هذا البستان لى فهو فى سبيل الله... فعلم أنه رجل من الصالحين فكان يقول لأصحابه ومن حوله: أرأيتم جود هذا الرجل وسماحة نفسه، إنكم تتحدثون عن كرمى وتبذيرى فى المال، أفيجود هذا الرجل ويبخل عبد الله بن جعفر: لا كان ذلك والله أبدًا.

ما أعطيت هذا المال إلا لجميع أهل المدينة

۞ كان معاوية بن أبى سُفيان فى عِداد الكرماء الأسخياء وكان كثيرًا ما يعطى أهل المدينة باعتبارها مقرًّا لأبناء المهاجرين والأنصار وشيوخ الصحابة أموالًا طائلةً وكان يخصُّهم بمزيدٍ من العطاء لفضلهم ولسابقتهم فى الإسلام، وكان يبعث بالألوف من الدنانير إلى أمهات المؤمنين ويخص السيدة عائشة بنصيبٍ أوفر لعلمه بأن بيتها كعبة القاصدين وقبلة الرَّاجين، ومقر الفقراء والمساكين وملجأ الضعفاء والمستضعفين وكان يعرف لأبناء الصحابة وخاصة المهاجرين منهم قدرهم ومنزلتهم فكان يبسط لهم كفَّه بالجود والكرم ويمنحهم المزيد من السخاء ليحفظ عليهم ماء وجوههم فلا يسألون الناس، فلما حضرته الوفاة أوصى ولده يزيد بأهل المدينة ولا سيما المهاجرين والأنصار، فوفد عليه أهل العطاء الذين كانوا يأخذون من معاوية وسألوه حقهم، وكان من بين الذين وفدوا عليه سيدنا عبد الله بن جعفر فلما دخل على يزيد ليطلب منه عطاءه، وقال له: كم كان يعطيك أمير المؤمنين معاوية؟ فأجابه ابن جعفر، كان رَحِمَهُ اللَّهُ يعطينى عشرة آلاف دينار، فتهلَّل وجه يزيد وانبسطت أساريره، وقال لابن جعفر: لك ما كان يعطيك أمير المؤمنين، وقد زدناك لترحُّمك عليه عشرة آلاف أخرى، فسُرَّ ابن جعفر، وقال من شدة سروره وفرحه بتلك البشارة: فداك أبى وأمى يا أمير المؤمنين، فقال له يزيد: ولهذه عشرة آلاف ثالثة، فقال ابن جعفر: أما أنى لا أقول هذه الكلمة لأحدٍ بعدك: فزاده عشرة آلاف رابعة، فدُهش الحاضرون واعتبروا هذا تبذيرًا وإسرافًا وتعجبوا من أن يأخذ رجل واحد كل هذا العطاء، فلما عاتبوا يزيد على صنعه هذا قال لهم: والله ما أعطيت هذا المال

إلَّا لجميع أهل المدينة وسوف ترون،... فلما انصرف عبد الله بن جعفر راجعًا إلى المدينة بعث وراءه يزيد طائفة من المعترضين على عطائه ليتجسسوا عليه، وما كاد ابن جعفر يصل إلى منزله حتى ازدحمت ساحة بيته بالقاصدين والطالبين يسألونه العطاء، فلم تمضِ إلَّا ليلة واحدة، وقد فرغ كل هذا العطاء، وعاد القوم إلى يزيد فأخبروه بما رأوه من ابن جعفر، فالتفت إلى حاشيته وقال لهم: ألم أقل لكم أنى ما أعطيت هذا المال إلا لأهل المدينة.

كرم قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما

۞ من أبرز الكرماء فى عهد النبى ﷺ سيدنا قيس بن سعد. وكان له مواقف فى الكرم جديرة بأن تُخلد ذكراه وهو لا يزال شابًّا ناشئًا تحت رعاية والده سيدنا سعد بن عبادة زعيم الخزرج وكبير الأنصار... حدَّثت كتب السيرة عن شىء من كرم قيس هذا قالوا: إنه كان فى غزوة من الغزوات، قَلَّ فيها طعام المسلمين ولم يجدوا من القوت ما يَسُدّ جوعهم أو يُقيم أودهم وكان والده سعد مشهورًا بين قبائل العرب بغناه وثرائه فعزَّ على قيس أن يرى المجاهدين فى سبيل الله جياعًا فأخذته النَّخوة وتوجَّه إلى قبيلة غنية قريبة من الموقع الذى كانوا يجاهدون فيه، واستدان على أبيه عشرين بعيرًا وما يقوم بها من الخبز والزيت والدقيق والكعك، فقالوا له: ومن تكون يا هذا حتى نعطيك كل هذه الأشياء. قال: أنا قيس بن سعد بن عبادة. فقالوا له: يكفينا أن تكون ابن سعد. وأعطوه ما شاء فأطعم الجنود كفايتهم حتى شبعوا فلما عادوا إلى المدينة أخبر والده سعدًا بما كان منه فقال أبوه: والله ما يسرنى أن لى بهذه المكرمة الدنيا وما فيها ووالله لا أدفع إليهم إلا أضعاف ما أخذت ثم قبَّل قيسًا بين عينيه وقال له: إنى لأرى فيك سماحة سعد ومروءته فتبسم رسول الله، وقال: لا أدرى أيكما أكرم الابن أم أبوه.

۞ وحدث أن مرض قيس هذا فى يوم من الأيام فلم يَعُدْه أحد فى بيته فتعجب من جفاء الناس له، فبكى وقال: أَوَ ما يزورنى أخٌ أو صديق فى هذه الشدة، فقالوا له إن الناس يخجلون من زيارتك لكثرة ما لك عليهم من دَين، فقال: ويحكم يا قوم ألا تبًّا لما يحول بين الرجل وأخيه... وأمر مناديًا أن ينادى فى سِكك المدينة وشوارعها: كل دَين لقيس بن سعد على

رجل من أهل المدينة فإنه قد أبرأه منه. قالوا: فتوارد الناس على بيته وازدحموا على بابه حتى كُسرت عتبة داره من شدة زحام الذين جاءوا لعيادته.

ولقد سُئل قيس هذا: هل رأيت فى الناس من هو أسخى منك؟ قال: نعم نزلنا على امرأة فى البادية فذبحت لنا شاة وأطعمتنا ولما جاء زوجها أخبرته بأن عندنا ضيفان فأسرع إلى ناقة فنحرها، وقال: شأنكم بها فأكلنا منها يومنا: فلما كان الغد نحر لنا ناقة أخرى فأكلنا منها يومنا وعاتبناه على نحر الثانية، وقلنا له: يا هذا. ما أكلنا الناقة التى نُحرت بالأمس. فقال: إنى لا أطعم ضيفانى إلى غريضًا (أى: طازجًا أو صابحًا) فمكثنا عنده سبعة أيام والمطر لا يكف انهماره وكأنما هو طوفان يغمر الأرض والرجل أيضًا لا يكف عن ذبح ناقة كل يوم فلما هدأت الظروف وتحسَّن الجو عزمنا على الرحيل ووضعنا ألف دينار فى بيته وكان غير موجود ساعة ترحالنا فشكرنا أهل بيته على حسن ضيافتهم، وقلنا لزوجته: اعتذرى له عن ضيق ذات اليد وأخبريه أننا من أهل المدينة وكان زوجها خارج المنزل يعمل فى الصيد بين شعاب الجبال فلما ارتفع النهار وعلتْ الشمس جاء إلى منزله وعلم بالمال الذى خلَّفناه فى بيته فوالله ما تخفف من ثيابه ولكنه ألوى عنان جواده وجعل يعدو خلفنا وينادى علينا بأعلى صوته: قفوا أيها الركب اللئام، فتخوفنا شره وتوقفنا عن السير حتى أدركنا فلما كنا منه بحيث سمع، قال والشر يتدفق من عينيه: أيها القوم أَوَ تعطونا ثمن قِرانا وإكرامنا لكم، خذوا دنانيركم وإلا طعنتكم برمحى هذا وعلوت أعناقكم بسيفى.. فحاولت محاورته، فازداد نفورًا ولم تسكن ثائرته حتى أخذنا النقود التى تركناها له فكنت أعد هذا أسخى منى.

أعتقته أمانته وعفته

۞ قال أحمد بن يوسف الكاتب: حدثنى أبو حبيب المقرى، قال: «ضاقت أحوالى، فلم يبقَ لى إلا جارية أُحبها، ومنزلًا أسكنه، فبعت المنزل بألف دينار، وخرجت إلى مكة بالجارية، فقلت لها: «يكون هذا المال فى وسطك»، فكانت إذا نزلت فى منزل حفرت فى خيمتها حُفيرة، وأودعت المال فيها وطمَّتها، فإذا نودى بالرحيل أثارته وشدَّته فى وسطها.

قال: فاتفق أن رحلنا على منهل، ونسيتْ المال فى الحفرة، فأخبرتنى الجارية بذلك، قال: فحار فكرى، وطاش روعى، ولم، ولم أدرِ ما أعمل، ودخلنا مكة، فحدثتنى نفسى ببيعها فلم يُطعنى قلبى.

فلما رجعنا، ونزلنا المنهل الذى خلَّفتْ فيه الكيس، رأيت صحراء وغلام على رابية يرعى غُنيمات له، وأقبلت أدور وأنظر إلى الأرض، فقال لى: «ويحك! ما تطلب؟» قلت: «شيئًا أودعته أرض هذا المنهل» فقال لى: «صِفه لى»، قلت: كيس أحمر فيه مال، فقال: «وما لى فيه إن دللتك عليه؟»، قلت: «نصفه!» قال: «ها هو ذاك فى الرابية». فلما رأى تحيُّرى فيه، قام حتى أخرجه، ووضعه بين يدى، فحمدت الله، وقسمت الكيس قسمين، وخيَّرته أحدهما، فقال لى: «إنى أرى قسمى منه كثيرًا، وأنا أكتفى بنصف أحد القسمين: فقسمته بقسمين، فقال: «تقسمه أيضًا بقسمين» ففعلت. فقال: «ما أعجب أمرك! أتركه كله حرامًا، ونصفه حلالًا، وآخذ منه شيئًا! هذا ما لا يكون انصرف بمالك». فقلت له: «يا غلام! أنت حُرّ أو مملوك»، فقال: «مملوك» فقلت: لمن؟ فقال: «لشيخ هذا الحى».

فدخلت الحى، فألفيت الشيخ والناس عنده، فقلت له: «رأيت غلامًا

فى المنهل يرعى غنيمات، وأسألك أن تبيعنيه»، فقال: «اشتريته بعشرة دنانير» فقلت: «أنا آخذه بعشرين»، فقال: «إن لم أبعه؟»، قلت: «أعطيك به ثلاثين دينارًا» فقال لمن حوله: «أما تسمعون ما يقول؟ وما يحملك على أن تبذل به هذا الثمن؟» فقلت: «جمع عليَّ ضالة، فنذرت أن أُعتقه، وأبتاع الغنم يرعاها له، وأُملِّكه إياها».

فقال: «نذرت أن تفعل به هذا لفعلة واحدة من الجميل أَولاكها، ولنا فى كل يوم منذ ملكناه حسنة تقتضى أكثر ما تأتيه له؟ وأنا أُشهد الجماعة أنه حُرٌّ لوجه الله، وأن ما يرعاه له».

فانصرفت عن الشيخ، وقد بلغ بي ما أمَّلته له»[1].

۞ لقد رأينا كيف أن أمانة هذا الرجل وعفته كانت سببًا فى عتقه وحصوله على تلك الأغنام بلا مقابل.

وبل وهناك سبب آخر أنه تصدق على هذا الرجل بدلالته على مكان المال الذى فقده... وقد قال النبى ﷺ: **«عَلَى كُلِّ نَفْسٍ فِى كُلِّ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ صَدَقَةٌ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ،... مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ التَّكْبِيرَ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَتَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْزِلُ الشَّوْكَةَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَالْعَظْمَ وَالْحَجَرَ، وَتَهْدِى الْأَعْمَى، وَتُسْمِعُ الْأَصَمَّ وَالْأَبْكَمَ حَتَّى يَفْقَهَ، وَتُدِلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَةٍ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهَا، وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ إِلَى اللهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ، وَتَرْفَعُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ»**[2].

(١) المكافأة وحُسن العقبى / أحمد بن يوسف الكاتب (ص ٣٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والنسائي، وابن حبان، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٠٣٨).

۞ وهناك قصة مشابهة لتلك القصة... وهى أنه

كان الصحابى الجليل عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يسير فى بعض طُرق مكة فى زيارة لواحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم وفجأة رأى رجلًا يرعى الغنم قد انحدر من الجبل فلما رآه عبد الله قال له: أيها الرجل... هل أنت الذى ترعى هذه الأغنام؟

فقال له الراعى: نعم... أنا راعى الغنم.

فقال له عبد الله: أريد أن أشترى منك شاة منَ الغنم فهل تبيع ؟

قال الراعى: أنا لا أمتلك الغنم إنما أنا مملوك عند سيدى.. فلا أستطيع أن أبيع شيئًا منها.

قال له عبد الله -يريد أن يختبره-: قل لسيدك: أكلها الذئب.

فقال الراعى: فأين الله عز وجل.

فتأثر عبد الله بن عمر بهذه الكلمة وبكى وهو يقول: فأين الله... فأين الله...

ثم ذهب عبد الله مع هذا الغلام الراعى إلى سيده واشتراه من سيده واشترى الغنم كلها.. ثم أعتق هذا الغلام وأعطاه الغنم هدية.

وقال له: لقد أعتقتك هذه الكلمة فى الدنيا فأسأل الله أن تُعتقك يوم القيامة من النار.

۞ والحقيقة أنه لا يتأتَّى كل ذلك إلا إذا زهد الإنسان فى حُطام الدنيا ورَغِب فى الآخرة والجنة.

وما أنفقتم من شيء فهو يُخلفه

۞ بعد أن فرغ التاريخ من تسجيل ما سجل، من جسيم الأحداث، وبالغ الخطوب، التى انبثق عنها النور الإلهى، نور الإسلام، على يد الرسول الأمين محمد بن عبد الله ﷺ... بعد أن فرغ التاريخ من ذلك، أخذ يضرب فى الأرض العريضة عن جزيرة العرب، يتعرف أحوال البادين من أخلاط الناس وعامتهم، ويتنسم أخبار هؤلاء الضاربين فى بطون الصحراء، بين الأودية والروابى، ويسجل من أمورهم ما يستأهل التسجيل، مما عسى أن يقع عليه، ويكون له شأن أو خطر، وفيما هو يقطع الطريق ذات يوم، بين المدينة المنورة، ومكة المكرمة، أبصر خِباءً قائمًا على سفح تَلٍّ، فيتحول التاريخ عن الطريق، ومال إلى الخباء، يكشف عن أمره، وإذا هو أمام خباء، قد أخذت منه الأيام، ونالت منه السنون،... يقول التاريخ: إن هذا الخباء كان لأعرابى يسمى «أبو عامر» أقامه على جانب من جوانب ذلك الطريق، يأوى إليه هو وزوجته «أم حبيب».

ويروى التاريخ فيما يروى عن الزوج وزوجه، أنهما كانا يعيشان عيشة أقرب إلى العُسر منهما إلى اليُسر، وأدنى إلى الشدة منها إلى اللين، يرعيان بعض غنيمات لهما ذلك الكلأ الناجم على مقربة من الخباء، يغدوان بها حين يسفر النهار، ويروحان معها حين يقبل الليل، ويقضيان معها نهارهما راضيين قانعين بما قُدِّر لهما من حَظٍّ فى الحياة ولم يكن لهما من أبواب الرزق إلا هذه الغنيمات، وإلا ما يكون بينهما وبين تلك القوافل الرائحة الغادية، من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى المدينة، من بيع حَمَل مولود، أو لبن محلوب، أو صوف مجزوز، فإذا ما أجدبت الأرض من حولهما

شدَّا رحالهما وانتجعا مكانًا آخر يرعيانه، وهكذا دواليك، على أنهما كانا حريصين أشد الحرص على أن يظلَّا على مقربة من الطريق، ليظل اتصالهما بالقوافل، يأنسان إليها من جهة، ويبيعان منها ما عسى أن يكون لديهما من جديد من جهة أخرى.

ويقول التاريخ أنهما أقاما على ذلك أعوامًا عدة، قطعا فيها مرحلة الشباب، ثم مرحلة الكهولة، إلى أن أدركتها الشيخوخة، ولم تكن تلك الشيخوخة وقد سعت إليهما مبطئة، لم تكن لتَفُتَّ فى عضدهما أو تُضعف من قوتهما أو توهن من نشاطهما، فقد كانا جَلدين متماسكين، يظهر عليهما شيء غير قليل من نشاط، وشيء غير قليل من قوة، وكان ذلك يدفعهما دائمًا إلى الحركة والعمل والنشاط والسعى لطلب الرزق من مصادره، ولم تكن الأيام لتدرك ما هما فيه من ضيق وما يقيمان عليه من عسر، فتعفيهما من تقلباتها، ولكنها فاجأتهما وأتت على غنيماتهما، لم ينجُ منها غير شاة ضئيلة نحيلة، كانا يتبلغان بلبنها إذا أعوزتهما الحاجة وعَزَّ الطعام.

وفى ليلة رَقَّ نسيمها، وطاب هواؤها، وسطع قمرها فملأ الأرض بأنواره الفضية الرطيبة، ألقى أبو عامر بنفسه على كثيب من الرمال، وجلست إلى جانبه أم حبيب بعد أن حلبت شاتها، ووضعت لبنها فى القعب، وجعلا يخوضان فى فنونٍ شَتَّى من الأحاديث، فطرقا منها ألوانًا كثيرة، إلا ما كانا عليه من ضيق العيش، وعسر الحياة، فلم يخطر لهما ببال، ولم يعرضا له فى قليل أو كثير، ولعلهما لم يريدا أن يُنَغِّصا عليهما صفو الساعة حين يأنس فيها الزوج إلى زوجه، وتأنس فيه الزوجة إلى زوجها، وظلا كذلك إلى أن أدركهما النوم.

أفاق أبو عامر من نومه حين أسفر الصبح من الغد، وكأنه قد أضمر في نفسه أمرًا لم يكشف عنه لزوجته، استيقظت، لم تجده بجانبها ولكنه انسلَّ من مكانه مبكرًا دون أن يوقظها أو يكشف لها عن وجهته، وأغلب الظن أنه أشفق عليها، فتركها تأخذ حظها من نوم الصباح مؤملًا أن يعود إليها بعد قليل، حاملًا ما أصاب من رزقٍ جديد.

أفاقت أم حبيب من نومها، وباشرت من عمل الصباح ما تعودت أن تباشره، فحلبت شاتها، وأقامت تنتظر أوبة زوجها، ثم خلت إلى نفسها وجعلت تفكر فيما عسى أن يعود به أبو عامر من رحلته المفاجئة تلك، وها قد ارتفع الضحى من اليوم، وأوشك النهار أن ينتصف ولم يعد أبو عامر، فجعلت تقلب البصر، وتديره فيما حولها من فضاء، ملتمسة زوجها، ولكن بدون جدوى.

وفيما هي كذلك رأت غبارًا كثيفًا مقبلًا من ناحية المدينة المنورة يشبه ذلك الغبار الذي يصحب القوافل الذاهبة الجائية، وما هي إلا ساعة حتى انكشف الغبار عن قافلة من الحُجَّاج، قاصدة قصد مكة المكرمة، فاستيقنت أن زوجها إنما يكون قد عرف من أمر هذه القافلة ما عرف، مما لم يكشف لها عنه، وإنه إنما انسلَّ من مكانه مبكرًا، ليلقاها في عرض الطريق، يلتمس عندها رزقًا، وأنه لا يلبث أن يعود حاملًا ما ظفر به.

مرت القافلة ولم يعد أبو عامر، فساورتها الهواجس، وداخلها الشك في أمر زوجها، وذهبت بها الظنون كل مذهب، فأقامت واجمة ساهمة لا تشعر بما يجري حولها، ثم أسندت رأسها إلى راحتيها ساعة من نهار تفكر وتقدر، وبينما هي كذلك وكان الوقت ظهرًا، وإذا بثلاثة من الرجال يقفون

عليها، لم تدرِ من أين أقبلوا، إذ كانت مستغرقة فى تفكُّر عميق، وقد أقبلوا يستنبئونها أمر القافلة، ويعود إليها انتباهها قليلًا قليلًا، ثم تحدق بنظرها فيهم، كأنما كانت تلتمس زوجها معهم، ثم تقول فى صوت حزين خافت: تسألوننى عن القافلة؟ لقد بصرت بها عينى تقطع الطريق إلى هذا الوجه من الأرض، حين ارتفع الضحى من اليوم، ثم تقول: وما أنتم والقافلة؟ فيقولون: هى قافلتنا، ونحن منها وهى طلبتنا، وقد فاتتنا حين شغلنا بعض ما يشغل المسافر من معوقات مفاجئة لم تكن فى الحسبان، وفيها أمتعتنا.

قالت أم حبيب: ما أرى إلا أن الشُّقَّة قد بَعُدت بكم، وما أحسبكم بمدركيها إلا حين تحط رحالها للمبيت فى مكان كذا، إذا أسرعتم وجدَّ بكم المسير.

فوجموا ساعة، كأنما أصابتهم حيرة، وغشيهم ارتباك فأقبل بعضهم على بعض يتهامسون، ولكن أحدهم ينظر إلى أم حبيب: ويقولون: يا أَمة الله، هل عندك من لبن تسقينا؟ فإنَّا ظماء، قالت أم حبيب: دونكم هذه الشويهة فاحلبوها واشربوا لبنها، فحلبوا وشربوا، ثم قال الآخر: فهل عندك من طعام؟ فإنَّا جياع، قالت ما عندى إلا هذه الشويهة، فليذبحها أحدكم، حتى أجمع لكم حطبًا، ثم أهيئ لكم ما تأكلون، فقام إليها أحدهم، وذبحها وكشطها، ثم هيأت لهم الطعام فأكلوا حتى شبعوا، فأقاموا عندها ساعة حتى أبردوا، وحين هَمُّوا بالرحيل، قالوا لها: نحن نفر من قريش نريد الحج، فإذا رجعنا سالمين فألمِّى بنا، فإنا صانعون إليك خيرًا إن شاء الله.

ثم ارتحلوا يتحدث بعضهم إلى بعض عن كرم أم حبيب وسخاء أم

حبيب، وإيثار أم حبيب، وصنيع أم حبيب.

عاد أبو عامر بعد قليل من رحلته، فتلقَّته هاشَّة بمقدِمه، فرحة بأوبته، وحين سألها عن شاتها قالت: وماذا كنت أصنع؟ مَرَّ بى نفر من قريش، وكانوا ظماء، وكانوا جياعًا، فسقيتهم لبنها، وأطعمتهم لحمها، ما كنت أقدر على غير هذا،... غضب أبو عامر وقال: ويلك أم حبيب، ما رأيت كاليوم حُمقًا وسَفهًا، تذبحين شاتى وهى معتمدنا بعد الله فى الحياة، لقوم لا نعرفهم وتقولين نفر من قريش، وما يدرى؟ لعلهم أن يكونوا من أوشاب العرب وأخلاط الناس ودهمائهم خدعوك حتى ظفروا منك بما لم يكونوا ليظفروا به إلا من سفيه... ثم انصرفوا آمنين مطمئنين لم يرزءوا كما رُزئنا، (أي: لم يصبهم مثلما أصابنا) قالت أم حبيب: أما إنهم لمن السادة فى قريش حقًّا، ما فى هذا ريب، وقد رأيت فيهم سيما السيادة وأثر النعمة، ولو رأيتهم وما كانوا عليه من ظمأ وجوع وإعياء لما ترددت فى أن تصنع بهم ما صنعت.

وهَمَّ أبو عامر أن يرد رجع الحديث، ولكن أم حبيب لم تُمهله وقالت: دَعْ ما مضى وما فات، واستقبل بقية نهارك مغتبطًا، وحدثنى بما كان من أمرك، وعند الله الجزاء.

قال أبو عامر: فهاك إذًا ما كان من أمرى ... ثم ألقى بفضل من طعامٍ أصابه، فأكلا منه ما أكلا، ثم ادَّخرا ما بقى إلى وقت الحاجة، وحين أسفر الصبح من الغد، قال أبو عامر: لم يبقَ لنا من مقام فى هذا الموضع من الأرض بعد اليوم يا أم حبيب، وما لنا بُد من الرحيل، نضرب فى الأرض طلبًا للعيش وسعيًا على الرزق، ثم ارتحلا وطفقا يضربان في الأرض

العريضة إلى غير وجهة فحينًا إلى الشرق، وحينًا إلى الغرب، وآونة إلى الشمال، وأخرى إلى الجنوب، لا يستقران إلا ريثما يرتحلان، وقد أقاما على ذلك شهورًا وشهورًا، لقيا فيها من شظف العيش ومشقة الحياة ما يُضنى ويشق، قد اندفعا بعد يأس إلى المدينة المنورة، بعد أن ألجأتهما الحاجة وضاقت بهما الدنيا، وجعلا يلتقطان بَعر الإبل، يبيعانه ويعيشان بثمنه.

ولندعهما فى المدينة، إلى أن نعود إليهما بعد حين - أما هذا النفر من قريش، فحين عادوا من حجهم، التمسوا أم حبيب فى مكانها ذاك، فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلًا، وكيف لهم ذلك؟ ولم يحاولوا أو لم يحاول أحدهم حين أَلَمُّوا بها فى غدوهم إلى مكة المكرمة، أن يقفوا منها على قليل أو كثير من أمرها، وأغلب الظن أنهم كانوا يعتقدون فى قرارة نفوسهم أنها مقيمة حيث هى لا تريم، وأنهم سيلمون بها حين يعودون، فيردون إليها صنيعها ذاك، الذى لم يروِ التاريخ له ضريبًا، ويتحفونها بما كانوا يحملون، وكانوا يحملون إليها خيرًا كثيرًا، يغنيها ويغنى زوجها ما بقيت فى الحياة، ولكل شىء وقته المقدور، والخيرة فى الواقع.

واصلت القافلة سيرها، وواصل معها هذا النفر من قريش المسير كذلك إلى المدينة المنورة، وكانوا أثناء سيرهم يتحسسون أم حبيب ويتنسمون أخبارها مُصبحين ومُمسين، ولكن بدون جدوى، وها هم قد بلغوا مستقرهم من المدينة المنورة، وفى نفوسهم ألم، وفى قلوبهم شوق شديد ورغبة مُلحّة، لأداء ما فى أعناقهم من فضل ومعروف وحسن صنيع لهذه المرأة العربية الكريمة، ولعله قد خطر لبعضهم أن يُسائل نفسه، ترى

هل أدركها الموت؟ إن كان هذا فرحمها الله وأحسن مثوبتها، جزاءً وفاقًا، وإن كانت الأخرى فاللهم القنى بها أرد إليها صنيعها، وها قد استجاب الله الدعاء، وكيف لا، وهو القائل جل شأنه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[1]، وكيف لا، وقد دعاه أرضى عباده وأقربهم إليه، وذلك أن أحد أولئك النفر، وهو الحسن بن على بن أبى طالب رضي الله عنهما، كان واقفًا على باب داره بالمدينة، إذ بصر بها فى بعض السكك تلتقط البعر كما قدمنا آنفًا، وكانت متنكرة، تخفى عن نفسها حياءً وخجلًا مما صارت إليه، وكانت مُجهَدة مُتعَبة، قد أخذ منها الجهد وأضناها الجوع، فعرفها رغم تنكُّرها فدعا بها وقال لها: يا أَمة الله، أتعرفيننى؟ قالت: لا، وما أحسبنى رأيتك من قبل، فعرَّفها بنفسه وقال: أنا ضيفك بالأمس، قالت: ومتى كنت ضيفى بالأمس؟ قال: يوم كذا وكذا، أتذكرين ذلك؟ قالت: أذكر ذلك وما نسيت، بأبى أنت وأمى يا ابن الأكرمين، ويا حفيد الرسول الأمين، ثم قال لها: وما الذى أصارك إلى ما أرى؟ قالت: صرت إلى ما ترى، منذ فارقتنى أنت وصاحباك يوم كذا وكذا الذى ذكرت آنفًا، قال الحسن: لا تُراعى لا تُراعى يا أماه، (أي: لا تخافي) ثم أمر غلامه فأدخلها داره وقال لأهله، استوصوا بها خيرًا، فإن لها فى أعناقنا صنيعًا، وقد أقامت عنده هى وزوجها ما شاءا أن يقيما، حتى إذا قضيا حق الضيافة اشترى لها مائة شاة وأمر لها بألف دينار، وبعث بها مع غلامه إلى أخيه الحسين ثانى النفر، فوصلها بمثل ما وصلها به الحسن، ثم بعث بها الحسين مع غلامه إلى ثالث النفر، عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، رضي الله عنهم، فقال لها عبد الله: بكم وصلك الحسن والحسين؟ قالت: بمائتى شاة

(١)سورة غافر: الآية: (٦).

وألفى دينار، قال عبد الله: لو بدأت بى لأتعبتهما فى العطاء، أعطوها عطيتهما، وهكذا رجعت العجوز ومعها أربعمائة شاة وأربعة آلاف دينار، جزاء صنيعها، وجزاء إيثارها، والخيرة فى الواقع، ولكل خير وقته ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[1].

---

(١) سورة سبأ: الآية: (٣٩).

خمسة لكم وخمسةٌ للإخاء الذي بينه وبين أبيكم

❁ قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِى رَوَّادٍ لِأَخٍ لَهُ: أَقْرَضْنَا خَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ إِلَى الْمَوْسِمِ ، فَشَدَّ التَّاجِرُ وَحَمَلَهَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ وَأَوَى التَّاجِرُ إِلَى فِرَاشِهِ ، قَالَ: مَا صَنَعْتَ يَا ابْنَ أَبِى رَوَّادٍ أَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَلَا أَدْرِى مَا يُحْدِثُ اللهُ بِى أَوْ بِكَ فَلَا يَعْرِفُ لَهُ وَلَدِى مَا أَعْرِفُهُ، لَئِنْ أَصْبَحْتُ سَالِمًا لَآتِيَنَّهُ فَأَجْعَلَهُ مِنْهَا فِى حِلٍّ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى عَبْدَ العَزِيزِ بْنَ أَبِى رَوَّادٍ فَأَصَابَهُ خَلْفَ المَقَامِ وَكَانَ عَبْدُ العَزِيزِ عِظَمُ جُلُوسِهِ خَلْفَ المَقَامِ فِى الحِجْرِ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَأَيْتُ البَارِحَةَ فِى أَمْرٍ فَكَرِهْتُ أَنْ أَقْطَعَهُ حَتَّى أُشَاوِرَكَ فِيهِ؟ قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: تَفَكَّرْتُ فِى المَالِ الَّذِى حَمَلْتُهُ إِلَيْكَ فَإِذَا أَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرٌ وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَلَا أَدْرِى مَا يُحْدِثُ اللهُ تَعَالَى بِى أَوْ بِكَ، فَلَا يَعْرِفُ لَكَ وَلَدِى مَا أَعْرِفُ لَكَ وَرَأَيْتُ أَنْ أَجْعَلَكَ مِنْهَا فِى حِلٍّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللهُمَّ أَعْطِهِ أَفْضَلَ مَا نَوَى، ثُمَّ دَعَا لَهُ بِمَا حَضَرَهُ مِنَ الدُّعَاءِ فَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُشَاوِرُ فِى هَذَا الْمَالِ فَإِنَّمَا اسْتَقْرَضْنَاهُ عَلَى اللهِ فَكُلَّمَا اغْتَمَمْنَا بِهِ كَفَّرَ اللهُ بِهِ عَنَّا ، فَإِذَا جَعَلْتَنَا فِى حِلٍّ كَأَنَّهُ سَقَطَ(١). قَالَ: فَكَرِهَ التَّاجِرُ أَنْ يُخَالِفَهُ.

قَالَ: فَمَا أَتَى الْمَوْسِمُ حَتَّى مَاتَ التَّاجِرُ ، فَأَتَاهُ وَلَدُهُ فِى الْمَوْسِمِ ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَيْنَ مَال أَبِينا ، فَقَالَ لَهُمْ: لَمْ أَتَهَيَّأْ وَلَكِنَّ الْمِيعَادَ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْمَوْسِمُ الَّذِى يَأْتِى ، فَقَامَ الْقَوْمُ مِنْ عِنْدِهِ فَلَمَّا دَارَ الْمَوْسِمُ الْآتِى لَمْ يَتَهَيَّأِ الْمَالُ ، فَقَالَ: إِنِّى أَهْوَنُ عَلَيْكَ مِنَ الْخُشُوعِ وَتَذْهَبُ بِأَمْوَالِ

(١) أي: كأنك قد أسقطت عني هذا الدَّين وأخذت أجره وثوابه ولكني لا أرضى إلَّا أن يكون هذا الدَّين في رقبتي.

النَّاسِ قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: رَحِمَ اللهُ أَبَاكُمْ مُذْ كَانَ يَخَافُ هَذَا وَشِبْهَهُ وَلَكِنَّ الْأَجَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْمَوْسِمُ الَّذِى يَأْتِى وَإِلَّا فَأَنْتُمْ فِى حِلٍّ مِمَّا قُلْتُمْ قَالَ: فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَ الْمَقَامِ إِذْ وَرَدَ عَلَيْهِ غُلَامٌ لَهُ كَانَ قَدْ هَرَبَ مِنْهُ إِلَى أَرْضِ السِّنْدِ أَوِ الْهِنْدِ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَاىَ أَنَا غُلَامُكَ الَّذِى هَرَبْتُ مِنْكَ وَإِنِّى وَقَعْتُ إِلَى أَرْضِ السِّنْدِ أَوِ الْهِنْدِ فَاتَّجَرْتُ وَرَزَقَ اللهُ بِهَا عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَمَعِى مِنَ التِّجَارَاتِ مَا لَا أُحْصِيهَا.

قَالَ سُفْيَانُ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: لَكَ الْحَمْدُ سَأَلْنَاكَ خَمْسَةَ آلَافٍ فَبَعَثْتَ إِلَيْنَا عَشَرَةَ آلَافٍ، يَا عَبْدَ الْمَجِيدِ احْمِلْ هَذِهِ الْعَشَرَةَ آلَافِ فَأَعْطِهِمْ إِيَّاهَا وَاقْرَأْهُمُ السَّلَامَ، وَقُلْ: هَذِهِ الْعَشَرَةُ بَعَثَ بِهَا أَبِى إِلَيْكُمْ، فَقَالُوا: إِنَّمَا لَنَا خَمْسَةُ آلَافٍ فَقَالَ: صَدَقْتُمْ خَمْسَةٌ لَكُمْ لِلْإِخَاءِ الَّذِى كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيكُمْ، قَالَ: فَأَسْقَطَ الْقَوْمُ فِى أَيْدِيهِمْ لِمَا جَاءَ مِنْهُمْ مِنَ اللَّوْمِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْكَرْمِ فَرَجَعَ إِلَى أَبِيهِ قَالَ: فَدَفَعَهَا إِلَيْهِمْ، فَقَالَ الْعَبْدُ عُدَّهُ يَقْبِضُ مَا مَعِى، فَقَالَ: يَا بُنَىَّ إِنَّمَا سَأَلْنَاهُ خَمْسَةَ آلَافٍ فَبَعَثَ إِلَيْنَا بِعَشَرَةِ آلَافٍ أَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ وَمَا مَعَكَ فَهُوَ لَكَ[1].

---

(١) الحلية (٨/ ١٩١-١٩٢)، والسير (٧/ ١٨٦).

أسلمت بسبب تلك الكرامة

۞ عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: حدثتنى مولاة أبى أمامة قالت: كان أبو أمامة يحب الصدقة ويجمع لها، ولا يرد سائلًا ولو ببيضة، ولو بتمرة أو بشىء مما يؤكل. فأتاه سائل ذات يوم وقد أقفر من ذلك كله وما عنده إلا ثلاثة دنانير، فسأله فأعطاه دينارًا، ثم أتاه سائل فأعطاه دينارًا، ثم أتاه سائل فأعطاه دينارًا. قالت: فغضبت وقلت: لم تترك لنا شيئًا.

قالت: فوضع رأسه للقائلة[1]. قالت: فلما نودى للظهر أيقظته فتوضأ ثم راح إلى مسجده. قالت: فرققت عليه وكان صائمًا، فاقترضت ما جعلت له عشاءً وسرجت له سراجًا، وجئت إلى فراشه لأُمهِّد له، فإذا بذهب فعددتها، فإذا ثلاثمائة دينار. قالت: قلت: ما صنع الذى صنع إلا ولقد وثق بما خلَّف. فأقبل بعد العشاء، فلما رأى المائدة والسراج تبسم، وقال: هذا خير من غيره. قالت: فقمت على رأسه حتى تعشَّى، فقلت: رحمك الله خلَّفت هذه النفقة فى سبيل مضيعة ولم تخبرنى فأرفعها؟ قال: وأىّ نفقة؟ ما خلفت شيئًا.

قالت: فرفعت الفراش فلما أن رآه فرح واشتد تعجُّبه. قالت: فقمت فقطعت زِنَّارى وأسلمت... قال ابن جابر: فأدركتها فى مسجد حمص وهى تُعلم النساء القرآن والسنن والفرائض وتفقههن فى الدين[2].

(١) أي: نام وقت القيلولة.

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٤٥٦).

لا يأتي الفضل إلا من أهل الفضل

۞ كان من عادة العرب أنهم كانوا يتمادحون فيما بينهم بالشعر وكانوا يرتجلون الشِّعر بكل يُسرٍ وسهولة... وكان الأُمراء والخُلفاء يعطون الجوائز والمكافآت للشعراء إذا أعجبهم ما جاءوا به من الشعر.

ذُكر عن «الفضل بن يحيى بن خالد» أنه ركب فى حشمه بموكبه إلى الصيد، حتى علا النهار، ثم أمر فضُربت له المضارب، وأُمر بالطعام، فقُدِّم بين يديه. فبينما هو يأكل، وإذا بأعرابى على ناقة قد أشرف، فلما نظر إلى تلك المضارب، والجيش، والجنائب، والغلمان، ما شكَّ أنه هارون الرشيد، فنزل عن ناقته، وعقلها، ثم دنا، وقال: السلام عليكم يا أمير المؤمنين، ورحمة الله وبركاته، فقال له الفضل: صه!!

فقال: السلام عليك أيها الوزير، فقال: صه.

فقال: السلام عليكم أيها الأمير، فقال: قد قاربت، فادنُ، فدنى، وأكل، فلما فرغ من الأكل، قال له الفضل: من أى العرب أنت؟ قال: من «ربيعة».

فقال: أين تريد؟ قال: إلى الفضل، فقد شاع فى العرب ذكره وكرمه، فقصدته على الاسم والذكر ببيتين من الشعر.

فقال: يا أخا العرب، قد مالحناك، ووجب نُصحك علينا، وأنا عارف بالفضل، فأنشدنا، فإن كان يصلح له وصلناك إليه، وإن لم يكن أعطيناك نفقة توصلك إلى أهلك، وأنت على جاهك، فأنشد:

ولو قيل للمعروف: نادِ أخا العُلَا ... لنادى بأعلى الصوت: يا فضل يا فضل

ولو أم طفل قضَّها جوع طفلها ... وغذته باسم الفضل لاستطعم الطفل

فقال الفضل: أحسنت، إنهما لبيتان جيدان، ولكن إذا قال لك الفضل: هذان بيتان لقيتهما من شعر العرب، وجئتنا بهما لتخدعنا عن حاجتك.

قال: أقول له يأمر بإحضار كتاب فيه شعر فيفتحه، فأى وزن وقافية اشتهى عملت عليها بيتين.

فقال: يا غلمان، احضروا كتابًا فيه أشعار.

فحضر، ففضّه فخرجت قصيدة «ابن الجهم» التى يقول فيها:

عيون المها بين الرصافة والجسر

فقال الفضل: هذا وزن سهل، وقافية سهلة، فإن قال لك الفضل: أريد أن تعمل أربعة أبيات يكون فى كل بيت منها اسم الفضل، فما تصنع؟

فتفكر قليلًا، وقال:

ولائمة لامتك يا فضل في الندي ... فقلت لها: هل يقدح اللوم في البحر
أرادت لتثني الفضل عن عادة الندى ... ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر؟
مواقع جود الفضل في كل بلدة ... مواقع ماء المزن في البلد القفر
كأن وفود الفضل حين تحمّلوا ... إلى الفضل وافى عنده ليلة القدر

فقال: أحسنت يا أخا العرب: أنا الفضل، فنهض الأعرابى: وقبّل يده، وقال له الفضل: ما الذى أمّلته منى؟

فقال له: ألف درهم أستعين بها على حالى، فقال: يا غلام، ادفع له ألفًا وألفًا، ولم يزل يكررها حتى انقطع نفسه، فحسب ذلك فكان ستة عشر ألفًا، فأخذها وانصرف[١].

(١) المختار من نوادر الأخبار (ص ٥٢).

صُنْ هذا الكلام أن تقف به على أبواب السلاطين

❁ قال منصور بن عمَّار:

كَانَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، إِذَا تكلَّم بِمِصْرَ أَحَدٌ نفاهُ[1] ، فتكلَّمْتُ فِي مَسْجِدِ الْجَامِعِ يَوْمًا ، فَإِذَا رَجُلَانِ قَدْ دَخَلَا مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَوَقَفَا عَلَى الْحَلَقَةِ فَقَالَا: مَنِ الْمُتَكَلِّمُ؟ فَأَشَارُوا إِلَيَّ ، فَقَالَا: أَجِبْ أَبَا الْحَارِثِ اللَّيْثَ ، فَقُمْتُ وَأَنَا أَقُولُ: وَاسَوْأَتَاهُ نَفْيٌ مِنْ بَلَدٍ بِهَكَذَا؟ فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى اللَّيْثِ سَلَّمْتُ ، فَقَالَ لِي: أَنْتَ الْمُتَكَلِّمُ فِي الْمَسْجِدِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ رَحِمَكَ اللهُ فَقَالَ لِي: اجْلِسْ وَرُدَّ عَلَيَّ الْكَلَامَ الَّذِي تَكَلَّمْتَ بِهِ ، فَأَخَذْتُ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ بِعَيْنِهِ، فَرَقَّ الشَّيْخُ وَبَكَى ، وَسُرِّيَ عَنِّي ، وَأَخَذْتُ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَبَكَى الشَّيْخُ حَتَّى رَحِمْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ لِي بِيَدِهِ: اسْكُتْ ، فَقَالَ لِي: مَا اسْمُكَ؟ قُلْتُ: مَنْصُورٌ ، قَالَ: ابْنُ مَنْ؟ قُلْتُ: ابْنُ عَمَّارٍ ، قَالَ: أَنْتَ أَبُو السَّرِيِّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُمِتْنِي حَتَّى رَأَيْتُكَ ، ثُمَّ قَالَ: يَا جَارِيَةُ ، فَجَاءَتْ فَوَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا: جِيئِينِي بِكِيسِ كَذَا وَكَذَا ، فَجَاءَتْ بِكِيسٍ فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ ، فَقَالَ: يَا أَبَا السَّرِيِّ ، خُذْ هَذَا إِلَيْكَ ، وَصُنْ هَذَا الْكَلَامَ أَنْ تَقِفَ بِهِ عَلَى أَبْوَابِ السَّلَاطِينِ ، وَلَا تَمْدَحَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمَخْلُوقِينَ بَعْدَ مِدْحَتِكَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَلَكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِثْلُهَا ، قُلْتُ: رَحِمَكَ اللهُ ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَنْعَمَ إِلَيَّ وَأَحْسَنَ، قَالَ: لَا تَرُدَّ عَلَيَّ شَيْئًا أَصِلُكَ بِهِ، فَقَبَضْتُهَا وَخَرَجْتُ، قَالَ: لَا تُبْطِئْ عَلَيَّ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ أَتَيْتُهُ ، فَقَالَ لِي: اذْكُرْ شَيْئًا ، فَأَخَذْتُ فِي مَجْلِسٍ لِي ، فَتَكَلَّمْتُ ، فَبَكَى الشَّيْخُ وَكَثُرَ بُكَاؤُهُ ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَقُومَ قَالَ: انْظُرْ مَا فِي ثِنْيِ الْوِسَادَةِ ، فَإِذَا خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ ، فَقُلْتُ: رَحِمَكَ اللهُ،

---

(١) المقصود أنه كان يخشى أن يتكلم رجلٌ ليس عنده علم فينشر بدعة أو يُميت سُنة.

عَهْدِى بِصِلَتِكَ بِالْأَمْسِ، قَالَ: لَا تَرُدَّ عَلَيَّ شَيْئًا أَصِلُكَ بِهِ، مَتَى أَرَاكَ؟ قُلْتُ: الْجُمُعَةُ الدَّاخِلَةُ، قَالَ: كَأَنَّكَ فَتَّتَّ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِى، فَلَمَّا كَانَتِ الْجُمُعَةُ الدَّاخِلَةُ أَتَيْتُهُ مُوَدِّعًا، فَقَالَ لِى: خُذْ فِى شَىْءٍ أَذْكُرُكَ بِهِ، فَتَكَلَّمْتُ فَبَكَى الشَّيْخُ وَكَثُرَ بُكَاؤُهُ، ثُمَّ قَالَ لِى: يَا مَنْصُورُ، انْظُرْ مَا فِى ثَنِيِّ الْوِسَادَةِ، فَإِذَا ثَلَاثُمِائَةِ دِينَارٍ، قَالَ: أَعِدَّهَا لِلْحَجِّ، ثُمَّ قَالَ: يَا جَارِيَةُ، هَاتِى ثِيَابَ إِحْرَامِ، إِحْرَامِ مَنْصُورٍ فَجَاءَتْ بِإِزَارٍ فِيهِ أَرْبَعُونَ ثَوْبًا، قُلْتُ: رَحِمَكَ اللهُ أَكْتَفِى بِثَوْبَيْنِ، فَقَالَ لِى: أَنْتَ رَجُلٌ كَرِيمٌ، فَيَصْحَبُكَ قَوْمٌ، فَأَعْطِهِمْ، وَقَالَ لِلْجَارِيَةِ الَّتِى تَحْمِلُ الثِّيَابَ مَعَهُ: وَهَذِهِ الْجَارِيَةُ لَكَ.

وَقَالَ يَحْيَى بْنِ بُكَيْرٍ: وَصَلَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ ثَلَاثَةَ أَنْفُسٍ بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ، احْتَرَقَتْ دَارُ ابْنِ لَهِيعَةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَحَجَّ فَأَهْدَى إِلَيْهِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رُطَبًا عَلَى طَبَقٍ فَرَدَّ إِلَيْهِ عَلَى الطَّبَقِ أَلْفَ دِينَارٍ، وَوَصَلَ مَنْصُورَ بْنَ عَمَّارٍ الْقَاضِىَ بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَقَالَ: لَا تُسْمِعْ بِهَذَا ابْنِى فَتَهُونَ عَلَيْهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ شُعَيْبَ بْنَ اللَّيْثِ، فَوَصَلَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ إِلَّا دِينَارًا، وَقَالَ: إِنَّمَا نَقَصْتُكَ هَذَا الدِّينَارَ لِئَلَّا أُسَاوِىَ الشَّيْخَ فِى عَطِيَّتِهِ»[1].

***

(١) الحلية (٧/ ٣٢٢).

بارك الله لهم فيما صاروا إليه

۞ قَالَ أبو جعفر محمد بن جرير الطَّبرىّ سنة ثلاث مائة:

كنت بمكة سنة أربعين ومائتين، فرأيت خُراسانيًّا، ينادى: معاشرَ الحاج من وجد هِميانًا[1] فيه ألف دينار، فردَّه علىَّ أضعف الله له الثواب، قال: فقام إليه شيخ من أهل مكة كبير من موالى جعفر بن محمد، فقال له: يا خُراسانىّ بلدنا فقيرٌ أهله، شديدٌ حاله، أيامه معدودة، ومواسمه منتظرة، لعله يقع بيد رجل مؤمن يرغب فيما تبذله له حلالًا يأخذه ويرده عليك. قال الخراسانى: فكم يريد؟ قال: العُشر: مائة دينار. قال: لا أفعل ولكنا نُحيله على الله ﷻ. قال: وافترقا.

قال ابن جرير: فوقع لى أن الشيخ صاحبُ القريحة والواجدُ للهميان، فاتّبعته فكان كما ظننت، فنزل إلى دار مستقِلة، خَلِقة الباب والمدخَل، فسمعته يقول، يا لبابة. قالت له: لبيك أبا غياث. قال: وجدت صاحب الهميان ينادى عليه مطلقًا فقلت له: قيّده بأن تجعل لواجده شيئًا. فقال: كم؟ فقلت: عُشره. فقال: لا، ولكنا نُحيله على الله ﷻ، فأىّ شىء نعمل، ولابدّ لى من رَدِّه؟ فقالت له: نُقاسى الفقر معك منذ خمسين سنة ولك أربع بنات، وأختان، وأنا، وأمى، وأنت تاسع القوم، أشبعنا واكسنا، ولعل الله ﷻ يغنيك فتعطيه، أو يكافئه عنك ويقضيه. فقال لها: لست أفعل ولا أحرق حُشاشتى بعد ستٍّ وثمانين سنة.

قال: ثم سكت القوم وانصرفت، فلما أن كان من الغد على ساعات من

(١) الهِمْيان: كيسٌ للنفقة يُشدُّ في الوَسَط. القاموس (همي).

النهار سمعت الخراسانى يقول: يا معاشر الحاجّ ووفْدِ اللهِ من الحاضر والبادى، من وجد هميانًا فيه ألف دينار، فردّه أضعف الله له الثواب. قال: فقام إليه الشيخ، فقال: يا خراسانىّ قد قلت لك بالأمس ونصحتك، وبلدنا والله فقير قليل الزرع والضرع، وقد قلت لك: أن تدفع إلى واجدِه مائة دينار، فلعله أن يقع بيد رجل مؤمن يخاف الله ﷻ فامتنعتَ، فقل له: عشرة دنانير منها، فيردّه عليك، ويكون له فى العشرة الدنانير سِتْر وصيانة. قال: فقال له الخراسانى: لا نفعل، ولكن نُحيله على الله ﷻ، قال: ثم افترقا.

قال الطبرى: فما اتبعت الشيخ ولا الخراسانى، وجلست أكتب كتاب النسَب للزبير بن بكار، فلما كان من الغد سمعت الخراسانى، ينادى ذلك النداء بعينه، فقام إليه الشيخ، فقال له: يا خراسانى قلت لك أول أمس: العُشْر منه، وقلت لك أمس: عُشر العُشْر، أعطِه دينارًا عُشْرَ عُشْرِ العُشْرِ يشترى بنصف دينار قُرَيبةً يستقى عليها للمقيمين بمكة بالأجرة، وبنصف دينار شاةً يحلبها، ويجعل ذلك لعياله غذاء، قال: لا نفعل، ولكن نُحيله على الله ﷻ.

قال: فجذبه الشيخ، وقال له: تعالَ خذ هميانك ودعنى أنام الليل، وأرِحْنا من مُحاسبتك، فقال له: امشِ بين يدى فمشى الشيخ وتبعه الخراسانى وتبعتُهما، فدخل الشيخ، فما لبث أن خرج، وقال: ادخل يا خراسانىّ، فدخل ودخلتُ. فنَبش تحت درجة له مزبلة، فأخرج منها الهميان أسود، فقال: هذا هميانك. نظر إليه، وقال: هذا هميانى قال: ثم حَلَّ رأسه من شدٍّ وَثيق، ثم صَبَّ المال فى حجر نفسه وقلّبه مرارًا، وقال: هذه دنانيرنا. وأمسك فم الهميان بيده الشمال، وردَّ المال بيده اليمنى فيه،

ثم شدّه شدًّا سهلًا، ووضعه على كتفه، ثم أراد الخروج، فلما بلغ باب الدار رجع، فقال للشيخ: يا شيخ مات أبى رَحِمَهُ اللَّهُ، وترك من هذه ثلاثة آلاف دينار، فقال لى: أَخرِجْ ثلثها ففرّقه على أحق الناس عندك، وبِعْ رحلى، واجعله نفقة لحجتك. ففعلت ذلك، وأَخرجت ثلثها ألف دينار، وشددتها فى هذا الهميان، وما رأيت منذ خرجت من خراسان إلى هاهنا رجلًا أحقّ به منك خذه بارك الله لك فيه قال: ثم ولّى وتركه.

قال: فولّيت خلف الخراسانى، فعدا أبو غياث (الشيخ الكبير)، فلحقَنى وردّنى، وكان شيخًا مشدود الوسط بشريط معصب الحاجبين، ذكر أنّ له ستًّا وثمانين سنة، فقال لى: اجلس فقد رأيتك تتْبعنى فى أول يوم، وعرفت خبرنا بالأمس واليوم، ... سمعت أحمد بن يونس اليربوعى يقول: سمعت مالكًا يقول: «إذا أتاكما الله بهديّة بلا مسألة ولا استشرافِ نفسٍ، فاقْبلاها، ولا تردّاها» وهذه هدية من الله، والهدية لمن حضر.

ثم قال: يا لُبابة وفلانة وفلانة. فصاح ببناته، وأخواته، وزوجته، وأمها، وقعد وأقعدنى، فصرنا عشرة، فحمَلَ[1] الهميان، وقال: ابسطوا حجُوركم، فبسطتُّ حجرى، وما كان لهنّ قميصٌ له حجْرٌ يبسطنه، فمددن أيديهن، وأقبل يعدّ دينارًا دينارًا حى إذا بلغ العاشر إلىّ قال: ولك دينار حتى فرغ الهميان: وكانت ألفًا فيها ألف فأصابنى مائة دينار، فداخلنى من سرورِ غِناهم أشدّ مما داخلنى من سرور صيانتى بالمائة دينار.

فلما أردت الخروج قال لى: يا فتى إنك لَمبارك وما رأيت هذا المال قطّ، ولا أمّلته، وإنى لأنصحك أنه حلال، فاحتفظْ به، واعلم أنى كنت أقوم

(١) فى صفة الصفوة (٢/ ٢٦٣): «فحلّ».

فأصلّى الغداة فى هذا القميص الخَلق، ثم أنزعه، فيصلّين فيه واحدة واحدة، ثم أكتسب إلى ما بين الظهر والعصر، ثم أعود فى آخر النهار بما فتح الله ﷻ لى من أَقِطٍ، وتمْر، وكُسَيْراتٍ ومن بُقولٍ نُبذت، ثم أنزعه، فيتداولْنه، فيصلّين فيه المغرب وعشاء الآخرة، فنفعهن الله بما أخذن، ونفعنى، وإياك بما أخذنا، ورحِم صاحب المال فى قبره، وأضعفَ ثوابَ الحامل للمال، وشكر له.

قال ابن جرير: فودّعته، وكتبتُ بها العلمَ سنتين أتقوت بها، وأشترى منها الورق، وأسافر، وأعطى الأجرة. فلما كان بعد سنة ستٍّ وخمسين سألت عن الشيخ بمكة، فقيل: إنه مات بعد ذلك بشهور، ووجدت بناته مُلوكًا تحت ملوك، وماتت الأختان وأمهن، وكنت أنزل على أزواجهن، وأولادهن، فأحدّثهم بذلك، فيأنسون بى ويُكرمونى، ولقد حدّثنى محمد ابن حيان البَجلى فى سنة تسعين ومائتين: أنه ما بقى منهم أحد. فبارك الله لهم فيما صاروا إليه[1].

***

(١) المختار في مناقب الأخيار، لابن الأثير (٤/ ١٧١ - ١٧٤).

جبريل عليه السلام يسقيه ماءً!!

۞ عن عبد الله بن هاشم الطوسى قال: سمعت وكيع بن الجراح يقول: كان علىّ والحسن - ابنا صالح بن حيّ - وأمهم قد جزؤوا الليل ثلاثة أجزاء، فكان علىٌّ يقوم الثلث ثم ينام، ويقوم الحسن الثلث ثم ينام، وتقوم أمهما الثلث.

فماتت أمهما، فجزّأا الليل بينهما، فكانا يقومان به حتى الصباح ثم مات علىٌّ، فقام الحسن به كله.

وقد رُوى لنا، عن محمد بن صالح العجلى، عن أبيه قال: كان يُختم القرآن فى بيتهم كل ليلة: أمهم ثلث، وعلىٌّ ثلث، وحسن ثلث، فماتت أمهما فكانا يختمانه. ثم مات علىٌّ فكان حسن يختم كل ليلة.

وعن يحيى بن آدم، قال الحسن بن صالح: قال لى أخى علىٌّ فى الليلة التى توفى فيها: أخى اسقنى ماء، وكنت قائمًا أصلى، فلما قضيت صلاتى أتيته بماء فقلت: يا أخى، فقال: لبيك. فقلت: هذا ماء. قال: قد شربت الساعة. قلت:ومن سقاك و ليس فى الغرفة غيرى وغيرك؟ قال: أتانى جبريل الساعة بماء فسقانى، وقال لى: أنت وأخوك وأبوك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، وخرجت روحه.

وكان يقال للحسن: حية الوادى، يعنى: أنه لا ينام بالليل. وكان يقول: إنى لأستحيى من الله تعالى أن أنام تكلُّفًا حتى يكون النوم هو الذى يصرعنى، وإذا نمت، ثم استيقظت، ثم عدت نائمًا فلا أرقَد الله عينى، وكان

لا يقبل من أحد شيئًا فيجىء إليه صبيُّه وهو فى المسجد، فيقول: أنا جائع فيعلّله بشىء حتى تذهب الخادم إلى السوق، فتبيع ما غزلت هى ومولاتها من الليل، ثم تشترى قطنًا وتشترى شيئًا من الشعير، فتجىء به فتطحنه، ثم تعجنه فتخبز ما يأكل الصبيان والخادم، وترفع له ولأهله لإفطارهما. فلم يزل على ذلك حتى مات رَحِمَهُ اللَّهُ.

وعن أحمد بن أبى الحوارى قال: سمعت أبا سليمان الدارانى يقول: ما رأيت أحدًا الخوف أظهر على وجهه والخشوع من الحسن بن صالح قام ليلة حتى الصباح بعمَّ يتساءلون بآية فيها، ثم غُشى عليه، ثم عاد إليها فغُشى عليه، فلم يختمها حتى طلع الفجر.

وعن عبد الله بن صالح قال: حدّثنى خلَف بن تميم: أن حسن بن صالح كان يصلّى إلى السَّحر، ثم يجلس فيبكى فى مُصلاه، ويجلس علىٌّ فيبكى معه فى حجرته. قال: وكانت أمهما تبكى الليل والنهار. قال: فماتت، ثم مات علىٌّ، ثم مات حسن قال: فرأيت حسنًا فى منامى، فقلت: ما فعلت الوالدة؟ قال: بُدِّلت بطول ذلك البكاء سرور الأبد. قلت: وعلىٌّ؟ قال: وعلىّ على خير. قلت: فأنت؟ فمضى وهو يقول: وهل نتّكل إلا على عفوه؟.

وعن عُبيد الله بن موسى قال: كان حسن بن صالح إذا صعد إلى المنارة أشرف على المقابر، فإذا نظر إلى الشمس تَحوم على القبور صرخ حتى يُحمَل مغشيًا عليه، فينزل به.

وقال أبومحمد: ورأيت الحسن ذات يوم شهد جنازة، فلما قُرب الميت

ليُدفن نظر إلى اللحد فارفضَّ عرقًا، ثم قال: فغُشي عليه، فحُمل على السرير الذي كان عليه الميت فَرُدَّ إلى منزله[١].

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ٨٨-٨٩) بتصرف.

إني لأستحي من الله ﷻ أن أخاف سواه

۞ عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، منهم: عامر بن عبد الله، إنْ كان ليصلى فيتمثل إبليس فى صورة الحية، فيدخل تحت قميصه حتى يخرج من جيبه فما يمسه،فقيل له: ألا تُنحِّى الحية عنك؟ فقال: إنى لأستحيى من الله ﷻ أن أخاف سواه. فقيل له: إن الجنة لتُدرَك بدون ما تصنع، وإن النار لتُتقى بدون ما تصنع، فقال: والله لأجتهدن، ثم والله لأجتهدن،فإن نجوت فبرحمة الله،وإن دخلت النار فبعد جهدى[1].

فلما احتضر بكى، فقيل له: أتجزع من الموت وتبكى؟ فقال: ما لى لا أبكى، ومَن أحق بذلك منى؟ والله ما أبكى جزعًا من الموت ولا حرصًا على دنياكم، ولكنى أبكى على ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء.

وعن المعلّى بن إياد القُردوسى، عن عامر بن عبد قيس: أنه مَرَّ بقافلة قد حبسهم الأسد من بين أيديهم على طريقهم، فلما جاء عامر نزل عن دابته فقالوا: يا أبا عبد الله إنا نخاف عليك من الأسد. فقال: إنما هو كلب من كلاب الله ﷻ، إن شاء أن يسلّطه سلّطه، وإن شاء أن يَكُفَّه كَفَّه، فمشى إليه حتى أخذ بيديه أُذنْى الأسد فنحّاه عن الطريق وجازت القافلة،وقال إنى لأستحيى من ربى تبارك وتعالى أن يرى فى قلبى أنى أخاف من غيره[2].

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ١٢١).

(٢) صفة الصفوة (٣/ ١٢٣).

هذا شرفٌ لا أتنازل عنه

كان الناس فيما مضى يعرفون فضل الجلوس مع الأمراء الذين كانوا يحبون العلماء وأهل التدين والمروءة ويعتبرون ذلك شرفًا لا ينبغى للمرء أن يفرط فيه.

دخل ذات يوم رجل مع صاحبه على هارون الرشيد وكان هارون يتناول طعامه فعزم عليهما أن يأكلا معه فأجاب أحدهما وامتنع الآخر قائلًا: إنى شبعان!!! فقال له صاحبه: نحن لا نأكل مع أمير المؤمنين من أجل الشِّبع ولكن من أجل الشرف.

۞ دخل عمارة بن حمزة على المنصور فأجلسه فى صدر المجلس، فقام رجل وقال: مظلوم يا أمير المؤمنين! قال: من ظلمك؟ قال: عمارة بن حمزة الذى أجلسته فى صدر المجلس، غصب لى ضيعة. فقال المنصور: قم يا عمارة، واستوِ مع خصمك فى المحاكمة، واجلس عنده.

فقال عمارة: ما هو خصمى يا أمير المؤمنين. قال: وكيف ذلك؟

قال: إن كانت الضيعة له، فلا أنازعه فيها، وإن كانت لى فقد وهبته إياها، وهى ملكه دون ملكى ولا أقوم من مجلسٍ شرفنى به أمير المؤمنين.

قال: فاستحسن المنصور فعله، واسترجح عقله[1].

---

(١) المختار من نوادر الأخبار (ص ٧٠).

كلما أراد أن يتوضأ ذهب الشَّلل عنه!!

۞ **عَن أَحمَد بْنِ أَبِي الحَوَارِيِّ، قَالَ:** قال لى أبو سليمان الدارانى: أصاب عبدَ الواحد بن زيد الفالجُ (الشلل النصفي)، فسأل الله أن يُطْلِقه فى وقت الوضوء. فإذا أراد أن يتوضأ انطلق، وإذا رجع إلى سريره عاد عليه الفالج.

۞ **وعن حِبَّان الأسود:** حدثنى عبد الواحد بن زيد قال: أصابتنى علّة فى ساقى، فكنت أتحامل عليها للصلاة. فقمت عليها من الليل، فأُجهدت وجعًا فجلست، ثم لففت إزارى فى محرابى، ووضعت رأسى عليه فنمت، فبينما أنا كذلك إذا بجارية تفوق الدُّمى حُسنًا تخطر بين جوار مُزيَّنات حتى وقفت علىَّ وهنّ خَلْفها، فقالت لبعضهن: ارفعنه ولا تُهجنه فأقبلن نحوى، فاحتملننى عن الأرض، وأنا أنظر إليهن فى منامى، ثم قالت لغيرهن من الجوارى اللائى معها: افرشنه ومهدنه ووطئن له ووسدنه.

قال: ففرشن تحتى سبع حشايا لم أرَ لهن فى الدنيا مثلًا، ووضعن تحت رأسى مرافق خُضرًا حِسانًا، ثم قالت للائى حملْننى: اجعلْنه على الفُرُش رويدًا لا تهجّنه. قال: فجُعلت على تلك الفرش، وأنا أنظر إليها وما تأمر به من شأنى، ثم قالت: أحففنه بالريحان قال: فأُتى بياسمين فحُفّتْ به الفُرش، ثم قامت إلىّ فوضعت يدها على علّتى التى كنت أجد فى ساقى، فمسحتْ ذلك المكان بيدها، ثم قالت: قُم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور.

قال: فاستيقظتُ والله كأنى قد أُنشِطت من عقال، فما اشتكيت تلك العلة ليلتى تلك، ولا ذهبت حلاوة منطقها من قلبى: قُم شفاك الله إلى صلاتك غيرَ مضرور.

۞ وقال أبو سليمان الداراني: ذُكر لي عن عبد الواحد بن زيد أنه قال: نمت عن وِرْدي ليلة، فإذا أنا بجارية لم أرَ أحسن وجهًا منها عليها ثياب حرير خُضر، وفي رجليها نعلان، والنعلان يسبّحان، والزمامان يقدّسان، وهي تقول: يا ابن زَيدِ جِدَّ في طلبي، فإني في طلبك، ثم جعلت تقول:

مَن يشتَريني ومَن يكن سَكني ... يأمَنُ في ربْحه من الغبنِ

فقلت: يا جارية ما ثمنك؟ فأنشأت تقول:

تَودُّد الله مع محبَّته ... وطولُ فكْرٍ يُشابُ بالحزَنِ

فقلت: لمن أنت يا جارية؟ فقالت:

لمالكٍ لايردُّ لي ثمنًا ... من خاطبٍ قد أتاه بالثمنِ

فانتبه وآلى على نفسه أن لاينام الليل.

۞ وعن مالك بن ضيغم قال: سمعت بكر بن مصاد يقول: سمعت عبد الواحد بن زيد يقول: إخوتاه ألا تبكون شوقًا إلى الله ﷻ؟ ألا إنه من بكى شوقًا إلى سيده لم يحرمْه النظر إليه، يا إخوتاه ألا تبكون خوفًا من النار؟ ألا إنه من بكى خوفًا من النار أعاذه الله منها. يا إخوتاه ألا تبكون؟ بلى فابكوا على الماء البارد أيام الدنيا، لعله يسقيكموه في حظائر العرش مع خير النُّدماء، والأصحاب من النبيين، والصدّيقين، والشهداء،والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقًا. قال: ثم جعل يبكي حتى غُشي عليه[1].

(١) صفة الصفوة (٣/ ١٩٥-١٩٦) بتصرف.

مروءة الأمير

قالوا: إن محمد بن يزيد كان من الأغنياء الأثرياء، وكانت له جارية جميلة ويجد طعم السعادة حُلوًا فى جوارها، ولا يرى لذة العيش وهناءته إلا معها، وحدث أن نزل بماله حادثة أودت به كله وتركته فقيرًا مُعدَمًا، فلم يجد أمامه شيئًا من المال إلا هذه الجارية فأراد بيعها، وكانت الجارية تحبه أضعاف ما كان يحبها فتعلقت به وتوسلت إليه بكل عزيز ألا يبيعها فإنها لا تستطيع أن تستغنى عنه، فقال لها: والله لأبيعنَّك لمن يقدر الحُسن قدره، ويعرف له حقه فلعلك تنفعيننى عنده، وقد أشاروا علىَّ أن أبيعك لابن معمر أمير العراق فاشتد بكاؤها لقوله وقالت له والله لا أختار عليك الخليفة، فبكى الفتى لبكائها، وقال لها لا مخرج لنا مما نحن فيه إلا بيعك فذهب بها إلى ابن معمر وعرضها عليه، فقال له: كم كان ثمنها؟ فقال له الفتى ألف درهم وقد أنفقت عليها مثلها، فدفع إليه ثمنها، فلما تم البيع وقبض المال وهَمَّ بالانصراف ألقى عليها نظرة مشتاقة حرَّكت لواعج الحب فى نفسها، فبادلته النظر ثم قالت تعاقبه وتودعه:

هنيئًا لك المال الذى قد قبضته ... ولم يبقَ فى كَفِّى غير التحسُّرِ
أقول لنفسى وهى فى كرباتها ... أقلِّى فقد بان الحبيب أو أكثرى
إذا لم يكن للأمر عندك موضع ... ولم تجد بُدًّا من الصبر فاصبرِ

فصاح سيدها وأجابها قائلًا:

ولو نهض الدهر بى معك لم يكن ... يفرقنا شىء سوى الموت فاعذرى
يروح بهم من فراقك موجع ... أناجى به قلبًا قليل التصبُّرِ
عليك سلام ولا زيادة بيننا ... ولا قرب إلا أن يشاء ابن معمرِ

وكان الأمير رقيق القلب خبيرًا بأشواق النفوس وهيام المحبين، فرقَّ للحبيبين المخلصين وقال لهما: قد شئت فخذ جاريتك، وخذ معها المال الذى أُعطيته، بارك الله لك فيها وفيما أخذته من المال، فانصرف بها الفتى وهو يثنى على الأمير أجمل الثناء.

زهد ووفاء وإخلاص

۞ وجاء فى كتب السيرة أن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ضاعت له ناقة فلما أبلغه خادمه عن فقدها قال هى فى سبيل الله إن فُقدت وفى سبيل الله إن عثرنا عليها،... وترك شأنها وبعد أيام جاءه من يخبره عن مكانها فبعث خادمه ليحضرها، فلما رآها عنده قال: أستغفر الله العظيم، ثم صرف نظره عن الوفاء بنذره فلما نام تلك الليلة رأى أنه أُدخل الجنة ورأى قصورًا عظيمة مشرفة على أنهارها تحيط بها الحدائق والبساتين وتُطل من نوافذها الحور والولدان، فهممت أن أدخلها، فصاح بن صائح اصرفوه عنها فليس من أهلها، فقلت يا سبحان الله ولمن تكون إذن هاتيك القصور فقالوا لى إنها لمن أمضى السبيل، أما أنت فإنك كنت تقول،هذا الشىء فى سبيل الله ثم ترجع فى قولك ولا تفى بوعدك ولو أمضيت السبيل وبررت بوعدك لأمضيناها لك.

۞ ومن أعجب ما جاء فى الإخلاص لله ما روته كتب السيرة عن رجال الإسلام وجنوده، ... قالوا إن جنديًا كان فى فتح القادسية، وبينما هو يمشى إذ به يجد حُقًّا به ذهبٌ ودُرٌّ، فأخذه من ساعته وتوجه به إلى قائده، ففتحه القائد أمامه، فلما أبصر الدُّرّ والذهب قال للجندى أَوَ ما رأيت ما فيه؟ فقال يا سيدى لقد علمت كل ما فيه وما جئتك إلا بعد أن علمت ما بداخله، فقال له القائد إذن نُحصى ما فيه من الذهب ونعطيك منه نصيبك الذى أحلَّه الله لك، فقال يا سيدى. لو تاقت نفسى إلى شىء من هذا ما جئت به إليك، فأُعجب القائد بإخلاصه وقال له: ما اسمك أيها الرجل حتى أُتحف بذلك أمير المؤمنين عمر؟ فقال: أيَّدك الله بنصره لو

أردت وجهك أو وجه عمر ما رأيتني أنت ولا عمر ولكنى أردت وجه ربى وربك ورب عمر ... فدعا له القائد بخير، وانصرف الرجل إلى شأنه وأخذ القائد الحُقَّ بما فيه فختمه بالمسك وأرسله إلى أمير المؤمنين بالمدينة، ومعه خطاب يصف فيه هذا الرجل الذى أبى عليه إخلاصه ودينه أن يذكر اسمه أو يقبل عطاءه مع أنه كان فقيرًا مُعدَمًا فلما وقف عمر على إخلاص الجندى لله بكى وقال لأصحابه وهو يشير على الحُقِّ وما فيه: إن قومًا أَدُّوا مثل هذا لأمناء مخلصون وزُهَّاد ورعون، وكان سيدنا على رضي الله عنه من بين الحاضرين فى مجلسه فقال له يا أمير المؤمنين عففت فعَفُّوا ولو رتعت لرتعوا، فقال عمر. الحمد لله الذى جعل فى جيش عمر أمثال هؤلاء.

❁ وقالوا إن كسرى أنوشروان خرج إلى النزهة يومًا فأدركه العطش فوجد أحلى مما كان يعهده فى بساتينه، فعزم فى نفسه على أن يأخذه ظلمًا من صاحبه وطلب من البستانى رمانة أخرى ليتأكد من حلاوة هذا الصنف، فلم تكن من الحلاوة كالرمان السابق، فقال له كسرى أليست هذه الرمانة من الشجرة التى أحضرت منها الرمان السابق؟ قال له نعم هو من الشجرة بعينها، قال له فلماذا لم أجدها حلوة كأخواتها فقال البستانى وكان من الصالحين: لعل نيتك تغيرت وعزمت على شىء من الظلم فتغير طعمها تبعًا لتغيير نيتك، فقال فى نفسه صدق الرجل ... ثم عزم على التوبة وطلب رمانة ثالثة فوجدها أحلى من الأولى. فقال للبستانى أهى من الشجرة ذاتها؟ قال: نعم. قال إنها أحلى من الأولى. قال لأنك أصلحت نيتك فأصلحها الله.

۞ وجاء فى مناقب أبى حنيفة رضي الله عنه أنه وردت له بضاعة من الشام فأقبل عليه التجار ليشتروها منه وليُربحوه فيها، فقال لهم: انتظروا حتى يطلع النهار فجاءه رجل بعدهم وزاده فى الثمن أضعاف ما ساومه السابقون فأبى أبو حنيفة أن يبيعه وقال قد أعطينا كلمة أشهدنا الله عليها فلا ننقضها بشىء من زهرة الدنيا، فلما طلع النهار أقبلوا عليه جميعًا فباعهم بالثمن الذى أشهد الله عليه.

رضوان صاحب الجنة

۞ قال أبو الحسن الصفَّار الفقيه: كنا عند الحسن بن سفيان النسوى، وقد اجتمع لديه طائفة من أهل الفضل ارتحلوا إليه من البلاد البعيدة مختلفين إلى مجلسه لاقتباس العلم وكتابة الحديث، فخرج يومًا إلى مجلسه الذى كان يُملى فيه الحديث، فقال: اسمعوا ما أقول لكم قبل أن نَشرع فى الإملاء، قد علمنا أنكم طائفة من أبناء النعم وأهل الفضل، هجرتم أوطانكم وفارقتم دياركم وأصحابكم فى طلب العلم واستفادة الحديث، فلا يخطرنَّ ببالكم أنكم قضيتم بهذا التجشُّم للعلم حقًّا، أو أديتم بما تحملتم من الكلف والمشقة من فروضه فرضًا فإنى أحدثكم ببعض ما تحملته فى طلب العلم من المشقة والجهد وما كشف الله سبحانه وتعالى عني وعن أصحابي ببركة العلم وصفو العقيدة من الضيق والضنك... اعلموا أنى كنت فى عنفوان شبابى ارتحلت من وطنى لطلب العلم واستملاء الحديث، فاتفق حصولى بأقصى المغرب، ودخولى مصر فى سبعة نفر من أصحابى طلبة العلم وسامعى الحديث، وكنا نختلف إلى شيخ كان أرفع أهل عصره فى العلم منزلة وأرواهم للحديث وأعلاهم إسنادًا، وأصحُّهم رواية، وكان يُملى علينا كل يوم مقدارًا يسيرًا من الحديث، حتى طالت المدة وخَفَّت النفقة ودعتنا الضرورة إلى بيع ما صحبنا من ثوب وخرقة إلى أن لم يبقَ لنا ما كنا نرجوا به حصول قوت يوم، وطوينا ثلاثة ايام بلياليهن لم يَذُق أحدٌ منا فيها شيئًا، وأصبحنا فى بكرة اليوم الرابع بحيث لا حراك بأحد منا من الجوع، واحوجّت الضرورة على كشف قناع الحشمة وبذل الوجه للسؤال، فلم تسمح بذلك أنفسنا ولم تطب

قلوبنا، وأَنِف كل واحد منا من ذلك، والضرورة تحوج إلى السؤال على كل حال، فوقع اختيار الجماعة على كتابة رقاع بأسمائنا وإرسالها رقعة فى الماء فمن ارتفع اسمه كان هو القائم بالسؤال واستماحة القوت لنفسه ولجميع أصحابه، فارتفعت الرقعة التى اشتملت على اسمى، فتحيَّرت ودُهشت ولم تسامحنى نفسى بالمسألة واحتمال المذلة، فعدلت إلى زاوية من المسجد أصلى ركعتين طويلتين وأدعو الله سبحانه وتعالى بأسمائه العظام، وكلماته الرفيعة لكشف الضُّر وسياقة الفرج فلم أفرغ من الصلاة حتى دخل المسجد شابٌّ حسن الوجه نظيف الثوب طيب الرائحة يتبعه خادم فى يده منديل، فقال: من منكم الحسن بن سفيان؟ فرفعت رأسى من السجدة، وقلت: أنا الحسن بن سفيان فما الحاجة فقال: إن الأمير ابن طولون صاحبى يُقرئكم السلام والتحية ويعتذر إليكم من الغفلة عن تفقُّد أحوالكم والتقصير الواقع فى رعاية حقوقكم، وقد بعث بما يكفى نفقة الوقت، وهو زائركم غدًا بنفسه ومعتذر إليكم بلفظه،... ووضع بين يدى كل واحد منا صُرة فيها مائة دينار، فتعجبنا من ذلك وتحيرنا جدًّا وقلت للشاب: ما القصة فى هذا؟

فقال: أنا أحد خدم الأمير ابن طولون المختصين به دخلت عليه بكرة يومى هذا مُسلِّمًا فى جملة أصحابى فقال الأمير لى: إنى أحب أن أخلو يومى هذا فانصرفوا أنتم إلى منازلكم، فانصرفت أنا والقوم، فلما عُدت إلى منزلى لم يستوِ قعودى حتى أتانى رسول الأمير مسرعًا مستعجلًا يطلبنى حثيثًا، فأجبته مسرعًا فوجدته منفردًا فى بيتٍ واضعًا يمينه على خاصرته لوجعٍ مُمضٍّ اعتراه فى داخل حشاه فقال لى: أتعرف الحسن بن سفيان وأصحابه، فقلت لا، فقال: اقصد المحلة الفلانية والمسجدالفلانى،

واحمل هذه الصُّرر وسلِّمها إليه وإلى أصحابه، فإنهم منذ ثلاثة أيام جياع بحالة صعبة، ومهد عذرى لديهم وعرِّفهم أنى صبيحة الغد زائرهم ومعتذر إليهم، فقال الشاب: وسألته عن السبب الذى دعاه إلى هذا فقال: دخلت إلى هذا البيت منفردًا على أن أستريح ساعة، فلما هدأت عينى رأيت فى المنام فارسًا فى الهواء متمكنًا تمكن من أن يمشى على بساط الأرض وبيده رمح فجعلت أنظر إليه متعجبًا حتى نزل على باب هذا البيت، ووضع سافلة رمحه على خاصرتى، وقال: قم أدرك الحسن بن سفيان وأصحابه، قم فأدركهم، قم فأدركهم فإنهم منذ ثلاثة أيام جياع فى المسجد الفلانى، فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا رضوان صاحب الجنة، ومنذ أصابت سافلة رمحه خاصرتى أصابنى وجع شديد لا حراك لى معه فعجِّل إيصال هذا المال إليهم ليزول هذا الوجع عنى. قال الحسن: فتعجبنا من ذلك وشكرنا الله تعالى وأصلحنا أحوالنا ولم تَطِب نفوسنا بالمقام لئلا يزورنا الأمير، ولئلا تطلع الناس على أسرارنا فيكون ذلك سبب ارتفاع اسمٍ وانبساط جاهٍ، ويتصل ذلك بنوع من الرياء والسمعة، فخرجنا تلك الليلة من مصر وأصبح كل واحد منا واحد عصره وقريع دهره فى العلم والفضل، فلما أصبح الأمير ابن طولون جاء لزيارتنا، فأُخبر بخروجنا، فأمر بابتياع تلك المحلة بأسرها وأوقفها على ذلك المسجد وعلى من ينزل به من الغرباء وأهل الفضل وطلبة العلم نفقة لهم حتى لا تختل أمورهم ولا يصيبهم الخلل ما أصابنا، وذلك كله لقوة الدين، وصفو الاعتقاد والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق[1].

---

(١) المنتظم (١٣/ ١٥٨).

زيجة لا تخطر على البال

دخل أحد السلف أحد المزارع وكان جائعًا مُتْعَبًا فشدَّته نفسه لأن يأكل، وبدأت المعدة تقرقر فأطلق عينيه فى الأشجار فرأى تفاحة، فمد يده إليها ثم أكل نصفها بحفظ الله ورعايته، ثم شرب من ماء النهر بجانب المزرعة، لكن انتبه بعد ذلك من غفلته بسبب الجوع، وقال لنفسه: ويحك! كيف تأكل من ثمار غيرك دون استئذان... وأقسم ألا يرحل حتى يدرك صاحب المزرعة يطلب منه أن يحلل له ما أكل من هذه التفاحة، فبحث حتى وجد داره، فطرق عليه الباب، فلما خرج صاحب المزرعة، استفسر عن ما يريد.

قال صاحبنا: دخلت بستانك الذى بجوار النهر وأخذت هذه التفاحة وأكلت نصفها، ثم تذكرت أنها ليست لى وأريد منك أن تعذرنى فى أكلها، وأن تسامحنى عن هذا الخطأ.

فقال الرجل: لا أسامحك ولا أسمح لك أبدًا إلا بشرط واحد.

قال صاحبنا: وهو ثابت بن النعمان: وما هو هذا الشرط؟

قال صاحب المزرعة: أن تتزوج ابنتى.

قال ثابت: أتزوجها!

قال الرجل: ولكن انتبه، إن ابنتى عمياء لا تبصر، خرساء لا تتكلم، وصماء لا تسمع.

وبدأ ثابت بن النعمان يفكر ويقدر - أنعِم بها من ورطة - ماذا يفعل؟ ثم علم أن الابتلاء بهذه المرأة وشأنها وتربيتها وخدمتها خير من أن يأكل الصديد فى جهنم، جزاء ما أكله من التفاحة وما الأيام وما الدنيا إلا أيامًا

معدودات، فقبل الزواج على مضض وهو يحتسب الأجر والثواب من الله رب العالمين.

وجاء يوم الزفاف وقد غلب الهم على صاحبنا كيف أدخل على امرأة لا تتكلم ولا تبصر ولا تسمع، فاضطرب حاله وتمنى أن لو ابتلعته الأرض قبل هذه الحادثة، ولكنه توكل على الله، وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ودخل عليها يوم الزفاف، فإذا بهذه المرأة تقوم إليه، وتقول له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فلما نظر إليها، تذكر ما يتخيله عن الحور العين في الجنة.

قال بعد صمت: ما هذا؟ إنها تتكلم وتسمع وتبصر فأخبرها بما قال عنها أبوها.

قالت: صدق أبي، ولم يكذب.

قال: اصدقيني الخبر.

قالت: أبي قال عني: إنني خرساء؛ لأنني لم أتكلم بكلمة حرام، ولا تكلمت مع رجل لا يحل لي، وإنني صَمَّاء لأنني ما جلست في مجلس فيه غيبة ونميمة ولغو، وإنني عمياء؛ لأنني لم أنظر إلى أي رجل لا يحل لي.

فانظر واعتبر بحال هذا الرجل التقي وهذه المرأة التقية وكيف جمع الله بينهما.

والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه

كان رئيس مرو وقاضيها رجل اسمه: نوح بن مريم، وكان له نِعَمٌ كثيرة وحال موفور، وكانت له بنت ذات حسن وجمال، وبهاء وكمال، خطبها منه جماعة من أكابر الرؤساء وذوى النعمة وأكثروا فلم ينعم بها لأحد منهم، وتحيَّر فى أمرها ولم يدر لأيهم يزوجها، وقال: إن زوَّجتها بفلان أسخطتُ فلانًا.

وكان له غلام هندى دَيِّن تقى اسمه: مبارك، وكان له بستان عامر غامر الأشجار والفاكهة والثمار، فقال للغلام: أريد أن تمضى وتحفظ البستان، فمضى وأقام فى البستان شهرين، فجاء سيده فى بعض الأيام إلى البستان فقال له: يا مبارك، ناولنى عنقود عنب، فناوله عنقودًا فوجده حامضًا، فقال له سيده: أعطنى غير هذا، فناوله عنقودًا حامضًا، فقال سيده: ما السبب فى أنك لا تناولنى من هذا البستان الكبير إلا الحامض.

فقال: لأنى لا أعلم الحامض من الحلو.

فقال سيده: سبحان الله! لك مدة شهرين مقيمًا فى البستان، ولا تعرف الحلو من الحامض.

فقال: والله يا سيدى إننى ما ذقته ولا أعلم أحامض هو أم حلو، فقال: لِمَ لم تأكل منه؟

فقال: لأنك أمرتنى بحفظه ولم تأمرنى بأكله، فما كنت أخونك.

فتعجب القاضى منه وقال: حفظ الله عليك أمانتك، وعلم القاضى أن الغلام غزير العقل، فقال له: أيها الغلام قد وقع لى فيك رغبة وينبغى أن

تفعل.ما آمرك، فقال الغلام: أنا طائع لله ثم لك، فقال القاضي: اعلم أن لي بنتًا جميلة، وقد خطبها كثير من الأكابر والمتقدمين ولم أعلم لمن أزوجها، فأشِر عليَّ بما ترى.

فقال الغلام: اعلم أن الناس في زمن الجاهلية كانوا يريدون الأصل والحسب والنسب، واليهود والنصارى يطلبون الحسن والجمال، وفي عهد رسول الله ﷺ كان الناس يطلبون الدين والتقى، وفي زمننا هذا يطلبون المال، فاختر الآن من هذه الأشياء الأربعة ما تريد.

فقال له القاضي: يا غلام، قد اخترت الدين والتقى، وأريد أن أزوجك بابنتي؛ لأني قد وجدت فيك الدين والصلاح، وجربت منك التقى والأمانة.

فقال الغلام: أيها السيد، أنا عبد رقيق هندى، وابتعتني بمالك، كيف تزوجني بابنتك وكيف تختارني لابنتك وترضاني؟

فقال له القاضي: قم بنا إلى البيت لندبر هذا الأمر، فلما صارا إلى المنزل قال القاضي لزوجته: اعلمي أن هذا الغلام الهندى دَيِّنٌ تقي، وقد رغبت في صلاحه وأريد أن أزوجه بابنتي فما تقولين؟

قالت: الأمر إليك، ولكن أمضي وأُعلم الصبية وأعيد عليك جوابها، فجاءت الأم إلى الصبية فأدت إليها رسالة أبيها فقالت: ما أمرتماني به فعلته وما أخرج عن حكم الله وحكمكما ولا أعقكما بالمخالفة لأمركما.

فزوَّج القاضي ابنته بمبارك وأعطاهما مالًا عظيمًا، وكان من ثمرة هذا الزواج المبارك عبد الله بن المبارك صاحب العلم والزهد ورواية الحديث وما دامت الدنيا فالحديث عنه يُروى.

زواج ابنة سعيد بن المسيب

۞ كان لدى سعيد بن المسيب ابنة من أحسن النساء وأكثرهنَّ أدبًا، وأعلمهنَّ بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأعرفهنَّ بحق الزوج، وقد طلب الخليفة عبد الملك بن مروان أن يزوجها لابنه الوليد بن عبد الملك فأبَى سعيد أن يزوَّجه بها.

ويبدو أن هذا الموقف الشخصى قد جعل جفوة بين الرجلين الوالى والفقيه سعيد بن المسيب؛ لأنه لم تمضِ فترة طويلة على ذلك حتى جاء رجل فقير يُدعى كثير بن أبى وداعة؛ وطلب أن يتزوج ابنة سعيد بن المسيب فوافق الرجل على الفور، وزوَّجه إياها على درهمين[1].

۞ وإليكم تفاصيل هذا الزواج المبارك:

عن أبى بكر بن أبى داود قال: كانت بنتُ «سعيد» قد خطبها «عبدُ الملك» لابنه الوليد، فأبى عليه، فلم يزل يحتالُ عبد الملك عليه حتى ضربهُ مائة سوط فى يوم بارد، وصَبَّ عليه جَرة ماء، وألبسه جُبَّة صوف!! كل ذلك وسعيد يرفض حتى يئس عبد الملك فصرف نظره عن ذلك.

يقول كثير بن أبى وداعة [2]: كنتُ أجالس سعيد بن المسيِّب، ففقدنى أيامًا، فلما جئتهُ قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلى فاشتغلتُ بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، - أى حضرنا جنازتها - ثم قال: هل استحدثت امرأة؟ فقلتُ: يرحمك الله، ومن يزوجنى وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال:

---

(١) عصر التابعين (ص:٣١).

(٢) هو: كثير بن عبد المطلب بن أبى وداعة، أبوه أحد مسلمة الفتح، وكان (كثير) من عباد الله الصالحين.

أنا. فقلتُ: وتفعل؟ قال: نعم. ثم تحمَّد، وصلى على النبي ﷺ، وزوجني على درهمين - أو قال ثلاثة - فقمتُ وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرتُ إلى منزلي وجعلتُ أتفكر فيمن أستدين. فصلَّيت المغرب، ورجعتُ إلى منزلي، وكنت وحدي صائمًا، فقدّمتُ عشائي أُفطر، وكان خُبزًا وزيتًا، فإذا بابي يُقرع فقلت: من هذا؟ فقال: سعيد، قال كثير: فأفكرت في كل من اسمه سعيد إلا ابن المسيب، فإنه لم يُر أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فخرجتُ، فإذا سعيد - أي ابن المسيَّب!! - فظننتُ أنه قد بدا له[1]، فقلتُ: يا أبا محمد ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟ قال: لا، أنت أحقُّ أن تُؤتَى، إنك كنت رجُلًا عزبًا فتزَّوجت، فكرهتُ أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك!! فإذا هي قائمةٌ من خلفه في طوله، ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب، ورَدَّ الباب!! فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقتُ من الباب[2]، ثم وضعتُ القصعة في ظل السراج لكي لا تراه، ثم صعدتُ إلى السطح فرميتُ الجيران، فجاؤوني فقالوا: ما شأنك؟ فأخبرتهم، ونزلوا إليها، وبلغ أمي، فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أُصلحها إلى ثلاثة أيام!.

فأقمت ثلاثًا، ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس، وأحفظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بسُنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق زوج.

فمكثتُ شهرًا لا آتي سعيد بن المسيب، ثم أتيتهُ وهو في حلقته، فسلمت، فردَّ عليَّ السلام ولم يكلمني حتى تقوَّض[3] المجلس، فلما لم

(١) أي: ظهر له أن يصرف النظر عن هذا الزواج.

(٢) استوثق من الباب: أي أحكم غلقه.

(٣) تقوض المجلس: انصرف الناس عنه.

يبق غيرى، قال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلتُ: خيرٌ يا أبا محمد، على ما يُحبُّ الصديق، ويكره العدوُّ، قال: إن رابك شىءٌ فالعصا!! فانصرفت إلى منزلى، فوجَّه إلىَّ بعشرين ألف درهم[1].

۞ وقد كان من أسباب رفض سعيد بن المسيب تزويج ابنته من الوليد بن عبد الملك أنه خشى عليها من المعيشة فى القصور حيث الخدم والحشم والأموال والمجوهرات فخشى عليها أن تُفتن فى دينها وأن يتعلق قلبها بالدنيا فتنسى آخرتها... هذا كله بالإضافة إلى أنه كان لا يستريح لأسلوب بنى أمية فى الحكم.

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٣٣، ٢٣٤).

هذا أرجى أعماله

۞ عن محمد بن نعيم الضبى قال: سمعت أمى تقول: سمعت مريم امرأة أبى عثمان تقول: صادفت من أبى عثمان خلوة فاغتنمتها، فقلت: يا أبا عثمان أى عملك أرجى عندك؟ فقال: يا مريم لما ترعرعت وأنا بالرى، وكانوا يريدوننى على التزويج فأمتنع، جاءتنى امرأة فقالت: يا أبا عثمان قد أحببتك حبًّا أذهب بنومى وقرارى، وأنا أسألك بمُقلِّب القلوب، وأتوسل به إليك أن تتزوج بى. قلت: ألك والد؟ قالت: نعم فلان الخياط فى موضع كذا وكذا ... فراسلت أباها أن يزوجها منى ففرح بذلك، وأحضرت الشهود فتزوجت بها، فلما دخلت بها وجدتها عوراء، عرجاء، مشوهة الخلق، فقلت: اللهم لك الحمد على ما قدرته لى، وكان أهل بيتى يلومونني على ذلك فأزيدها بِرًّا وإكرامًا، إلى أن صارت بحيث لا تدعنى أخرج من عندها، فتركت حضور المجالس إيثارًا لرضاها وحفظًا لقلبها. ثم بقيت معها على هذه الحال خمس عشرة سنة، وكأنى فى بعض أوقاتى على الجمر وأنا لا أُبدى لها شيئًا من ذلك إلى أن ماتت، فما شىء أرجى عندى من حفظى عليها ما كان فى قلبها من جهتى[1].

---

(١) أخرجها الخطيب فى تاريخ بغداد (٩/ ١٠١)، وابن الجوزى فى المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم (٦/ ١٠٧).

دعاء من قلب صادق

۞ عن محمد بن عبيد الزاهد قال: كانت عندى جارية، فبعتها، فتتبعتها نفسى، فصرت إلى مولاها مع جماعة من إخوانى، فسألته أن يُقيلنى ويربح عشرين دينارًا، فأبى علىَّ، فانصرفت من عنده، فَرُمْتُ فطرى، فلم أقدر عليه، فبتُّ ساهرًا لا أدرى ما أصنع، فخشى أن أعاوده، فأخرجها إلى المدائن، فلما رأيت ما بى من الجهد كتبت اسمها فى راحتى، واستقبلت القبلة، فكلما طرقنى طارق من ذكرها رفعت يدى إلى السماء، وقلت: يا سيدى، هذه قصتى، حتى إذا كان فى السَّحر من اليوم الثانى إذا أنا برجل يدق علىَّ باب، فقلت: من هذا؟

فقال: أنا مولى الجارية، فنزلت، فإذا أنا به، قال: خُذ الجارية، بارك الله لك فيها. فقلت: خذ دنانيرك والربح.

قال: ما كنت لآخذ منك دينارًا ولا درهمًا: قلت: ولم ذاك؟ قال: لأنه أتانى آتٍ الليلة فى منامى، فقال: لى: رُدَّ الجارية على ابن عُبيد[1].

---

(١) عيون الحكايات (ص ١٤٠).

من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها

۞ كان أحد الخلفاء يحسن استقبال العلماء، ويكرمهم بالمال، وذات يوم اندسَّ بينهم رجل يحمل جرة، وثيابه مهلهلة، فاستلفت نظره، وسأله عن حاجته فأجاب:

ولما رأيت القوم شدوا رحالهم ... إلى بحرك الطامى أتيت بجرتى

فدهش الخليفة من سرعة خاطره، وحسن جوابه، وقال لخازنه: املأ جرته ذهبًا، فملأها، وأخذها الرجل، فحسده بعض من رأوه، وادعوا أنه أبله، لا يعرف قيمة المال، وربما أنفقه فى غير محله.

فقال الخليفة: المال ماله، ومثلى يعطى ولا يرجع فى العطاء.

أما الرجل فلقد حمل الجرة، وتوجه إلى الحى الذى يعيش فيه، فوزع الذهب على الفقراء حتى انتهى ما معه.

وعلم الخليفة بفعله، فأرسل إليه يسأله عن سر ذلك.

فقال:

يجود علينا الخيِّرون بمالهم ... ونحن بمال الخيِّرين نجود

فأُعجب الخليفة بجوابه، وأمر له أن يعطى مقابل ما كان فى الجرة عشر مرات.

فقال الرجل: صدق الله العظيم القائل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1].

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٦٠).

إن مَن يمد رجله لا يمد يده

۞ قَدِم السلطان عبد العزيز إلى مصر وزار الجامع الأزهر وصحبه الخديوى إسماعيل، فلاحظ الخديوى على شيخ الجامع أنه غير مهتم بهم فهو مُسندٌ ظهره، مادٌّ رجله، فأسرع بالسلطان عنه، ثم كلف الخديوى أحد رجاله أن يذهب لهذا الشيخ بصُرَّةٍ فيها فلوس يريد أن يجذبه إليها بها ويعرف حاله.

فلما جاء الرسول للشيخ؛ ليعطيه الصرة، قبض الشيخ عنه يده وقال له: قل لمن أرسلك: إن من يمد رجله، لا يمد يده.

وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها

يُحكى أن ابن أبشاذ النحوى كان يومًا على سطح جامع مصر وهو يأكل شيئًا وعنده ناس، فحضرهم قِطٌ فقدموا له لقمة فأخذها فى فمه وغاب عنهم ثم عاد إليهم، فرموا له شيئًا آخر ففعل كذلك وتردد مرارًا وهم يرمون له وهو يأخذه ويغيب، ثم يعود من فوره حتى عجبوا من ذلك القط، وعلموا أن مثل هذا الطعام لا يأكله وحده لكثرته، فلما شكوا فى أمره تبعوه فوجدوه يصعد إلى حائط فى سطح الجامع، ثم ينزل إلى موضع بين خراب وفيه قط آخر أعمى وكل ما يأخذ من الطعام يحمله إلى ذلك القط ويضعه بين يديه وهو يأكله.

فعجبوا من تلك الحال، فقال ابن أبشاذ: إذا كان هذا حيوان أخرس قد سخر الله له هذا القط وهو يقوم بكفايته ولم يحرمه الرزق فكيف يضيع مثلى؟!!.

ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً

وقع فى يوم من الأيام خلاف بين أبى جعفر المنصور وبين زوجته الحرة، أدَّى إلى شقاق بسبب ميله عنها، وطلبت العدل منه، فقال لها: بمن ترضين فى الحكم بينى وبينك؟

فقالت: بأبى حنيفة، فرضى هو به أيضًا، فأحضره، وقال له: الحرة تخاصمنى، فأنصفنى منها.

قال أبو حنيفة: ليتكلم أمير المؤمنين، فقال: كم يحل للرجل أن يتزوج من النساء فيجمع بينهن؟

قال: أربع.

قال: وكم يحل له من الإماء؟

قال: ما شاء، ليس لهن عدد.

قال: وهل يجوز لأحد أن يقول خلاف ذلك؟

قال: لا.

قال أبو جعفر: قد سمعت - يعنى سمعت مقالتى وحجتى - فقال أبو حنيفة: إنما أحل الله هذا لأهل العدل، فمن لم يعدل أو خاف ألا يعدل فينبغى ألا يجاوز الواحدة.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾[1].

فينبغى لنا أن نتأدب بأدب الله، ونتعظ بمواعظه، فسكت أبو جعفر وطال سكوته، فخرج أبو حنيفة، فلما وصل منزله، أرسلت إليه زوجة

---

(١) سورة النساء: الآية: (٣).

الخليفة خادمًا، ومعه مال وثياب وجارية وحمار، فردها، وقال للخادم: أقرئها سلامى، وقل لها: إنما ناضلت عن دينى، وقمت ذلك المقام لله، لم أُرد بذلك تقربًا إلى أحد، ولا التمست به دنيا.

هذه هي السعادة الحقيقية

۞ يقول إبراهيم بن بشار رَحِمَهُ اللَّهُ:

خَرَجْتُ أَنَا، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ، وَأَبُو يُوسُفَ الْغَسُولِيُّ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ السَّنْجَارِيُّ نُرِيدُ الإسكندرية فَمَرَرْنَا بِنَهْرٍ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْأُرْدُنِ، فَقَعَدْنَا نَسْتَرِيحُ، وَكَانَ مَعَ أَبِى يُوسُفَ كُسَيْرَاتٍ يَابِسَاتٍ، فَأَلْقَاهَا بَيْنَ أَيْدِينَا فَأَكَلْنَاهَا وَحَمِدْنَا اللهَ عَجَّلَ، فَقُمْتَ أَسْعَى أَتَنَاوَلُ مَاءً لِإِبْرَاهِيمَ فَبَادَرَ إِبْرَاهِيم فَدَخَلَ النَّهْرُ حَتَّى بَلَغَ الْمَاءَ إِلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ بِكَفَّيْهِ فِى الْمَاءِ فَمَلأَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللهِ وَشَرِبَ الْمَاءَ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ مَلأَ كَفَّيْهِ مِنَ الْمَاءِ فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ وَشَرِبَ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، يَعْنِى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ مِنَ النَّهْرِ فَمَدَّ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا يُوسُفَ، لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ وَالسُّرُورِ لِجَالَدُونَا بِالسُّيُوفِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ وَقِلَّةِ التَّعَبِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، طَلَبَ الْقَوْمُ الرَّاحَةَ وَالنَّعِيم فَأَخْطَئُوا الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ فتبَسَّمَ، ثُمَّ قَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْكَلَامُ؟ [1].

---

(١) انظر: الحلية (٧/ ٣٧٠)، الزهد (٨٠) للبيهقى، صفة الصفوة (٤/ ١٥٣)، تهذيب تاريخ دمشق (٢/ ١٧٩) لابن بدران.

ما رأيت مثل هذا الشيخ قط

رُفع إلى الخليفة المنصور أن رجلًا عنده ودائع وأموال لبنى أمية.

فأمر بإحضاره فلما أُدخل إليه قال له المنصور: قد رُفع إلينا خبر الودائع والأموال التى عندك لبنى أمية، فأخرجها إلينا.

فقال: يا أمير المؤمنين، أوارثٌ أنت لبنى أمية؟

قال: لا.

قال: أفأوصوا لك بأموالهم؟

قال: لا.

قال: فما سؤالك عما فى يدى من ذلك؟

فأطرق المنصور ساعة. ثم رفع رأسه وقال: إن بنى أمية ظلموا المسلمين فيها، وأنا وكيل المسلمين فى حقِّهم، وأريد أن آخذ ما ظلموا فيه المسلمين فأجعله فى بيت مالهم.

فقال: تحتاج يا أمير المؤمنين إلى إقامة البينة العادلة على أن ما فى يدى لبنى أمية مما خانوا وظلموا فيه دون غيره، فقد كان لبنى أمية أموال غير أموال المسلمين.

فقال المنصور: صدقت... ما يجب عليك شىء.

ثم قال له: هل لك من حاجة؟

قال: تجمع بينى وبين مَن سعى بى إليك، فوالله ما لبنى أُمية فى يدى مال ولا وديعة، ولكنى لما مثلت بين يديك، وسألتنى عما سألتنى عنه، علمتُ أنه ما يُنجينى منك إلا هذا القول.

فلما جمع المنصور بينه وبين من سعى به، عَرَفَه وقال: هذا غلامى، سرق ثلاثة آلاف دينار من مالى وهرب منى، وخاف من طلبى له فسعى بى عند أمير المؤمنين.

فشدَّ المنصور على الغلام وخوَّفه حتى أقرَّ بكل ما ذكره الرجل، فقال المنصور للشيخ: نسألك أن تصفح عنه.

قال: قد صفحت عنه، وأعتقته، ووهبت له الثلاثة آلاف التى أخذها، وثلاثة آلاف أخرى. ثم انصرف.

فكان المنصور يتعجب منه كلما ذكره ويقول: ما رأيتُ مثل هذا الشيخ قط.

هكذا كانت مكارم الأخلاق

۞ قال معن بن زائدة: لما انتقلت الدولة إلى بنى العباس، جَدَّ المنصورُ فى طلبى، وجعل لمن يحملنى إليه مالًا، فاضطررت لشدة الطلب إلى أن تعرضت للشمس حتى لوَّحت وجهى، وخَفَّفت عارضى، ولبست جُبة صوف، وركبت جملًا، وخرجت متوجهًا إلى البادية لأقيم بها.

فَلَمَّا خرجت من بَاب حَرْب، وهو أحد أبواب بغداد، تَبِعنِى أسود، مُتَقَلِّدًا سَيْفا، حَتَّى إِذا غبت عَن الحرس، قبض على خطام الْجمل، فأناخه، وَقبض عَلى يدى، فَقلت: مَا بك؟

فَقَالَ: أَنْت طلبة أَمِير الْمُؤمنِينَ (أي: أنت الذي يبحث عنه أمير المؤمنين).

فَقلت: وَمن أَنا حَتَّى أُطْلَب.

قَالَ: أَنْت مَعِن بن زَائِدَة.

فَقلت لَهُ: يَا هَذَا اتَّقِ الله، وَأَيْنَ أَنا من مَعِن.

فَقَالَ: دَعْ عَنْك هَذَا، فَوَالله إنى لأعرَفُ بك مِنْك.

فلما رأيت منه الجد، قُلت لَهُ: هَذَا جَوْهَر قد حَملته معى بأضعاف مَا جعله الْمَنْصُور لمن جَاءَ بِى، فَخذه، وَلَا تكن سببًا فى سفك دمى.

قَالَ: هاته، فَأَخْرَجته إِلَيْهِ.

فَنظر فيهِ سَاعَة، وَقَالَ: صدقتَ فِى قِيمَته، وَلستُ قابلَه حَتَّى أَسأَلك عَن شَيْء، فَإِن صدقتنى أطلقتك. فَقلت: قل.

قَالَ: إِن النَّاس قد وصفوك بالجود، فَأَخْبرنِى هَل وهبت مَالك كُله قطّ؟

قلت: لَا. قَالَ: فنصفه؟ قلت: لَا. قَالَ: فثلثه؟

قلت: لَا، حَتَّى بلغ الْعُشْر. فَاسْتَحْيَيْت، فَقلت: أَظن أَنِّى فعلت هذا.

قَالَ: ومَا ذَاكَ بعظِيم، أَمَّا عَنِّى فرزقى من الخليفة كل شهر عشرُون درهمًا، وَهَذَا الْجَوْهَر قِيمَته ألوف الدَّنَانِير، وَقد وهبتُه لَك، ووهبتك لنَفسك، ولجودك الْمَأْثُور بَين النَّاس، ولتعلم أَن فِى الدُّنْيَا أَجود مِنْك فَلَا تُعجبك نَفسك، ولتحقر بعْد هَذَا كل جودٍ فَعلته، وَلَا تتَوَقَّف عَن مكرمَة.

ثمَّ رمى العقد فِى حجرى، وترك جَملى، وولَّى منصرفًا.

فَقلت: يَا هَذَا، قد وَالله فضحتنى، ولَسَفْكُ دمى أَهْونُ عَلىَّ مِمَّا فعلتَ، فَخذ مَا دَفعتُه إِلَيْك، فَإِنِّى غَنِى عَنهُ.

فَضَحِك، وَقَالَ: أردْتَ أَن تكذبنى فِى مقالى هَذَا؟ وَالله لَا أَخَذتُه، وَلَا آخذ لمعروفٍ ثمنًا أبدًا، وَمضى سبيله.

فوَالله لقد طلبته بعد أَن أمنت، ووليت بلاد اليمن، وبذلت لمن يجىء به ما شاء، فَمَا عرفت لَهُ خَبراً، وَكَأَن الأَرْض ابتلعته.

قصة العباس والمسجد النبوي

۞ عن سالم أبي النضر قال:

لَمَّا كَثُرَ الْمُسْلِمُونَ فِي عَهْدِ عُمَرَ ضَاقَ بِهِمُ الْمَسْجِدُ فَاشْتَرَى عُمَرُ مَا حَوْلَ الْمَسْجِدِ مِنَ الدُّورِ إِلا دَارَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَحُجَرَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ عُمَرُ لِلْعَبَّاسِ: يَا أَبَا الْفَضْلِ إِنَّ مَسْجِدَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ ضَاقَ بِهِمْ وَقَدِ ابْتَعْتُ مَا حَوْلَهُ مِنَ الْمَنَازِلِ نُوَسِّعُ بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِلا دَارَكَ وَحُجَرَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ. فَأَمَّا حُجَرُ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَلا سَبِيلَ إِلَيْهَا وَأَمَّا دَارُكَ فَبِعْنِيهَا بِمَا شِئْتَ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ أُوَسِّعُ بِهَا فِي مَسْجِدِهِمْ. فَقَالَ الْعَبَّاسُ: مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ. قَالَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ:

اخْتَرْ مِنِّي إِحْدَى ثَلاثٍ. إِمَّا أَنْ تَبِيعَنِيهَا بِمَا شِئْتَ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ. وَإِمَّا أَنْ أَخُطَّكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَبْنِيَهَا لَكَ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ. وَإِمَّا أَنْ تَصَدَّقَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَنُوَسِّعَ بِهَا فِي مَسْجِدِهِمْ. فَقَالَ: لا وَلا وَاحِدَةً مِنْهَا. فَقَالَ عُمَرُ:

اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَنْ شِئْتَ. فَقَالَ: أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ. فَانْطَلَقَا إِلَى أُبَيٍّ فَقَصَّا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَقَالَ أُبَيٌّ: إِنْ شِئْتُمَا حدثتكما بحديث سمعته من النَّبِيِّ ﷺ فَقَالا: حَدِّثْنَا. فَقَالَ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَى دَاوُدَ أَنِ ابْنِ لِي بَيْتًا أُذْكَرُ فِيهِ. فَخَطَّ لَهُ هَذِهِ الْخِطَّةَ خِطَّةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَإِذَا تَرْبِيعُهَا بَيْتُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَسَأَلَهُ دَاوُدُ أَنْ يَبِيعَهُ إِيَّاهُ فَأَبَى. فَحَدَّثَ دَاوُدُ نَفْسَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنْ يَا دَاوُدُ أَمَرْتُكَ أَنْ تَبْنِيَ لِي بَيْتًا أُذْكَرُ فِيهِ فَأَرَدْتَ أَنْ تُدْخِلَ فِي بَيْتِيَ الْغَصْبَ وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِيَ الْغَصْبُ. وَإِنَّ عُقُوبَتَكَ أَنْ لا تَبْنِيَهُ. قَالَ: يَا رَبِّ فَمِنْ**

وَلَدِى؟ قَالَ: مِنْ وَلَدِكَ». قَالَ فَأَخَذَ عُمَرُ بِمَجَامِعِ ثِيَابِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَقَالَ: جِئْتُكَ بِشَيْءٍ فَجِئْتَ بِمَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ. لِتَخْرُجَنَّ مِمَّا قُلْتَ.

فَجَاءَ يَقُودُهُ حَتَّى أَدْخَلَهُ الْمَسْجِدَ فَأَوْقَفَهُ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهِمْ أَبُو ذَرٍّ فَقَالَ: إِنِّى نَشَدْتُ اللهَ رَجُلا سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ حَدِيثَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ حِينَ أَمَرَ اللهُ دَاوُدَ أَنْ يَبْنِيَهُ إِلا ذَكَرَهُ. فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وقال آخر:

أنا سمعته. وقال آخَرُ: أَنَا سَمِعْتُهُ. يَعْنِى مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ فَأَرْسَلَ عُمَرُ أُبَيًّا.

قَالَ وَأَقْبَلَ أُبَىٌّ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ: يَا عُمَرُ أَتَتَّهِمُنِى عَلَى حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ عُمَرُ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ لا وَاللهِ مَا أَتَّهَمْتُكَ عَلَيْهِ وَلَكِنِّى كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ظَاهِرًا. قَالَ وَقَالَ عُمَرُ لِلْعَبَّاسِ: اذْهَبْ فَلا أَعْرِضُ لَكَ فِى دَارِكَ. فَقَالَ الْعَبَّاسُ: أَمَّا إِذْ فَعَلْتَ هَذَا فَإِنِّى قَدْ تَصَدَّقْتُ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ أُوَسِّعُ بِهَا عَلَيْهِمْ فِى مَسْجِدِهِمْ فَأَمَّا وَأَنْتَ تُخَاصِمُنِى فَلا. قَالَ فَخَطَّ عمر لهم دارهم التى هى لهم الْيَوْمُ وَبَنَاهَا مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ [١].

❊❊❊

(١) أخرجه ابن سعد (٤/ ٢٢) فى طبقاته.

جعل الله في نسلك الصالحين

۞ حُكى أنه أصاب الناس قحطٌ عظيم - أيام السيدة فاطمة بنت السيد على الرضا:

وكان زوجها مات وخلَّف مخدعًا لا يُعرف ما فيه، فقالت يومًا للخادمة وقد ضاق صدرها ليت شعرى: ما فى هذا المخدع؟ ففتحته فوجدت فيه شيئًا مُلقى فى جانبه فأخذته فإذا هو كيس فيه عقد قد علاه الصدأ، فقالت للخادمة: امضى به إلى السوق لعل أن يأتينا ولو بقوت اليوم، فخرجت الخادمة فطافت على باب الصاغة فوجدت رجلًا قائمًا عليه آثار الخير فنظرت إليه فقال: يا أَمة الله، مالك فقصَّت عليه القصة فأخذه منها وغاب قليلًا ثم أتى إليها، وقال: ما يزيد ثمنه على مائتين وخمسين دينارًا، فقالت الجارية: يا سيدى أنا خادمة امرأة شريفة أتهزأ بها ولها دعوة مجابة فقال: لا والله ما أنا بهازئ بها ولا أقول إلا حقًّا، فقالت الجارية: اقبض المال وامضِ معى إلى مولاتى فقبض المال وأتى معها إلى الدار فدخلت وأعلمت السيدة فاطمة بذلك فخرجت السيدة فاطمة ووقفت وراء الباب، وقالت: أَحَقٌّ ما تقوله هذه الجارية؟ قال: نعم، ثم صَبَّ المال فى طرف الجارية، فقالت السيدة فاطمة: اجعل هذا المال نصفين لنا النصف ولك النصف، فقال: لا والله لا ينالنى منه شيء بل ينالنى منك دعوة تكون فى عقبى إلى يوم القيامة، فقالت: جعل الله فى نسلك الصالحين، فكان من نسله أبو عبد الله الحسينى، وأبو الفضل بن عبد الله بن الحسين بن بشير الجوهرى - رضي الله عنها وعنهم-.

❊❊❊

إذا سألت فاسأل الله

۞ روى أن سالم بن عبد الله بن عمر العدوى (رَحِمَهُ اللَّهُ) دخل على هشام بن عبد الملك الخليفة الأُموى، وهو فى المسجد، فقال له: يا سالم، سلنى حاجتك؟

فقال سالم: إنى لأستحى من الله أن أسال فى بيته غيره، فلما خرج سالم خرج هشام فى أثره، فقال له: ها أنت قد خرجت من المسجد، فسلنى حاجة؟!

فقال له سالم: يا أمير المؤمنين، أسألك من حوائج الدنيا، أم من حوائج الآخرة؟

فقال له: لا يا أخى، بل من حوائج الدنيا.

فقال سالم: أنا ما سألت الدنيا من يملكها، فكيف أسأل من لا يملكها؟![1].

---

(١) تاريخ دمشق (٧/ ١٦ب)، صفة الصفوة (٢/ ٩١).

يهرب من المال.. ويدخل الجنة بقميص!!

۞ قَالَ سفيان:

جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّام فَقَالَ: دُلُّونِي عَلَى صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، فَإِنِّي رَأَيْتُهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، قِيلَ لَهُ: بِأَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: بِقَمِيصٍ كَسَاهُ إِنْسَانًا، فَسَأَلَ بَعْضُ إِخْوَانِ صَفْوَانَ صَفْوَانَ عَنْ قِصَّةِ الْقَمِيصِ، فَقَالَ: خَرَجْتُ مِنَ الْمَسْجِدِ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ، وَإِذَا بِرَجُلٍ عَارٍ فَنَزَعْتُ قَمِيصِي فَكَسَوْتُهُ[1].

وَقَالَ أَبُو كَثِيرُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: « قَدِمَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَدِينَةَ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَامِلُهُ عَلَيْهَا، قَالَ: فَصَلَّى بِالنَّاسِ الظُّهْرَ، ثُمَّ فَتَحَ بَابَ الْمَقْصُورَةِ، وَاسْتَنَدَ إِلَى الْمِحْرَابِ، وَاسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِوَجْهِهِ، فَنَظَرَ إِلَى صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ عَنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ، فَقَالَ: يَا عُمَرُ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ؟ مَا رَأَيْتُ سَمْتًا أَحْسَنَ مِنْهُ، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا صَفْوَانُ بْنُ سُلَيْمٍ، قَالَ: يَا غُلَامُ، كِيسًا فِيهِ خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ، فَأَتَى بِكِيسٍ فِيهِ خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ، فَقَالَ لِخَادِمِهِ: تَرَى هَذَا الرَّجُلَ الْقَائِمَ يُصَلِّي، فَوَصَفَهُ لِلْغُلَامِ حَتَّى أَثْبَتَهُ، قَالَ: فَخَرَجَ الْغُلَامُ بِالْكِيسِ حَتَّى جَلَسَ إِلَى صَفْوَانَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ صَفْوَانُ رَكَعَ وَسَجَدَ، ثُمَّ سَلَّمَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا حَاجَتُكَ؟ قَالَ: أَمَرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - وَهُوَ ذَا يَنْظُرُ إِلَيْكَ - إِلَى أَنْ أَدْفَعَ إِلَيْكَ هَذَا الْكِيسَ، فِيهِ خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ وَهُوَ يَقُولُ: اسْتَعِنْ بِهَذِهِ عَلَى زَمَانِكَ وَعَلَى عِيَالِكَ، فَقَالَ صَفْوَانُ لِلْغُلَامِ: لَيْسَ أَنَا بِالَّذِي أُرْسِلْتَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَلَسْتَ صَفْوَانَ بْنَ سُلَيْمٍ؟ قَالَ: بَلَى، أَنَا صَفْوَانُ ابْنُ سُلَيْمٍ، قَالَ: وَإِلَيْكَ أُرْسِلْتُ، قَالَ: اذْهَبْ فَاسْتَثْبِتْ، فَإِذَا اسْتَثْبَتَّ فَهَلُمَّ،

---

(١) الحلية (٣/ ١٦١).

فَقَالَ الْغُلَامُ: فَأَمْسِكِ الْكِيسَ مَعَكَ وَأَذْهَبُ، قَالَ: لَا، إِنْ أَمْسَكْتُ فَقَدْ أَخَذْتُ، وَلَكِنِ اذْهَبْ فَاسْتَثْبِتْ، وَأَنَا هَهُنَا جَالِسٌ، فَوَلَّى الْغُلَامُ وَأَخَذَ صَفْوَانُ نَعْلَيْهِ وَخَرَجَ، فَلَمْ يُرَ بِهَا حَتَّى خَرَجَ سُلَيْمَانُ مِنَ الْمَدِينَةِ (١).

(١) الحلية (٣/ ١٦٠-١٦١)، ومختصر تاريخ دمشق (١١/ ٩٦-٩٧).

عبدٌ يحب الخلوة ويخاف من المال والشهرة

❁ قال علقمة بن مرثد: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، منهم أويس القرنى، ظن أهله أنه مجنون فبنوا له بيتًا على باب دارهم، فكانت تأتى عليه السنة والسنون لايرون له وجهًا. وكان طعامه مما يُلتقط من النوى، فإذا أمسى باعه لإفطاره، وإن أصاب حشفة حبسها لإفطاره، فلما ولى عمر قال بالموسم: أيها الناس! قوموا. فقاموا، فقال: اجلسوا إلا من كان من اليمن. فجلسوا فقال: اجلسوا إلا من كان من مراد، فجلسوا فقال: اجلسوا إلا من كان من قرن. فجلسوا إلا رجلًا وكان عم أويس القرنى، فقال له عمر: أقرنى أنت؟ قال: نعم قال: أتعرف أويسًا؟ قال: وما يسأل عن ذاك يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما فينا أحمق ولا أجن ولا أحوج منه، فبكى عمر ثم قال: بك لا به، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يدخلُ الجنة بشفاعته مثل ربيعة ومضر».

قال هرم بن حيان: فلما بلغنى ذلك قدمت الكوفة، فلم يكن لى هم إلا طلبه، حتى رأيته جالسًا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ، فعرفته بالنعت الذى نُعت لى، فإذا رجل نحيل، آدم شديد الأدمة، أشعث[1] محلوق الرأس، مهيب المنظر، فسلمت عليه، فردَّ علىَّ ونظر إلىَّ، ومددتُ يدى لأصافحه، فأبى أن يصافحنى، فقلت: رحمك الله يا أويس وغفر لك، كيف أنت؟ ثم خنقتنى العبرة من حبى إياه ورقتى عليه بما رأيت من حاله، حتى بكيت وبكى، قال: وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخى؟ من دلَّك علىَّ؟ قلت: الله. قال: لا إله إلا الله، ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ

(١) فى مختصر تاريخ ابن عساكر: «أشعر» أى كثير الشعر؛ وهو أشبه بالصواب.

رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾[١] فقلت: ومن أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم ولا رأيتني؟! قال: أنبأني العليمُ الخبير، عرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك؛ لأن الأرواح لها أنفسٌ كأنفس الأجساد، إن المؤمنين يعرف بعضهم بعضًا، ويتحابون بروح الله ﷻ، وإن لم يلتقوا وإن نأت بهم الدار، وتفرقت بهم المنازل. قلت: حدثني رحمك الله عن رسول الله ﷺ. قال: إني لم أدرك رسول الله، ولم يكن لي معه صحبة، بأبي وأمي رسول الله، ولكني قد رأيتُ رجالًا رأوه، ولست أحب أن أفتح على نفسي هذا الباب أن أكون محدثًا أو قاصًّا أو مفتيًا، في نفسي شغل عن الناس. قلت: أي أخي! اقرأ عليَّ آيات من كتاب الله أسمعها منك، وأوصني بوصية أحفظها عنك، فإني أحبك في الله. فأخذ بيدي فقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. قال: ربي، وأحق القول قول ربي، وأحسن الكلام كلام ربي ﷻ. ثم قرأ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٢] فشهق شهقة، فنظرت إليه وأنا أحسبه قد غُشي عليه. ثم قال: يا ابنَ حيان! مات أبوك حيان، ويوشك أن تموت أنت؛ فإما إلى الجنة، وإما إلى النار، ومات أبوك آدم وماتت أمك حواء يا ابن حيان، ومات نوح نبي الله، ومات إبراهيم خليل الله، ومات موسى نَجِي الله، ومات داود خليفة الرحمن، ومات محمد ﷺ، وعلى جميع الأنبياء، ومات أبو بكر خليفة رسول الله ومات أخي وصديقي عمر بن الخطاب، فقلت له: رحمك الله إن عمر لم يمت.

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (١٠٨).

(٢) سورة الدخان: الآيات: (٣٨- ٤٢).

قال: بلى قد نعاه إلىَّ ربى ﷻ، ونعى إلىَّ نفسى، وأنا وأنت فى الموتى، ثم صلى على النبى ودعا بدعوات خفاف. ثم قال: هذه وصيتى إليك، كتاب الله - ونعَى صالح المؤمنين - فعليك بذكر الموت، ولا يفارقن قلبك طرفة عين ما بقيت؛ وأنذر قومك إذا رجعت إليهم، وانصح للأمة جميعًا، وإياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تعلم. ادع لى ولنفسك، ثم قال: اللهم إن هذا زعم أنه يحبنى فيك، وزارنى من أجلك. فعرِّفنى وجهه فى الجنة وأدخله على دارك دار السلام، واحفظه ما دام فى الدنيا حيًّا، وأرضه من الدنيا باليسير، واجعله لما أعطيته من نعمك من الشاكرين، واجزه عنى خيرًا، ثم قال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، لا أراك بعد اليوم رحمك الله، فإنى أكره الشهرة، والوحدة أحب إلىَّ، لأنى كثير الغم ما دمت مع هؤلاء الناس حيًّا، فلا تسأل عنى ولا تطلبنى، واعلم أنك منى على بال وإن لم أرك ولم ترنى، واذكرنى وادع لى فإنى سأدعو لك وأذكرك إن شاء الله. فانطلق أنت ههنا حتى آخذ أنا ههنا. فحرصت أن أمشى معه ساعة، فأَبى علىَّ، ففارقته أبكى ويبكى، فجعلتُ أنظر إليه حتى دخل بعض السكك، ثم سألت عنه بعد ذلك وطلبته، فلم أجد أحدًا يخبرنى عنه بشىء، وما أتت عليه جمعة إلا وأنا أراه فى منامى مرة أو مرتين[1].

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢/ ٨٤- ٨٦) بنحوه وابن عساكر، وهو فى المختصر (٥/ ٨٤- ٨٦).

الحسن البصري.. والشاب في المغارة

۞ قال الحسن بن أبى الحسن البصري:

كنت فى مقابر البصرة وقد دفنَّا رجلًا من الزُّهَّاد، فأصحرت، فإذا بمغارة، فقلت: لعلها لبعض الفُسَّاق فاطلعت فيها: وإذا بإنسان حسن الوجه عليه مدرعة من شعر قائم يصلى فسلمت وجلست فركع وسلَّم وأقبل عليَّ وقال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فقلت: حبيبي من أي بلدٍ أنت؟ قال: من بلاد الشام. قلت: ففيم قصدت إلى ها هنا؟ قال: سمعت بالبصرة ومن فيها من الزاهدين والعابدين، فقصدت لأقتبس من علمهم وزهدهم قال الحسن: فقلت: من أين طعامك وشرابك؟ قال: من أوراق الشجر وماء الغدران. قلت: حبيبى آتيك بقرصين من طعام تستعين بها على عبادة الله. قال: إليك عنى، فما لى عهد بالطعام منذ سنين. قلت: أحب أن تتحرم بطعامنا: قال: إن كنت تحب، فأتنى بقرصين من الشعير وملح جريش.

قال الحسن: فوليت راجعًا إلى منزلى، فاختبزت قرصين، وأخذت عليهما ملحًا جريشًا، وإذا بسبعٍ رابض بباب المغارة، فقلت فى نفسى: إنَّا لله، لا يكون السبع قد افترس الشاب، فوقفت ناحية، ونظرت إليه، فإذا هو على الهيئة التى تركته عليها قائم يصلى، فصحت به: يا فتى أمصاب عقلك أم شغفك حب الله، فأنت غافل؟ فانفتل من صلاته، وهو يقول: ما الذى ترى؟ قلت: سبعًا رابضًا بباب المغارة، فقال: لو كنت تخاف ممن خلق السبع لكان أولى بك، ثم أقبل على السبع، فقال: أيها السبع إنما أنت جند من جنود الله، فإن كان قد أذن لك فى شيء، فما أقدر أن أمنعك رزقك، وإن

كان الله تعالى لم يأذن لك فى شىء فما لى ولك، حجزت بينى وبين زُوَّارى؟ فلما قال هذا رأيت السبع يزأر ويضرب بذَنَبِه، ثم ولَّى هاربًا كأن الأسِنَّة تطلبه.

فأتيت الشاب، وقلت: حبيبى قد أتيتك بالذى طلبت، فأخذ القرصين فأبصرهما مليًّا، ثم بكى بكاءً شديدًا[1].

❊ ❊ ❊

(١) عيون الحكايات: (ص ٢١٩ - ٢٢٠) بتصرف.

ازْوِها عني.. زوى الله عنك أوزارك

۞ عن عبد الرحمن بن مهدى قال:

لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غدًا ما قدر أن يَزيد فى العمل شيئًا.

عن مقاتل بن صالح الخراسانى قال: دخلت على حماد بن سلمة، فإذا ليس فى البيت إلا حصير، وهوجالس عليه، ومصحف يَقرأ فيه،وجراب فيه علْمه، ومطهرة يتوضأ منها، فبينما أنا عنده جالس إذ دَقَّ دَاقٌّ الباب، فقال: يا صبية اخرجى، فانظرى مَن هذا؟ فقالت: رسول محمد بن سليمان.قال: قولى له: يدخل وحده، فدخل فناوله كتابًا، فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة. أما بعد فصبَّحك الله بما صبَّح به أولياءه وأهل طاعته ... وقعت مسألة، فأتِنا نسألك عنها والسلام».

قال: يا صبية هَلُمِّى الدواة، ثم قال لى: اقلب الكتاب واكتب: «أما بعد وأنت فصبَّحك الله بما صبَّح به أولياءه وأهل طاعته، إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحدًا، فإن كانت وقعت مسألة، فأتِنا واسألْنا عما بدا لك، وإن أتيتنى فلا تأتِنى إلا وحدك، ولا تأتنى بخَيلك ورَجلِك فلا أنصحك، ولا أنصح نفسى والسلام».

فبينا أنا عنده دَقّ داقٌّ الباب، فقال: يا صبية اخرجى فانظرى مَن هذا ؟ فقالت: محمد بن سليمان.قال: قُولى له ليدخل وحده، فدخل فسلّم، ثم جلس بين يديه فقال: ما لى إذا نظرتُ إليك امتلأت رعبًا. فقال حماد:سمعت ثابتًا البنانى يقول، سمعت أنس بن مالك يقول، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله ﷻ هابَه كل شىء،**

وإذا أراد أن يكتنز به الكنوز هابَ من كل شيء»[١].

فقال: أربعون ألف درهم تأخذها تستعين بها على ما أنت عليه؟ قال: اردُدها على من ظلمته بها. قال: والله ما أعطيتك إلا ما ورثْتُه.

قال: لا حاجة لى فيها ازْوها عنى زَوى الله عنك أوزارك. قال: فتقسمها. قال: فلعلِّى إن عدَلت فى قسْمتها أن يقول بعض من لم يُرزَق منها: لم يَعدِل. ازْوها عنى زَوى الله عنك أوزارك.

۞ وعن موسى بن إسماعيل قال: لو قلت لكم إنى ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكًا أكون قد صدَقتكم كان مشغولًا بنفسه، إما أن يُحدّث، وإما أن يقرأ، وإما أن يُسبّح، وإما أن يصلى. كان قد قسّم النهار على هذه الأعمال.

۞ عن سوّار بن عبد الله قال: حدثنا أبى قال: كنت آتى حماد بن سلمة فى سوقه، فإذا ربح فى ثوب حبة أو حبتين شدّ جُونته، فلم يبع شيئًا. فكنت أظن أن ذلك يَقوته، فإذا وجد قُوته لم يزد عليه شيئًا.

۞ وعن يونس بن محمد قال: مات حماد بن سلمة فى المسجد وهو يصلى[٢].

❊❊❊

(١) ضعيف: ضعيف الجامع (٣٨٣٦).

(٢) صفة الصفوة (٣/ ٢١٨-٢١٩).

ما لي وللدنيا

۞ عن عبدِ الله بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: نَامَ رسولُ الله ﷺ عَلَى حَصيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فى جَنْبِهِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّه لوِ اتَّخَذْنَا لكَ وِطَاءً، فقال: «مَا لى وَلَلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فى الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»[1].

۞ وهذا مثالٌ ممن تربّوا على سيرة الرسول ﷺ.

۞ عن إبراهيم بن شبيب بن شيبة، قال: كنا نتجالس فى الجمعة فأتى رجل عليه ثوب واحد مُلتحف به فجلس إلينا فألقى مسألة فما زلنا نتكلم فى الفقه حتى انصرفنا، ثم جاءنا فى الجمعة المقبلة فأحببناه وسألناه عن منزله فقال: أنزل الحربية فسألناه عن كُنيته فقال: أبو عبد الله. فرغبنا فى مجالسته ورأينا مجلسنا مجلس فقه، فمكثنا بذلك زمانًا ثم انقطع عنا، فقال بعضنا لبعض: ما حالنا؟ قد كان مجلسنا عامرًا بأبى عبد الله، وقد صار موحشًا فوعد بعضنا بعضًا، إذا أصبحنا أن نأتى الحربية فنسأل عنه، فأتينا الحربية، وكنا عددًا فجعلنا نستحى أن نسأل عن أبى عبد الله، فنظرنا إلى صبيان قد انصرفوا من الكُتَّاب فقلنا: أبو عبد الله، فقالوا: لعلكم تعنون الصياد؟ قلنا: نعم. قالوا: هذا وقته الآن يجىء، فقعدنا ننتظر، فإذا هو قد أقبل مؤتزرًا بخرقة وعلى كتفه خرقة ومعه أطيار مُذبَّحة وأطيار أحياء، فلما رآنا تبسم إلينا، وقال: ما جاء بكم؟ فقلنا: فقدناك وقد كنت غمرت مجلسنا فما غيَّبك عنا؟ قال: إذًا أصدقكم، كان لنا جار كنت أستعير منه كل يوم ذلك الثوب الذى كنت آتيكم فيه، وكان غريبًا فخرج إلى وطنه فلم يكن لى ثوب آتيكم فيه، هل لكم أن تدخلوا المنزل فتأكلوا مما رزق الله عز وجل ...فقال بعضنا

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٧٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦٦٨).

لبعض: ادخلوا منزله ... فجاء إلى الباب فسلَّم ثم صبر قليلًا، ثم دخل فأذن لنا فدخلنا فإذا هو قد أتى بقطع من البوارى فبسطها لنا فقعدنا فدخل إلى المرأة فسلَّم إليها الأطيار المُذبحة وأخذ الأطيار الأحياء، ثم قال: أنا آتيكم إن شاء الله عن قريب فأتى السوق فباعها واشترى خبزًا، وقد صنعت المرأة ذلك الطير وهيأته فقدَّم إلينا خبزًا ولحم طير، فأكلنا فجعل يقوم فيأتينا بالملح والماء فكلما قام قال بعضنا لبعض: رأيتم مثل هذا ألا تغيرون أمره وأنتم سادة أهل البصرة فقال أحدهم: علىَّ خمسمائة، وقال الآخر: علىَّ ثلاثمائة، وقال هذا، وقال هذا، وضمن بعضهم أن يأخذ له من غيره، فبلغ الذى جمعوا فى الحساب خمسة آلاف درهم فقالوا: قوموا بنا نذهب فنأتيه بهذا ونسأله أن يُغير بعض ما هو فيه.

فقمنا فانصرفنا على حالنا رُكبانًا فمررنا بالمربد[1] فإذا محمد بن سليمان أمير البصرة قاعد فى منظرة[2] له فقال: يا غلام ائتنى بإبراهيم بن شبيب بن شيبة من بين القوم. فجئت فدخلت عليه فسألنى عن قصتنا ومن أين أقبلنا فصدقته الحديث. فقال أنا أسبقكم إلى بِرِّه، يا غلام ائتنى ببدرة دراهم فجاء بها، فقال: ائتنى بغلام فرَّاش فجاء فقال: احمل هذه البدرة مع هذا الرجل حتى تدفعها إلى من أمرناه.

ففرحت ثم قمت مسرعًا فلما أتيت الباب سلَّمت فأجابنى أبو عبد الله، ثم خرج إلىَّ فلما رأى الفرَّاش والبدرة على عنقه كأنى سفيت[3] فى وجهه الرماد وأقبل علىَّ بغير الوجه الأول، فقال: ما لى ولك يا هذا؟ أتريد أن

---

(١) المربد من أسواق العرب المشهورة في البصرة.

(٢) المنظرة: الشرفة.

(٣) سفيت: نثرت.

تفتننى؟ فقلت: يا عبد الله، اقعد حتى أخبرك أنه من القصة كذا وكذا، وهو الذى تعلم أحد الجبارين (يعنى محمد بن سليمان)، ولو كان أمرنى أن أضعها حيث أرى أرجعت إليه فأخبرته أنى قد وضعتها، فالله الله فى نفسك فازداد علىَّ غيظًا وقام فدخل منزله وأصفق الباب فى وجهى، فجعلت أُقدِّم وأُؤخِّر ما أدرى ما أقول للأمير. ثم لم أجد بُدًّا من الصدق فجئت فأخبرته الخبر، فقال حرورى[1]: والله... يا غلام علىَّ بالسيف، فجاء بالسيف فقال له: خذ بيد هذا الغلام حتى يذهب بك إلى هذا الرجل فإذا أخرجه إليك فاضرب عنقه وائتنى برأسه.

قال إبراهيم: فقلت: أصلح الله الأمير، الله الله، فوالله لقد رأينا رجلًا ما هو من الخوارج ولكنى أذهب فآتيك به وما أريد بذلك إلا افتداءً منه، قال: فضمَّننيه فمضيت حتى أتيت الباب فسلَّمت فإذا المرأة تحن وتبكى، ثم فتحت الباب، وتوارت فأذنت لى فدخلت فقالت: ما شأنكم وشأن أبى عبد الله؟ فقلت: ما حاله؟ قلت: دخل فمال إلى الركى فنزع منها ماءً فتوضأ ثم سمعته يقول: اللهم اقبضنى إليك، ولا تفتنى ثم تمدد وهو يقول ذلك.

فلحقته وقد قضى فهو ذاك ميت. فقلت: يا هذه إن لنا قصة عظيمة فلا تُحدثوا فيه شيئًا، فجئت محمد بن سليمان وأخبرته الخبر فقال: أنا أركب فأصلى على هذا، قال: وشاع خبره بالبصرة فشهده الأمير وعامة أهل البصرة (رحمة الله عليه).

❊ ❊ ❊

(١) حروري: أي من الخوارج.

من بيتكم يخرج الورع

۞ تروى كتب الأدب والتاريخ أن أخت بشر الحافى ذهبت إلى الإمام أحمد فقالت: إنا قوم نغزل بالليل، ومعاشنا منه، وربما يمر بنا مشاعل الظاهرية - حرس بنى ظاهر ولاة بغداد - ونحن على السطح، فنغزل فى ضوئها الطاقة والطاقتين، أفتُحله لنا أم تُحرمه..؟ فقال لها: من أنت؟..

قالت: أخت بشر..

فقال: آه يا آل بشر.. لا عدمتكم.. لا أزال أسمع الورع الصافى من قِبَلِكم..!

ويُروى أن الإمام أحمد رحمه الله بكى وقال: من بيتكم يخرج الورع الصادق.. لا تغزلى فى شعاعها.

هذه الدنيا!!

۞ خلق الله الدنيا وجعلها مزرعة للآخرة وكلفنا فيها بعبادته وأمرنا بطاعته وبيَّن لنا ما فيها من عيوب ونقائص وأن خير ما فيها طاعة الله وعبادته والإقبال عليه، حيث لم يكتب لنا الخلود فيها وإنما جعلها قنطرة للآخرة وسبيلًا إلى نيل مرضاته تعالى، ومن هنا أخبر بأنها لهو ولعب وأنها متاع وزينة لا تلبث أن تزول وبريق خداع إن جاءه الإنسان لا يجده شيئًا، فهو كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً وأنها مهما كانت باقية فلا بد من فنائها، ومهما كانت طويلة فلا بد من انتهائها، وكل ما فيها إلى عدم وزوال[1].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾[2].

۞ واستمع إلى قول الله تعالى وهو يتحدث عنها: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾[3].

۞ وقال ينبهنا على خطرها ويذكرنا بخداعها وغرورها:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[4]

---

(١) سمير الصالحين وأنيس المتقين / الشيخ أحمد الشهاوي (٢/ ١٠٨).

(٢) سورة الحديد: الآية (٢٠).

(٣) سورة الكهف: الآية (٤٥).

(٤) سورة فاطر: الآية (٥).

ولقد جاء فى أخبار السابقين الأولين أن سيدنا جبريل نزل يومًا على نوح عليه السلام وقد زاد عمره على ألفى سنة فيها فسأله يا أطول الأنبياء عمرًا، كيف وجدت الدنيا؟ فقال له: وجدتها كبيت له بابان دخلت من أحدهما، وخرجت من الآخر ... ولقد جمعها الله كلها لسليمان بن داود فلقد آتاه الله مُلكًا عظيمًا وعلمًا كبيرًا، وعلَّمه منطق الطير، وأعطاه الله من كل نعيمها ومُتعها وجمع له الجن والإنس والطير تحت سلطانه وسخَّر له الريح تجرى بأمره كما سخر له الشياطين يبنون له القصور الشامخة والقلاع المنيعة، ويغوصون وراء اللؤلؤ ليجمعوه له من أعماق البحار، وفى يوم من الأيام طاف موكبه بين أرجاء مُلكه الفسيح فكانت الريح تحمله والإنس عن يمينه والجن عن يساره والطير تُظله،... عِزٌّ لا يُدانيه عِزٌّ وسلطان لا يباريه سلطان، وبينما كان فى هذه الأُبهة وذلك الجلال إذ مَرَّ على مُزارع يفلح الأرض بفأسه ويشقها بمحراثه، وكانت الشمس تصب عليه حميمها، وتصهر جسمه بلهبها فنظر إلى سليمان ورأى البون شاسعًا والفرق كبيرًا، فقال يُعزّى نفسه ويرثى لحاله: والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكًا عظيمًا فهنيئًا لك فنقلت الريح هذه الكلمة إلى أذن سليمان وهو نبى يفهم الدنيا قبل أن يكون ملكًا يغرُّه نعيمها وتفتنه شهواتها قال: والله لتسبيحة واحدة فى صحيفة مؤمن أعظم مما أُوتى ابن داود؛ لأن التسبيحة تبقى وما أُوتى ابن داود يفنى.

❁ **ويقال أن أعرابيًا**: دخل على معاوية وقد بلغ سِنُّه مائة وعشرين سنة فطاب لمعاوية أن يداعبه. فقال له يا أعرابى، كيف وجدت الدنيا؟ فقال الأعرابى: مرت علينا يا أمير المؤمنين كالريح المتقلبة سنيات بلاء وسنيات

رخاء يومًا بعد يوم وليلة بعد ليلة، يولد مولود ويهلك هالك، فلولا المولود لبادت الخلق، ولولا الهالك لضاقت الدنيا بمن فيها، فقال معاوية: صدقت فسلنى حاجتك أقضها لك، قال يا أمير المؤمنين: ليس لى إليك إلا حاجة واحدة: عمر قد مضى فترده علىَّ، وأجل قد حضر فتدفعه عنى. فقال معاوية لا أقدر على ذلك، فقال له الأعرابى: لا حاجة لى إليك ثم خرج من عنده.

أنت المأمون ورب الكعبة

۞ وحُكى عن المأمون:

أنه خرج يومًا لمتنزهه فبينما هو يسير إذ رأى صَبية على كتفها قِربة وقد أثقلتها، وهى تنادى يا أبتِ أدرك فاها فقد غلبنى فوها لا طاقة لى بفيها، فتعجب المأمون من فصاحتها على صغر سنها، وقال لها: هل تعرفين من العربية شيئًا، قالت: أَوَلست من العرب! قال: فمن أيها؟ قالت: من اليمن، قال: فمن أيها، قالت: من قضاعة، قال: فمن أيها، قالت: من كلبى، قال: فإنك من كلاب، قالت: لا ولكن فريقًا يُدعَى كلبًا، قالت: أما أنا فقد سألتنى عن حسبى، ونسبى، فأفصحت لك، ولكن ممن تكون أنت؟

قال: ممن تبغضه اليمن كلها، قالت: فإذًا أنت من مضر، فمن أيها؟

قال: ممن تبغضه مضر كلها، قالت: فإذًا أنت من قريش، فمن أيها؟

قال: فممن تبغضه قريش كلها، قالت: فإذًا أنت من بنى هاشم، فمن أيها:

قال: ممن تحسده بنو هاشم كلها، قالت: فإذًا أنت المأمون ورب الكعبة.

ثم وثبت قائمة، وأنشدت تقول:

مأمون يا ذا المنن الشريفة ... وصاحب المرتبة المنيفة

وقائد العساكر الكثيفة ... هل لك في أرجوزة لطيفة

أظرف من فقه أبي حنيفة ... لا والذي أنت له خليفة

ما ظلمه في حينا ضعيفة ... عاملتنا بمؤن خفيفة

اللص والتاجر في قطيفة والذئب والنعجة في سقيفة

قال: فتعجب المأمون من حسن بديهتها على صغر سنها، فقال: أيما أحب إليك مائة ألف مؤجلة أم عشرة آلاف معجلة؟

فقالت: المائة ألف المؤجلة لأنك الولى لها الوفى بها، فأعطاها المائة ألف فأخذتها وانصرفت[1].

---

(١) «لطائف الأول» (ص: ١٧٦).

جزاك الله خيرًا عن دينك

۞ ولما بنى عبد الرحمن الداخل مدينة الزهراء، أراد أن يبنيها مُموهة[1] لبناتها بالذهب والفضة وكان العالم الجليل المنذر بن عمرو حاضرًا فقال له: ما ظننت أن الشيطان يبلغ بك هذا المبلغ حتى يجعلك في مصافِّ الكافرين فقال له عبد الرحمن: انظر ما تقول: قال نعم إن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ﴾[2]، فبكى عبد الرحمن وقال له: جزاك الله عن دينك خير الجزاء فلقد نصحت ووعظت أكثر الله فينا من أمثالك وما قلت إلا الحق فانصرف راشدًا.

---

(١) مموهة: أي مزخرفة.

(٢) سورة الزخرف: الآيات: (٣٣-٣٥).

اللهم اجعلني مع صاحب النقب

۞ حاصر مَسلمة بن عبد الله حصنًا، فندب الناس إلى نقبٍ[1] منه، فما دخله أحد، فجاء رجل من عرض الجيش فدخله، ففتح الله عليهم، فنادى مسلمة: أين صاحب النقب؟، فما جاءه أحد ... فنادى إنى قد أمرت الآذن (الحاجب) بإدخاله ساعة يأتى، فعزمت عليه إلا جاء، فجاء رجل فقال استأذن لى على الأمير، فقال له: أنت صاحب النقب؟ فقال: أنا أخبركم عنه، فأتى مسلمة فأخبره، فأذن له، فقال الرجل: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثًا، ألا تُسودوا (تكتبوا) اسمه فى صحيفة إلى الخليفة، ولا تأمروا له بشىء، ولا تسألوه ممن هو، قال: مسلمة، فذاك له، قال: أنا هو.

فكان مسلمة لا يصلى بعدها صلاة إلا قال: اللهم اجعلنى مع صاحب النقب.

---

(١) أي: إحداث فتحة في جداره ليسهل اقتحامه.

كما طيبت اسمي لأطيبن ذكرك

❁ قال أيُّوب العطَّار:

قال لى بِشر بن الحارث: أُحدِّثُك عن بَدْء أمرى، بينا أنا أمشى رأيتُ قِرْطَاسًا على وجه الأرض، فيه اسمُ الله ﷻ، فنزلتُ إلى النهر فغسلتُه، وكنت لا أملِكُ من الدنيا إلا درهمًا فيه خمسةُ دوانيق، فاشتريتُ بأربعةِ دوانيقَ مِسْكًا، وبدانقٍ ماءَ ورد، وجعلتُ أتتبَّعُ اسمَ الله وأُطَيِّبُه؛ ثم رجعتُ إلى منزلى فنمت، فأتانى آتٍ فى منامى فقال: يا بشر! كما طيَّبتَ اسمى لأُطيِّبَنَّ ذِكْرَك، وكما طَهَّرْتَهُ لأُطَهِّرَنَّ قلبَك[1].

(١) تاريخ ابن عساكر (١٠/ ٤٠).

هكذا كانت قلوب الصالحين

۞ وعن عبد الله بن أخت مسلم بن سعد أنه قال:

أردت الحج فدفع إلىَّ خالى (مسلم) عشرة آلاف درهم، وقال لى: إذا قدمت المدينة فانظر أفقر أهل بيت بالمدينة، فأعطهم إياها، فلما دخلت سألت عن أفقر أهل بيت بالمدينة فدُللت على أهل بيت فطرقت الباب، فأجابتنى امرأة: من أنت؟ فقلت: أنا رجل من أهل بغداد أُودِعت عشرة آلاف، وأُمِرت أن أسلمها إلى أفقر أهل بيت بالمدينة، وقد وُصفتم لى فخذوها، فقالت: يا عبد الله إنّ صاحبك اشترط أفقر أهل بيت، وهؤلاء الذين بإزائنا أفقَر منا، فتركتهم وأتيت أولئك، فطرقت الباب، فأجابْتنى امرأة، فقلت لها مثل الذى قلت لتلك المرأة، فقالت: يا عبد الله نحن وجيراننا فى الفقر سواء، فاقسْمها بيننا وبينهم.

مائة نسمة تُعتق على عهد الأعرابي

۞ قال الأصمعي: حدثنا شبيب بن شيبة قال: كنا بطريق مكة وبين أيدينا سفرة لنا نتغدى فى يومٍ قائظ (شديد الحر). فوقف علينا أعرابى ومعه جارية له زنجية، فقال: يا قوم أفيكم أحد يقرأ كلام الله ﷻ حتى يكتب لنا كتابًا؟ قال: قلت له: أَصِب من غدائنا حتى نكتب لك ما تريد. قال: إنى صائم، فعجبنا من صومه فى البرية، فلما فرغنا من غدائنا دعونا به فقلنا: ما تريد؟ فقال:أيها الرجل إن الدنيا قد كانت ولم أكن فيها، وستكون ولا أكون فيها. وإنى أردت أن أعتق جاريتى هذه لوجه الله ﷻ، ثم ليوم العقبة، تدرى ما يوم العقبة؟ قول الله تعالى:﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾[1] اكتب ما أقول لك، ولا تزيدن علىَّ حرفًا:هذه فلانة خادمة فلان قد أعتقها لوجه الله ﷻ ليوم العقبة. قال شبيب: فقدمت البصرة وأتيت بغداد، فحدثت بهذا الحديث المهدىّ، فقال: مائة نسمة تُعتَق على عهد الأعرابى.[2].

---

(١) سورة البلد: الآيات: (١١-١٣).

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٥١٣).

دللتموني على طريقٍ لم تسلكوه

۞ بلغنا عن عبد الواحد بن زيد أنه قال: ركبنا فى مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة، فإذا فيها رجل يعبد صنمًا، فقلنا له: مَن تعبد؟ فأومأ إلى الصنم، فقلنا: إن معنا فى المركب من يُسَوِّى مثل هذا. ليس هذا بإله يُعبَد.

قال: فأنتم لمن تتعبدون قلنا: لله ﷻ قال: وما الله؟ قلنا. الذى فى السماء عرشه، وفى الأرض سلطانه، وفى الأحياء والأموات قضاؤه، فقال، كيف علمتم به؟ قلنا: وجَّه هذا الملك إلينا رسولًا كريمًا فأخبرنا بذلك. قال: فما فعل الرسول؟ قلنا: لما أدى الرسالة قبضه الله.قال: فما ترك عندكم علامة؟ قلنا: بلى ترك عندنا كتاب الملك قال: أرونى كتاب الملك، فينبغى أن تكون كتب الملوك حِسانًا، فأتيناه بالمصحف فقال: ما أعرف هذا، فقرأنا عليه سورة من القرآن فلم نزل نقرأ ويبكى حتى ختمنا السورة، فقال: ينبغى لصاحب هذا الكلام أن لا يُعصى. ثم أسلم وحملناه معنا وعلَّمناه شرائع الإسلام وسورًا من القرآن. فلما جنَّ علينا الليل[1] وصلينا العشاء أخذنا مضاجعنا، فقال لنا: يا قوم هذا الإله الذى دللتمونى عليه إذا جَنَّ عليه الليل ينام؟ قلنا لا يا عبد الله، هو عظيم قيوم لا ينام. قال: بئس العبيد أنتم، تنامون ومولاكم لا ينام، فأعجبنا كلامه، فلما قدمنا عبادان قلت لأصحابى: هذا قريب عهد بالإسلام فجمعنا له دراهم، وأعطيناه، فقال: ما هذه؟ قلنا: تنفقها. قال: لا إله إلا الله، دللتمونى على طريق ما سلكتموها، أنا كنت فى جزائر البحر أعبد صنمًا من دونه ولم يضيعنى فهل يضيعنى وأنا أعرفه،

(١) جنَّ الليل: دخل وستر الدنيا بظلامه.

فلما كان بعد أيام قيل لى: إنه فى الموت، فأتيته فقلت: هل من حاجة؟ فقال: قضى حوائجى من جاء بكم إلى جزيرتى... قال عبد الواحد: فحملتنى عينى فنمت عنده، فرأيت مقابر عبادان روضة وفيها قبة وفى القبة سرير عليه جارية لم نرَ أحسن منها. فقالت: سألتك بالله إلا ما عجَّلت به فقد اشتد شوقى إليه. فانتبهت فإذا به قد فارق الدنيا نغسَّلته وكفنته وواريته، فلما جن الليل نمت فرأيته فى القبة مع الجارية وهو يقرأ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[1][2].

---

(١) سورة الرعد: الآيتان: (٢٣، ٢٤).

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٥٠٤-٥٠٥).

كرم الليث بن سعد

لقد كان الليث بن سعد رَحِمَهُ اللَّهُ من الأثرياء ولكنه كان من أهل الجود والكرم ولم يبخل بماله أبدًا على أحدٍ.

۞ قَالَ أَبُو عَمْرٍو أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ الحِيْرِيُّ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ مُعَاوِيَةَ يَقُوْلُ -وَسُلَيْمَانُ بنُ حَرْبٍ إِلَى جَنْبِهِ: خَرَجَ اللَّيْثُ بنُ سَعْدٍ يَوْمًا، فَقَوَّمُوا ثِيَابَه، وَدَابَّتَه، وَخَاتِمَه، وَمَا عَلَيْهِ، ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ إِلَى عِشْرِيْنَ أَلْفًا. فَقَالَ سُلَيْمَانُ: لَكِنْ خَرَجَ عَلَيْنَا شُعْبَةُ يَوْمًا، فَقَوَّمُوا حِمَارَه وَسَرْجَه وَلِجَامَه، ثَمَانِيَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا، إِلَى عِشْرِيْنَ دِرْهَمًا[1].

۞ وقَالَ قُتَيْبَةُ: كَانَ اللَّيْثُ يَسْتَغِلُّ عِشْرِيْنَ أَلْفَ دِيْنَارٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَقَالَ: مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ زَكَاةٌ قَطُّ[2]. وَأَعْطَى اللَّيْثُ ابْنَ لَهِيْعَةَ ألف دينار، وَأَعْطَى مَالِكًا أَلْفَ دِيْنَارٍ، وَأَعْطَى مَنْصُوْرَ بنَ عمار الواعظ ألف دينار، وجارية تسوى ثلاثمائة دِيْنَارٍ.

قَالَ: وَجَاءتِ امْرَأَةٌ إِلَى اللَّيْثِ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا الحَارِثِ، إِنَّ ابْنًا لِي عَلِيْلٌ، وَاشْتَهى عَسَلًا. فَقَالَ: يَا غُلاَمُ، أَعْطِهَا مِرْطًا مِنْ عَسَلٍ. وَالمِرْطُ: عِشْرُوْنَ وَمائَةُ رَطْلٍ[3].

۞ وَعَنِ الحَارِثِ بنِ مِسْكِيْنٍ، قَالَ: اشْتَرَى قَوْمٌ مِنَ اللَّيْثِ ثَمَرَةً، فَاسْتَغْلَوْهَا، فَاسْتَقَالُوْهُ، فَأَقَالَهُم، ثُمَّ دَعَا بِخَرِيطَةٍ فِيْهَا أَكْيَاسٌ، فَأَمَرَ لَهُم

---

(١) السير (٨/ ١٥٧).

(٢) لأنَّه كان يتصدق بماله أولًا بأول فلا يبقى منه ما يبلغ النِّصاب .. وإذا بلغ النِّصاب فإنه لا يحول عليه الحَول.

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٨)، السير (٨/ ١٤٩).

بِخَمْسِينَ دِيْنَارًا، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ الحَارِثُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ غَفْرًا، إِنَّهُم قَدْ كَانُوا أَمَّلُوا فِيْهَا أَمَلًا، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعَوِّضَهُم مِنْ أَمَلِهِم بهذا.

۞ وقال قُتَيْبَةُ، سَمِعْتُ شُعَيْبَ بنَ اللَّيْثِ يَقُوْلُ: خَرَجْتُ حَاجًّا مَعَ أَبِي، فَقَدِمَ المَدِيْنَةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مَالِكُ بنُ أَنَسٍ بِطَبَقِ رُطَبٍ. قَالَ: فَجَعَلَ عَلَى الطَّبَقِ أَلْفَ دِيْنَارٍ، وَرَدَّهُ إِلَيْهِ.

۞ وقال عَبْدُ اللهِ بنُ صَالِحٍ، قَالَ: صَحِبتُ اللَّيْثَ عِشْرِيْنَ سَنَةً، لاَ يَتَغَدَّى وَلاَ يَتَعَشَّى إِلاَّ مَعَ النَّاسِ، وَكَانَ لاَ يَأْكُلُ إِلاَّ بِلَحمٍ إِلاَّ أَنْ يَمْرَضَ[١].

۞ وعَنْ أَبِي صَالِحٍ كَاتِبِ اللَّيْثِ، قَالَ: كُنَّا عَلَى بَابِ مَالِكٍ، فَامْتَنَعَ عَنِ الحَدِيْثِ، فَقُلْتُ: مَا يُشْبهُ هَذَا صَاحِبَنَا؟ قَالَ: فَسَمِعَهَا مَالِكٌ، فَأَدْخَلَنَا، وَقَالَ: مَنْ صَاحِبُكُمْ؟ قُلْتُ: اللَّيْثُ. قَالَ: تُشَبِّهُونَا بِرَجُلٍ كَتَبْتُ إِلَيْهِ فِي قَلِيْلِ عُصْفُرٍ، نَصْبغُ بِهِ ثِيَابَ صِبْيَانِنَا، فَأَنفَذَ مِنْهُ مَا بِعْنَا فَضْلَتَهُ بِأَلْفِ دِيْنَارٍ[٢].

۞ وقَالَ عَبْدُ المَلِكِ بنُ شُعَيْبِ بنِ اللَّيْثِ: سَمِعْتُ أَسَدَ بنَ مُوْسَى يَقُوْلُ: كَانَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَلِيٍّ يَطلُبُ بَنِي أُمَيَّةَ، فَيَقْتُلُهُم. قال: فدخلت مصر في هيئة رَثَّةٍ، فَأَتَيْتُ اللَّيْثَ، فَلَمَّا فَرَغتُ مِنَ المَجْلِسِ، تَبِعَنِي خَادِمٌ لَهُ بمائَةِ دِيْنَارٍ، وَكَانَ فِي حُزَّتِي[٣] هِمْيَانٌ فِيْهِ أَلفُ دِيْنَارٍ، فَأَخْرَجْتُهَا، فَقُلْتُ: أَنَا فِي غِنَى، اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى الشَّيْخِ. فَاسْتَأْذَنَ، فَدَخَلْتُ، وَأَخْبَرْتُهُ، بِنَسَبِي، وَاعْتَذَرتُ مِنَ الرَّدِّ، فَقَالَ: هِيَ صِلَةٌ. قُلْتُ: أَكرَهُ أَنْ أُعَوِّدَ نَفْسِي. قَالَ: ادْفَعْهَا إِلَى مَنْ تَرَى مِنْ أَصْحَابِ الحَدِيْثِ[٤].

---

(١) السير (٨/ ١٥٠).

(٢) الحلية (٧/ ٣١٩)، السير (٨/ ١٥٧).

(٣) حُزَتي: هي الحجزة وهي موضع شد الإزار أو السراويل.

(٤) الحلية (٧/ ٣٢٢)، السير (٨/ ١٥٨).

۞ وعن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ يَحْيَى بْنِ بُكَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِى، يَقُولُ: «وَصَلَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ ثَلَاثَةَ أَنْفَسٍ بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، احْتَرَقَتْ دَارُ ابْنِ لَهِيعَةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَحَجَّ فَأَهْدَى إِلَيْهِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رُطَبًا عَلَى طَبَقٍ فَرَدَّ إِلَيْهِ عَلَى الطَّبَقِ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَوَصَلَ مَنْصُورَ بْنَ عَمَّارٍ الْقَاضِىَ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَقَالَ: لَا تُسْمِعْ بِهَذَا ابْنِى فَتَهُونَ عَلَيْهِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ شُعَيْبَ بْنَ اللَّيْثِ ، فَوَصَلَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ إِلَّا دِينَارًا ، وَقَالَ: إِنَّمَا نَقَصْتُكَ هَذَا الدِّينَارَ لِئَلَّا أُسَاوِىَ الشَّيْخَ فِى عَطِيَّتِهِ»[1].

---

(١) الحلية (٧/ ٣٢٢).

هذا أبو الخير

❁ إنه أبو الخير التيناتي[1] رَحِمَهُ اللَّهُ:

أصله من المغرب وسكن تينات وهي قرية من قرى أنطاكية، ويقال له الأقطع، لأنه كان مقطوع اليد، وكان سبب ذلك أنه كان في جبال أنطاكية وحواليها يطلب المباح، وينام بين الجبال، وأنه عاهد الله تعالى أن لا يأكل من ثمر الجبال إلا ما طرحته الريح، فبقي أيامًا لم تطرح إليه الريح شيئًا، فرأى يومًا شجرة كُمثرى فاشتهى منه فلم يفعل، فأمالتها الريح إليه فأخذ واحدة، واتفق أن لصوصًا قطعوا هنالك الطريق وجلسوا يقتسمون، فوقع عليهم السلطان فأخذهم وأُخذ معهم فقُطعت أيديهم وأرجلهم وقُطعت يده، فلما هَمُّوا بقطع رجله عرفه رجل فقال للأمير: أهلكت نفسك، هذا أبو الخير: فبكى الأمير وسأله أن يجعله في حِلٍّ، ففعل وقال: أنا أعرف ذنبي.

❁ وعن منصور بن عبد الله قال: قال أبو الخير: الدعوى رعونة لا يحتمل القلب إمساكها، فيُلقيها إلى اللسان فتنطق بها ألسنة الحمقى. قال: وسمعته يقول: دخلت مدينة الرسول ﷺ وأنا بفاقة، فأقمت خمسة أيام ما ذُقت ذواقًا، فتقدمت إلى القبر فسلمت على الرسول ﷺ، وعلى أبي بكر وعمر، وقلت: أنا ضيفك الليلة يا رسول الله، فتنحيت فنمت خلف المنبر، فرأيت في النوم النبي ﷺ وأبو بكر عن يمينه، وعمر عن شماله، وعلي بن أبي طالب بين يديه، فحرّكني عليٌّ وقال لي: قم قد جاء رسول الله ﷺ،

(١) نسبة إلى (تينات) وهو ميناء على ساحل الشام قرب المصيصة كما في «السير» (١٦/ ٢٢) للذهبي.

فقمت إليه وقبَّلت بين عينيه، فدفع إلىَّ رغيفًا فأكلت نصفه وانتبهت وإذا فى يدى نصف رغيف.

۞ وعن إبراهيم بن محمد المراغى قال: سمعت أبا الخير التيناتى يقول: بقيت بمكة سنة، فأصابنى ضُرٌّ وفاقة، فكلّما أردت أن أخرج إلى المسألة هتف بى هاتف يقول: الوجه الذى يسجد لى تبذله لغيرى؟[1]

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٤٣٨-٤٣٩).

ما العيش إلا هكذا

۞ إنه الإمام العلم عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ.. الذى كان يهرب من الشهرة ويفرّ منها كما يفرّ السليم من المجذوم.

۞ **قال الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ:

كانت دار ابن المبارك بمرو كبيرة صحن الدار نحو خمسين ذراعًا فى خمسين ذراعًا، فكنت لا تحب أن ترى في داره صاحب علم أو صاحب عبادة أو رجلًا له مروءة وقدرٍ بمرو إلا رأيته فى داره، يجتمعون فى كل يوم حِلقًا يتذاكرون حتى إذا خرج ابن المبارك انضموا إليه، فلما صار ابن المبارك بالكوفة نزل فى دارٍ صغيرة وكان يخرج إلى الصلاة ثم يرجع إلى منزله لا يكاد يخرج منه ولا يأتيه كثير أحد. فقلت له: يا أبا عبد الرحمن ألا تستوحش ها هنا مع الذى كنت فيه بمرو؟ فقال: إنما فررت من مرو من الذى أراك تحبه، وأحببت ما ها هنا للذى أراك تكرهه لى، فكنت بمرو لا يكون أمر إلا أتونى فيه ولا مسألة إلا قالوا: اسألوا ابن المبارك، وأنا ها هنا فى عافية من ذلك.

قال: وكنت مع ابن المبارك يومًا فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس فزحموه ودفعوه فلما خرج قال لى: ما العيش إلا هكذا. يعنى: حيث لم نُعرَفْ ولم نُوقَّر.

قال الحسن: وكنا على باب سفيان بن عيينة يومًا، وأصحاب الحديث وهم يرون أن عنده بعض هؤلاء الكبار يُحدثه، فقال رجل: أعيانى أن أرى رجلًا يسوى بين الناس فى علمه. فقال له آخر: هذا عبد الله بن المبارك. قال: نعم هات غيره، أتعرف غيره؟

فلما قدمت الكوفة ذكرت لابن المبارك قول الرجل، وأنه فلان ولم أعلمه أنهم سَمَّوه، فقال: أفلا قالوا الفضيل بن عياض؟

۞ وعن الحسين بن الحسن المروزى قال: قال عبد الله بن المبارك: كن مُحبًّا للخمول كراهية الشهرة ولا تظهر من نفسك أنك تحب الخمول فترفع نفسك، فإن دعواك الزهد من نفسك هو خروجك من الزهد لأنك تجر إلى نفسك الثناء والمدحة[1].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٣٣٠-٣٣٢) بتصرف.

الدنيا سبب القطيعة

۞ عن أحمد بن عمَّار، قَالَ:

خرجنا مع المُعلِّم في جنازة ومعه جماعة من أصحابه فرأى في طريقه كلابًا مجتمعة، بعضها يلعب مع بعض، ويتمرغ عليه، ويلحسه، فالتفت إلى أصحابه فقال: انظروا إلى هذه الكلاب ما أحسن أخلاق بعضها مع بعضٍ. قال: ثم عدنا من الجنازة وقد طُرحت جيفة، وتلك الكلاب مجتمعة عليها وهي تتهارش، بعضها على بعض فيخطف هذا من هذا وهي تتقاتل على تلك الجيفة، فالتفت المعلم إلى أصحابه فقال لهم: قد رأيتم يا أصحابنا متى لم تكن بينكم الدنيا فأنتم إخوان، ومتى ما وقعت الدنيا بينكم تهارشتم عليها تهارش الكلاب على الجيفة[1].

(١) تاريخ دمشق (٧/ ٧٠).

الهروب من الدنيا

۞ قال ملك لجلسائه، بعد أن نظر على ما هو فيه من نعيم فأبعد النظر، قال: لمن مثل هذا؟ هل رأيتم مثل ما أنا فيه؟ وهل أُعْطِيَ أحدٌ مثلما أُعطيت؟ وكان عنده رجل من بقايا حَمَلة الحُجَّة والمضى على أدب الحق ومنهاجه، فقال له: أيها الملك! إنك سألت عن أمرٍ أفتأذن لي فى الجواب عَنْهُ؟ قال: نعم، قال: أرأيت هذا الذى أنت فيه؟ أشىء لم تزل فيه؟ أم شىء صار إليك ميراثًا وهو زائل عنك وصائر إلى غيرك كما صار إليك؟ قال: هو كذلك. قال الرجل: أفلا أراك إنما أُعجبت بشىء يسيرٍ تكون فيه قليلًا وتغيب عنه طويلًا، وتكون غدًا بحسابه مرتهنًا؟ قال: ويحك، فأين المَهرب؟ وأين المطلب؟ قال: إما أن تقيم فى مُلكك فتعمل فيه بطاعة ربك على ما ساءك وسرَّك، وإما أن تضع تاجك وتضع أطمارك وتلبس أمساحك وتعبد ربك حتى يأتيك أجلك. قال الملك: فإذا كان السَّحَرُ فاقرع علىَّ بابى، فإن اخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيرًا لا يُعصَى، وإن اخترتُ خلوات الأرض وقفر البلاد كنت رفيقًا لا يُخَالَف، قال: فقرع عليه عند السَّحَر بابه، فإذا هو قد وضع تاجه، وخلع أطماره، ولبس مُسوحه وتهيأ للسياحة، فَلَزِما الجبل حتى أتاهما أجلهما.

هكذا كان ينظر إلى الدنيا

۞ وأما عن زهد حاتم الأصم وورعه فحدِّث ولا حرج.

وها أنا أسوق لحضراتكم قصة توضح لكم كيف كانت نظرته إلى الدنيا.

قال أبو عبد الله الخواص: دخلت مع أبى عبد الرحمن حاتم الأصم إلى الرَّى ومعه ثلاث مئة وعشرون رجلًا يريدون الحج، وعليهم الصوف، ليس معهم جراب ولا طعام، فنزلنا على رجل من التجار متنسك يحب الصالحين، فأضافنا تلك الليلة، فلما كان من الغد قال لحاتم: يا أبا عبد الرحمن! ألك حاجة؟ فإنى أريد أن أعود فقيهًا لنا هو عليل. قال حاتم: إن كان لكم فقيهٌ عليل، فعيادة الفقيه فيها فضلٌ كثير، والنظر إلى الفقيه عبادة، وأنا أيضًا أجيء معك. وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى. فجاؤوا إلى الباب، فإذا بابٌ مُشرفٌ حسن، فبقى حاتم متفكرًا يقول: باب عالم على هذه الحال! ثم أُذن لهم، فدخلوا فإذا دار واسعة وإذا فُرُش وسُتور وجمع، فبقى حاتم متفكرًا ينظر، حتى دخلوا إلى المجلس الذى فيه محمد ابن مقاتل، وإذا بفراش حسن وطىء مُمهد، وهو راقد عليه، وعند رأسه غلام ومِذَبَّة وناسٌ وقوف، فقعد الرازى وسأل عن حاله، وبقى حاتم قائمًا فأومأ إليه ابن مقاتل: اقعد. قال: لا أقعد. قال ابن مقاتل: لعل لك حاجة؟ قال: نعم. قال: وما هى؟ قال: مسألة أسألك عنها. قال: سلنى فقال: استوِ حتى أسألك عنها. فأمر غلمانه فأسندوه، فقال له حاتم: عِلْمُك هذا من أين جئت به؟ فقال: حدثنى به الثقات. قال: عمَّن؟ قال: عن الثقات من الأئمة. قال: عمن أخذوه؟ قال: عن التابعين. قال: والتابعون عمن أخذوه؟ قال:

عن أصحاب رسول الله ﷺ. قال وأصحاب رسول الله ﷺ عمن أخذوه؟ قال: عن رسول الله ﷺ. قال: ورسول الله ﷺ من أين جاء به؟ قال: عن جبريل عن الله ﷻ. قال حاتم: ففيما أداه جبريل عن الله تعالى إلى النبى ﷺ وأداه النبى ﷺ إلى أصحابه، وأداه أصحابه إلى التابعين، وأداه التابعون إلى الأئمة، وأداه الأئمة إلى الثقات، وأداه الثقات إليك؟ هل سمعت فى العلم من كانت داره فى الدنيا أحسن وفراشه أجمل، وزينته أكثر، وكان فى داره أميرًا ومنعته أكثر، كانت له المنزلة عند الله أكبر؟ قال: لا. قال: فكيف سمعت؟ قال: سمعت أن مَن زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة، وأحب المساكين، وقدَّم لآخرته كان عند الله له المنزلة أكبر وإليه أقرب. قال حاتم: فأنت بمن اقتديت.... بالنبى وأصحابه والتابعين بعدهم والصالحين أو بفرعون ونمرود. يا علماء السوء! مثلكم يراه الجاهل الطالب للدنيا الراغب فيها فيقول: إذا كان العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شرًّا منه...

وخرج من عنده، فازداد ابن مقاتل مرضًا إلى مرضه من كلامه، فبلغ أهل الرى ما جرى بينه وبين ابن مقاتل، فقالوا له: يا أبا عبد الرحمن! إن محمدًا ابن عبيد الطنافسى بقزوين أكبر سنًّا من هذا وهو غريق فى الدنيا. قال: فسار حاتم إليه متعمدًا، فدخل إليه وعنده الخلق مجتمعون يحدثهم، فقال له حاتم: رحمك الله. أنا رجل أعجمى، جئتك لتعلمنى مبتدأ دينى ومفتاح صلاتى، كيف أتوضأ للصلاة؟ فقال: نعم وكرامة. يا غلام ائتنى بإناء فيه ماء. فجاءه بالإناء، فقعد محمد بن عبيد فتوضأ ثلاثًا ثلاثًا ثم قال له: هكذا فاصنع. قال حاتم: مكانك رحمك الله حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد.

فقام الطنافسى وقعد حاتم مكانه يتوضأ، فغسل وجهه ثلاثًا، حتى إذا بلغ الذراع غسل أربعًا. قال له الطنافسى: يا هذا أسرفت.

قال له حاتم: فى ماذا أسرفت؟ قال: غسلت ذراعيك أربعًا. قال حاتم: يا سبحان الله! أنا أسرفت فى كَفٍّ من الماء وأنت فى هذا الجمع كله لم تُسرف!؟ فعلم الطنافسى أنه أراده بذلك ولم يُرد أن يتعلم منه شيئًا. فدخل البيت فلم يخرج إلى الناس أربعين يومًا.

وكتب تُجار الرى وقزوين إلى بغداد بما جرى بين حاتم وابن مقاتل والطنافسى، فلما دخل حاتم بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا له: أنت رجل عجمى وليس يكلمك أحد إلا غلبته، لأى سبب؟ فقال: لأن معى ثلاث خصال أظفر بها. قالوا: وما هى؟ قال: أفرح إذا أصاب خصمى، وأحزن له إذا أخطأ، وأحفظ نفسى من الجهل عليه. فبلغ ذلك أحمد بن حنبل فقال: سبحان الله العظيم! ما أعقله! ثم قال: قوموا بنا إليه. فلما دخلوا عليه وسلموا قال حاتم لأحمد: يا أبا عبد الله! مجيئك إلىَّ من الإيمان. فبقى أحمد ساكتًا ساعة، ثم قال له: يا أبا عبد الرحمن! ما السلامة من الدنيا؟ فقال: يا أبا عبد الله! لا تَسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال. قال أحمد: ما هى؟ قال: تغفر للقوم جهلهم، وتمنعهم جهلك، وتبذل لهم عطاءك وتكون من عطائهم آيسًا، فإذا كان هذا سلمت... ثم خرج حاتم إلى الحجاز، فلما صار إلى مدينة الرسول ﷺ أحب أن يناظر علماء المدينة فقال لهم: يا قوم أى مدينة هذه؟ قالوا: مدينة رسول الله ﷺ. قال: فأين قصر رسول الله حتى أذهب إليه فأصلى فيه ركعتين؟ قالوا: ما كان لرسول الله قصر، إنما كان له بيت لاطئ. قال: فأين قصر أهله وقصور

أصحابه؟ قالوا: ما كان لهم قصور، إنما كانت لهم بيوت لاطئة. قال حاتم: يا قوم! هذه مدينة فرعون وجنوده. فذهبوا به إلى الوالى فقالوا له: هذا العجمى يقول: هذه مدينة فرعون وجنوده. قال الوالى: ولِمَ ذاك؟ قال حاتم: لا تعجل علىَّ، أنا رجل عجمى غريب، دخلت المدينة فقلت: مدينة مَن هذه؟ قالوا: مدينة رسول الله. قلت: فأين قصر رسول الله لأصلى فيه ركعتين؟ قالوا: ما كان له قصر إنما كان له بيت لاطئ. قلت: فقصور أهله وأصحابه؟ قالوا: ما كان لهم إلا بيوت لاطئة، وسمعت الله تعالى يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ﴾[1] فأنتم تأسيتم برسول الله وأصحابه أو بفرعون أول من بنى بالجص والآجر، فخلُّوا عنه وعرفوه وعلموا قصده، فكان حاتم كلما دخل المدينة يجلس عند قبر النبى ﷺ يُحدِّث ويدعو، فاجتمع إليه علماء المدينة وقالوا: تعالوا حتى نُخجله فى مجلسه كما فعل بنا عند الوالى، فجاؤوه ومجلسه غاصٌّ بأهله، وقد اجتمع إليه خلقٌ عظيم فقالوا: يا أبا عبد الرحمن! مسألة. قال: سلوا. قالوا: ما تقول فى رجل يقول: اللهم ارزقنى. قال حاتم: متى طلب هذا العبد الرزق من ربه فى الوقت أو قبل الوقت أو بعد الوقت؟ قالوا: ليس نفهم هذا. قال حاتم: أنا أضرب لكم مثلًا حتى تفهموه، مثل العبد الذى طلب الرزق من ربه كمثل رجل كان له على رجل دين، فطالبه فقعد يلازمه، فاجتمع جيرانه وقالوا له: هذا رجل مُعْدَم، لا شىء له فأجِّله فى هذا الحق حتى يحتال ويعطيك. فقال لهم: كم تريدون أؤجله؟ قالوا: شهرًا. فتركه وانصرف. فلما كان بعد عشرة أيام جاء فاقتضاه. فقام جيرانه فقالوا:

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٢١).

سبحان الله! أجَّلته بين أيدينا شهرًا ثم جئت تقضيه بعد عشرة أيام! فتركه وانصرف، فلما كان محل الشهر جاء فاقتضاه، فقال الجيران: إنما حَلَّ لك اليوم، دعه إلى بعد المحل ثلاثًا. فهذا مثل العبد الذى طلب الرزق من ربه. ثم قال: عندكم أثاث ودراهم فى أكياسكم، وطعام فى بيوتكم وأنتم تقولون: اللهم ارزقنا؟ فقد رزقكم، كلوا وأطعموا إخوانكم المؤمنين، حتى إذا فنى أقيموا بعده ثلاثًا، ثم سلوا ربكم حتى يعطيكم، عسى أن يموت أحدكم غدًا وعنده ما يخلفه على الأعداء وهو يسأل أن يزيده فى رزقه. ما هذه الغفلة؟ فقال علماء المدينة: نستغفر الله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا بالمسألة إلا إعناتك. ثم انصرفوا عنه[1].

(١) الخبر بطوله فى الحلية (٨/ ٨٠ - ٨٣)، وفى المناقب لابن خميس (٧٢ب - ٧٤أ)، على خلاف فى بعض الألفاظ، وما مر بن معقوفين منه -نقلًا من المختار لابن الأثير (٢/ ١٣٣ - ١٣٧) بتصرف.

أمانٌ لأهل الأرض



۞ عن بشير بن صالح قال: دخل ابن محيريز حانوتًا بدانق وهو يريد أن يشترى ثوبًا، فقال رجلٌ لصاحب الحانوت: هذا ابن محيريز فأحسن بيعه فغضب ابن محيريز وخرج، وقال: إنما نشترى بأموالنا، لسنا نشترى بديننا.

۞ وعن رجاء بن حيوة قال: أتانا نعى ابن عمر، ونحن فى مجلس ابن محيريز فقال ابن محيريز: والله إن كنت لأعد بقاء ابن عمر أمانًا لأهل الأرض.

وقال رجاء بن حيوة بعد موت ابن محيريز: وأنا والله إن كنت لأعد بقاء ابن محيريز أمانًا لأهل الأرض.

۞ وعن أيوب بن سويد قال: نبَّأ أبو زرعة أن عبد الملك بن مروان بعث إلى ابن محيريز بجارية، فترك ابن محيريز منزله فلم يكن يدخله، فقيل له: يا أمير المؤمنين تغيَّب ابن محيريز عن منزله. قال: ولِمَ؟ قيل: من أجل الجارية التى بعثت بها إليه. قال: فبعث عبد الملك فأخذها.

۞ وعن ضمرة، عن عمر بن عبد الرحمن بن مُحيريز قال: كان جدى ابن محيريز يختم فى كل سبع.

۞ وعن عبد الله بن عوف القارِى قال: لقد رأيتنا برودس وما فى الجيش أحد أكثر صلاة من ابن محيريز فى العلانية ثم أقصر عن ذلك حين شُهر وعُرف.

۞ وعن خالد بن دُريك قال: كانت فى ابن محيريز خصلتان ما كانتا فى أحد ممن أدركت فى هذه الأمة: كان أبعد الناس أن يسكت عن حق بعد أن

يتبين له، يتكلم فيه غضبَ مَن غضب، ورضى مَن رضى، وكان أحرص الناس أن يكتم من نفسه أحسن ما عنده.

۞ وعن عبد الله بن المبارك عن طلق قال: سمعت ابن محيريز يقول: من مشى بين يدى أبيه فقد عقَّه، إلا أن يمشى فيميط له الأذى عن طريقه، ومن دعا أباه باسمه أو بكنيته فقد عقَّه إلا أن يقول: يا أبتِ[١].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٣٨٢-٣٨٣) بتصرف.

يخشى من فوات حظه في الآخرة

عن أبى عثمان النيسابورى قال: خرجنا جماعة مع أستاذنا أبى حفص النيسابورى إلى خارج نيسابور، فجلسنا، فتكلم الشيخ علينا، فطابت أنفسنا، ثم بصرنا بأيل[١] قد نزل من الجبل حتى بَرَك بين يدى الشيخ، فأبكاه ذلك بكاءً شديدًا فلما هدأ سألناه فقلت له: يا أستاذ تكلمت علينا، وطابت أوقاتنا، فلما جاء هذا الوحش، وبرك بين يديك أزعجك، وأبكاك فنُحب أن نعرف سبب ذلك؟

فقال: نعم، رأيت اجتماعكم حولى، وقد طابت قلوبكم، فوقع فى قلبى: لو أن شاة ذبحتها، ودعوتهم عليها، فما تَحكَّم هذا الخاطر حتى جاء هذا الوحش، فنزل بين يدى، فخُيِّل لى أني مثل فرعون الذى سأل ربه أن يُجرى له النيل، فأجراه له، وقلت: ما يؤمنى أن يكون الله تعالى يعطينى كل حَظٍّ لي فى الدنيا، وأبقى فى الآخرة فقيرًا لا شىء لى، فهذا الذى أزعجنى[٢].

(١) أيل: الوعل: وهو تيس الجبل، أى ذكر الأروى وهو جنس من المعز الجبلية له قرنان قويان منحنيان كسيفين أحدبين.

(٢) عيون الحكايات (ص ٢٣٢).

من كان عنده هذا فليس بفقير

۞ عن أبى القاسم بن الجلى قال:

اعتلّ إبراهيم الحربى عِلَّة، حتى أشرف على الموت، فدخلتُ إليه يومًا، فقال لى: يا أبا القاسم أنا فى أمرٍ عظيم مع ابنتى. ثم قال لها: قومى فاخرجى إلى عمك، فخرجت، فألقت على وجهها خمارها. فقال لها إبراهيم: هذا عمك كلّميه. فقالت لى: يا عمّ نحن فى أمرٍ عظيم لا فى الدنيا، ولا فى الآخرة، الشهر والدهر، ما لنا طعام،إلا كِسَر يابسة، ومِلْح، وربما عدمنا الملح، وبالأمس قد وجّه إليه المعتضد مع بدر بألف دينار، فلم يأخذها، ووجّه إليه فلان وفلان، فلم يأخذ منهما شيئًا وهو عليل.

فالتفت الحربى إليها، وتبسم وقال: يا بنية إنما خفتِ الفقر؟ قالت: نعم. قال: انظرى إلى تلك الزاوية، فنظرت، فإذا كُتب. فقال: هناك اثنا عشر ألف جزء لغةٍ، وغريب كتبتهُ بخطى إذا متّ، فوجِّهى كل يوم بجزء، فبيعيه بدرهم، فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم، فليس هو بفقير[1].

---

(١) أخرجها الخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ٣٣)، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٤٠٧).

رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض!!

عن الأصمعى قال: كنت بالبادية أُعلم القرآن، فإذا أنا بأعرابى بيده سيف يقطع الطريق، فلما دنا منى ليأخذ ثيابى قال لى: يا حضرى، ما أدخلك البدو؟ فقلت: أُعلِّم القرآن. قال: وما القرآن؟ قلت: كلام الله. قال: ولله كلام؟ قلت: نعم: قال: فأنشدنى منه بيتًا فقلت: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[1] قال: فرمى بالسيف من يده، وقال: أستغفر الله، رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الأرض، ثم لقيته بعد سنة فى الطواف، فقال: ألست صاحبك بالأمس؟ قلت: بلى. قال: فأنشِدنى بيتًا آخر فقلت: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[2] قال: فوقف وبكى وجعل يقول: ومن ألجأه إلى اليمين؟ فلم يزل يرددها حتى سقط ميتًا[3].

---

(١) سورة الذاريات: الآية (٢٢).

(٢) سورة الذاريات: الآية (٢٣).

(٣) صفة الصفوة (٤/ ٥١٤).

يقضي دَين أبيه

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ:

لَمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الجَمَلِ دَعَانِى، فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ: يَا بُنَىِّ، إِنَّهُ لاَ يُقْتَلُ اليَوْمَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ، وَإِنِّى لاَ أُرَانِى إِلَّا سَأُقْتَلُ اليَوْمَ مَظْلُومًا، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّى لَدَيْنِى، يَا بُنَىِّ بِعْ مَالَنَا، فَاقْضِ دَيْنِى.

ثُمَّ قَالَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا بُنَىِّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِى شَىْءٍ، فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِمَوْلاَىَ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ مَوْلاَكَ؟

قَالَ: اللهُ... ثُمَّ قُتِلَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَسْرَعَ ابْنَهُ فِى قَضَاءِ دَيْنِهِ.

يَقُولُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: فَوَاللهِ مَا وَقَعْتُ فِى كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ دَينَهُ فَيَقْضِيَهُ.

وعندما انتهى عبد الله من قضاء دَين أبيه قال له إخوته: اقسم بيننا ميراثنا.

فقَالَ: لا والله، لا أقسم بينكم حتى أنادى بالموسم (الحج) أَرْبَعُ سِنِينَ.

فكان كل عام يصيح بالحج: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنا، فَلْنَقْضِهِ، فَلَمَّا مَضَى أَرْبَعُ سِنِينَ قَسَمَ بَيْنَهُم.

لُقمة بلقمة!!

۞ عَنْ سَلَام - يَعْنِى ابْنِ مِسْكِينٍ- قال: حدثنا ثَابِتُ: أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ تَأْكُلُ طَعَامًا، فَأَتَاهَا سَائِلٌ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهَا غَيْرُ لُقْمَةٍ، فَلَمَّا رَفَعَتْهَا إِلَى فِيهَا، فَأَدْخَلَتْ بَعْضَهَا فَاهَا، فَجَاءَهَا السَّائِلُ، فَأَخْرَجَتِ اللُّقْمَةَ مِنْ فِيهَا، فَأَطْعَمَتْهَا السَّائِلَ، فَأَتَاهَا الأَسَدُ، فَأَخَذَ صَبِيًّا لَهَا، فَذَهَبَ بِهِ، فَإِذَا هِىَ بِرَجُلٍ قَدْ أَقْبَلَ إِلَى الْأَسَدِ، فَأَخَذَ بِلَحْيَيْهِ، فَعَلَّقَهُمَا، حَتَّى اسْتَخْرَجَ الصَّبِىَّ مِنْ فِيهِ، فَسَلَّمَهُ إِلَى أُمِّهِ، فَقَالَ: هَا لُقْمَةٌ بِلُقْمَةٍ [١].

---

(١) أخرجها أبو نعيم فى حلية الأولياء (٢/ ٣٨٤)، وابن الجوزى فى صفة الصفوة (٣/ ٢٨٤).

لا نرفع حوائجنا إلا إلى الله

۞ عن عفَّان بن مسلم: قال لى حمَّاد بن سلمة: ألَحَّ علينا المطر سنة من السنين وفى جِوارى امرأة من المتعبدات لها بنات أيتام، فوكف السقف عليهم، فسمعتها تقول: يا رفيق ارفق بى، فسكن المطر. فأخذتُ صُرَّة فيها دنانير وَقَرَعتُ بابها، فقالت: اللهم اجعله حمَّاد بن سلمة. قلت: أنا حمَّاد ابن سلمة، وأخرجت الدنانير وقلت لها: انتفعى بهذه. فإذا صبية عليها مدرَعة من صوف تستبين خروقُها قد خَرجت علىَّ وقالت: ألا تسكت يا حمَّاد؟ تعترض بيننا وبين ربنا؟ ثم قالت: يا أُماه قد علمنا أنَّا لما شكونا مولانا أنه سيبعث إلينا بالدنيا ليطردنا عن بابه، ثم ألصقت خَدَّها على التراب وقالت: أما أنا وعزَّتك لا أترك بابك وإن طردتنى، ثم قالت: يا حمَّاد رُدَّ دنانيرك عافاك الله إلى الموضع الذى أخرجتها منه فإنَّا رَفعنا حوائجنا إلى مَنْ يقبل الوَدائع ولا يبخس العاملين [١].

---

(١) صفة الصفوة / لابن الجوزى (٤/ ٥٠).

يتبع الميت ثلاثة

۞ عن عُبيد بن عمير رَحِمَهُ اللَّهُ قال:

«كَانَ لِرَجُلٍ ثَلَاثَةُ أَخِلَّاءَ بَعْضُهُمْ أَخصُّ بِهِ مِنْ بَعْضٍ»، قَالَ: « فَنَزَلَتْ بِهِ نَازِلَةٌ، فَلَقِيَ أَخَصَّ الثَّلَاثَةِ بِهِ، فَقَالَ: يَا فُلَانُ، إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِي كَذَا وَكَذَا، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تُعِينَنِي، قَالَ: مَا أَنَا بِالَّذِي أَفْعَلُ، فَانْطَلَقَ إِلَى الَّذِي يَلِيهِ فِي الْخَاصَّةِ، فَقَالَ: يَا فُلَانُ، إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِي كَذَا وَكَذَا، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ تُعِينَنِي، فَقَالَ: أَنْطَلِقُ مَعَك حَتَّى تَبْلُغَ الْمَكَانَ الَّذِي تُرِيدُ، فَإِذَا بَلَغْتَ رَجَعْتُ وَتَرَكْتُكَ، فَانطَلَقَ إِلَى أَخَصِّ الثَّلَاثَةِ، فَقَالَ: يَا فُلَانُ، إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِي كَذَا وَكَذَا، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ تُعِينَنِي، قَالَ: أَنَا أَذْهَبُ مَعَكَ حَيْثُمَا ذَهَبْتَ، وَأَدْخُلُ مَعَكَ حَيْثُمَا دَخَلْتَ »، قَالَ: «فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَمَالُهُ، خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ فَلَمْ يَتْبَعْهُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَالثَّانِي أَهْلُهُ وَعَشِيرَتُهُ ذَهَبُوا بِهِ إِلَى قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعُوا وَتَرَكُوهُ، وَالثَّالِثُ عَمَلُهُ، فَهُوَ مَعَهُ حَيْثُمَا ذَهَبَ وَيَدْخُلُ مَعَهُ حَيْثُ مَا دَخَلَ» [1].

---

(١) المصنف (٨/ ٢٢٩) لابن أبي شيبة.

خرج غضبًا للدينارين

۞ عَنْ الْحَسَن قَالَ:

كانت شجرة تُعبد من دون الله، فجاء إليها رجل فَقَالَ: لأقطعن هذه الشجرة. فجاء ليقطعها غضبًا لله فلقيه إبليس فِي صورة إنسان فَقَالَ: مَا تريد؟ قَالَ: أريد أن أقطع هذه الشجرة التى تُعبد من دون الله. قَالَ: إذا أنت لم تعبدها فما يضرك مَن عَبَدَها؟ قَالَ: لأقطعنَّها. فأراد الشيطان أن يمنعه، فقام الرجل وصرع الشيطان وطرحه أرضًا. فَقَالَ لَهُ الشَّيْطَان: هل لك فيما هو خير لك، لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك. قَالَ: فمن أين لى ذلك: قَالَ: أنا لك ... فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئًا فقام غضبًا ليقطعها فتمثَّل لَهُ الشَّيْطَان فِي صورته وقال: ما تريد؟ قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التى تُعبد من دون الله تعالى. قَالَ: كذبت ما لك إِلَى ذلك من سبيل. فذهب ليقطعها فضرب به الأَرْض وخنقه حتى كاد يقتله، قال: أتدرى من أنا؟ أنا الشَّيْطَان، جئتَ أول مرة غضبًا لله، فلم يكن لى عليك سبيل فخدعتك بالدينارين فتركتها فلما جئت غضبًا للدينارين سُلِّطت عليك.

نعمة الزهد والرضا

❁ عن خالد بن هامان قال:

سمعت إبراهيم بن إسحاق (وهو الحربى) يقول: أجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يَجْرِ مع القدر لم يتهنَّ بمعيشه، كأن يكون قميصى أنْظفَ قميص، وإزارى أوسخَ إزار، ما حدّثت نفسى أنهما يستويان قطّ، وفَردُ عَقِبى مقطوع، والآخر صحيح أمشى بهما، وأدور بغداد كلها هذا الجانب، وذاك الجانب لا أُحدث نفسى أن أصلحها وما شكوتُ إلى أمّى، ولا إلى أختى، ولا إلى امرأتى، ولا إلى بناتى قطّ، حُمَّى وجدتها. والرجُل هو الذى يُدخل غمّه على نفسه، ولا يَغُم عيالَه... وكان برأسى شقيقة[1] خمسًا وأربعين سنة، ما أخبرت بها أحدًا قط، ولى عشر سنين أُبصر بعين واحدة ما أخبرت أحدًا واقتتُّ ثلاثين سنة برغيفيْن - يعني كل يوم - إن جاءتْنى بهما أمى، أو أختى أكلتُ، وإلا بقيت جائعًا عطشانًا إلى الليلة الثانية، وأفنيت ثلاثين سنة من عُمرى برغيفٍ وأربع عشرة تمرة. ومَرِضتْ ابنتى، فمضت امرأتى، فأقامت عندها شهرًا، فقام إفطارى فى هذا الشهر بدرهم، ودانقيْن ونصف، ودخلت الحمّام، واشتريت لهم صابونًا بدانقين، فقامت نفقة شهر رمضان كله بدرهم وأربعة دوانيق ونصف.[2].

---

(١) شقيقة: ألم ينتشر في نصف الرأس والوجه.

(٢) أخرجها الخطيب فى تاريخ بغداد (٦/ ٣١)، وابن الجوزى فى صفة الصفوة (٢/ ٤٠٦).

هذا فتحٌ الموصلي جاءنا زائرًا

❁ قال محمد بن الصلت:

كنتُ عند بِشر بن الحارث، فجاء رجل فسلَّم على بِشر فقام بشر إليه، فقمت لقيامه، فمنعني، فلما سكن الرجل أخرج بشر درهمًا صحيحًا، وقال: اخرج واشترِ خبزًا وزبدًا وتمرًا بَرنيًّا[١].

فخرجت واشتريت وحملته، فوضعته بين يديه، فأكل الرجل وحمل الباقى وقام فخرج، فلما خرج قال لى بِشر: يا بنى تدرى لِمَ منعتك عن القيام له؟ قلت: لا. قال: لأنه لم يكن بينك وبينه معرفة، فكان قيامك لقيامى، فأردت أن لا يكون قيامك إلا لله خالصًا، وتدرى لماذا دفعت إليك الدرهم، وقلت: اشترِ كذا وكذا؟ قلت: لا. قال: إن طيب الطعام يستخرج خالص الشكر لله تعالى: وتدرى لِمَ حمل الباقى؟ قلت: لا. قال: عندهم إذا صح التوكل لم يضر الحمل، وهذا فتح الموصلى جاءنا زائرًا[٢].

وقال إبراهيم بن موسى: رأيت فتحًا الموصلى يوم عيد، وقد رأى على الناس الطيالس والعمائم. قال: فقال لى: يا إبراهيم إنما ترى ثوبًا وجسدًا يأكله الدود غدًا، هؤلاء أنفقوا خزائنهم على بطونهم وظهورهم ويَقْدُمون على ربهم مفاليس.

وقَالَ: حَدَّثَنِى أَحْمَد بْن عبد الله بْن عبد الملك، قَالَ: سمعت شيخًا يُكنَّى أبا تراب، يقول: قيل لفتح الموصلى: أنت صياد بالشبكة، لِمَ لا

(١) البرني: ضربٌ من التمر، أصفر مدوَّر، وهو أجودُ التمر. اللسان (برن).

(٢) صفة الصفوة (٤/ ١٨٥).

تصطاد لعيالك، فقال: أخاف أن أصطاد مطيعًا لله في جوف الماء[1]، فأُطعمه عاصيًا لله على وجه الأرض[2].

(١) يقصد السمكة؛ فإنها تسبِّح بحمد الله ﷻ .. قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

(٢) أخرجها الخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ٣١)، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٤٠٦).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الجنة لا تخرب ولا يموت أصحابها

۞ عَنِ أَبِى مَعْدَانَ - عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ:

حدثت عمر بن عبد العزيز بحديث، فكأنَّ معناهُ وقع منه مَوقِعًا. قَالَ: فَذَهَبت إلَى مَسْلَمَةَ، فَأَخْبَرته، قَالَ: حَدَّثْتُ أَنَّ مَلِكًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَنَا ابْتَنى مَدِينَةَ، فَبَالَغَ فِى بنائِهَا، ثُمَّ صَنَعَ طَعَامًا، وَدَعَا النَّاسَ، فَأَقْعَدَ نَاسًا عَلَيْهَا عَلَى أَبْوَابِهَا يَسْأَلُونَ كُلَّ مَنْ مَرَّ بِهِمْ: هَلْ رَأَيْتُمْ عَيْبًا؟، فَيَقُولُونَ: لَا.

حَتَّى جَاءَ فِى آخِرُ مَا جَاءَ عَلَيْهِمْ أَكْسِيَةٌ، فَسَأَلَهُمْ: هَلْ رَأَيْتُمْ عَيْبًا؟ فَقَالُوا: رَأَيْنَا عَيْبَيْنِ اثْنَيْنِ.

قَالَ: فَحَبَسُوهُمْ وَدَخَلُوا عَلَى الْمَلِكِ، فَقَالُوا: قد دخل الناس فسألناهم فقالوا: رأينا عيبين اثنين.

قال: ما كنت أرضى بواحد فائتونى بهم.

قال: فأدخلوهم عليه قال: هل رأيتم عيبًا؟ قالوا: عيبين اثنين قال: وما هما؟ قالوا: تَخْرَبُ ويموت صاحبها. قال: فتعلمون دارًا لا تخرب ولا يموت صاحبها؟ قالوا: نعم قال: وما هى؟ قالوا: دار الآخرة.

قال: فدعوه فاستجاب لهم. قال: فقال لهم: إن جئت معكم علانية لم يدعنى أهل مملكتى ولكن ميعادكم موضع كذا وكذا.

قال: فتنكَّر حتى أتاهم فى ذلك الموضع، وترك مملكته، فكان معهم زمانًا، ثم قال لهم ذات يوم: السَّلامُ عليكم! فقالوا: ما لك رأيتَ منا شيئًا تكرهه؟ قال: لا. قالوا: فما يحملك على هذا؟ قال: أنتم تعرفونى، وأنتم تكرمونى لحالتى التى كنت عليها!![1].

---

(١) أخرجها البيهقى فى شعب الإيمان (١٠٧٥٣)، وابن قدامة فى التوابين (١٢).

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ، وَأَبِى هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يُنَادِى مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا»[1].

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٣٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها / باب: فى دوام نعيم أهل الجنة ونودوا أن تلكم الجنة.

ما رأيت منكما إلا سيدًا كريمًا

عن هشام الكلبى قال: بلغنى أن حاتمًا وأَوسًا الطائيين، وفدا على النعمان ابن المنذر، فأنزل كل واحدٍ منهما منزلًا، ورحَّب به، فبعث إلى حاتم فقال: إنى مُعطٍ أفضلكما الحَبوة والشرف، فأيكما أفضل؟ فقال حاتم أبيت اللعن! أتجعلنى وأوسًا سواءً، لأصغر أولاد أوس أكبر منى، فأعطها أوسًا، ثم بعث إلى أوس، فقال: إنى مُعطٍ أفضلكما الحبوة والشرف، فأيكما أفضل؟ فقال أوس: أبيت اللعن! أتجعلنى وحاتمًا سواءً، والله لأنا وما ملكت يدى وولدى وما ملكوا أصبحنا فى يد حاتم لأنفدنا فى يوم واحد، فجمع بينهما النعمان، ثم قال: قد علم الله أنى ما رأيت منكما إلا سيدًا كريمًا شريفًا، فأعطاهما، وسوَّى بينهما فى العطية والشرف، وخرج حاتم من عنده وهو يقول:

ألا من مُبلِّغٍ النعمان عني ... بأنك سيدٌ ملك همام

وإنك طيب الأخلاق سمح ... كريم الخيم ما وارى الظلام

خرجنا نحوه نبغي حداه ... وإن المعتقين له قيام

فأكرمني وأوسًا حين جئنا ... وقال لنا كلام لا يرام

فرحنا عند ذلك شاكريه ... ومما ننساه ما الحمام

جزاه الله خير جزاء حر ... ولاقيه التحية والسلام[1]

---

(١) عيون الحكايات (ص ٤٨٧، ٤٨٨).

وعظه حيًّا وميتًا!!!

۞ قال عَبْدُ اللهِ بْنِ الْفَرَجِ:

«خَرَجْتُ يَوْمًا أَطْلُبُ رَجُلًا يَرُمُّ لِي شَيْئًا فِي الدَّارِ، فَذَهَبْتُ فَأُشِيرَ إِلَيَّ بِرَجُلٍ حَسِنِ الْوَجْهِ بَيْنَ يَدَيْهِ مِرْوَزٌ وَزَنْبِيلٌ، فَقُلْتُ: أَتَعْمَلُ لِيَ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ؟

قَالَ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: بِكَمْ؟

قَالَ: بِدِرْهَمٍ وَدَانِقٍ.

فقلت له: قم، فقام فعمل ذلك اليوم عمل ثلاثة رجال، ثم أتيته فى اليوم الثانى، فسألت عنه، فقيل لِى: ذَلِكَ الرَّجُلُ لَا يُرَى فِى الْجُمْعَةِ إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا يَوْمُ كَذَا، فَتَرَبَّصْتُ حَتَّى أَتَى الْيَوْمُ الَّذِى وَصَفُوهُ، ثُمَّ جِئْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ مِرْوَزٌ وَزَنْبِيلٌ، فَقُلْتُ لَهُ: أَتَعْمَلُ لِي؟

قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: بِكَمْ؟

قَالَ: بِدِرْهَمٍ وَدَانِقٍ.

فقلت: قم، فقام فعمل ذلك اليوم عمل ثلاثة رجال، فلما كان بالمساء وزنت درهمين ودانقين وأحببت أَنْ أَعْلَمَ مَا عِنْدَهُ.

قَالَ لِي: مَا هَذَا؟ قُلْتُ: دِرْهَمَانِ وَدَانِقَانِ.

قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ بِدِرْهَمٍ وَدَانِقٍ، قَدْ أَفْسَدْتَ عَلَيَّ أُجْرَتِي لَسْتُ آخِذًا مِنْكَ شَيْئًا، قَالَ: فَوَزَنْتُ لَهُ دِرْهَمًا وَدَانِقًا، فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ وَأَلْحَحْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِي: سُبْحَانَ اللهِ أَقُولُ لَا آخُذُ وَتُلِحُّ عَلَيَّ، فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ وَمَضَى،

فأقبلت على أهلي، فقالت: فعل الله بك ما أردت من الرجل قد عمل لك عمل ثلاثة أيام، وأفسدت عليه أجرته.

قَالَ: فَجِئْتُ يَوْمًا أَسْأَلُ عَنْهُ، فَقِيلَ: إِنَّهُ مَرِيضٌ فَاسْتَدْلَلْتُ عَلَى بَيْتِهِ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ مَبْطُونٌ فِي خَرِبَةٍ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ شَيْءٌ إِلَّا ذَلِكَ الْمِرْوَزُ وَالزِّنْبِيلُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ لَهُ: لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ وَتَعْرِفُ فَضْلَ إِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَ إِلَى بَيْتِي أُمَرِّضُكَ، قَالَ: أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: آتِيكَ بِثَلَاثِ شَرَائِطَ قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: أَحَدُهَا أَنْ لَا تَعْرِضَ عَلَيَّ طَعَامًا حَتَّى أَسْأَلَكَ، قُلْتُ: نَعَمْ.

وَالثَّانِيَةُ: إِذَا مِتّ أَنْ تَدْفِنَنِي فِي كِسَائِي هَذَا وَجِبَّتِي هَذِهِ، فَقُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: أَمَّا الثَّالِثَةُ فَهِيَ أَشَدُّ مِنْهُمَا، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْهَا، فَحَمَلْتُهُ إِلَى مَنْزِلِي عِنْدَ الظُّهْرِ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ مِنَ الْغَدِ نَادَانِي: يَا عَبْدَ اللهِ فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: مَا شَأْنُكَ.

قَالَ: الْآنَ أُخْبِرُكَ عَنْ حَاجَتِي الثَّالِثَة، وَإِنِّي قَدِ احْتَضَرْتُ يَعْنِي قَدْ حَضَرَتْ وَفَاتِي، ثُمّ قَالَ: افْتَحْ صُرَّةً عَلَى كُمِّ جَيْبِي فَفَتَحْتُهَا فَإِذَا فِيهَا خَاتَمٌ لَهُ فَصٌّ أَخْضَرُ، فَقَالَ لِي: إِذَا أَنَا متّ وَدَفَنْتَنِي فَخُذْ هَذَا الْخَاتَمَ وَادْفَعْهُ إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ صَاحِبُ هَذَا الْخَاتَمِ وَيْحَكَ لَا تَمُوتَنَّ عَلَى سَكْرَتِكَ هَذِهِ، فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى سَكْرَتِكَ نَدِمْتَ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا دَفَنْتُهُ سَأَلْتُ عَنْ يَوْمِ خُرُوجِ هَارُونَ الرَّشِيدِ، وَكَتَبْتُ لَهُ الْقِصَّةَ وَتَعَرَّضْتُ لَهُ فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ، وَتَأَذَّيْتُ أَذًى شَدِيدًا فَلَمَّا دَخَلَ الْقَصْرَ وَقَرَأَ الْقِصَّةَ قَالَ: عَلَيَّ بِصَاحِبِ هَذِهِ الْقِصَّةِ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ.

فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ، فَأَخْرَجْتُ الْخَاتَمَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْخَاتَمِ قَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟

فَقُلْتُ: دَفَعَهُ إِلَيَّ رَجُلٌ طَيَّانٌ وَنَظَرْتُ إِلَى دُمُوعِهِ تَتَحَدَّرُ مِنْ عَيْنَيْهِ عَلَى لِحْيَتِهِ، وَمِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى ثِيَابِهِ وَيَقُولُ: طَيَّانٌ طَيَّانٌ وَقَرَّبَنِى مِنْهُ وَأَدْنَانِى، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ أَوْصَانِى أَيْضًا وَقَالَ: إِذَا أَوْصَلْتَ إِلَيْهِ الْخَاتَمَ قُلْ لَهُ: إِنَّهُ يُقْرِئُكَ صَاحِبُ هَذَا الْخَاتَمِ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ لَا تَمُوتَنَّ عَلَى سَكْرَتِكَ هَذِهِ، فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى سَكْرَتِكَ هَذِهِ نَدِمْتَ، فَقَامَ عَلَى رِجْلَيْهِ قَائِمًا، فَضَرَبَ بِنَفْسِهِ عَلَى الْبِسَاطِ، وَهُوَ يَتَقَلَّبُ بِرَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ وَيَقُولُ: يَا بُنَىَّ نَصَحْتَ أَبَاكَ حَيًّا وَمَيِّتًا فَقُلْتُ فِى نَفْسِى: كَأَنَّهُ ابْنُهُ وَلَمْ أَشْعُرْ بِهِ، فَبَكَى بُكَاءً طَوِيلًا، ثُمَّ جَلَسَ وَجَاءُوا بِالْمَاءِ وَغَسَلَ وَجْهَهُ، ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ عَرَفْتَهُ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، فَبَكَى بُكَاءً شَدِيدًا طَوِيلًا، ثُمَّ قَالَ: كَانَ هَذَا أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ لِى، فَكَانَ أَبِى الْمَهْدِىُّ ذَكَرَ لِى أَنْ يُزَوِّجَنِى زُبَيْدَةَ، فَنَظَرْتُ يَوْمًا إِلَى امْرَأَةٍ فَعَلِقَ قَلْبِى بِهَا، فَتَزَوَّجْتُهَا سِرًّا مِنْ أَبِى وَأَوْلَدْتُهَا هَذَا الْوَلَدَ فَأَنْفَذْتُهُمْ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَدَفَعْتُ إِلَيْهِمَا هَذَا الْخَاتَمَ وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةً وَقُلْتُ لَهَا: اكْتُمِى نَفْسَكِ فَإِذَا بَلَغَكِ أَنِّى قَدْ قَعَدْتُ لِلْخِلَافَةِ فَأْتِنِى، فَلَمَّا قَعَدْتُ لِلْخِلَافَةِ سَأَلْتُ عَنْهُمَا فَذُكِرَ لِى أَنَّهُمَا مَاتَا، وَلَمْ أَعْلَمْ أَنَّهُ بَاقٍ فَأَيْنَ دَفَنْتَهُ؟

فَقُلْتُ: دَفَنْتُهُ فِى مَقَابِرِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ.

قَالَ: إِنَّ لِى إِلَيْكَ حَاجَةً إِذَا كَانَ بَعْدُ الْمَغْرِبِ وَقَفْتَ لِى حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْكَ مُتَنَكِّرًا فَأَخْرُجُ إِلَى قَبْرِهِ، فَأَزُورَهُ، فَوَقَفْتُ لَهُ فَخَرَجَ وَالْخَدَمُ حَوْلَهُ حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ فِى يَدِى فَجِئْتُ بِهِ إِلَى قَبْرِهِ، فَمَا زَالَ لَيْلَتَهُ يَبْكِى إِلَى الصُّبْحِ، وَيَقُولُ: يَا بُنَىَّ نَصَحْتَ أَبَاكَ حَيًّا وَمَيِّتًا، فَجَعَلْتُ أَبْكِى لِبُكَائِهِ رِقَّةً مِنِّى لَهُ

حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، ثُمَّ رَجَعَ حَتَّى إِذَا دَنَا إِلَى الْبَابِ فَقَالَ لِي: قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَأَمَرْتُ بِأَنْ تَجْرِيَ عَلَيْكَ فَإِذَا أَنَا مُتُّ أَوْصَيْتُ مَنْ يَلِي مِنْ بَعْدِي أَنْ يُجْرَى عَلَيْكَ مَا بَقِيَ لَكَ عَقِبِي، فَإِنَّ لَكَ عَلَيَّ حَقًّا بِدَفْنِكَ وَلَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ الْبَابَ قَالَ لِي: انْظُرْ إِلَى مَا أَوْصَيْتُكَ إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَقُلْتُ إِنْ شَاءَ اللهُ فَرَجَعْتُ مِنْ عِنْدِهِ فَلَمْ أَعُدْ إِلَيْهِ[1].

***

(١) تنبيه الغافلين (ص/ ٤٩٣) للسمرقندي.

وسارعوا إلى مغفرة من ربكم

۞ قال إبراهيم بن بشار:

كنت يومًا مارًّا مع إبراهيم بن أدهم فى صحراء إذ أتينا على قبر مُسنَّم، فترحَّم عليه وبكى، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها، كان غريقًا فى بحار الدنيا ثم أخرجه الله ﷻ منها فاستنقذه. فلقد بلغنى أنه سُرَّ ذات يوم بشيء من ملاهى مُلكه ودنياه وغروره وفتنته. قال: ثم نام فى مجلسه ذلك مع من يَخُصُّه من أهله. قال: فرأى رجلًا واقفًا على سريره وبيده كتاب فناوله ففتحه، فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب: لا تُؤْثِرنَّ فانيًا على باقٍ، ولا تغترنَّ بمُلكك وقدرتك وسلطانك وخدمك وعبيدك ولذاتك وشهواتك، فإن الذى أنت فيه جسيم لولا أنه عديم، وهو مُلكٌ لولا أن بعده هُلْكٌ[1] وهو فرح وسرور لولا أنه لهوٌ وغرور.

وهو يومٌ لو كان يوثَق له بغدٍ، فسارع إلى أمر الله ﷻ فإن الله قال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

قال: فانتبه فزعًا وقال: هذا تنبيه من الله ﷻ وموعظة، فخرج من مُلكه لا يُعلَم به، وقصد هذا الجبل فتعبَّد فيه، فلما بلغتنى قصته وحُدِّثت بأمره قصدته فسألته، فحدثنى ببدو أمره وحدثته ببدو أمرى، فما زلت أقصده حتى مات ودُفن هاهنا، فهذا قبره رحمه الله [3].

---

(١) هُلك: كذا بالرفع، وكان ينبغي نصب هلكًا اسمًا لأن، إلا إذا جعلنا اسمها ضمير شأن محذوفًا.

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٣٣).

(٣) صفة الصفوة (٤/ ٣٥٧).

قصة أصحاب القبور الثلاثة

عن عبد الله بن صدقة بن مرداس البكرى عن أبيه قال: نظرت إلى ثلاثة أَقْبُر على شَرَفٍ[١] من الأرض مما يلى بلاد أنطاكية فإذا على أحدها مكتوب:

وكيف يلذ العيش من هو عالم ... بأنْ إله الخلق لا بد سائلُه
فيأخذ منه ظُلْمَه لعباده ... ويجزيه بالخير الذي هو فاعله

قال: وإذا على القبر الثانى:

وكيف يلذ العيش من كان موقنًا ... بأن المنايا بغتة ستُعاجله
فتسلبه مُلكًا عظيمًا ونخوةً ... وتُسكنه البيت الذي هو آهِلُه

وإذا على القبر الثالث إلى جنبهما:

وكيف يلذ العيش من كان صائرًا ... إلى جَدَثٍ تُبلى الشباب مناهِلُه
ويذهب رسم الوجه من بعد صوته ... سريعًا ويبلى جسمه ومفاصله

قال: وإذا هى قبور مُسنَّمة[٢] على قدر واحد مُصْطفَّة بعضها إلى جنب بعض.

قال: فلما نزلت القرية التى كانت فى القُرْبِ منها قلت لشيخ جلستُ إليه: لقد رأيت فى قريتكم عَجَبًا .. قال: وما رأيت؟ فقصصت عليه قصة القبور قال: فحديثهم أعجب مما رأيت على قبورهم. قال: فقلت: حدثنى.

قال: كانوا ثلاثة إخوة أمير يصحب السلطان ويُؤمَّر على المدائن

---

(١) مكانٍ عالٍ.

(٢) مُسنَّمة: مُعلَّمة.

والجيوش ... وتاجر موسر مُطاعٍ فى خاصته وزاهد قد تخلَّى لنفسه وتفرَّد لعبادته.

قال: فحضرتْ أخاهم العابد الوفاة فاجتمع عنده أخواه وكان الذى يصحب السلطان منهم قد ولى بلادنا هذه أمَّره عليها عبد الملك بن مروان وكان ظالمًا غشومًا متعسفًا فاجتمعا عند أخيهما لما احتضر فقالا له: ألا توصي؟قال: لا والله ما لى من مالٍ فأوصى فيه ولا لى على أحد دَينٌ فأوصى به ولا أخلف من الدنيا شيئا فأُسلبَه.

فقال له: أخوه ذو السلطان: أى أخى! قل لى ما بدا لك فهذا مالى بين يديك فأوصِ منه بما أحببت وأَنفِذ منه ما بدا لك واعهد إلىَّ بما شئت قال: فسكت عنه.

فقال أخوه التاجر: أى أخى! قد عرفت مكسبى وكثرة مالى فلعل فى قلبك غصة من الخير لم تكن تبلغها إلا بالإنفاق فيها فهذا مالى بين يديك فاحكم فيه بما أحببت ينفذ لك أخوك.

فأقبل عليهما فقال: لا حاجة لى فى مالكما ولكنى سأعهد إليكما عهدًا فلا تخالفا عهدى .. قالا: اعهد .. قال: إذا مت فغسِّلانى وكفِّنانى وادفنانى على نشزٍ من الأرض واكتبا على قبرى:

وكيف يلذ العيش من هو عالم ... بأن إله الخلق لا بد سائلُه

فيأخذ منه ظُلْمَه لعباده ... ويجزيه بالخير الذي هو فاعله

فإذا أنتما فعلتما ذلك فأتيانى كل يوم مرة لعلكما أن تتعظا.

قال: ففعلا ذلك لما مات قال: وكان أخوه يركب فى جنده حتى يقف على القبر فينزل فيقرأ ما عليه ويبكى. فلما كان فى اليوم الثالث جاء كما كان

يجيء مع الجند فنزل فبكى كما كان يبكى فلما أراد أن ينصرف سمع هدة[١] من داخل القبر كاد ينصدع لها قلبه فانصرف مذعورًا فزعًا وجلًا.

فلما كان الليل رأى أخاه فى منامه فقال: أى أخى! ما الذى سمعت من قبرك؟ قال: تلك هدة المقمعة[٢] قيل لى: رأيت مظلومًا فلم تنصره.

قال: فأصبح مهمومًا فدعا أخاه وخاصته وقال: ما أرى أخى أراد بما أوصانا أن نكتب على قبره غيرى وإنى أُشهدكم أنى لا أقيم بين ظهرانيكم أبدًا قال: فترك الإمارة ولزم العبادة وكتب إلى عبد الملك بن مروان فى ذلك فكتب أن خَلُّوه وما أراد.

قال: فكان إنما يأوى الجبال والبرارى حتى حضرته الوفاة فى هذا الجبل وهو مع بعض الرعاة فبلغ ذلك أخاه فأتاه فقال: أى أخى! ألا توصى قال: بِمَ أوصى؟ ما لى من مالٍ فأوصى به ولكن أعهد إليك عهدًا إذا أنا مت فبوأتنى قبرى فادفنِّى إلى جنب أخى واكتب على قبرى:

وكيف يلذ العيش من كان موقنًا ... بأن المنايا بغتة ستعاجله

فتسلبه مُلكًا عظيمًا ونخوةً ... وتُسكنه القبر الذي هو آهِلُه

ثم تعاهدنى ثلاثًا بعد موتي فادعُ لى لعل الله أن يرحمنى.

قال: فمات ففعل به أخوه ذلك فلما كان اليوم الثالث من إتيانه إياه فدعا له وبكى عند قبره فلما أراد أن ينصرف سمع وجبة[٣] من القبر كادت تُذهل عقله فرجع متقلقلًا.

---

(١) هدة: صوت شديد تسمعه من سقوط ركن أو حائط أو ناحية جبل.

(٢) المقمعة: جمعها مقامع: وهي سياط تُعمل من حديد رؤوسها معوجة.

(٣) الوجبة: صوت الشيء يسقط.

فلما كان من الليل إذا بأخيه في منامه قد أتاه قال ذلك الرجل: فلما رأيت أخي وثبت إليه فقلت: أي أخي! أتيتنا زائرًا؟ قال: هيهات أخي! بَعُدَ المزار واطمأنت بنا الديار قلت: أي أخي! كيف أنت؟ قال: بخير .. ما أجمع التوبة لكل خير! قال: قلت: فكيف أخي؟ قال: ذلك مع الأئمة الأبرار قال: قلت: فما أمرنا قِبَلكُم؟ قال:

مَن قدَّم شيئًا من الدنيا وجده   فاغتنم وجدك قبل فَقْدِك

قال: فأصبح أخوه معتزلًا للدنيا قد انخلع منها ففرق ماله وقسَّم رباعه وأقبل على طاعة الله تعالى قال: ونشأ له ابن كأهيأ الشباب وجهًا وجمالًا فأقبل على التجارة حتى بلغ منها وحضرت أباه الوفاة فقال له ابنه: يا أبتِ ألا توصي؟ قال: والله يا بني! ما لأبيك مال فيوصي فيه ولكني أعهد إليك عهدًا إذا أنا مت فادفنِّي مع عمومتك واكتب على قبري هذين البيتين:

وكيف يلذ العيش من هو صائر   إلى جَدَثٍ تبلى الشباب منازله

ويذهب رسم الوجه من بعد صوته   سريعًا ويبلى جسمه ومفاصله

فإذا فعلت ذلك فتعاهدني بنفسي ثلاثًا فادعُ لي.

ففعل الفتى ذلك فلما كان اليوم الثالث سمع من القبر صوتا اقشعرَّ له جلده وتغير له لونه فرجع منه محمومًا إلى أهله.

فلما كان من الليل أتاه أبوه في منامه فقال له: أي بني! أنت عندنا عن قليل والأمر بآخره والموت أقرب من ذلك فاستعد لسفرك وتأهب لرحيلك وحوِّل جهازك من المنزل الذي أنت عنه ظاعن إلى المنزل الذي أنت فيه مقيم ولا تغتر بما اغتر به المبطلون قبلك من طول آمالهم فقصروا عن أمر معادهم فندموا عند الموت أشد الندامة وأَسِفوا على تضييع العمر

أشد الأسف فلا الندامة عند الموت تنفعهم ولا الأسف على التقصير أنقذهم من شر ما وافى به المغبونون مليكهم يوم القيامة أي بنى فبادر ثم بادر ثم بادر.

قال عبيد الله بن صدقة بن مرداس: قال أبي: قال الشيخ الذى حدثنى بهذا الحديث: فدخلت على هذا الفتى صبيحة ليلته من هذه الرؤيا فقصَّها علينا وقال: ما أرى الأمر إلا كما قال أبى ولا أرى الموت إلا قد أظلنى.

قال: فجعل يفرق ماله ويتصدق ويقضى ما عليه من الدَّين ويستحل خُلطاءه ومُعامليه ويحللهم ويُسلِّم عليهم ويودعهم ويودعونه كهيئة رجل قد أُنذر بأمر فهو يتوقعه.

وكان يقول: قال أبى: فبادر ثم بادر ثم بادر فهذه ثلاث فهى ثلاث ساعات قد مضت فليست بها أو ثلاثة أيام وأنَّى لى بها أو ثلاثة أشهر وما أرانى أدركها أو ثلاث سنين فهو أكثر من ذلك وما أحب أن يكون ذلك كذلك.

قال: فلم يزل يعطى ويقسم ويتصدق ثلاثة أيام حتى إذا كان فى آخر اليوم الثالث من صبيحة هذه الرؤيا دعا أهله وولده فودعهم وسلَّم عليهم ثم استقبل القبلة فمدَّد نفسه وأغمض عينيه وتشهَّد شهادة الحق ثم مات رحمه الله تعالى.

قال: فمكث الناس حينًا ينتابون قبره من الأمصار فيُسَلِّمون عليه[1].

---

(١) أخرجها ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٤/ ٤٣-٤٦)، وابن قدامة في التوابين (٥٨).

كلما ازداد شِعراً كلما زاد العطاء!!!

۞ ومما يُحكَى عن مَعِن بن زائدة أنه كان ذات يوم من الأيام جالسًا على سرير مملكته، وحوله الوزراء والأمراء والحُرفاء والكُتَّاب والمذاكرون في النوادر والغرائب، إذ أقبل أعرابى يتخطى الصفوف صفًّا صفًّا حتى وقف بين يديه، وقال:

أتعرف إذ قميصك جلد كبشٍ وإذ نعلاك من جلد البعير

قال: نعم أعرف ذلك. قال:

فسبحان الذي أعطاك مُلكًا وعلَّمك الجلوس على السريرِ

قال: ذاك بحمد الله لا بحمدك .. قال:

فلستُ مُسلِّمًا لو عشت دهرًا على مَعِنٍ بتسليم الأميرِ

قال: إذن والله لا أبالى بك .. قال:

ولا آتي بلادًا أنت فيها ولو جار الزمان على الفقيرِ

قال: أفتعلم لك موضعًا تختفى فيه؟ قال:

فمُرْ لي يا ابن زائدة بمالٍ وزادٍ إذ عزمتُ على المسيرِ

قال: يا غلام أعطه ألف درهم .. قال:

قليل ما أمرت به وإني لأطمع منك بالشيء الكثيرِ

قال: يا غلام زيادة ألف درهم .... قال:

كأنـك إذ ملكـت الملـك زرنـا   بـلا عقـلٍ ولا جـاهٍ خطيـرِ

قال: يا غلام زِده ألف درهم .. قال:

ملكـتَ الجـود والأفـضال جميعًـا   فبـذلُ يـديك كـالبحر الغزيـرِ[1]

(١) مرآة الجنان (١/ ١٥٠).

حكاية إبراهيم بن أدهم والشاب الذي رافقه

۞ عن أحمد بن الفيض قال: جاء شاب إلى إبراهيم بن أدهم وهو يريد بيت المقدس قال له: إنى أريد أن أرافقك؟ قال: فتعالَ .. فقال له إبراهيم: نحتجم قبل!

قال: فاحتجموا، فقال له إبراهيم: أى شيء معك من النفقة؟ قال: ثمانية عشر درهمًا. قال: ادفعها إلى الحجَّام فدفعها، ثم خرجوا يريدون بيت المقدس، فقال له رفيقه: لو أمرتنى أن أدفع إليه بعضها، وأُمسك بعضها؟ قال: فأمسك عنه إبراهيم، فلما وصلوا بيت المقدس قال لقيم المسجد: تعلم ها هنا أحد يحتاج إلى حصاد فإنَّا رجلان نحصد له؟

قال: ما أعلم ها هنا أحد إلا نصرانيًّا له حقل، قال: فامضِ بنا إليه. قال فمضوا فأراهما الحقل فقال له إبراهيم بكم تشتهى أن تحصد هذا الحقل؟ قال: وكان لا يماكس[1] أحدًا .. قال: بدينار قال: فادفعه إلى قيم المسجد فإذا حصدناه أمر به أن يُدفع إلينا. وكانت ليلة مقمرة، قال: فقال إبراهيم لرفيقه: أيهما أحب إليك: أصلى أنا، وتحصد أنت، أو تصلى أنت، وأحصد أنا؟!

قال: فصلَّى الرجل، وحصد إبراهيم فى ليلته، قال: وغدوا إلى صاحب الحقل، فقال: قد فرغنا منه، فقال: أخشى أن يكون قد أفسدتم علىَّ. قال: فنظر فيه، فلم يرَ بأسًا، فقال: ادفع إلينا الدينار، فقال لقيم المسجد: ادفع الدينار إليهما. فقال نعم ..قال إبراهيم: ادفعه إلى هذا الذى دفع إلى الحجام ثمانية عشرة درهمًا[2].

---

(١) مكس في البيع مكسا: نقص الثمن.

(٢) عيون الحكايات (ص ٣٦٧).

حتى لا يحتقر فقيرًا أبدًا

۞ عن عُمير بن عبد الباقى قال: حصد عندنا إبراهيم بن أدهم فى المزارع بعشرين دينارًا ودخل ومعه صاحب له، فأراد إبراهيم أن يحلق رأسه ويحتجم، فجاء إلى حجَّام وجلس بين يديه، فلما رآهما الحجَّام حقرهما، وقال: ما فى الدنيا أحد أبغض إلىَّ من هؤلاء؛ وما وجدوا من يخدمهم غيرى، فخدم جماعة، وتهاون بإبراهيم وصاحبه، وإبراهيم ساكت ينظر، فلما لم يبقَ بين يديه ولا عنده أحد التفت إليهما، فقال: أيش الذى تريدان؟

فقال إبراهيم: أريد أن أحلق رأسى وأحتجم، فوجد صاحب إبراهيم الذى معه فى نفسه من تهاون الحَجَّام بهما.

فقال: أما أنا فليس أحلق رأسى ولا أحتجم، فحلق إبراهيم واحتجم، فلما فرغ قال إبراهيم لصاحبه: هات الدنانير التى معك فدفعها إلى الحجام كما هى العشرين دينارًا.

فقال له صاحبه: يا أستاذ، حصدت فى هذا الحر، ودفعتها إلى هذا؟

فقال: اسكت، تركت هذا لا يحتقر فقيرًا أبدًا ... ودخل من فوره إلى طرسوس فلما أصبح قال لصاحبه: خذ هذه الكتيبات فارهنها وجئنا بشىء نأكله[1].

---

(١) عيون الحكايات (ص ٣١٤ - ٣١٥).

تسابق إلى الكرم والمكارم

۞ سأل رجل حاتم الطائى، فقال: يا حاتم! هل غلبك أحد فى الكرم؟

قال: نعم، غلام يتيم من طيئ، نزلت بفنائه، وكانت له عشرة رؤوسٍ من الغنم، فعمد إلى رأس منه فذبحه، وأصلح من لحمه، وقدَّم إلىَّ، وكان فيما قدم إلىَّ الدماغ، فتناولت منه فاستطبته، فقلت: طيب والله، فخرج من بين يدى، وجعل يذبح رأسًا رأسًا، ويقدم إلىَّ الدماغ وأنا لا أعلم، فلما خرجت لأرحل، وجدت حول البيت دمًا عظيمًا، وإذا به ذبح الغنم كله، فقلت له: لِمَ فعلت ذلك؟

فقال: سبحان الله! تستطيب شيئًا أملكه وأبخل به عليك، إن ذلك لسُبَّةٌ[1] على العربى قبيحة.

قيل: يا حاتم! فما الذى عوضته؟

قال: ثلاثمائة ناقة حمراء، وخمسمائة رأس من الغنم، فقيل: أنت إذًا أكرم منه، فقال: بل هو أكرم؛ لأنه جاد بكل ما يملكه، وإنما جُدت بقليلٍ من كثير.

---

(١) أى: من العار.

شكر الجوارح

۞ قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي حَازِمٍ: مَا شُكْرُ الْعَيْنَيْنِ يَا أَبَا حَازِمٍ؟
قَالَ: « إِنْ رَأَيْتَ بِهِمَا خَيْرًا أَعْلَنْتَهُ، وَإِنْ رَأَيْتَ بِهِمَا شَرًّا سَتَرْتَهُ ».
قَالَ: فَمَا شُكْرُ الْأُذُنَيْنِ؟
قَالَ: « إِنْ سَمِعْتَ بِهِمَا خَيْرًا وَعَيْتَهُ، وَإِنْ سَمِعْتَ بِهِمَا شَرًّا أَخْفَيْتَهُ ».
قَالَ: فَمَا شُكْرُ الْيَدَيْنِ؟
قَالَ: « لَا تَأْخُذْ بِهِمَا مَا لَيْسَ لَهُمَا، وَلَا تَمْنَعْ حَقًّا لِلَّهِ ﷻ هُوَ فِيهِمَا ».
قَالَ: فَمَا شُكْرُ الْبَطْنِ؟
قَالَ: « أَنْ يَكُونَ أَسْفَلَهُ طَعَامًا، وَأَعْلَاهُ عِلْمًا ».
قَالَ: مَا شُكْرُ الْفَرْجِ؟
قَالَ: « كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾[1] ».
قَالَ: فَمَا شُكْرُ الرِّجْلَيْنِ؟
قَالَ: « إِنْ رَأَيْتَ حَيًّا غَبَطْتَهُ اسْتَعْمَلْتَ بِهِمَا عَمَلَهُ، وَإِنْ رَأَيْتَ مَيِّتًا مَقَتَّهُ كَفَفْتَهُمَا عَنْ عَمَلِهِ، وَأَنْتَ شَاكِرٌ لِلَّهِ ﷻ، فَأَمَّا مَنْ شَكَرَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَشْكُرْ بِجَمِيعِ أَعْضَائِهِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ كِسَاءٌ فَأَخَذَ بِطَرَفِهِ وَلَمْ يَلْبَسْهُ، فَلَمْ يَنْفَعْهُ ذلِكَ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالثَّلْجِ وَالْمَطَرِ »[2].

---

(١) سورة المؤمنون: الآيتان: (٦-٧).
(٢) شُعب الإيمان (٤٥٦٤).

لو سبقت حاتمًا بيومٍ ما ذكرته العرب

۞ جاء رجل من الأنصار فقال لعبيد الله بن عباس:

يا ابن عم رسول الله، إنه وُلد لى فى هذه الليلة مولود، وإنى سمَّيته باسمك تبَرُّكًا به، وإن أمه ماتت.

فقال عبيد الله: بارك الله لك فى الهبة، وأجزل لك الأجر على المصيبة. ثم دعا بوكيله فقال: انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه، وادفع إليه مائتى دينار للنفقة على تربيته. ثم قال للأنصارى.

عُد إلينا بعد أيام، فإنك جئتنا وفى العيش يَبَسٌ وفى المال قلّة.

فقال الأنصارى: لو سبقت حاتمًا بيوم واحد ما ذكرته العرب أبدًا، ولكنه سبقك فصرت له تاليًا، وأنا أشهد أنّ عفوك أكثر من مجهوده، وطَلُّ كرمك أكثر من وابِلِه[1].

(١) العقد الفريد (١/ ١٦١) لابن عبد ربه.

قصة الغني والمريض والعبد المملوك

❁ عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ:

« يُؤْتَى بِثَلَاثَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: بِالْغَنِيِّ، وَالْمَرِيضِ، وَالْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ، فَقَالَ لِلْغَنِيِّ: مَا يَمْنَعُكَ مِنْ عِبَادَتِي؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَكْثَرْتَ لِي مِنَ الْمَالِ فَطَغَيْتُ، فَيُؤْتَى بِسُلَيْمَانَ فِي مُلْكِهِ فَيَقُولُ: أَنْتَ كُنْتُ أَشَدَّ شُغْلًا مِنْ هَذَا.

قَالَ: يَقُولُ: لَا، بَلْ هَذَا، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ أَنْ عَبَدَنِي.

قَالَ: ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمَرِيضِ قَالَ: فَيَقُولُ: مَا يَمْنَعُكَ مِنْ عِبَادَتِي؟ قَالَ: يَقُولُ: شُغِلْتُ عَلَى جَسَدِي، قَالَ: فَيُؤْتَى بِأَيُّوبَ فِي ضُرِّهِ، فَيَقُولُ: أَنْتَ كُنْتَ أَشَدَّ ضُرًّا مِنْ هَذَا؟ قَالَ: لَا، بَلْ هَذَا.

قَالَ: فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ أَنْ عَبَدَنِي.

قَالَ: ثُمَّ يُؤْتَى بِمَمْلُوكٍ فَيَقُولُ: مَا مَنَعَكَ مِنْ عِبَادَتِي؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، جَعَلْتَ عَلَيَّ أَرْبَابًا يَمْلِكُونَنِي، قَالَ: فَيُؤْتَى بِيُوسُفَ فِي عُبُودِيَّتِهِ، فَيَقُولُ: أَنْتَ كُنْتُ أَشَدَّ عُبُودِيَّةً أَمْ هَذَا؟

قَالَ: لَا، بَلْ هَذَا، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ أَنْ عَبَدَنِي»[1].

---

(١) شعب الإيمان (٩٩٩٩).

علي بن أبي طالب رضي الله عنه يُؤْثِر غلامه على نفسه

۞ بينما كان أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه مارًّا بسوق البصرة وكان معه غلامه (قنبر) فوقف أمام غلام يبيع أثوابًا.

فقال: يا غلام عندك ثوبان بخمسة دراهم؟

فقال: نعم.

فأعطى غلامه ثوبًا بثلاثة دراهم، وأخذ لنفسه الثوب ذا الدرهمين.

فقال له الغلام: خذ هذا أنت، فإنك تعلو المنبر وتخطب الناس.

فقال له أمير المؤمنين: وأنت شاب ولك بشرة الشباب، وأنا أستحى من ربى أن أتفضل عليك، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون**».

أويس القرني.. قمة في الجود

۞ عَنْ مُغِيرَةَ، قَالَ:

إن كَانَ أُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ لَيَتَصَدَّقُ بِثِيَابِهِ حَتَّى يَجْلِسَ عُرْيَانًا لَا يَجِدُ مَا يَرُوحُ فِيهِ إِلَى الْجُمُعَةِ.

۞ وَعَنْ أَصْبَغَ بنِ يَزِيدَ، قَالَ: كَانَ أُوَيْسٌ إِذَا أَمْسَى، قَالَ: هَذِهِ لَيْلَةُ الرُّكُوعِ، فَيَرْكَعُ حَتَّى يُصْبِحَ، وَيَقُولُ فِي مَسَاءٍ آخَرَ: هَذِهِ لَيْلَةُ السُّجُودِ، فَيَسْجُدُ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ إِذَا أَمْسَى تَصَدَّقَ بِمَا فِي بَيْتِهِ مِنْ فَضْلِ الطَّعَامِ وَالثِّيَابِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ مَنْ مَاتَ جُوعًا أَوْ عُرْيَانًا فَلَا تُؤَاخِذْنِي بِهِ[1].

وكان يقول فى دعائه: «اللهم إنى أعتذر إليك اليوم من كل كبدٍ جائعةٍ وبَدَنٍ عارٍ، فإنه ليس فى بيتى من الطعام إلَّا ما فى بطنى، وليس لى شىء من الدنيا إلَّا ما على ظهرى». ولم يكن على ظهره حينذاك إلَّا خرقة.

(١) السير (٤/ ٣٠)، والحلية (٢/ ٨٤) (٢/ ٨٧).

ما أعجب ما رأيت

۞ وحُكى عن حذيفة المرعشى رضي الله عنه، وكان من خدم إبراهيم الخواص رضي الله عنه وصحبه مدة، فقيل له:

ما أعجب ما رأيت منه؟ فقال: بقينا فى طريق مكة أيامًا لم نأكل طعامًا، فدخلنا الكوفة، فأوينا إلى مسجد خَرِب، فنظر إلىَّ إبراهيم وقال: يا حذيفة أرى بك أثر الجوع، فقلت: هو كما ترى، فقال: علىَّ بدواة وقرطاس، فأحضرتهما إليه، فكتب بسم الله الرحمن الرحيم، أنت المقصود بكل حال، والمشار إليه بكل معنى ثم قال:

أنا حامدٌ أنا شاكرٌ أنا ذاكرٌ ... أنا جائعٌ أنا ضائعٌ أنا عارى

هي ستّةٌ وأنا الضمين لنصفها ... فكن الضمينَ لنصفها يا بارى

مدحي لغيرك لهبُ نارٍ خضتها ... فأجِرْ عبيدك من لهيب النارِ

قال حذيفة: ثم دفع إلىَّ الرقعة، وقال: اخرج بها ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى، وادفعها إلى أول من يلقاك، قال: فخرجت، فأول من لقينى رجل على بغلة، فناولته الرقعة، فأخذها، فقرأها وبكى، وقال: ما فُعل بصاحب هذه الرقعة؟

قلت: هو فى المسجد الفلانى، فدفع إلىَّ صرة فيها ستمائة درهم، فأخذتها ومضيت، فوجدت رجلًا، فسألته من هذا الراكب على البغلة؟ فقال: هو رجل نصرانى، قال: فجئت إبراهيم وأخبرته بالقصة، فقال: لا تمسَّ الدراهم، فإن صاحبها يأتى الساعة، فلما كان بعد الساعة أقبل النصراني راكبًا على بغلته، فترجَّل على باب المسجد، ودخل، فأكبَّ على

إبراهيم يُقبِّل رأسه ويديه ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. قال: فبكى إبراهيم الخواص فرحًا به وسرورًا، وقال: الحمد لله الذى هداك للإسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

هكذا فليكن الشرف والعقل

۞ عن علي بن محمد المدائني قال: قال عمر بن عبد العزيز لسليمان بن عبد الملك: إن بالباب يا أمير المؤمنين رجل له جرْم ولسان، قال: أَدْخِلْه، فدخل، فقال له سليمان: مِمَّنْ الرجل؟ قال: مِنْ عبد القيس بن أقصى، وإنِّى مُكَلِّمُك يا أمير المؤمنين بكلام، فاحتمله، وإن كرهته، فإن وراءه ما تُحِبُّ إن قَبِلْتَه.

فقال: قُلْ يا أعرابى. فقال: يا أمير المؤمنين، إنه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم، ورضاك بسخَط ربهم، خافوك فى الله، ولم يخافوه فيك، خَرَّبُوا الآخرة، وعَمَّروا للدنيا، فهم حَرْبٌ للآخرة سِلْمٌ للدنيا، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه، فإنهم نالوا الأمانة تَصَنُّعًا، والأُمَّة خَسْفًا، وأنت مسؤول عما اجترحوا، وليسوا بمسؤولين عمَّا اجترحت، فلا تُصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظم الناس غُبْنًا بائع آخرته بدنيا غيره.

قال: فقال سليمان: أما أنت يا أخا ربيعة فقد سَللْتَ لسانك، وهو أقطع من سيفك!

فقال: أجل يا أمير المؤمنين، لك لا عليك.

قال: فهل من حاجة فى ذات نفسك؟ قال: أما خاصة دون عامة فلا، ثم قام فخرج، فقال سليمان: لله درُّه! ما أشرف أَصْله! وأجمع قلبه، وأدرب لسانه! وأصدق نيته! وأروع نفسه! هكذا فليكن الشرف والعقل[1].

(١) ابن عساكر فى تاريخ دمشق (٦٨/ ١٧٤-١٧٥).

قلوب تشتاق إلى الجنة

۞ قال السيد الجليل رجاء بن حيوة:

بتُّ ليلة عند عمر بن عبد العزيز: فهمَّ السراج أن يُطفأ فقمت إليه لأُصلحه، فأقسم عليَّ عمر أن أقعد، فقام هو وأصلحه، فقلت له: تقوم أنت يا أمير المؤمنين: فقال: قمت وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر.

۞ وقال: قوَّمت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو يخطب باثنى عشر درهمًا، كانت قباء وعمامة وقميصًا وسراويل ورداء وخُفَّين وقلنسوة.

۞ وروى أنه كان يُؤتَى بالحُلَّة قبل أن يلى الخلافة بألف درهم، فيقول ما أحسنها لولا خشونة فيها: ويُؤتَى بالحُلَّة حين ولى الخلافة بأربعة أو خمسة دراهم، فيقول: ما أحسنها لولا نعومة فيها فسُئل عن ذلك فقال: إن لى نفسًا ذواقة تواقة، كلما ذاقت شيئًا تاقت إلى ما فوقه، فلم تزل تذوق وتتوق إلى أن ذاقت الخلافة فتاقت إلى ما فوقها، ولم يكن فى الدنيا شىء فوقها فتاقت إلى ما عند الله تعالى فى الدار الآخرة، وذلك لا يُنال إلا بترك الدنيا.

۞ وروى أنه دخل عليه مَسلمة بن عبد الملك وهو مريض فرأى ثوبه وسخًا، فقال لزوجته فاطمة بنت عبد الملك: اغسلوا ثوب أمير المؤمنين، فقالت: نفعل إن شاء الله تعالى، ثم كذلك لم يزل يدخل عليه والثوب على حاله، فخاصم أخته فقالت له: إنه ليس له ثوب غيره، إذا غسلناه لم يجد ثوبًا يلبسه.

۞ وروى أن سليمان بن عبد الملك استشار فى مرض موته السيد

الجليل رجاء بن حيوة فيمن يعهد إليه بأمر الخلافة بعده، فأشار إليه بعمر ابن عبد العزيز، فقال: كيف يمكن ذلك وأولاد عبد الملك لا يطيعون؟ فقال: افعل ما آمرك به والأمر يتصلح إن شاء الله تعالى. فقال: ما تأمرنى؟ فقال: اكتب كتاب العهد له واختمه. ففعل ذلك ثم قال له: مُرْ مناديًا فليناد بالناس يحضرون عندك، فإذا حضروا فمرهم فليبايعوا لمن عهدت له فيه، ففعل ذلك.

قال رجاء بن حيوة: فلما انصرفنا من عنده إذا بمركب خلفى فالتفتُّ فإذا بهشام بن عبد الملك، فقال لى يا رجاء: أعلمنى مَن صاحب العهد فإن أكن أنا هو عرفت ذلك، وإلا تكلمت قبل أن يفرط الأمر. قال: فأجبته بجواب أطمعته فيه من غير تصريح، فسكت وانصرف، ثم التفتُّ: فإذا أنا بعمر بن عبد العزيز. فقال لى: يا رجاء اعلمنى لمن كتب هذا العهد فإن كان لغيرى سكتُّ، وإن يكن لى تكلمت فى صرفه عنى ما دام فى الأمر سعة.

قال:فأوهمته مراده فلما توفى سليمان أمرت من عنده يكتم موته، وقلت: مُروا مناديًا فليناد بالناس ليبايعوا أمير المؤمنين ثانيًا على السمع والطاعة لمن فى الكتاب، ففعلوا ذلك، فلما حضروا وبايعوا قلت أعظم الله أجوركم فى أمير المؤمنين، ثم فتح الكتاب فإذا صاحب العهد عمر بن عبد العزيز.

فوجم لذلك بنو عبد الملك ولم يقدروا أن يفعلوا شيئًا. ثم أخرجت جنازته فخرج بنو عبد الملك رُكبانًا، وخرج عمر بن عبد العزيز ماشيًا. فلما رجعوا من دفنه أرسل عمر إلى نسائه رسولًا يقول لهن: من أرادت منكن

الدنيا فلتلحق بأهلها، فإن عمر قد جاءه أمر يشغله، قال: فسمعت النوائح يومئذ فى بيت عمر بن عبد العزيز وعدله ﷺ وحسن سيرته الحسناء وأوصافه الجميلة قد ملأت الوجود شهرة، رحمة الله تعالى ورضوانه عليه[1].

(١) مرآة الجنان (١/ ١٦٦).

وصية عمر بن عبد العزيز لأولاده عند موته

۞ لما كانت الصَّرْعة التى هلك فيها عمر دخل عليه مَسلمة بن عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين إنك أفقرت أفواه ولدِك من هذا المال وتركتَهم عَيْلةً لا شىء لهم، فلو وصّيت بهم إلىَّ وإلى نُظَرائى من أهل بيتك.

قال: فقال: أسندونى، ثم قال: أما قولك: إنى أفقرتُ أفواه ولدى من هذا المال، فوالله إنى ما منعتُهم حقًّا هو لهم، ولم أُعطهم ما ليس لهم. وأما قولك: لو أوصيت بهم، فإن وصيّى ووليّى فيهم الله الذى نزَّل الكتاب، وهو يتولى الصالحين.

بَنىَّ أحدُ الرجلين، إما رجل يتقى الله فسيجعل الله له مَخرجًا، وإما رجل مُكِبٌّ على المعاصى، فإنى لم أكن أُقوِّيه على معاصى الله.

ثم بعث إليهم وهم بضعةَ عشر ذكرًا قال: فنظر إليهم فذرفتْ عيناه، ثم قال: أى بنىَّ إنَّكُم لن تلقوا أحدًا من العرب ولا من المعاهدين إلَّا أن لكم عليهم حقًّا، أى بنىَّ إن أباكم خُيِّرَ بين أمرين: بين أن تَسْتغنوا ويدخل أبوكم النار، أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة، فكان أن تفتقروا ويدخَل الجنة أحبَّ إليه من أن تستغنوا ويدخل النار، قوموا عصمكم الله.

عمر بن عبد العزيز .. والشاب العابد

۞ دخل قوم على عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعودونه فى مرضه، وإذا فيهم شابٌ ناحلٌ ذابلُ الجسم فقال له عمر:

ما الذى بلغ بك ما أرى؟

فقال: يا أمير المؤمنين، أمراضٌ وأسقامٌ.

قال: سألتك بالله إلا صدقتنى.

فقال: يا أمير المؤمنين، ذُقت حلاوة الدنيا فوجدتها مُرَّة، فصغر فى عينى زهرتها وحلاوتها، واستوى عندى حجرها وذهبها.

وكأنى أنظر إلى عرش ربى، والناس يُساقون إلى الجنة والنار، فأظمأت لذلك نهارى، وأسهرت لذلك ليلى، وقليل حقير كل ما أنا فيه فى جنب ثواب الله وعقابه[1].

---

(١) عيون الأخبار (٢/ ٣٨٠).

لم أقبلها أميرًا أأقبلها وزيرًا

۞ أرسل روح بن حَاتِم إِلَى ابْن فَرُّوخ ليُوليه الْقَضَاء فَامْتنعَ؛ فَأمر بِهِ أَن يُرْبَط ويُصعَد بِهِ على سقف الْجَامِع؛ فَقيل لَهُ: تقبل؟ فَقَالَ: لَا .. فَأُخذ ليُطْرَح؛ فَلَمَّا رأى الْعَزْم قَالَ: قبلت. فأُجلس فِي الْجَامِع وَمَعَهُ حرس؛ فَتقدم إِلَيْهِ خصمان؛ فَنظر إِلَيْهِمَا وَبكى طَويلًا؛ ثمَّ رفع رَأسه، فَقَالَ لَهما: سألتكما بِالله أَلا أعفيتماني من أنفسكما، وَلَا تكُونَا أول مُشوِّشٍ عَلَيَّ فرحماه، وقاما عَنهُ. فَأعْلم الحرس بذلك روحًا؛ فَقَالَ: اذْهَبُوا إِلَيْهِ، فَقولُوا لَهُ يُشِير علينا بِمن نولِّي. فَقَالَ: إِن يكن، فعبد الله بن غَانِم؛ فَإِنِّي رَأَيْته شَابًّا لَهُ صبَابَة يَعْنِي بمسائل الْقُضَاة. فَعَلَيْك بِهِ فَإِنَّهُ يعرف مِقْدَار الْقَضَاء. فولى ابْن غَانِم؛ فَكَانَ يشاوره فِي كثير من أُمُوره وَأَحْكَامه؛ فأشفق ابْن فروخ من ذَلِك، وَقَالَ لَهُ: يَا ابْن أخي لم أقبلها أَمِيرا أأقبلها وزيرًا ... وَخرج إِلَى مصر هربًا من ذَلِك وورعًا، وَمَات هُنَالك[1].

۞ وَمِمَّنْ عُرض عَلَيْهِ الْقَضَاء بإفريقية، فَامْتنعَ مِنْهُ، أَبُو ميسرَة أَحْمد بن نزار. فَلَمَّا عُرض عَلَيْهِ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّك تعلم أَنِّي انْقَطَعت إِلَيْك، وَأَنا ابْن ثَمَانِي عشرَة سنة فَلَا تُمكنهم مني فَمَا جَاءَ الْعَصْر إِلَّا وَقد توفّي. فَغُسِّلَ وكُفِّنَ وَخُرج بِهِ.

(١) تاريخ قُضاة الأندلس (ص ١٥).

هذا أحكَمُ من رأيت

۞ عن الحارث بن محمد التميمي عن شيخ من قريش قال: مَرَّ الإسكندر بمدينة قد ملكها أملاكٌ سبعة[١] وبادوا، فقال: هل بقي من نسل الأملاك الذين ملكوا هذه أحد؟ قالوا: نعم رجل يكون في المقابر، فدعا به قال: ما دعاك إلى لزوم المقابر؟! قال: أردت أن أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم، فوجدت عظامهم وعظام عبيدهم سواء، فقال له: فهل لك أن تتبعني فأورثك شرف آبائك إن كانت لك همة؟ قال: إن همتي لعظيمة إن كانت بُغيتي عندك، قال: وما بُغيتك؟ قال: حياة لا موت فيها، وشباب لا هرم معه، وغِنىً لا فقر فيه، وسرور بغير مكروه؛ قال: لا؛ قال: فامضِ لشأنك ودعني أطلب ذلك ممن هو عنده عز وجل ويملكه. قال الإسكندر: هذا أحكَمُ مَن رأيت[٢].

---

(١) أي: سبعة ملوك.

(٢) أخرجها ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧/ ٣٥٥).

شيخٌ يعظ ذي القرنين

۞ عن عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ، فِي بَعْضِ مَسِيرِهِ دَخَلَ مَدِينَةً، فَاسْتَكَفَّ عَلَيْهِ أَهْلُهَا، يَنْظُرُونَ إِلَى مَرْكَبِهِ مِنَ الرِّجَالِ، وَالنِّسَاءِ، وَالصِّبْيَانِ، وَعِنْدَ بَابِهَا شَيْخٌ عَلَى عَمَلٍ لَهُ، فَمَرَّ بِهِ ذُو الْقَرْنَيْنِ فَلَمْ يَلْتَفِتِ الشَّيْخُ إِلَيْهِ، فَعَجِبَ ذُو الْقَرْنَيْنِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ اسْتَكَفَّ لِيَ النَّاسُ وَنَظَرُوا إِلَى مَرْكِبِي، فَقَالَ: فَمَا بَالُكَ أَنْتَ؟ قَالَ: لَمْ يُعْجِبْنِي مَا أَنْتَ فِيهِ، إِنِّي رَأَيْتُ مَلِكًا مَاتَ فِي يَوْمٍ هُوَ وَمِسْكِينٌ، وَلِمَوْتَانَا مَوْضِعٌ يُجْعَلُونَ فِيهِ، فَأُدْخِلَا جَمِيعًا، فَاطَّلَعْتُهُمَا بَعْدَ أَيَّامٍ، وَقَدْ تَغَيَّرَتْ أَكْفَانُهُمَا، ثُمَّ اطَّلَعْتُهُمَا وَقَدْ تَزَايَلَ لُحُومُهُمَا، ثُمَّ رَأَيْتُهُمَا تَقَلَّصَتِ الْعِظَامُ وَاخْتَلَطَتْ، فَمَا أَعْرِفُ الْمَلِكَ مِنَ الْمِسْكِينِ، فَمَا يُعْجِبُنِي مُلْكُكَ؟ قَالَ: مَا كَسْبُكَ؟ قَالَ: فِي يَدِي عَمَلٌ، أَكْسِبُ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ، فَدِرْهَمٌ أَقْضِيهِ، وَدِرْهَمٌ آكُلُهُ، وَدِرْهَمٌ أُسَلِّفُهُ، فَأَمَّا الدِّرْهَمُ الَّذِي أَقْضِي فَأُنْفِقُهُ عَلَى أَبَوَيَّ، كَمَا كَانَا يُنْفِقَانِ عَلَيَّ وَأَنَا صَغِيرٌ حَتَّى بَلَغْتُ، فَأَنَا أَقْضِيهِمَا ... قَالَ: أَنْتَ، فَلَمَّا خَرَجَ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ[1].

(١) أخرجها ابن المبارك في الزهد (٢٠٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧/ ٣٥٣)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٤٤٨).

رجل يهرب من الدنانير!!

۞ روى ابن أبي الدنيا بسنده أن الخليفة المنصور أرسل مع ربيع الحاجب إلى سفيان بدنانير كثيرة، وقال:

إياك أن ترجع أو يقبلها منك.

فأتاه ربيع بها، فقال: لا حاجة لي بها. قال: إنه يقدم إلى أن أمانعك أو تأخذ. قال: فبسط سفيان رداءً كان عليه، ثم قال: صُبَّها، ثم أخذها ليحملها، فقال: هذه ثقيلة لا أقدر على حملها.

فقال له الربيع: فأنا أحملها لك.

قال: لا أئتمنك عليها، ولكن انتظر حتى أدعو حمَّالًا، وقام فذهب يطلب حمَّالًا، وبقي ربيع ينتظره، فلما أبطأ عليه أخذ الدنانير والرداء، ومضى إلى المنصور فأخبره، فقال: سلبته رداءه[1].

---

(١) مناقب الإمام (ص ٥٦).

موعظة ابن السمَّاك لهارون الرشيد

۞ عن محمّد بن عمرو بن خالد قال: حَدَّثَنَا أبى قَالَ: بعث هارون أمير المؤمنين إلى محمّد بن السماك فى آخر شعبان فأحضره، فقال له يحيى بن خالد: أتدرى لِمَ بعث إليك أمير المؤمنين؟ قَالَ: لا أدرى. قَالَ له يحيى بن خالد: بعث لِمَا بلغه عنك من حُسن دعائك للخاصة والعامة، فقال له ابن السماك: أما ما بلغ أمير المؤمنين عنى من ذلك فبستر الله الذى ستره علىَّ، ولولا ستره لم يبق لنا ثناء ولا التقاء على مودة، فالستر هو الذى أجلسنى بين يديك يا أمير المؤمنين، إنى والله ما رأيت وجهًا أحسن من وجهك، فلا تحرق وجهك بالنار. قَالَ: فبكى هارون بكاءً شديدًا ثم دعا بماءٍ فاستسقى فأُتى بقدح فيه ماء فقال: يا أمير المؤمنين: أكلمك بكلمة قبل أن تشرب هذا الماء؟ قَالَ: قل ما أحببت، قَالَ يا أمير المؤمنين لو مُنعت هذه الشربة إلا بالدنيا وما فيها أكنت تفتديها بالدنيا وما فيها حتى تصل إليك فقال: نعم! قَالَ: فاشرب ريًّا بارك الله فيك. فلما فرغ من شُربه قَالَ له: يا أمير المؤمنين، أرأيت لو مُنعت إخراج هذه الشربة منك إلا بالدنيا وما فيها أكنت تفتدى ذلك بالدنيا وما فيها؟ قَالَ: نعم! قَالَ: يا أمير المؤمنين فما تصنع بشىء شربة ماء خير منه؟ قَالَ:

فبكى هارون واشتد بكاؤه، قَالَ: فقال يحيى بن خالد: يا ابن السماك قد آذيت أمير المؤمنين، فقال له: وأنت يا يحيى فلا يَغُرَّنَّك رفاهية العيش[1].

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٣٧٢)، وابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق (١/ ٣٦١٠)، وابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٢١٥)، وابن حزم في الأخلاق والسير (١/ ٧٠)، وابن جرير في تاريخه (٥/ ٢٢).

أنت أستاذنا

عن محمد بن عبد العزيز قال: قال حذيفة المرعشى: قَدِم شقيق البلخى مكة، وإبراهيم بن أدهم بمكة، فاجتمع الناس، فقالوا: نجمع بينهما، فجمعوا بينهما فى المسجد الحرام فقال إبراهيم بن أدهم لشقيق: يا شقيق، على ما أصَّلتُم أُصولكم؟ قال: أصَّلنا أُصولنا على أنَّا إذا رُزقنا أكلنا، وإذا مُنعنا صبرنا.

فقال إبراهيم بن أدهم: هكذا كلاب بلخ إذا رُزقت أكلت، وإذا مُنعت صبرت! فقال شقيق: على ماذا أصَّلتم أُصولكم يا أبا إسحاق؟ فقال: أصَّلنا أصولنا على أنَّا إذا رُزقنا آثرنا، وإذا مُنعنا حمدنا وشكرنا.

قال: فقام شقيق فجلس بين يديه، وقال: يا أبا إسحاق، أنت أستاذنا[1].

---

(١) عيون الحكايات (ص ٢٩٠).

كرهت أن يشغلني عما هو أنفع لي منه

۞ قال عبد الجبار الطائى: قال محمد بن يوسف: كنت بقزوين وبالرى، وكان يجلس معى رجل رَبُّ ضِياعٍ كثيرة بقزوين والرَّى، فلما أراد أن ينصرف خلا بى، فقال: إن لى إليك حاجة. قلت: وما حاجتك؟ قال: إن لى بنتًا وما لى ولدٌ غيرها، وقد أردت أن أُزوجك ابنتى، وأشهد لك بجميع ضِياعى، ثم أخرج أنا وأنت إلى أى بلد شئت، مكة، وإن شئت المدينة حتى نسكن بها، قلت: عافاك الله، لو أردت هذا الأمر لفعلت. قال: فقلت لمحمد ابن يوسف: فما منعك من ذلك؟ قال: كرهت أن يشغلنى عما هو أنفع لى منه، وما كنت أصنع بضياعه، وأنا قد تركت ما ورثت عن أبى من ضِياعه[1].

۞ وقال صالح بن مِهران[2]: كنتُ مع محمد بن يوسف فى طريق، فتلقَّاه نصرانى، فسلَّم عليه، وأكرمه فى مسألته[3]، إكرامًا أنكرته عليه، فلما ولى، قلتُ له: تصنع بهذا النصرانى هذا الصنيع؟ قال: إنك لا تدرى ما صنع هذا بأخى. قلت: وما صنع هذا بأخيك؟ قال: هذا رجل من أهل الرقة: نزل أخى ومعه تسعة من العُباد قرية لهم. فقال لغلامه: انظر من فى القرية؟ فرجع إليه، فقال: فى القرية قوم فى وجوههم سيما الخير، فجاء فنظر إليهم، فتوسم فيهم الخير، فرجع إلى منزله، فحمل إليهم مئة ألف درهم، فوصلهم بها، وقال: استعينوا بها على ما أنتم فيه. فأبَى واحدٌ منهم أن يقبل منه شيئًا[4].

---

(١) حلية الأولياء (٨/ ٢٢٦، ٢٢٧).

(٢) في حلية الأولياء (٨/ ٢٢٧) صالح بن مهدي.

(٣) في حلية الأولياء (٨/ ٢٢٧) تسليمه.

(٤) حلية الأولياء (٨/ ٢٢٧، ٢٢٨).

ورعٌ عجيب!!

۞ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ: كَتَبَ غُلَامُ حَسَّانَ بْنِ أَبِى سِنَانٍ إِلَيْهِ مِنَ الْأَهْوَازِ أَنَّ قَصَبَ السُّكَّرِ أَصَابَتْهُ آفَةٌ، فَاشْتَرِ السُّكَّرَ فِيمَا قِبَلَكَ، قَالَ: فَاشْتَرَاهُ مِنْ رَجُلٍ، فَلَمْ يَأْتِ عَلَيْهِ إِلَّا قَلِيلٌ، فَإِذَا فِيمَا اشْتَرَى رِبحَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، قَالَ: فَأَتَى صَاحِبُ السُّكَّرِ فَقَالَ: يَا هَذَا، إِنَّ غُلَامِى كَتَبَ إِلَىَّ وَلَمْ أُعْلِمْكَ، فَأَقِلْنِى فِيمَا اشْتَرَيْتُهُ مِنْكَ، قَالَ الْآخَرُ: قَدْ أَعْلَمْتَنِى الْآنَ، وَطَيَّبْتُهُ لَكَ، قَالَ: فَرَجَعَ وَلَمْ يَحْتَمِلْ قَلْبُهُ، قَالَ: فَأَتَاهُ وَقَالَ: يَا هَذَا إِنِّى لَمْ آتِ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَأُحِبُّ أَنْ تَسْتَرِدَّ هَذَا الْبَيْعَ، قَالَ: فَمَا زَالَ بِهِ حَتَّى رَدَّهُ عَلَيْهِ[1].

۞ وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ: أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ حَسَّانَ بْنِ أَبِى سِنَانٍ تُجَّارًا فِى سَفِينَةٍ فِى النَّهَرِ، فَتَلَقَّتْهُمْ سَفِينَةٌ تَحْمِلُ الْأُرْزَ، فَاشْتَرَوْا ذَلِكَ الْأُرْزَ كُلَّهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اجْعَلُوا لِحَسَّانَ سَهْمًا كَسَهْمِ رَجُلٍ مِنَّا، فَفَعَلُوا، فَبَاعُوا ذَلِكَ الْأُرْزَ، فَرَبِحُوا آلَافَ الدَّرَاهِمَ، فَأَصَابَ كُلَّ إِنْسَانٍ أَلْفَانِ، فَعَمَدُوا إِلَى أَلْفَىْ حَسَّانَ فَجَعَلُوهَا فِى كِيسٍ، ثُمَّ أَتَوْهُ بِهَا فَأَخْبَرُوهُ بِخَبَرِهَا، فَقَالَ لَهُمْ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ بِعْتُمْ هَذَا الْأُرْزَ بِوَضِيعَةٍ، كَانَتْ تَلْزَمُنِى الْوَضِيعَةُ مَعَكُمْ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِى بِهَا[2].

---

(١) الحلية (٣/ ١١٨)، وصفة الصفوة (٣/ ٣٣٧).

(٢) الحلية (٣/ ١١٨-١١٩).

كُن في الدنيا كالنَّحلة

۞ عَنْ سُفْيَانَ الثَّورِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَاهِبٌ إِلَى رَاهِبٍ فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتَ نَشَاطَكَ؟

قَالَ: مَا شَعَرْتُ أَنَّ أَحَدًا يَسْمَعُ بِذِكْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ تَأْتِي عَلَيْهِ سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ أَوْ لَيْلٍ لَا يُصَلِّي فِيهَا!

قَالَ: كَيْفَ ذِكْرُكَ لِلْمَوْتِ؟

قَالَ: مَا أَرْفَعُ رِجْلًا وَلَا أَضَعُ أُخْرَى إِلَّا رَأَيْتُ أَنِّي مَيِّتٌ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأُصَلِّيَ فَأَبْكِيَ حَتَّى يَنْبُتَ الْعُشْبُ مِنْ دُمُوعِي.

قَالَ: إِنَّكَ إِنْ تَضْحَكْ وَأَنْتَ مُعْتَرِفٌ لِلَّهِ بِخَطِيئَتِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَبْكِيَ وَأَنْتَ مُدِلٌّ بِعَمَلِكَ، فَإِنَّ صَلَاةَ الْمُدِلِّ لَا تَصْعَدُ فَوْقَهُ.

قَالَ: أَوْصِنِي؟

قَالَ: ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا، وَلَا تُنَازِعْ أَهْلَهَا، وَكُنْ فِيهَا كَالنَّحْلَةِ، إِنْ وَقَعَتْ عَلَى عُودٍ لَمْ تَكْسِرْهُ، وَإِنْ أَكَلَتْ أَكَلَتْ طَيِّبًا، وَإِنْ وَضَعَتْ وَضَعَتْ طَيِّبًا[1].

(١) الحلية (٧/ ٥٦).

كان مجبولاً على الكرم

۞ إنه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الذهبي عن شيخ الإسلام: «هُوَ أحد الأجواد الأسخياء الَّذين يُضْرَب بهم الْمثل»[1].

وقال الحافظ عمر البزَّار في «الأعلام العليَّة في مناقب ابن تيمية» (٦٣-٦٧):

كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مجبولًا على الْكَرم لَا يتطبعه وَلَا يتصنعه بل هُوَ لَهُ سجية وَقد ذكرت فِيمَا تقدم أَنه مَا شدّ على دِينَار وَلَا دِرْهَم قطّ بل كَانَ مهما قدر على شَيْء من ذَلِك يجود بِهِ كُله وَكَانَ لَا يرد من يسْأَله شَيْئًا يقدر عَلَيْهِ من دَرَاهِم وَلَا دَنَانِير وَلَا ثِيَاب وَلَا كتب وَلَا غير ذَلِك.

بل رُبمَا كَانَ يسْأَله بعض الْفُقَرَاء شَيْئًا من النَّفَقَة فَإِن كَانَ حِينَئِذٍ متعذرًا لَا يَدعه يذهب بِلَا شيء بل كَانَ يعمد إِلَى شيء من لِبَاسه فيدفعه إليه وَكَانَ ذَلِك الْمَشْهُور عِنْد النَّاس من حَاله.

۞ قال الشَّيْخ عبد الله بْن أَحْمَد بن سعيد: كنتُ يَوْمًا جَالِسًا بِحَضْرَة شيخ الإسلام ابْن تَيْمِية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فجَاء إنسان فَسلَّم عَلَيْهِ فَرَآهُ الشَّيْخ مُحْتَاجًا إِلَى مَا يعتم بِهِ فَنزع الشَّيْخ عمَامَته من غير أن يسْأَله الرجل ذَلِك فقطعها نِصْفَيْنِ واعتمَّ بِنِصْفِهَا وَدفع النّصْف الآخر إِلَى ذَلِك الرجل وَلم يحتشم للحاضرين عِنْده.

۞ كَانَ الشَّيْخُ مَارًّا يَوْمًا فِي بعض الأَزِقَّة فَدَعَا لَهُ بعض الْفُقَرَاء، وَعرف

(١) «العقود الدرية لابن عبد الهادي» (ص ٢٣).

الشَّيْخ حَاجته، وَلم يكن مَعَ الشَّيْخ مَا يُعْطِيهِ، فَنزع ثوبًا على جلده وَدفعه إليه، وَقَالَ: بِعْهُ بِمَا تيَسَّر وأنفقه، وَاعْتذر إليه من كَونه لم يحضر عِنْده شيءمن النَّفَقَة، وكَانَ لَا يرد أحدًا يسْأَله شَيْئا كتبه بل يَأْمُرهُ أَن يَأْخُذ هُوَ بِنَفسِهِ مَا يَشَاء مِنْهَا.

۞ وَحكى غير وَاحِدٍ مَا اشْتهر عَنهُ من كَثْرَة الإيثار وتَفَقُّد المحتاجين والغرباء ورقيقي الْحَال من الْفُقَهَاء والقُرَّاء واجتهاده فِي مصالحهم وصلاتهم ومساعدته لَهُم بل وَلكُل أَحْدٍ من الْعَامَّة والخاصة مِمَّن يُمكنهُ فعل الْخَيْر مَعَه وإسداء الْمَعْرُوف إليه بقوله وَفعله وَوَجهه وجاهه[1].

---

(١) «الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية» للبزار (ص ٥٠).

رحم الله أهل ذلك الزمان

۞ قال مصعب: كان الحكم بن المطلب من أبرّ الناس بأبيه، وكان أبوه- المطلب بن عبد الله- يحب ابنًا له يقال له «الحارث» حبًا شديدًا مفرطًا، وكانت بالمدينة جارية مشهورة بالجمال والفراهة، فاشتراها الحكم من أهلها بمالٍ عظيم، فقال له أهلها- وكانت مولدة عندهم-: دعها عندنا حتى نُصلح من شأنها، ثم نَزفُّها إليك بما تستأهل الجارية منا، فإنما هى مثل بناتنا.

فتركها عندهم حتى أصلحوا حالها، ثم نقلوها كما تزف العروس إلى زوجها، وتهيأ الحكم بأجمل ثيابه وتطيَّب. ثم انطلق، ثم بدأ بأبيه ليراه فى تلك الهيئة ويدعو له- تبرُّكًا بدعائه- حتى دخل عليه وعنده الحارث بن المطلب أخوه. فلما رآه أبوه فى تلك الهيئة أقبل عليه فقال: إنّ لى حاجة. قال:

ما تقول يا أبتِ؟! إنما أنا عبدك، فمُرنى بما أحببت. قال: تهب جاريتك هذه للحارث أخيك، وتعطيه ثيابك هذه الّتى عليك، وتُطيّبه من طِيبك، وتدعه حتى يدخل على هذه الجارية، فإنى لا أشكّ أنّ نفسه قد تاقت إليها! فقال له الحارث: لِمَ تُكدِّر على أخى وتفسد عليه قلبه؟! وذهب يريد أن يحلف. فبدره الحكم، فقال: هى حرة إن لم تفعل ما أمرك به أبى، فإن قرة عينه أَسَرُّ إلىَّ من هذه الجارية. وخلع ثيابه فألبسه إياها، وطيَّبه، ودفع إليه الجارية!! [1].

---

(١) لباب الآداب، للأمير أسامة بن منقذ (ص ٩٧-٩٨) بتصرف.

ورع ابن المبارك وكرمه

۞ قَالَ الْحَسَنُ: رأيت في منزل ابن المبارك حمامًا طيارة. فقال ابن المبارك: قد كنا ننتفع بفراخ هذه الحمام، فليس ننتفع بها اليوم قلت: ولِمَ ذلك؟ قال: اختلطت بها حمام غيرها فتزاوجت بها فنحن نكره أن ننتفع بشيء من فراخها من أجل ذلك.

۞ وعن حبان بن موسى قال: عوتب ابن المبارك فيما يَقرى من المال في البلدان ولا يفعل في أهل بلده كذلك، فقال: إني أعرف مكان قومٍ لهم فضلٌ وصدق وطلبوا الحديث وأحسنوا الطلب، فاحتاجوا،فإن تركناهم ضاع علمهم وإن أعنّاهم بَثُّوا العلم لأمة محمد ﷺ، ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بَثِّ العلم.

۞ وعن معاذ بن خالد قال: تعرَّفت إلى إسماعيل بن عياش بعبد الله بن المبارك، فقال إسماعيل بن عياش: ما على وجه الأرض مثل عبد الله بن المبارك، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير، إلا وقد جعلها في عبد الله بن المبارك، ولقد حدثني أصحابي: أنهم صحبوه من مصر إلى مكة، فكان يُطعمهم الخبيص،وهو الدهر صائم.

۞ وعن الحسن بن عرفة قال: قال لي ابن المبارك: استعرت قلمًا بأرض الشام، فذهب عليَّ (نسيت) أن أردَّه إلى صاحبه فلما قَدِمت مرو نظرت، فإذا هو معي، فرجعت يا أبا علي إلى أرض الشام حتى رددته على صاحبه.

۞ وقال المروزي: وأُخبرت عن داود بن رشيد قال: كان ابن المبارك عند أبي الأحوص، فجاء رسول فلان الهاشمي (بعض الولاة) فقال:

يُقرئك السلام، ويقول: يا أبا الأحوص هذا شهر رمضان وقد وسعنا على عيالنا وهذه ألف درهم توسع بها عليهم فى هذا الشهر. قال أبو الأحوص: فعل الله به وفعل به، وقال: قل له يدعها عنده حتى إذا احتجنا إليها بعثنا فأخذناها.

قال: وانسلَّ ابن المبارك إلى منزله فجاء بألف، فقال: يا أبا الأحوص هذه الألف تنفقها، فإنى لا آمن أن يكون قد بلغ أهلك فيخاصمونك، وهذه من وجه أرجو أن تكون أطيب .. فقبلها.

۞ وعن محمد بن فضيل بن عياض قال: رأيت عبد الله بن المبارك فى المنام، فقلت أى الأعمال وجدت أفضل؟ قال: الأمر الذى كنت فيه. قلت: الرباط والجهاد؟ قال: نعم قلت: فأى شيء صنع بك ربك؟ قال: غفر لى مغفرة ما بعدها مغفرة، وكلمتنى امرأة من أهل الجنة أو امرأة من الحور العين[1].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٣٣١-٣٣٨) بتصرف.

هذا هو محمد بن واسع رَحِمَهُ ٱللَّهُ

۞ عَنْ عبد العزيز بن أبى رَوَّاد قَالَ: رأيت فى يد محمد بن واسع قُرحة، فكأنه رأى ما شقّ علىَّ منها، فقال: تدرى ما لله علىَّ فى هذه القرحة من نعمة؟ قال: فسكتُّ، فقال: حيث لم يجعلها على حدقتى، ولا طرف لسانى، ولا على طرف ذَكَرى. قال: فهانت علىّ قُرحته.

۞ وعن ابن شوذب قال: قسم أمير البصرة على أهل البصرة، فبعث إلى مالك بن دينار، فقَبِل وأتاه محمد بن واسع، فقال: يا مالك قبلت جوائز السلطان قال: يا أبا بكر سَلْ جُلسائى، فقالوا: يا أبا بكر اشترى بها رقابًا فأعتقهم، فقال له محمد بن واسع: أنشدك الله أقلبك الساعة له على ماكان قبل أن يُجيزك؟ قال: اللهم لا، قال: ترى أىّ شىء دخل عليك؟ فقال مالك لجلسائه: إنما مالك حمار، إنما يعبد الله مثل محمد بن واسع.

۞ وعن ليث بن أبى سليم، عن محمد بن واسع قال: إذا أقبل العبد بقلبه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ أقبل الله عَزَّ وَجَلَّ إليه بقلوب المؤمنين.

۞ وعن سليمان التيمى قال: ما أحدٌ أحبّ إلىَّ أن ألقى الله عَزَّ وَجَلَّ بمثْل صحيفته، إلا محمد بن واسع.

۞ وعن حماد بن زياد قال: دخلنا على محمد بن واسع نعوده فى مرضه، فجاء يحيى البكّاء يستأذن، فقالوا يحيى البكاء، فقال: إن شر أيامكم يوم نُسبتم إلى البكاء.

۞ وعن عمران بن خالد قال: سمعت محمد بن واسع يقول: إنْ كان الرجل لَيبكى عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم.

۞ وعن إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض قال: قال مالك بن دينار: إني لأغبطُ الرجل يكون عيشه كفافًا فيقنع به، فقال محمد ابن واسع: أغبَطُ والله عندي من ذلك أن يصبح جائعًا، ويمسي جائعًا وهو عن الله ﷻ راضٍ.

۞ وعن محمد بن عبد الله الزرَّاد قال: رأى محمد بن واسع ابنًا له وهو يخطر بيده، فقال: ويحك تعالَ، تدرى من أنت؟ أمك اشتريتها بمائتى درهم، وأبوك فلا أكثر الله فى المسلمين مثله: تمشى هذه المشية؟.

وعن محمد بن مهزم قال: كان محمد بن واسع يصوم الدهر ويخفى ذلك.

۞ وعن ابن سلام، قال محمد بن واسع: ما آسى من الدنيا إلاّ على ثلاث: صاحب إذا اعوججت قوَّمنى، وصلاة فى جماعة يُحمل عنّى سهْوُها، وأفوز بفضلها وقوتٍ من الدنيا ليس لأحدٍ فيه منة، ولا لله ﷻ فيه تَبعة.

۞ وعن زياد بن الربيع، عن أبيه قال: رأيت محمد بن واسع بسوق مَرْو يعرض حمارًا له على البيع، فقال له رجل: أترضاه لى؟ قال: لو رضيتُه لك لم أبِعه.

۞ وعن أبى عامر قال: حدّثنى صاحبٌ لنا قال: لما ثقل محمد بن واسع كثر الناس عليه فى العيادة، قال: فدخلت فإذا قومٌ قيام وآخرون قُعود. فأقبل علىَّ، فقال: أخبرنى ما يُغنى هؤلاء عنى إذا أُخذ بناصيتى وقدمى غدًا، وأُلقيت فى النار؟ ثم تلا هذه الآية: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾[1][2].

---

(١) سورة الرحمن: الآية (٤١).

(٢) صفة الصفوة (٣/ ١٦٣-١٦٤) بتصرف.

عجبت من أَخْذِه ورَدِّه

۞ روى أنَّ أحمد بن حنبل خرج ذات يوم إلى شارع باب الشام اشترى دقيقًا، ولم يكنْ في ذلك الموضع مَنْ يحملُه، فوافى أيوب الحمَّال، فحمله، فدفع إليه أحمد أجرته، فلما دخل الدار بعد إذنه له اتفق أنَّ أهلَ الدار قد خبزوا ما كان عندهم من الدَّقيق، وتركوا الخبز على السرير ينشف، فرآه أيُّوب - وكان يصومُ الدَّهر- فقال أحمد لابنه صالح: ادفعْ إلى أيوب من الخبز. فدفع إليه رغيفَين فردَّهما، قال أحمد: ضَعْهما. ثم صَبرَ قليلًا ثم قال: خُذْهما فالحَقْه بهما. فلحقه، فأخذهما، فرجع صالح متعجِّبًا! فقال له أحمد: عجبتَ من ردِّه وأخذه؟ قال: نعم. قال: هذا رجلٌ صالحٌ، فرأى الخبز فاستشرفَتْ نفسُه إليه، فلما أعطيناه مع الاستشراف ردَّه ثم أيس، فردَدْناهُ إليه بعد الإياس فقبِل.

خرج من الدنيا فعادت إليه

❁ قال عبد الرحمن بن عمر:

وسمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول: والله لا تجد فقدَ شيءٍ تركته ابتغاء وجه الله ... كنتُ أنا وأخى شريكين، فأصبنا مالًا كثيرًا فدخل قلبى من ذلك شيءُ فتركته لله وخرجت منه، فما خرجت من الدنيا حتى ردَّ الله علىَّ ذلك المال عامته إلىَّ وإلى ولدى، زوَّج أخى ثلاث بنات من بَنىّ وزوَّجتُ ابنتى من ابنه، ومات أخى فورثه أبى، ومات أبى فورثته أنا، فرجع ذلك كله إلىَّ وإلى ولدى فى الدنيا [1].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٢٣٤).

لا أنصح أحداً بعدك

۞ عن ثابت البناني قال:

بلغنا أنَّ إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء.

فقال له: ما هذه المعاليق التي أراها عليك؟

قال: هذه الشهوات التي أصيب بها بني آدم.

فقال له يحيى عليه السلام: هل لي فيها شيء؟

قال: لا.

قال: فهل تصيب مني شيئًا.

قال: ربما شبعت فثقَّلناك عن الصلاة والذِّكر.

قال: هل غير ذا؟

قال: لا...

قال: لا جرم، والله لا أشبع أبدًا.

قال إبليس: لا جرم لا أنصح أحدًا أبدًا.

هكذا كان القضاء

۞ يُحكى أن ابنًا لشريح القاضى قال لأبيه: إنَّ بينى وبين قوم خصومة فانظر فإن كان الحق لى خاصمتهم[1] وإن لم يكن لى الحق لم أخاصمهم.

ثم قَصَّ قصته عليه فقال شريح: انطلِق فخاصمهم.

فانطلق إليهم فخاصمهم إليه فقضى شريح على ابنه. فقال ابنه له لما رجع إلى أهله: والله لو لم أتقدَّم إليك بطلب النُّصح لم أَلُمكَ... فضحتنى.

فقال شريح: والله يا بُنىّ لأنت أحبُّ إلىَّ من مِلْء الأرض مثلهم، ولكن الله هو أعزّ علىَّ منك، خشيت أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم على مال فتذهب ببعض حقهم.

---

(١) أي: قاضيتهم.

ذكاء الخليفة

۞ حكى ابن حمدون النديم أن الخليفة المعتضد العباسى كان قد شرط علينا أنَّا إذا رأينا منه شيئًا ننكره نقول له، وإن اطلعنا على عيب واجهناه به، فقلت له يومًا.

يا مولانا فى قلبى شىء أردت سؤالك عنه منذ سنين.

قال: ولِمَ أخَّرته إلى اليوم؟

قلت: لاستصغارى قدرى ولهيبة الخلافة.

قال: قُل ولا تخف.

قلت: اجتاز مولانا ببلاد فارس، فتعرَّض الغلمان للبطيخ الذى كان فى تلك الأرض فأمرت بضربهم وحبسهم، وكان ذلك كافيًا ثم أمرت بصلبهم، وكان ذنبهم لا يجوز عليه الصلب.

فقال: أَوَ تحسب أن المصلَّبين كانوا أولئك الغلمان؟ وبأى وجه كنت ألقى الله تعالى يوم القيامة لو صلبتهم لأجل البطيخ؟ وإنما أمرت بإخراج قوم من قُطَّاع الطريق كان وجب عليهم القتل، وأمرت أن يلبسوا أقبية[1] الغلمان وملابسهم إقامة للهيبة فى قلوب العسكر، ليقولوا: إذا صلب أخصَّ غلمانه على غصب البطيخ، فكيف يكون على غيره؟ وكنت قد أمرت بتلثيمهم ليستتر أمرهم على الناس.

---

(١) القباء: ثوبٌ يُلبس فوق الملابس.

الجواب الذكي

۞ كان الوزير على بن عيسى متزمتًا متخشنًا. وكان يحب أن يَبين فضلُه فى هذا على كل أحد ... دخل إليه يومًا أبو عمر القاضى، وعلى أبى عمر قميص فاخر، فأراد الوزير أن يُخجله، فقال له: يا أبا عمر، بكم اشتريت هذا القميص؟

فقال: بمائتى دينار.

فقال الوزير: ولكنى اشتريت لى هذه الدّرَّاعة[1] وهذا القميص الذى تحتها بعشرين دينارًا.

فقال له أبو عمر مسرعًا (كأنه قد أعدَّ له الجواب): الوزير أعزَّه الله يُجَمِّل الثياب، ولا يحتاج إلى المبالغة فيها، والكل يعلم أنه يَدَعْ هذا عن قدرة، ونحن نتجمَّلُ بالثياب فنحتاج إلى المبالغة فيها؛ لأنَّا نُلابس العوام[2] ومَن نحتاج إلى التفخيم عليه، وإقامة الهيبة فى نفسه بها.

فكأنما أُلقم الوزير حجرًا فسكت عنه.

---

(١) الدراعة: جبة مشقوقة المقدم.

(٢) نلابس العوام: أي: نخالطهم.

ذكاء المفتي

۞ كتب الأمير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الأندلس إلى الفقهاء يستدعيهم إليه، وكان عبد الرحمن قد نظر فى شهر رمضان إلى جارية له كان يحبها حبًّا شديدًا، فعبث بها، ولم يملك نفسه أن وقع عليها، ثم ندم ندمًا شديدًا.

فسأل الفقهاء عن توبته من ذلك وكفارته. فقال يحيى بن يحيى الليثى: يُكفِّر ذلك بصوم شهرين متتابعين.

فلما بدر يحيى بهذه الفُتيا سكت بقية الفقهاء. حتى خرجوا من عند الأمير، فقالوا ليحيى: ما لك لم تُفْتِه بمذهب الإمام مالك، فعنده أنه مُخَيَّر بين العتق، والطعام، والصيام؟

فقال: لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم يعتق رقبة، ولكن حملته على أصعب الأمور، لئلا يعود.

هكذا يفعل العقلاء

۞ قعد الخليفة المهدى قعودًا عامًا للناس، فدخل رجل وفى يده نعل فى منديل، فقال: يا أمير المؤمنين هذه نَعْلُ رسول الله ﷺ قد أهديتها لك.

فقال: هاتها. فدفعها إليه، فقبَّل المهدى باطنها ووضعها على عينيه، وأمر للرجل بعشرة آلاف درهم فلما أخذها وانصرف، قال المهدى لجُلسائه: أترون أنى لم أعلم أن رسول الله ﷺ لم يرَ النعل هذه، فضلًا عن أن يكون لبسها؟ غير أننا لو كذَّبناه قال للناس: أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله فردَّها علىَّ، وكان من يصدقه أكثر ممن يدفع خبره، إذ كان من شأن العامة الميل إلى أشكالها، بالنُّصرة للضعيف على القوى، وإن كان الضعيف ظالمًا فاشترينا وقبلنا هديته، وصدقنا قوله، ورأينا الذى فعلناه أنجح وأرجح.

ولا أقسم بالنَّفس اللَّوامة

۞ إنه الإمام مسروق بن الأجدع بن مالك.

سرق وهو صغير، ثم وُجد، فسُمِّى مسروقًا، وأسلم أبوه الأجدع. ولقى مسروقًا عمر بن الخطاب، فقال له: ما اسمك؟ فقال مسروق بن الأجدع، فقال: أنت مسروق بن عبد الرحمن، فثبت ذلك عليه.

۞ عن مسروق قال: بحسب المؤمن من الجهل أن يُعجب بعمله، وبحسب المؤمن من العلم أن يخشى الله.

۞ عن إسماعيل بن أمية قال: قيل لمسروق: لو أنك قصرت عن بعض ما تصنع (أى: من العبادة)، فقال: والله لو أتانى آتٍ، فأخبرنى أن الله لا يعذبنى لاجتهدت فى العبادة. قيل: وكيف ذلك؟ قال: حتى تعذرنى نفسى إن دخلت جهنم لا ألومها، أما بلغك فى قوله ﷻ: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[1]، إنما لاموا أنفسهم حين صاروا إلى جهنم واعتقبتهم الزبانية، وحِيل بينهم وبين ما يشتهون، وانقطعت عنهم الأمانى ورُفعت عنهم الرحمة، وأقبل كل امرئٍ منهم يلوم نفسه.

۞ عن أبى إسحاق قال: حَجَّ مسروق، فلم ينم إلا ساجدًا على وجهه حتى رجع.

۞ وعن أنس وابن سيرين: أن امرأة مسروق قالت: كان يصلى حتى تورمت قدماه، فربما جلست خلفه أبكى مما أراه يصنع بنفسه.

عن إبراهيم قال: كان مسروق يُرخى الستر بينه وبين أهله، ثم يُقبل على

---

(١) سورة القيامة: الآية: (٢).

صلاته ويخليهم ودنياهم.

۞ وعن **علقمة بن مرثد قال**: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، منهم مسروق بن الأجدع، فإن امرأته قالت: ما كان يوجد إلا وساقاه قد انتفختا من طول الصلاة، فلما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: مالى لا أجزع، وإنما هى ساعة، ولا أدرى أين يُسلَك بى؟ بين يدى طريقان لا أدرى إلى الجنة أم إلى النار؟

۞ وعن **الشعبى قال**: غُشى على مسروق فى يومٍ صائف وهو صائم، فقالت له ابنته: أفطر، قال: ما أردت بى؟ قالت: الرفق. قال: يا بنية إنما أطلب الرفق لنفسى فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.[1].

(١) صفة الصفوة (٣/ ١٥-١٦).

ما جعلته إلا لكم

۞ وها هو خيثمة بن عبد الرحمن (ابن أبى سبرة) رَحِمَهُ اللَّهُ الذى كان عنده مالٌ كثيرٌ فكان ينفقه على إخوانه من العلماء وطلبة العلم رجاء أن ينفع الله بهم فيكون ذلك فى ميزان حسناته.

۞ عن الأعمش قال: وَرِث خيثمة بن عبد الرحمن مائتى ألف درهم، فأنفقها على القُراء والفقهاء.

۞ وعن الأعمش قال: كان خيثمة يصنع الخبيص والطعام الطيب، ثم يدعو إبراهيم (يعنى: النخعى)، ويدعونا معه، فيقول: كلوا ما أشتهيه، ما أصنعه إلا من أجلكم.

۞ وعن الأعمش قال: ربما دخلنا على خيثمة، فيُخرج السلة من تحت السرير، فيها الخبيص والفالوذج، فيقول:ما أشتهيه كلوا، أما إنى ما جعلته إلا لكم، وكان موسرًا، كان يصرّ الدراهم، فإذا الرجل من أصحابه مخرق القميص أو الرداء أو به خلة تَحيَّنه، فإذا خرج من الباب خرج هو من باب آخر حتى يلقاه، فيعطيه،فيقول: اشترِ قميصًا اشترِ رداءً، اشترِ حاجة كذا.

۞ وعن طلحة، قال خيثمة: كانَ يُعجبهم أَن يموت الرَجل عند خيرٍ يعمله، إما حج، وإما عمرة وإما غزاة وإما صيام رمضان.

۞ وعن الأعمش قال: نَفِست امرأة المسيب بن رافع وهو غائب، فاشترى لها خيثمة خادمًا بستمائة.

۞ وعن خيثمة قال: تقول الملائكة:يا ربّ عبدك المؤمن تزوى عنه الدنيا، وتُعرضه للبلاء؟ قال: فيقول للملائكة: اكشفوا لهم عن ثوابه،فإذا

رأوا ثوابه قالوا: يا ربّ لا يضره ما أصابه فى الدنيا. قال: ويقولون: عبدك الكافر تزوى عنه البلاء، وتبسط له الدنيا؟ قال: فيقول للملائكة: اكشفوا لهم عن عقابه، قال: فإذا رأوا عقابه قالوا: يا رب لا ينفعه ما أصابه من الدنيا.

۞ **وعن محمد بن خالد الضّبى قال:** لم نكن ندرى كيف يقرأ خيثمة القرآن؟ حتى مرض فثقل، فجاءته امرأته، فجلست بين يديه، فبكت، فقال لها: ما يُبكيكِ؟ الموت لابد منه، فقالت له المرأة: الرجال بعدك علىّ حرام، فقال لها خيثمة: ما كل هذا أردت منكِ، إنما كنت أخاف رجلًا واحدًا، وهو أخى محمد بن عبد الرحمن، وهو رجل فاسق يتناول الشراب، فكرهت أن يشرب فى بيتى الشراب بعد أن كان القرآن يُتلى فيه كل ثلاث [1].

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ٥٣-٥٤) بتصرف.

عمرو بن قيس الملائي

۞ عن إسحاق بن خف: أقام عمرو بن قيس الملائى عشرين سنة صائمًا ما يعلم به أهله .. يأخذ غداءه ويغدو إلى الحانوت، فيتصدق بغذائه ويصوم، وأهله لا يدرون.

قال: وكان إذا حضرته الرقة (البكاء) يُحوِّل وجهه إلى الحائط ويقول لجلسائه: هذا الزكام، وإذا نظر إلى أهل السوق، قال: ما أغفل هؤلاء عما أُعد لهم.

۞ وعن **صالح بن أحمد بن عبد الله العجلى قال**: حدثنى أبى، عن أبيه عبد الله، قال: جاءت امرأة إلى عمرو بن قيس بثوب، فقالت: يا أبا عبد الله اشترِ هذا الثوب، واعلم أن غزله ضعيف. قال: فكان إذا جاءه إنسان يعرضه عليه، قال: إن صاحبته أخبرتنى أنه كان فى غزله ضعف حتى جاء رجل، فاشتراه، وقال: هذا برأناك منه.

۞ وعن **المحاربى قال**: قال لى سفيان: عمرو بن قيس هو الذى أدبنى، علَّمنى قراءة القرآن، وعلّمنى الفرائض، وكنت أطلبه فى سوقه، فإن لم أجده فى سوقه وجدته فى بيته، إما يصلى، وإما يقرأ فى المصحف، كأنه يبادر أمورًا تفوته، فإن لم أجده فى بيته وجدته فى بعض مساجد الكوفة فى زاوية من زوايا المسجد، كأنه سارق قاعدًا يبكى، فإن لم أجده وجدته فى المقبرة قاعدًا ينوح على نفسه، فلما مات عمرو بن قيس أغلق أهل الكوفة أبوابهم وخرجوا بجنازته، فلما خرجوا إلى الجبَّانة وبرزوا بسريره، وكان أوصى أن يصلى عليه أبوحيان التيمى، تقدم أبو حيان وكبَّر عليه أربعًا،

وسمعوا صائحًا يصيح: قد جاء المحسن. وإذا البرية مملوءة من طير أبيض لم يُرَ على خِلقتها وحُسنها، فجعل الناس يعجبون من حُسنها وكثرتها، فقال: أبو حيان: من أي شيء تعجبون؟ هذه الملائكة جاءت فشهدت عَمرًا (١).

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ٧٢-٧٣) بتصرف.

وجدوا قبره مفروشًا بالرَّيحان!!

۞ عن عمرو بن حفص بن غياث، عن أبيه قال: كنا ذات يوم عند ابن ذرّ وهو يتكلم، فذكر رواجف القيامة وزلزالها، فوثب رجل من بنى عجل، يقال له: ورّاد، فجعل يبكى ويصرخ ويضطرب، فحُمل من بين القوم صريعًا، فقال ابن ذر: ما الذى قصّر بنا وكَلَم قلبه حتى أبكاه؟ والله إنْ هذا يا أخا بنى عجل إلا من صفاء قلبك، وتراكُم الذنوب على قلوبنا.

۞ **وقال عمر، قال أبى**: وكنت أرى ورّادًا العجلى يأتى إلى المسجد مُقنَّع الرأس، فيعتزل ناحية فلا يزال مصليًا وباكيًا وداعيًا ما شاء الله من النهار، ثم يخرج فيعود فيصلّى الظهر، فهو كذلك بين صلاة وبكاء حتى يصلّى العشاء، ثم يخرج لا يكلم أحدًا، ولا يجلس إلى أحد، فسألت عنه رجلًا من حيِّه ووصفته له قلت: شاب من صفته من هيئته. فقال: بَخٍ يا أبا عمر، أتدرى عمَّن تسأل؟ ذاك ورّاد العِجلى، ذاك الذى عاهد الله ألا يضحك حتى ينظر إلى وجه رب العالمين. قال أبى: وكنت إذا رأيته بعدُ هِبته.

قال عمر: وحدثنى سُكين بن مسكين (رجل من بنى عجل)، قال: كانت بيننا وبين ورّاد قرابة، فسألت أختًا كانت له أصغر منه فقلت: كيف كان ليلُه؟ قالت: يبكى عامة الليل ويصرخ. قلت: فما كان طعامه؟ قالت: قُرصًا فى أول الليل، وقرصًا فى آخره، عند السَّحَر. قلت: فتحفظين من دعائه شيئًا؟ قالت: نعم، كان إذا كان السحر أو قريب من طلوع الفجر سجد، ثم بكى، ثم قال: مولاى عبدك يحبّ الاتصال بطاعتك فأعنه عليها بتوفيقك يا

أيها المنَّان، مولاى عبد ك يحب اجتناب سخطك، فأعنه على ذلك بمنِّك أيها المنَّان، مولاى ... عبدٌ عظيم الرجاء لخيرك، فلا تقطع رجاءه يوم يفرح الفائزون.

قالت: فلا يزال على هذا ونحوه حتّى يصبح.

قال: وكان قد كَلَّ من الاجتهاد جدًّا وتغير لونه.

قال سُكين: فلما مات ورّاد، فحُمل إلى حفرته نزلوا إليه ليدفنوه فى حفرته، فإذا اللّحد مفروش بالريحان، فأخذ بعض القوم الذين نزلوا إلى القبر من ذلك الريحان شيئًا، فمكث سبعين يومًا طريًا لا يتغير ... يغدو الناس ويروحون وينظرون إليه ... قال: فكثر الناس فى ذلك حتى خاف الأمير أن يفتتن الناس، فأرسل إلى الرجل فأخذ الريحان وفرَّق الناس.

قال: وفَقده الأمير من منزله لا يدرى كيف ذهب ؟[1].

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ٩٣-٩٤).

عبد الله بن إدريس

۞ عن الحسن بن الربيع قال: كنت عند عبد الله بن إدريس، فلما قمت قال لى: سَلْ عن سِعر الأشنان، فلما مشيت ردَّنى، وقال لى: لا تسأل فإنك تكتب عنى الحديث، وأنا أكره أن أسأل من يسمع عنى الحديث حاجة.

۞ وعن حمَّاد بن المؤمل قال: حدثنى شيخ على باب بعض المحدثين قال: سألت وكيعًا عن مقدِمه هو وابن إدريس، وحفص على هارون الرشيد، فقال: كان أول من دعا به أنا،فقال لى هارون: يا وكيع إن أهل بلدك طلبوا منى قاضيًا، وسمَّوك لى فيمن سمّوا، وقد رأيت أن أُشركك فى أمانتى، فقلت: يا أمير المؤمنين أنا شيخ كبير وإحدى عينى ذاهبة والأخرى ضعيفة، فقال هارون: اللهم غُفرًا، خذ عهدك أيها الرجل وامضِ، فقلت: يا أمير المؤمنين، والله لئن كنت صادقًا إنه لاينبغى أن يُقبل منى، ولئن كنت كاذبًا، فما ينبغى أن تولى القضاء كذابًا. فقال: اخرج،فخرجت.

ودخل ابن إدريس، فسمعنا وقع ركبتيه على الأرض حين بَرَك، وما سمعناه يُسلّم إلا سلامًا خفيًّا، فقال له هارون: أتدرى لِمَ دعوتك؟ قال: لا.قال: إن أهل بلدك طلبوا منى قاضيًا، و إنهم سمّوك لى فيمن سمّوا، وقد رأيت أن أُشركك فى أمانتى، وأُدخلك فى صالح ما أدخُل فيه من أمر هذه الأمة،فخذ عهدك وامضِ، فقال له ابن إدريس: وأنا وددت أنى لم أكن رأيتك ... فخرج.

ثم دخل حفص، فقَبِل عهده، فأتى خادم معه ثلاثة أكياس فى كل كيس خمسة آلاف، فقال لى: إن أمير المؤمنين يُقرئك السلام، ويقول لكم: قد لزمتكم فى شخوصكم مؤونة، فاستعينوا بهذه فى سفركم.

قال وكيع: فقلت له: أقرئ أمير المؤمنين السلام،وقل له: قد وقعت منى بحيث يحب أمير المؤمنين، وأنا مُستغنٍ عنها، وأما ابن إدريس فصاح به: مُرّ من ها هنا،... وقبلها حفص.

وخرجت الرقعة إلى ابن إدريس من بيننا: عافانا الله وإياك، سألناك أن تدخل فى أعمالنا فلم تفعل،ووصلناك من أموالنا فلم تقبل، فإذا جاءك ابنى المأمون، فحدِّثه إن شاء الله. فقال للرسول: إذا جاءنا مع الجماعة حدّثناه إن شاء الله ثم مضينا فلما صرنا إلى الياسريّة التفت ابن إدريس إلى حفص فقال: قد علمت أنك ستبلى، والله لا أكلمك حتى تموت فما كلمه حتى مات.

۞ **وعن محمد بن المنذر قال:** حَجَّ الرشيد، ومعه الأمين والمأمون، فدخل الكوفة، فقال لأبى يوسف: قل للمحدّثين يأتونا يحدّثونا، فلم يتخلف عنه من شيوخ الكوفة إلا اثنان: عبد الله بن إدريس، وعيسى بن يوسف. فركب الأمين والمأمون إلى عبد الله بن إدريس، فحدّثهما بمائة حديث، فقال: المأمون لعبد الله بن إدريس: يا عمّ أتاذن لى أن أعيدها عليك من حفظى؟ قال: افعل، فأعادها عليه، فعجب عبد الله، فقال المأمون: يا عمّ إلى جانب مسجدك دار إن أذنت لنا اشتريناها، ووسّعنا بها المسجد، فقال: ما لى إلى هذا حاجة، قد أجزأ من كان قبلى، وهو يُجزئنى، فنظر إلى قرح فى ذراع الشيخ، فقال: إن معنا متطببين وأدوية، أتأذن أن يجيئك من يعالجك ؟ قال: لا، قد ظهر بى مثل هذا وبرأ، فأمر له بمال فأبى أن يقبله.

۞ **قال حسين بن عمرو العنقزى:** لما نزل بابن إدريس الموت بكت ابنته، فقال: لاتبكى فقد ختمت القرآن فى هذا البيت أربعة آلاف ختمة [1].

(١) صفة الصفوة (٣/ ٩٦-٩٨).

الله يقضي دَينه

۞ عن محمد بن حامد قال: كنت جالسًا عند أحمد بن خضرويه وهو فى النزع، وكان قد أتى عليه خمسٌ وتسعون سنة، فسُئل عن مسألة فدمعت عيناه وقال: يا بُنى ... بابٌ كنت أَدُقُّه خمسًا وتسعين سنة هو ذا يُفتح لى الساعة، لا أدرى أيفتح لى بالسعادة أو بالشقاوة أنَّى لى أوان الجواب؟.

وكان قد رَكِبه من الدَّين سبعمائة دينار، وحضره غرماؤه فنظر إليهم فقال: اللَّهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم فأدِّ عنى، قال: فدقَّ داقٌّ الباب وقال: هذه دار أحمد بن خضرويه؟ فقالوا: نعم. قال: أين غرماؤه؟ قال: فخرجوا فقضى عنه ثم خرجت روحه[1].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٣٥٠-٣٥١).

هذا والله المُلك

۞ عن أشعث بن شعبة المصيصى قال: قَدِم هارون الرشيد الرَّقة فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة، وأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج من قصر الخشب، فلما رأت الناس قالت: ما هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان قدم الرقة يقال له: عبد الله بن المبارك. فقالت: هذا والله المُلك لا مُلْك هارون الذى لا يجمع الناس إلا بشُرطٍ وأعوان[1].

(١) صفة الصفوة (٤/ ٣٣٢).

لم يُرَ مثل الكريم إذا حَلَّ به مطيع

۞ عن والان بن عيسى أبى مريم، (رجل من أهل قزوين كان من الصالحين) قال: غرَّنى القمر ليلة فخرجت إلى المسجد فصليت ما قضى الله لى، وسبَّحت ودعوت، فغلبتنى عيناى، فرأيت جماعة أعلم أنهم ليسوا من الآدميين بأيديهم أطباق عليها أرغفة ببياض الثلج، فوق كل رغيف دُرٌّ أمثال الرمان، فقالوا: كُلْ. قلت: أريد الصوم. قالوا: يأمرك صاحب هذا البيت أن تأكل، فأكلت وجعلت آخذ ذلك الدُّر لأحتمله، فقيل لى: دَعْهُ نغرسه لك شجرًا ينبت لك خيرًا من هذا. فقلت: أين؟ فقيل: فى دار لا تَخرب، وثمر لا يتغير، ومُلكٍ لا ينقطع، وثياب لا تبلى، فيها رِضى وغِنى وقرة العين أزواج وضيئات مرضيات راضيات، لا يَغرن ولا يُغرن، فعليك بالانكماش فيما أنت فيه، فإنما هى غفوة حتى ترتحل فتنْزل الدار.

فما مكث إلا جُمعتين حتى توفى.

قال السرى بن يحيى: فرأيته فى الليلة التى توفى فيها وهو يقول لى: لا تعجب من شىء غُرس لى يوم حدثتك وقد حَمل. قلت: حَمل بماذا؟ قال: لا تسأل بما لا يقدر على صفته أحد، لم يُرَ مثل الكريم إذا حَلَّ به مطيع[1].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٢٩١).

كيف أدعو لكم.. وألفٌ يدعون عليكم

۞ عن الحسين بن زياد قال: سمعت منيعًا يقول: مَرّ تاجرٌ بعشَّار[1] فحبسوا عليه سفينته، فجاء إلى مالك بن دينار فذكر ذلك له. قال: فقام مالك فمشى إلى العُشَّار، فلما رأوه قالوا: يا أبا يحيى ألا تبعث إلينا حاجتك؟ قال: حاجتى أن تُخَلُّوا سفينة هذا الرجل. قالوا: قد فعلنا. قال: وكان عندهم كُوز يجعلون فيه ما يأخذون من الناس من الدراهم، فقالوا: ادْعُ الله لنا يا أبا يحيى. قال: قولوا للكوز يدعو لكم، كيف أدعو لكم وأَلْفٌ يَدعون عليكم؟ أترى يُستجاب لواحد ولا يُستجاب لألف؟[2].

---

(١) العشَّار: من يأخذ ضريبة العُشر، وهو ما فُرض من زكاة الأرض التى أسلم أهلها عليها، وهى التى أحياها المسلمون من الأرضين والقطاع ثم صار هذا اللقب يُطلق على كل جابى للضرائب.

(٢) صفة الصفوة (٣/ ١٧٠).

ولكنك استمعت ورضيت

۞ **عن كهمس بن عبد الله قال:** سمعت ميمون بن سياه - وكان أكبر من الحسن - يقول: تذاكروا عندى رجلًا من هؤلاء السلاطين، فوقعوا فيه، ولم أذكر منه خيرًا ولا شرًا، فانقلبت إلى بيتى، فرقدت فرأيت فيما يرى النائم، كأن بين يدىّ جيفة زنجى ميت منتفخ مُنتن، وكأن قائمًا على رأسى يقول لى كُلْ، قلت: يا عبد الله ولِمَ آكل؟ قال: بما اغتيب عندك فلان، قال: قلت: ما ذَكرت منه خيرًا ولا شرًا. فقال: ولكنك استمعت ورضيت.

عن حزم قال: كان ميمون بن سياه لا يَغتاب، ولا يدع أحدًا يغتاب عنده، ينهاه فإن انتهى وإلا قام عنه. أسند ميمون، عن أنس بن مالك[1].

۞ **أقول:** واعلم أيها الأخ الحبيب أن الذى يستمع للغيبة مشارك للمغتاب فى الوزر... والدليل على ذلك أنه فى قصة توبة ماعز الأسلمى ﵁ جاء فى بعض الروايات أنه لما رجم رسول الله ﷺ «ماعزًا» فى الزنا قال رجل لصاحبه: هذا رُجم رَجم الكلب فمرَّ رسول الله ﷺ وهما معه بجيفة فقال: «**انهشا منها**» فقالا: ننهش جيفة؟! فقال: «**ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه**»[2].

۞ والشاهد هو قول النبى ﷺ: «**ما أصبتما**» فحكم على المستمع أنه إن لم يدفع الغيبة عن أخيه فهو والمغتاب فى الوزر سواء.

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ١٤٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٤٤/ ٨٤١)، والنسائى بسندٍ جيد وأصله فى صحيح مسلم.

من أحوال حسان بن أبي سنان

۞ عن عبد المؤمن بن عبَّاد قال: لقى حسان بن أبى سنان رجل به رَهَقٌ، وكان مع حسان رجل، قال: فسأله حسان مسألة لطيفة، فقال له الرجل: تسأل هذا مثل هذه المسألة حتى يظن فى نفسه أنه شىء؟ قال: ومايدريك لعله تكون فى هذا خصلة يحبها الله، وفيك خصلة يبغضها الله ﷻ؟

قال: فقال: يا أبا عبد الله وما هذه الخصلة التى فيه يحبها الله ﷻ، وما الخصلة التى فىَّ يبغضها الله ﷻ؟ قال: لعله أن يكون حين رآك حدثته نفسه أنك خير منه، ولعلك حين رأيته حدثتك نفسك أنك خير منه.

۞ وقال مهدى بن ميمون: رأيت حسان بن أبى سنان، فى مرضه، فقيل له: كيف تجدك؟ قال: بخير إن نجوت من النار. فقيل له: فما تشتهى؟ قال: ليلةً بعيدة ما بين الطرفين أُحْيى ما بين طرفيها.

۞ وقال ابن شوذب: كان حسان بن أبى سنان رجلًا من تجار أهل البصرة له شريك بالبصرة، وهو مقيم بالأهواز يجهز على شريكه بالبصرة، ثم يجتمعان على رأس كل سنة يتحاسبان، ثم يقتسمان الربح، فكان يأخذ قوته من ربحه ويتصدق بما بقى، وكان صاحبه يبنى الدور ويتخذ الأرضين. قال: فقدم حسان البصرة قَدْمَةً، ففرّق ما أراد أن يفرّق، فذُكر له أهل بيت لم تكن حاجتُهم ظَهرت. فقال: أما تخبرونا؟ فاستقرض لهم ثلاث مائة درهم، فبعث بها إليهم.

۞ وقال موسى بن هلال: حدثنى رجل كان جليسًا لنا، وكانت امرأة حسان مولاة له قال: حدثتنى امرأة حسان بن أبى سنان قالت: كان يجىء، فيدخل معى فى فراشى، قالت: ثم يخادعنى كما تُخادع المرأةُ صبيّها، فإذا

علم أنى قد نمْتُ سَلَّ نفسه فخرج، ثم يقوم فيصلّى. قالت: فقلت له: يا أبا عبد الله كم تعذّب نفسك؟ ارفق بنفسك، فقال: اسكتى ويحك، فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زمانًا.

۞ **وعن عمارة بن زاذان قال:** كان حسان يفتح باب حانوته، فيضع الدواة، وينشر حسابه، ويُرخى ستره، ثم يصلى، فإذا أحس بإنسان قد جاء يُقبل على الحساب يُريه أنه كان فى الحساب [1].

(١) صفة الصفوة (٣/ ٢٠٤-٢٠٥) بتصرف

إنهم يرضون بالقليل

۞ **عن أحمد بن محمد البزَّاز قال**: كنت بعبادان وكانت ليلة عاشوراء، فدخلت إلى دار السبيل فرأيت فقيرًا جالسًا يأكل خبز الشعير وملحًا جريشًا، فاحترق قلبى عليه وكان معى ألف دينار للتفرقة بعبادان فسألت عنه فقيل، هو أفضل مَن هاهنا فى الزهد ومنازلة الفقر، فقلت فى نفسى: أعطيه الدنانير التى معى فإنى لا أعرف المستحقين.

فلما أصبحنا قصدته وسلَّمت عليه وجلست إليه وباسطنى وباسطته فقلت له: رأيت الشيخ البارحة يأكل خبز الشعير وملحًا جريشًا وأعلم أنه كان صائمًا فحملت إليه شيئًا ليتحكم فيه... وقدَّمت إليه الكيس وقلت له هو ألف دينار فشدّد النظر وقال: خذه فإن هذا جزاء من أفشى سرّه إلى الناس.[(١)].

شربة لعطش يوم القيامة

۞ **عن سويد بن سعيد قال**: رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى زمزم، فاستقى منها، ثم استقبل الكعبة، فقال: اللَّهم إن ابن أبى الموالى حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبى ﷺ أنه قال: «**ماء زمزم لما شُرب له**»[(٢)] وهذا أشربه لعطش القيامة، ثم شربه.[(٣)].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٢٧٥).

(٢) رواه أحمد وابن أبي شيبة وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٢).

(٣) صفة الصفوة (٤/ ٣٣٢).

كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ

۞ عن نعيم بن حماد قال: كان عبد الله بن المبارك يُكثر الجلوس فى بيته فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبى ﷺ؟

۞ وعن شقيق بن إبراهيم قال: قيل لابن المبارك: إذا صليت معنا لم تجلس معنا؟ قال: أذهب أجلس مع الصحابة والتابعين. قلنا له: ومن أين الصحابة والتابعون؟ قال: أذهب أنظر فى علمى فأُدرك آثارهم وأعمالهم، ما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس، فإذا كانت سنة مائتين فالبعد من كثير من الناس أقرب إلى الله، وفِرَّ من الناس كفِرارك من أسد، وتمسَّك بدينك يَسلمُ لك.[1].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٣٣١).

ما لي ولهذا الخلق

۞ إنه الإمام الحافظ شيخ الإسلام محمد بن أسلم الطوسى.

قال أبو عبد الله: قال لى محمد بن أسلم: يا أبا عبد الله ما لى ولهذا الخلق؟ كنت فى صُلب أبى وحدى، ثم صرت فى بطن أمى وحدى، ثم دخلت الدنيا وحدى، ثم يُقبض روحى وحدى، ثم أدخل فى قبرى وحدى، ثم يأتينى منكر ونكير فيسألانى وحدى، فإن صرت إلى خيرٍ صرت وحدى، ثم يوضع عملى وذنوبى فى الميزان وحدى، وإن بُعثت إلى الجنة بُعثت وحدى، وإن بُعثت إلى النار بُعثت وحدى فمالى وللناس؟ ثم تفكر ساعة فوقعت عليه الرعدة حتى خشيت أن يسقط، وصحبته نيفًا وعشرين لم أره يصلى حيث أراه ركعتين من التطوع إلا يوم الجمعة، ولا يُسبِّح ولا يقرأ حيث أراه ولم يكن أحد أعلم بسره وعلانيته منى.

وسمعته يحلف كذا وكذا مرة: لو قدرت أن أتطوع حيث لا يرانى مَلَكاى لفعلت، ولكنى لا أستطيع ذلك (خوفًا من الرياء).

وكان يدخل بيتًا ويغلق بابه، ويُدخل معه كوزًا من ماء فلم أدرِ ما يصنع؟ حتى سمعت ابنًا له صغيرًا يحكى بكاءه فنهته أمه، فقلت لها: ما هذا البكاء؟ فقالت: إن أبا الحسن يدخل هذا البيت فيقرأ القرآن ويبكى فيسمعه الصبى فيحكيه.

وكان إذا أراد أن يخرج غسل وجهه، واكتحل، ولا يُرى عليه أثر البكاء.

وكان يصل قومًا ويعطيهم ويكسوهم، فيبعث إليهم، ويقول للرسول: انظر أن لا يعلموا مَن بعثه إليهم؟ ويأتيهم هو بالليل، فيذهب به إليهم، ويخفى نفسه فربما بليت ثيابهم ونفد ما عندهم، ولا يدرون من الذى

أعطاهم؟ ولا أعلم منذ صحبته وصل أحدًا بأقل من مائة درهم إلا أن لا يمكنه ذلك، وكنت أخبز له فما نخلت له دقيقًا إلا أن أعصيه. وكان يقول لي: اشترِ لي شعيرًا أسود قد تركه الناس فإنه يصير إلى الكنيف، ولا تشترى لي إلا ما يكفيني يومًا بيوم.

وكان يقول: والله الذي لا إله إلا هو ما رأيت نفسًا تصلي إلى القبلة شرًّا عندي من نفسي. ودخلت عليه قبل موته بأربعة أيام بنيسابور، فقال: يا أبا عبد الله تعالَ أُبشرك بما صنع الله بأخيك من الخير، قد نزل بي الموت وقد مَنَّ الله عليَّ أنه ليس عندي درهم يحاسبني الله عليه. وقد علم ضعفي فإني لا أطيق الحساب فلم يدع عندي شيئًا يحاسبني عليه، ثم قال: أغلق الباب ولا تأذن لأحد عليَّ حتى أموت، واعلم أني أخرج من الدنيا وليس أدَعْ ميراثًا غير كسائي ولبدي وإنائي الذي أتوضأ فيه، وكتبي.

وكانت معه صرة فيها نحو ثلاثين درهمًا، فقال: هذا لابني أهداه إليه قريب له ولا أعلم شيئًا أحَلَّ لي منه؛ لأن النبي ﷺ قال: «**أنت ومالك لأبيك**»[1]. فكفنوني منها، فإن أصبتم لي بعشرة دراهم ما يستر عورتي فلا تشتروا بخمسة عشر، وابسطوا على جنازتي لبدي وغطوا عليَّ بكسائي، وتصدقوا بإنائي، أعطوه مسكينًا يتوضأ منه، ثم مات اليوم الرابع.

وعن **أبي عبد الله محمد بن القاسم الطوسي، خادم ابن أسلم قال**: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: لم أسمع بعالم منذ خمسين سنة كان أشد تمسكًا بأثر النبي ﷺ من محمد ابن أسلم.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، وأبو داود، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٤٨٦، ١٤٨٧).

قال أبو عبد الله: وكتب إليَّ أحمد بن نصر أن اكتب إليَّ بحال محمد بن أسلم، فإنه ركن من أركان الإسلام.[١].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٤٢٤-٤٢٥) بتصرف.

حالٌ ما أقام عليها عاقل

۞ عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: كان عبد الرحمن بن يزيد ابن معاوية خِلًّا لعبد الملك بن مروان، فلما مات عبد الملك بن مروان وتصدَّع الناس عن قبره وقف عليه فقال: أنت عبد الملك الذى كنت تعدنى فأرجوك، وتوعدنى فأخافك، أصبحت وليس معك من ملكك غير ثوبيك، وليس لك منه غير أربعة أذرع فى عرض ذراعين.

ثم أنكفأ إلى أهله واجتهد فى العبادة حتى صار كأنه شَنٌّ بالٍ فدخل عليه بعض أهله فعاتبه فى نفسه وإضراره لها. فقال للقائل: أسألك عن شىء تصدقنى عنه؟ قال: نعم. قال: أخبرنى عن حالتك التى أنت عليها أترضاها للموت؟ قال: اللَّهم لا. قال: أفتأمن من أن يأتيك الموت على حالك التى أنت عليها؟ قال: اللَّهم لا. قال: حالٌ ما أقام عليها عاقل، ثم أنكفأ إلى مُصلاه[1].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٣٨٨-٣٨٩).

بيت لا سقف له

۞ عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم: أبو مسلم الخولانى، فإنه لم يكن يجالس أحدًا يتكلم فى شىء من أمر الدنيا إلا تحول عنه، فدخل ذات يوم المسجد، فنظر إلى نفر قد اجتمعوا فرجا أن يكونوا على ذكر الله تعالى، فجلس إليهم وإذا بعضهم يقول: قدم غلامى فأصاب كذا وكذا. وقال الآخر: جهزت غلامى.

فنظر إليهم وقال: سبحان الله أتدرون ما مثلى ومثلكم؟ كمثل رجل أصابه مطرٌ غزيرٌ وابل فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين فقال: لو دخلت هذا البيت حتى يذهب هذا المطر، فدخل فإذا البيت لا سقف له، ... جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على ذكر وخير فإذا أنتم أصحاب دنيا.[1].

(١) صفة الصفوة (٤/ ٣٨٤-٣٨٥).

عالجت لساني عشرين سنة قبل أن يستقيم لي

۞ **عن الأوزاعى قال:** لم يكن بالشام رجل يُفضَّل على عبد الله بن أبى زكريا. قال: عالجت لسانى عشرين سنة قبل أن يستقيم لى.

۞ **عن على بن أبى جملة قال:** قال عبد الله بن أبى زكريا الدمشقى: عالجت الصمت عما لا يعنينى عشرين سنة قبل أن أقدر منه على ما أريد. قال: وكان لا يدع أحدًا يغتاب فى مجلسه أحدًا. يقول: إن ذكرتم الله أعنَّاكم وإن ذكرتم الناس تركناكم.

۞ **وعن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر:** أن عبد الله بن أبى زكريا كان يقول: لو خُيرت بين أن أُعمَّر مائة سنة فى طاعة الله، أو أن أُقبض فى يومى هذا، أو فى ساعتى هذه لاخترت أن أُقبض شوقًا إلى الله ﷻ وإلى رسوله وإلى الصالحين من عباده.

۞ **وقال الوليد بن سليمان الدمشقى:** سمعت أبى يذكر قال: كان عبد الله بن أبى زكريا إذا خاض جلساؤه فى غير ذكر الله كأنه ساهٍ، وإذا خاضوا فى ذكر الله كان من أحسن الناس استماعًا.[1].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٣٩٠).

أشتهي من ربي ثلاث خصال

❁ إنه يوسف بن أسباط رَحِمَهُ اللَّهُ:

قالت زوجته: كان يقول: أشتهى من ربى ثلاث خصال. قلت: وما هن؟ قال: أشتهى أن أموت حين أموت وليس فى مُلكى درهم، ولا يكون علىَّ دَينٌ، ولا على عظمى لحم. قالت: فأُعطى ذلك كله.

ولقد قال لى فى مرضه: أبقى عندك نفقة؟ فقلت: لا. قال: فماذا ترين؟ قلت: أُخرج هذه الخابية للبيع، فقال: يعلم الناس بحالنا ويقولون ما باعوها إلا وثَمَّ حاجة شديدة، فأخرج إلىَّ شيئًا كان أهداه إليه بعض إخوانه فباعه بعشرة دراهم، وقال: اعزلى منها درهمًا لحنوطى، وأنفقى باقيها، فمات وما بقى غير الدرهم.

❁ وعن القرقسانى: أُتى يوسف بن أسباط بباكورة ثمرة فقبلها، ثم وضعها بين يديه وقال: إن الدنيا لم تُخلق ليُنظر إليها وإنما خُلقت ليُنظر بها إلى الآخرة.

❁ وعن أبى جعفر الحذَّاء قال: سألت شعيب بن حرب عن يوسف بن أسباط فقال: ما أُقدِّم عليه أحدًا من هذه الأمة. البر عشرة أجزاء تسعة منها فى طلب الحلال وسائر البر فى جزءٍ واحد، وقد أخذ يوسف التسعة وشَرَك الناس فى العاشر.

❁ وعن تميم بن سلم: قلت ليوسف بن أسباط: ما غاية الزهد؟ قال: لا تفرح بما أقبل. ولا تأسف على ما أدبر. قلت: فما غاية التواضع؟ قال: أن تخرج من بيتك فلا تَلقى أحدًا إلا رأيت أنه خيرٌ منك.

۞ وعن عبد الله بن حبيق عن أبيه قال: قال لي يوسف بن أسباط: خرجت سَحَرًا لأؤذن، فإذا عليَّ ليلٌ، فقعدت. فإذا أسود مقبل وفي يده حجر يريد أن يضربني ووراءه شيء أبيض، بيده حجر يريد أن يصرفه عني فصرفه، فقلت: هذان شيطانان يريدان أن يرياني أني رجل صالح. فقلت: كلاكما شيطانان. فطارا.[1]

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٤٢٦-٤٢٧) بتصرف.

لكل بابٍ واحدٌ منهم

۞ عن هشام - يعنى ابن حسان - قال:

خرجنا حُجَّاجًا فنزلنا منزلًا فى بعض الطريق فقرأ رجل كان معنا هذه الآية: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [١]. فسمعت امرأة، فقالت: أعِدْ رحمك الله فأعادها. فقالت: خلَّفتُ لى فى البيت سبعة أَعْبُد أُشهدكم أنهم أحرار. لكل بابٍ واحدٌ منهم. [٢].

---

(١) سورة الحجر: الآية: (٤٤).

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٥٢٤).

فلماذا العُجب؟!

۞ حُكِىَ عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِى صُفْرَةَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ يَسْحَبُهَا وَيَمْشِى الْخُيَلَاءَ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، مَا هَذِهِ الْمِشْيَةُ الَّتِى يُبْغِضُهَا اللهُ وَرَسُولُهُ؟ فَقَالَ الْمُهَلَّبُ: أَمَا تَعْرِفُنِى؟ فَقَالَ: بَلْ أَعْرِفُكَ، أَوَّلُكَ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ، وَآخِرُكَ جِيفَةٌ قَذِرَةٌ، وَحَشْوُكَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ بَوْلٌ وَعَذِرَةٌ. فَأَخَذَ ابْنُ عَوْفٍ هَذَا الْكَلَامَ فَنَظَمَهُ شِعْرًا فَقَالَ:

عَجِبْتُ مِنْ مُعْجَبٍ بِصُورَتِهِ ... وَكَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً مَذِرَهْ
وَفِي غَدٍ بَعْدَ حُسْنِ هَيْئَتِهِ ... يَصِيرُ فِي الْأَرْضِ جِيفَةً قَذِرَهْ
وَهُوَ عَلَى عُجْبِهِ وَنَخْوَتِهِ ... مَا بَيْنَ يَوْمَيْنِ يَحْمِلُ الْعَذِرَهْ

وَقَدْ كَانَ الْمُهَلَّبُ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يَخْدَعَ نَفْسَهُ بِهَذَا الْجَوَابِ غَيْرِ الصَّوَابِ، وَلَكِنَّهَا زَلَّةٌ مِنْ زَلَّاتِ الِاسْتِرْسَالِ، وَخَطِيئَةٌ مِنْ خَطَايَا الْإِدْلَالِ.

ذاك مثل هذا!!

۞ قال رجل لإياس بن معاوية: لو أكلتُ التمر تضربنى؟ قال: لا. قال: لو شربتُ قِدْرًا من الماء تضربنى؟ قال: لا. قال: شراب التمر - النبيذ- أخلاط منها، فكيف يكون حرامًا؟! ... قال إياس: لو رميتك بالتراب أيوجع؟ قال: لا. قال: لو صببتُ عليك قِدْرًا من الماء، أينكسر عضو منك؟ قال: لا. قال: لو صنعتُ من الماء والتراب طوبًا فجفَّ فى الشمس فضربتُ به رأسك، كيف يكون؟ قال: ينكسر الرأس، قال إياس: ذاك مثل هذا.

الليث بن سعد يرفض مُلك مصر

۞ قَالَ يَحْيَى بنُ بُكَيْرٍ:

قَالَ اللَّيْثُ: قَالَ لِي المَنْصُوْرُ: تَلِي لِي مِصْرَ؟ فَاسْتَعْفَيْتُ. قال: أما إذ أَبَيْتَ، فَدُلَّنِي عَلَى رَجُلٍ أُقَلِّدُهُ مِصْرَ. قُلْتُ: عُثْمَانُ بنُ الحَكَمِ الجُذَامِيُّ، رَجُلٌ لَهُ صَلاَحٌ، وَلَهُ عَشِيْرَةٌ. قَالَ: فَبَلَغَ عُثْمَانَ ذَلِكَ، فَعَاهَدَ الله ألا يكلم الليث.[1].

ورع زين العابدين

۞ قَالَ رَجُلٌ لابْنِ المُسَيِّبِ: مَا رَأَيْتُ أَوْرَعَ مِنْ فُلاَنٍ!!

قَالَ ابنُ المُسَيِّبِ: هَلْ رَأَيْتَ عَلِيَّ بنَ الحُسَيْنِ؟ قَالَ: لاَ. قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَوْرَعَ مِنْهُ!

۞ وَقَالَ جُوَيْرِيَةُ بنُ أَسْمَاءَ: مَا أَكَلَ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ بِقَرَابَتِهِ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ دِرْهَمًا قَطُّ.

۞ وعَنْ سَعِيْدِ بنِ خَالِدٍ، عَنِ المَقْبُرِيِّ، قَالَ:

بَعَثَ المُخْتَارُ الثَّقَفِيُّ إِلَى عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ بِمائَةِ أَلْفٍ، فَكَرِهَ أَنْ يَقْبَلَهَا، وَخَافَ أَنْ يَرُدَّهَا، فَاحْتَبَسَهَا عِنْدَهُ.

فَلَمَّا قُتِلَ المُخْتَارُ، بَعَثَ يُخْبِرُ بِهَا عَبْدَ المَلِكِ، وَقَالَ: ابْعَثْ مَنْ يَقْبِضُهَا.

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَبْدُ المَلِكِ: يَا ابْنَ العَمِّ، خُذْهَا، قَدْ طَيَّبْتُهَا لَكَ، فَقَبِلَهَا[2].

---

(١) السير (٨/ ١٥٦).

(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٢١٣).

قمة في اليقين

۞ قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: كَانَ حَيْوَةُ يَأْخُذُ عَطَاءهُ فِى السَّنَةِ سِتِّيْنَ دِيْنَارًا، فَلَمْ يَطْلعْ إِلَى مَنْزِلِهِ حَتَّى يَتَصَدَّقَ بِهَا، ثُمَّ يَجِيْءَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَيَجِدَهَا تَحْتَ فِرَاشِه. وَبَلغَ ذَلِكَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ، فَأَخَذَ عَطَاءهُ، فَتصَدَّقَ بِهِ كُلِّه، وَجَاءَ إِلَى تَحْتِ فِرَاشِه، فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا. فَشَكَا إِلَى حَيْوَةَ، فَقَالَ: أَنَا أَعْطَيْتُ رَبِّى بِيَقِيْنٍ، وَأَنْتَ أَعْطَيْتَه تَجرِبَةً[1].

۞ وها هو الإمام البخارى رَحِمَهُ اللَّهُ:

لَمَّا رَحَلَ إِلَى الشَّامِ، وَكَتَبَ الحَدِيْث جَعَلَ كُتُبَهُ فِى صُنْدُوْقٍ، وَقَيَّدَهُ، وَرَكِبَ البَحْرَ، فَاضْطَرَبَتِ السَّفِيْنَةُ وَمَاجَتْ، فَأَلقَى الصُّنْدُوق فِى البَحْرِ، ثُمَّ سَكَنَتِ السَّفِيْنَةُ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْهَا، أَقَامَ عَلَى السَّاحِلِ ثَلاَثًا يَدْعُو اللهَ، ثُمَّ سَجَدَ فِى اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، وَقَالَ: إِنْ كَانَ طَلَبِى ذَلِكَ لِوَجْهِكَ وَحُبِّ رَسُوْلِكَ، فَأَغِثْنِى بِرَدِّ ذَلِكَ الصندوق. فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا بِالصُّنْدُوْقِ مُلْقَىً عِنْدَهُ، فَقَدِمَ، وَأَقَامَ بُرْهَةً، ثُمَّ قَصَدُوهُ لِسَمَاعِ الحَدِيْثِ، فَامْتَنَعَ مِنْهُ.

قَالَ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِى مَنَامِى، وَمَعَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا عليُّ، مَنْ عَامَلَ اللهُ بِمَا عَامَلَكَ بِهِ عَلَى شَطِّ البَحْرِ؟! لاَ تَمْتَنِعْ مِنْ رِوَايَةِ أَحَادِيْثِى.

قَالَ: فَقُلْتُ: قَدْ تُبْتُ إِلَى اللهِ.

فَدَعَا لِى، وَحَثَّنِى عَلَى الرِّوَايَةِ[2].

---

(١) السير (٦/ ٤٠٤).

(٢) السير (١٤/ ٨٧).

۞ وها هو يقين الشيخ الإمام أبو عثمان الحِيرى:

لَمَّا قَتَلَ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ اللهِ الخُجُسْتَانِيُّ -الَّذِى اسْتَولَى عَلَى البِلاَدِ- الإِمَامَ حَيْكَانَ بنَ الذُّهْلِيِّ، أَخَذَ فِى الظُّلْمِ وَالعَسَفِ، وَأَمَرَ بِحَرْبَةٍ رُكِزَتْ عَلَى رَأْسِ المُرَبَّعَةِ، وَجَمَعَ الأَعيَانَ، وَحَلَفَ: إِنْ لَمْ يَصُبُّوا الدَّرَاهِمَ حَتَّى يَغِيْبَ رَأْسُ الحَرْبَةِ، فَقَدْ أَحَلُّوا دِمَاءهُم. فَكَانُوا يَقْتَسِمُوْنَ الغَرَامَةَ بَيْنَهُم، فخص تَاجِرٌ بِثَلاَثِيْنَ أَلفَ دِرْهَم، فَلَمْ يَكُنْ يَقْدِرُ إِلَّا عَلَى ثَلاَثَةِ آلاَفِ دِرْهَم، فَحَمَلَهَا إِلَى أَبِى عُثْمَانَ، وَقَالَ: أَيُّهَا الشَّيْخُ! قَدْ حَلَفَ هَذَا كَمَا بَلَغَكَ، وَوَاللهِ لاَ أَهْتَدِى إِلَّا إِلَى هَذِهِ. قَالَ: تَأْذَنُ لِى أَنْ أَفْعَلَ فِيْهَا مَا يَنْفَعُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَفَرَّقهَا أَبُو عُثْمَانَ، وَقَالَ لِلتَّاجِرِ: امْكُثْ عِنْدِى. وَمَا زَالَ أَبُو عُثْمَانَ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ السِّكَّةِ وَالمَسْجِدِ لَيْلَتَهُ حَتَّى أَصْبَحَ، وَأَذَّنَ المُؤَذِّنُ، ثُمَّ قَالَ لِخَادِمِهِ: اذْهَبْ إِلَى السُّوقِ، وَانْظُرْ مَاذَا تَسْمَعُ. فَذَهَبَ، وَرَجَعَ، فَقَالَ: لَمْ أَرَ شَيْئًا. قَالَ: اذْهَبْ مَرَّةً أُخْرَى، وَهُوَ فِى مُنَاجَاتِهِ يَقُوْلُ: وَحَقِّكَ لاَ أَقَمْتُ مَا لَمْ تُفَرِّجْ عَنِ المَكْرُوْبِيْنَ. قَالَ: فَأَتَى خَادِمُهُ الفَرْغَانِيُّ يَقُوْلُ: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾[1]، شُقَّ بَطْنُ أَحْمَدَ بنِ عَبْدِ اللهِ. فَأَخَذَ أَبُو عُثْمَانَ فِى الإِقَامَةِ.

قَالَ الذَّهَبِىُّ: بِمِثْلِ هَذَا يُعَظَّمُ مَشَايِخُ الوَقْتِ[2].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٢٥).

(٢) السير (١٤/ ٦٢-٦٤).

فرح الآباء بصلاح الأبناء

قالوا: إنَّ حماد بن أبى حنيفة كان ذكيًّا نجيبًا فبعث به أبوه إلى من يؤدبه ويُحفِّظه كتاب الله وحديث رسوله ﷺ وكان أبوه يغدق على مؤدبه المال الكثير، حتى إنه لما أتمَّ حفظ سورة الفاتحة دفع أبوه للمعلم ألف دينار فقال المعلم: ما فعلت شيئًا أستحقُّ عليه هذا المال، فقال أبو حنيفة: لا تستحقر ما عملته، ووالله لو كان معنا أكثر من هذا ما كان إلا لك...

ولما حدَّث أبو مسلم الخولانى وكان من الذين جلسوا لتعليم الناس الفقه والحديث وكان أبوه غنيًّا موسرًا ودخل أبوه يومًا إلى المسجد ومعه وكيله فنظر إلى ابنه وهو يُفقِّه الناس فى الدين ويُسمعهم من أحاديث رسول الله ﷺ ففرح لذلك كثيرًا وقال لوكيله: كم معك من غلَّاتنا؟ قال: خمسة آلاف دينار، فقال أبوه: تصدق بها على فقراء المسلمين شكرًا لله.

الكريم لا يرجع في هِبته

۞ قال جحظة: اجتمعنا عند الرشيد فقال للمفضل: أخبرني بأحسن ما قالت العرب في الذئب ولك هذا الخاتم وشراؤه ألف وستمائة دينار، فقال: أحسن ما قيل فيه:

ينام بإحدى مُقلتيه ويتقي ... بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

فقال الرشيد: ما ألقى الله هذا على لسانك إلا لذهاب الخاتم .. ورمى به إليه؛ فبلغ زبيدة[1] فبعثت إلى المفضل بألف وستمائة دينار وأخذت الخاتم منه وبعثت به إلى الرشيد، وقالت: كنت أراك تُعجب به؛ فألقاه إلى المفضل ثانيًا وقال له: خذه وخذ الدنانير ما كنت لأهب شيئًا وأرجع فيه[2].

---

(١) هي زُبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية، زوجة هارون الرشيد، واسمها: أَمة العزيز، وغلب عليها لقبها زُبيدة، «الأعلام» (٣/ ٤٢).

(٢) النجوم الزاهرة (٢/ ٨٧).

الخير كله من عند الله (جل وعلا)

۞ عن عُمَيْر بن وهب أنَّه أُتِيَ فِي مَنَامه فقيل لَهُ: قُم إِلَى مَوضِع كَذَا وَكَذَا من الْبَيْت فاحفره تَجِد مَال أَبِيك وَكَانَ أَبوهُ قد دفن مَالًا وَمَات وَلم يوص بِهِ فَقَامَ عُمَيْر من نَومه فاحتفر حَيْثُ أمره فَأصَاب عشرَة آلَاف دِرْهَم وتِبرًا كثيرًا فَقضى دَينه وَحسُن حَاله وَحَال أهل بَيته وَكَانَ ذَلِك عقب إِسْلَامه فَقَالَت لَهُ الصُّغْرَى من بَنَاته: يَا أَبَتِ رَبنَا هَذَا الَّذِي حيَّانا بِدِينِهِ خيرٌ من هُبل والعُزَّى ... وَلَوْلَا أَنه كَذَلِك مَا ورَّثك هَذَا المَال وَإِنَّمَا عبدته أَيَّامًا قَلَائِل [1].

(١) الروح (ص ٤٢).

اذهبوا فأنتم عُتقاء لله (جل وعلا)

۞ لما قدم معاذ بن جبل رضي الله عنه من اليمن لقى عمر بن الخطاب فاعتنقا وعزَّى كل واحدٍ منهما صاحبه برسول الله ﷺ. وكان مع معاذ الخَراج، وكان معه وُصفاء قد عزلهم، فقال عمر: ما هؤلاء؟

قال: أُهدوا لى، فقال عمر: أطعنى وائتِ بهم أبا بكر فليُطيبهم لك، قال معاذ: لا لعمرى لا آتى أبا بكر بمالى يُطيبه لى، فقال عمر: إنه ليس لك.

فلما كان الليل وأصبح أتاه فقال له: لقد رأيتنى البارحة كأنى أدنو إلى النار، وأنت آخذ بحجزتى، إنى وجدت الأمر كما قلت. فأتى أبا بَكْر فاستحلَّها فأحلَّهم... فبينما معاذ قائم يصلى رأى رقيقه يُصلون كلهم، فقال لهم: ما تصنعون؟ قالوا: نصلى، قال: لمن؟ قالوا: لله عز وجل، قال: فاذهبوا فأنتم لله، فأعتقهم[1].

---

(١) المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٨٨) لابن الجوزى.

لو رأيت ما صنع بي هذا الغلام اليتيم

۞ روى الحافظ ابن أبى الدُّنيا عن الليث أَنَّ عَمِيرَةَ بْنَ أَبِى نَاجِيَةَ الرُّعَيْنِيَّ، قَالَ: «أَخَذْتُ يَتِيمًا مِنْ قُرَيْشٍ وَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى مَنْزِلِى فَأَطْعَمْتُهُ وَدَهَنْتُهُ وَوَهَبْتُ لَهُ فُلُوسًا ، وَقُلْتُ: اللَّهُمَّ أَشْرِكْ أُمِّى مَعِى فِى الثَّوَابِ فِيمَا صَنَعْت بِهَذَا الْيَتِيمِ ، ثُمَّ نِمْتُ فَرَأَيْتُ أُمِّى أَقْبَلَتْ مُتَلَبِّسَةً عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَتْ، مَعَهَا ذَلِكَ الْيَتِيمُ ، تَمْشِى حَتَّى وَقَفَتْ عَلَىَّ ثُمَّ قَالَتْ: أَىْ بُنَىَّ لَوْ رَأَيْتَ مَا صَنَعَ بِى هَذَا الْغُلَامُ مُنْذُ الْيَوْمَ».

قَالَ: يَقُولُ اللَّيْثُ: «أَصَابَتْ بِهِ خَيْرًا لِلَّذِى كَانَ مِنَ ابْنِهَا إِلَى الْيَتِيمِ» (١).

---

(١) المنامات (رقم ٢٩٨).

ومن الطعام ما قَتل

۞ بعض الناس يأكلون ما يقتلهم، وهم لا يشعرون،... من هؤلاء الإمام مسلم بن الحجَّاج صاحب الصحيح، فإنه على ما يذكر ابن كثير فى [البداية والنهاية: ١١/ ٣٤] حبس نفسه ليلة، ومنع أهله من الوصول إليه، ليبحث عن حديث أشكل عليه، وكانت عنده سلة تمر أُهديت إليه، فكان طِيلة ليله، يأكل تمرة، ويكشف عن حديث حتى أصبح، وقد أكل كل ما فى السلة، وهو لا يشعر، فحصل بسبب ذلك ثقل، ومرض مرضًا كانت فيه وفاته.

۞ وذكر ابن كثير رحمه الله تعالى فى [البداية والنهاية: ١١/ ٥٧] أن سبب موت الحافظ الكبير بَقِى بن مَخلد عالم الأندلس فى عصره أنه أكل لقمة من هريسة، فإذا هى حارة، فصاح صيحة عظيمة، ثم أُغمى عليه إلى وقت الظهر، ثم أفاق، ثم لم يزل يشهد أن لا إله إلا الله إلى أن مات فى وقت السَّحَر.

۞ كما ذكر ابن كثير فى [البداية والنهاية: ٦٥] أن سبب هلاك الخليفة المعتمد على الله شُربه فى ليلة وفاته شرابًا كثيرًا، وتَعشِّيه عَشاءً كثيرًا.

رابعة العدوية وزهدها في حُطام الدنيا

۞ من عابدات البصرة، وهى أشهرُ العابداتِ وأشرفُهنَّ قدرًا.

لها الأخبارُ الجميلة، والآثارُ الحسنة، والمناقبُ الجَليلة. فاقتِ العُبَّادَ، وسبقتِ الزُّهَّاد.

۞ قال عبد الله بن عيسى: دخلت على رابعة العدوية بيتها، فرأيت على وجهها النور وكانت كثيرة البكاء، فقرأ رجلٌ عندها آية من القرآن فيها ذكر النار، فصاحت، ثم سقطت. ودخلتُ عليها وهى جالسة على قطعة بورى[1] خَلِق، فتكلم رجلٌ عندها بشيء، فجعلت اسمع وَقْعَ دموعها على البورى مثل الوكف[2]، ثم اضطربتْ وصاحتْ، فقمنا وخرجنا.

۞ وقال مسمع بن عاصم ورياح القيسى: شهدنا رابعة وقد أتاها رجل بأربعين دينارًا، فقال لها: تستعينين بها على بعض حوائجك، فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء، فقالت: هو يعلم أنى أستحيى منه أن أسأله الدنيا وهو يملكها، فكيف أريد أن آخذها ممن لا يملكها؟[3].

۞ وقال سجف بن منظور: دخلتُ على رابعة وهى ساجدة فلما أحسَّت بمكانى رفعتْ رأسها، فإذا موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها، فسلَّمت فأقبلتْ علىَّ، فقالت: يا بُنى ألك حاجة؟ فقلت: جئت لأُسلِّم عليكِ، قال: فبكت، وقالت: سترك اللهم سترك ... ودعَتْ

(١) البُوري: الحَصِير المعمول بالقصب، جمع بواري، فارسي مُعرَّب. متن اللغة (بور).

(٢) الوكف: المطر المنهل. متن اللغة (وكف).

(٣) صفة الصفوة (٤/ ٢٧).

بدعواتٍ، ثم قامت إلى الصلاة وانصرفت[١].

۞ وروىَ أنَّ أبا سُليمانَ الهاشميَّ كان له دخلٌ بالبصرةِ فى كلِّ يوم ثمانون ألف درهم، فبعث إلى علماء البصرة يستشيرهم فى امرأةٍ يتزوجها فأجمعوا على رابعة العدوية فكتب إليها: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإنَّ الذى هو مُلكى فى غلَّةِ الدُّنيا فى كلِّ يوم ثمانونَ ألفَ درهم، وليسَ يمضى إلَّا قليل حتى أُتِمَّها مائةَ ألفٍ إن شاءَ الله تعالى، وأنا أخطُبُك إلى نفسِك، وقد بذَلْتُ لكِ منَ الصَّدَاقِ مائة ألف وأنا مُصَيِّرٌ إليكِ بعد ذلك أمثالها، فأجيبيني.

فكتبت إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، أمَّا بعد، فإنَّ الزُّهد فى الدنيا يُريحُ القلبَ والبدنَ، والرَّغبةَ فيها تورثُ الهمَّ والحَزَن، فإذا أتاكَ كتابى فهيِّئ زادَك وقدِّم لمعادِك، وكُن وصىَّ نفسك ولا تجعلْ وصِيَّتكَ إلى غيرك، وصُمْ دَهرَك واجعل الموتَ فِطرَك، فما يَسُرُّنى أن اللهَ تعالى خوَّلَنى أضعافَ ما خَوَّلك ويشغَلُنى بك عنه طرفةَ عينٍ والسلام[٢].

۞ وقال جعفر بن سليمان: أخذ بيدى سفيان الثورى وقال: مُرَّ بنا إلى المؤدِّبة التى لا أجد مَن أستريح إليه إذا فارقتها، فلما دخلنا عليها رفع سفيان يده، وقال: اللَّهم إنى أسألك السلامة فبكت رابعة، فقال لها: ما يُبكيكِ؟ قالت: أنت عرَّضتنى للبكاء، فقال: وكيف؟ قالت: أما علمت أن السلامة من الدنيا تَرْكُ ما فيها، فكيف وأنت متلطخ بها؟.

وقال الثورى بين يدى رابعة: واحزناه. فقالت: لا تكذب. قل: وا قِلة

(١) صفة الصفوة (٤/ ٢٨).

(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٢٨٦).

حُزناه، لو كنت محزونًا ما هنَّأك العيش.

❁ وقال جعفر بن سليمان: سمعت رابعة تقول لسفيان: إنما أنت أيام معدودة، فإذا ذهب يومٌ ذهب بعضك، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكُل وأنت تعلم، فاعمل(١).

❁ وقالت عبدة بنت أبى شوال، وكانت من خيار إماء الله، وكانت تخدم رابعة. قالت: كانت رابعة تصلى الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت فى مصلاها هجعة خفيفة حتى يُسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول، إذا وثبت من مرقدها ذلك وهى فزعة: يا نفس كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور.

قالت: فكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت، فلما حضرتها الوفاة دعتنى فقال: يا عبدة لا تُؤذِنى بموتى أحدًا وكفنينى فى جُبتى هذه، ... جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون.

قالت: فكفنَّاها فى تلك الجُبة وخمار صوف كانت تلبسه.

قالت عبدة: رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها فى منامى عليها حُلة إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أرَ شيئًا قط أحسن منه. فقلت: يا رابعة ما فعلت الجبة التى كفنَّاك فيها والخمار الصوف؟ قالت: إنه والله نُزع عنى وأُبدلت به هذا الذى ترينه علىَّ، وطُويت أكفانى وخُتم عليها ورُفعت فى عِليين ليكمل لى بها ثوابها يوم القيامة.

قالت: فقلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا؟ فقالت: وما هذا من كرامة الله ﷻ لأوليائه. قالت: فقلت: فما فعلت عبدة بنت أبى كلاب؟

(١) صفة الصفوة (٤/ ٢٩).

فقالت: هيهات هيهات، سبقتنا والله إلى الدرجات العُلى. قالت: قلت: وبِمَ وقد كنت عند الناس أكثر منها؟ قالت: إنها لم تكن تبالى على أى حالة أصبحت من الدنيا وأمست.

قالت: فقلت: ما فعل أبو مالك؟ تعنى ضيغمًا. قالت: يزور الله متى شاء. قالت: قلت: فما فعل بِشر بن منصور؟ قالت: بخٍ بخٍ أُعطى والله فوق ما كان يأمل.

قالت: قلت: فمُرينى بأمرٍ أتقرب به إلى الله ﷻ. قالت: عليك بكثرة ذكره، يوشك أن تغتبطى بذلك فى قبرك[1].

(١) صفة الصفوة (٤/ ٢٩، ٣٠).

لو كان البُخل قميصًا ما لبسته

۞ **عن على بن أبى جُملة قال:** سمعت أم البنين ابنة عبد العزيز بن مروان تقول: أُفٍّ للبُخل، لو كان قميصًا ما لبسته، ولو كان طريقًا ما سلكته.

۞ **وعن سعيد بن مسلمة بن هشام الأموى قال:** كانت أم البنين ابنة عبد العزيز ابن مروان تبعث إلى نسائها فيجتمعن ويتحدثن عندها وهى قائمة تصلى، ثم تنصرف إليهن، فتقول: أُحب حديثكن، فإذا قمت فى صلاتى لهوت عنكن ونسيتكن. قال: وكانت تكسوهن الثياب الحسنة وتعطيهن الدنانير، وتقول: الكسوة لكن والدنانير اقسمنها بين فقرائكن، وكانت تقول: جُعل لكل قوم نهمة فى شىء، وجُعلت نهمتى فى البذل والإعطاء، والله للصلة والمواساة أحبُّ إلىَّ من الطعام الطيب على الجوع، ومن الشراب البارد على الظمأ... وكانت تقول: وهل يُنال الخير إلا باصطناعه؟ وكانت تقول: ما حسدت أحدًا قط على شىء، إلا أن يكون ذا معروف، فإنى كنت أحب أن أشركه فى ذلك.

۞ **وقال يوسف:** وحدثنى سعيد بن مسلمة بن هشام بن عبد الملك قال: حدثتنى امرأة من أهلى قالت: سمعت أم البنين تقول: ما تحلَّى المُتحلُّون بشىء أحسن عليهم من عِظَم مهابة اللّه فى صدورهم [1].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٤٥١-٤٥٢).

لا تأكلي إلا حلالاً

۞ عن أبى عبد الرحمن السُّلَمى قال: كانت معاذة العدوية أرضعت أم الأسود. وقالت أم الأسود. قالت لى معاذة العدوية: لا تُفسدى رضاعى بأكل الحرام، فإنى جهدت جهدى حين أرضعتك حتى أكلتِ الحلال فاجتهدى أن لا تأكلى إلا حلالًا لعلك أن توفقى لخدمة سيدك والرضا بقضائه.

فكانت أم الأسود تقول: ما أكلت شُبهة إلا فاتتنى فريضة أو وِرد من أورادى [1].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٢٥٢).

حب الدنيا قطع الخلق عن الله ﷻ

۞ عن أبى سليمان الدارانى قال:

حدثنى سعيد الإفريقى قال: كنت ببيت المقدس مع أصحابٍ لى فى المسجد فإذا أنا بجارية عليها درع من شعر وخمار من صوف، فإذا هى تقول: إلهى وسيدى ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله، وأوحش خلوة مَن لم تكن أنيسه ... فقلت: يا جارية ما قطع الخلق عن الله ﷻ؟ قالت: حب الدنيا إلا أن لله ﷻ عبادًا أسقاهم من حبه شربة فولهت قلوبهم، فلم يُحبوا مع الله ﷻ غيره، ثم قالت تنشد:

تزوَّد قرِينًا من فِعَالك إنّما ... قَرين الفتى في القبر ما كان يَعْملُ

ألا إنما الإنسان ضيفٌ لأهلِهِ ... يُقيم قليلًا عندهم ثم يرحلُ [1]

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٢١٢).

امرأة تُؤْثِر جيرانها

۞ عن ابن شوذب قال:

كَتب عَبدة بن أبي لُبابة إلى شَرِيكٍ له يقال له (الحسن بن الخزَّاز): ادفع ثلاثَ مائةِ درهم إلى أحْوج أهل بيتٍ بمكة. فسأل، فدُلّ على أهل بيت، فوقف بهم، فخرجت إليه امرأة كبيرة حسنة السّمت، فقال لها: بُعث إليَّ بثلاث مائة درهم، وأُمرت أن أدفعها إلى أحوج أهل بيتٍ بمكة، فقالت المرأة: إن كنت أُمرت بهذا، فما نحن هم، وما لنا فيها من حق، وأنا أعرف أهل بيت أحوج منا.

فسألها، فدلّته عليهم، فأعطاهم الدراهم، وكتب إلى عبدة يخبره بحال المرأة، فكتب عبدة أنْ أضعِفْها أعطِها ستمائة درهم [1].

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٤٥٠).

هو ربنا ... فليفعل بنا ما يشاء

۞ حُكى أن قومًا من الأعراب، زرعوا زرعًا، فلما بلغ أصابته آفة فذهبت به فاشتد ذلك عليهم حتى رُؤى فيهم، فخرجت أعرابية منهم فقالت: ما لى أراكم متغيرة ألوانكم، ميتة قلوبكم،... هو ربنا فليفعل بنا ما يشاء، ورزقنا عليه، يأتى به من حيث يشاء ثم أنشدت تقول:

لو كان في صخرة في البحر راسية ... صماء ملمومة ملس نواحيها

رزق نفس براها الله لا نفلقت ... حتى تؤدي إليه كل ما فيها[1]

لا تسأل غير الله

۞ قال عبد الله بن المبارك: ذكر سفيان الثورى امرأة بالكوفة يقال لها: أم حسان ذات اجتهاد وعبادة، فدخلنا بيتها فلم نرَ فيه شيئًا غير قطعة حصير خَلِق[2] فقال لها الثورى: لو كتبت رقعة إلى بعض بنى أعمامك لغيروا من سوء حالك. فقالت: يا سفيان قد كنت فى عينى أعظم وفى قلبى أكبر منذ ساعتك هذه،... إنى ما أسأل الدنيا من يقدر عليها ويملكها ويحكم فيها، فكيف أسأل من لا يقدر عليها ولا يقضى ولا يحكم فيها؟ يا سفيان والله ما أحب أن يأتى علىَّ وقت وأنا متشاغلة فيه عن الله تعالى بغير الله فأبكت سفيان.

۞ قال عبد الله: فبلغنى أن سفيان تزوج بها.

---

(١) كتاب «القناعة» (١٠٤).

(٢) قديم بالٍ.

صُم عن الدنيا وأفطر على الموت

۞ **عن أحمد بن أبي الحواري قال:** حدثني بعض أصحابنا قال: كان داود الطائي يُجالس أبا حنيفة، فقال له أبو حنيفة: يا أبا سليمان أما الأداة فقد أحكمناها. قال داود: فأيّ شيء بقي؟ قال: بقي العمل به. قال: فنازعتني نفسي إلى العُزلة والوحدة، فقلت لها: حتى تجلسي معهم فلا تجيبي في مسألة. قال: فكان يجالسهم سنة قبل أن يعتزل. قال: فكانت المسألة تجيء، وأنا أشدّ شهوة للجواب فيها من العطشان إلى الماء، فلا أجيب فيها. قال: فاعتزلتهم بعد.

قال: وكان الثوري إذا ذكرهُ قال: أبصر الطائي أمره.

۞ **وعن أحمد بن أبي الحواري قال:** حدثني محمد يحيى، عن داود الطائي قال: ما أخرج الله عبدًا من ذل المعاصي إلى عزّ التقوى إلا أغناه بلا مال، وأعزَّهُ بلاعشيرة، وآنسه بلا بشر.

۞ **وعن محمد بن عثمان الصيرفي قال:** جاء أبو الربيع الأعرج إلى داود الطائي من واسط ليسمع منه شيئًا ويراه، فأقام على بابه ثلاثة أيام لا يصل إليه قال: وكان إذا سمع الإقامة خرج، فإذا سلّم الإمام وثب فدخل منزله.

قال: فصلّيت في مسجد آخر، ثم جئت فجلست على بابه، فلما جاء ليدخل الدار قلت: ضيفٌ رحمك الله. قال: إن كنت ضيفًا فادخل. فدخلت فأقمت عنده ثلاثة أيام لا يكلمني، فلما كان بعد ثلاث قلت: رحمك الله أتيتك من واسط، وإني أحببت أن تزودني شيئًا، قال: صُم عن الدنيا واجعل فطرك الموت. قلت: زدني رحمك الله. قال: فِرَّ من الناس فرارك من الأسد، غير طاعن عليهم، ولا تاركٍ لجماعتهم، قال: فذهبت أستزيده،

فوثب إلى المحراب. وقال: الله أكبر.

۞ **وعن عبد الله بن إدريس قال:** قلت لداود الطائى: أوصنى. قال: أقلل من معرفة الناس. قلت: زدنى قال: ارضَ باليسير من الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بالدنيا مع فساد الدين. قلت: ز دنى. قال: اجعل الدنيا كيومٍ صُمته ثم أفطرت على الموت.

۞ **وعن حماد بن أبى حنيفة قال:** قالت مولاة لداود الطائى: يا داود لو طبخت لك دسمًا. قال: فافعلى، فطبخت له شحمًا ثم جاءته به. فقال لها: ما فعل أيتام بنى فلان؟ قالت: على حالهم. قال: اذهبى به إليهم، فقالت له: فديتك إنما تأكل هذا الخبز بالماء؟ قال: إنى إذا أكلته كان فى الحش، وإذا أكله هؤلاء الأيتام كان عند الله مذخورًا.

۞ **قال صدقةُ الزاهد:** خرجنا مع داود الطائى فى جنازة بالكوفة، فقعد داود ناحية وهى تُدفن، فجاء الناس فقعدوا قريبًا منه، فتكلم فقال: من خاف الوعيد قَصُر عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو أتٍ قريب، واعلم يا أخى أن كل ما يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم، واعلم أن أهل القبور إنما يفرحون بما يُقدِّمون، ويندمون على ما يُخلفون، وأهل الدنيا يقتتلون ويتنافسون فيما عليه أهل القبور يندمون.

۞ **قال أبوحفص:** سمعت ابن أبى عدىّ يقول: صام داود الطائى أربعين سنة ما علم به أهله،وكان خزَّازًا، وكان يحمل غداءه معه، ويتصدق به فى الطريق، ويرجع إلى أهله يفطر عشاء لا يعلمون أنه صائم.

وقالت له أمه: لو اشتهيت شيئًا اتخذته لك، فقال: أجيدى يا أماه، فإنى أريد أن أدعو إخوانًا لى. قال: فاتخذت وأجادت. قال: فقعد على الباب لا

يمر سائل إلا أدخله. قال: فقدم إليهم، فقالت له أمه: لو أكلت. قال: فمن أكله غيرى... أى: أن كل ما قدمه لهم قد كُتب فى صحيفته.

❁ **وعن أبى سعيد السكرى قال:** احتجم داود الطائى، فدفع دينارًا إلى الحجَّام، فقيل له: هذا إسراف، فقال: لاعبادة لمن لا مروءة له.

❁ **وعن أبى خالد الأحمر قال:** مررت أنا، وسفيان الثورى بمنزل داود الطائى، فقال لى سفيان: ادخل بنا نُسلِّم عليه، فدخلنا إليه فما احتفل بسفيان ولا انبسط إليه، فلما خرجنا قلت: يا أبا عبد الله غاظنى ما صنع بك. قال: وأىّ شىء صنع بى؟ قلت: لم يحفل بك ولم ينبسط إليك. قال: إن أبا سليمان لا يُتهم فى مودة، أما رأيت عينيه؟ هذا فى شىء غير ما نحن فيه.

❁ **وعن أبى مهنا الطائى قال:** خرج داود الطائى إلى السوق، فرأى الرُّطَب، فاشتهته نفسه، فجاء إلى البائع، فقال له: أعطنى بدرهم إلى غد. فقال له: اذهب إلى عملك، فرآه بعض من يعرفه فأخرج له صُرة فيها مائة درهم وقال: اذهب فإن أخذ منك بدرهم فالمائة لك: فلحقه البائع وقال له: ارجع خذ حاجتك، فقال: لا حاجة لى فيه إنما جرّبت هذه النفس، فلم أرها تساوى فى هذه الدنيا درهمًا،وهى تريد الجنة غدًا.

❁ **وقال حفص بن عمر الجعفى:** كان داود الطائى قد ورث عن أمه أربعمائة درهم، فمكث يتقوتها ثلاثين عامًا، فلما نفدت جعل ينقض سقوف الدويرة، فيبيعها حتى باع الخشب والبوارى واللَّبِن، حتى بقى فى نصف سقف، وجاء صديق له، فقال: يا أبا سليمان لو أعطيتنى هذه، فأبضعتها لك لعلنا نستفضل لك فيها شيئًا يُنتفع به، فما زال به حتى دفعها إليه، ثم فكر فيها فلقيه بعد العشاء الآخرة، فقال: اردُدها علىّ، فقال: ولـمَ

ذاك يا أخى؟ قال: أخاف أن يدخل فيها شيء غير طيب ... فأخذها.

۞ وعن قبيصة قال: حدّثنى صاحبٌ لنا أن امرأة من أهل داود الطائى صنعت ثريدة بسمن،ثم بعثت بها إلى داود حين إفطاره مع جارية لها. قالت الجارية: فأتيته بالقصعة، فوضعتها بين يديه، فسعى ليأكل منها، فجاء سائل،فقام إليه فدفعها إليه وجلس معه على الباب حتى أكلها. ثم دخل فغسل القصعة، ثم عمد إلى تمرٍ كان بين يديه، قالت الجارية: ظننت أنه كان أعدّه لعشائه، ودفعه إلىَّ، وقال: أقرئيها السلام، قالت الجارية: دفع إلى السائل ما جئناه به، ودفع إلينا ما أراد أن يفطر عليه. قالت: وأظنه ما بات إلا طاويًا... قال قبيصة: فكنت أراه قد نحل جدًّا.

۞ وعن محمد بن بشير، قال: قال حماد لداود الطائى: يا أبا سليمان لقد رضيت من الدنيا باليسير، قال: أفلا أدلك على من رضى بأقل من ذلك؟ من رضى بالدنيا كلها عوضًا عن الآخرة.

۞ وعن إسحاق بن منصور السلولى قال: حدثتنى أم سعيد بن علقمة النخعى وكانت طائية.

قالت: كان بيننا وبين داود الطائى حائط قصير، فكنت أسمع حِسَّه عامة الليل لا يهدأ.

قالت: وربما سمعته فى جوف الليل يقول: اللهم همُّك عطل علىَّ الهموم، وحال بينى وبين السُّهاد، وشوقى إلى النظر إليك، أوثق منى وحال بينى وبين اللذات، فأنا فى سجنك أيها الكريم مطلوب.

قالت: وربما ترنَّم بالآية فأرى أن جميع نعيم الدنيا جُمع فى ترنُّمِه.

۞ وقال ابن السماك: أوصانى أخى داود الطائى بوصية: انظر لا يراك

الله حيث نهاك وأن لا يفقدك من حيث أمرك، واستحيه في قُربه منك وقدرته عليك.

۞ وعن أبي بكر محمد بن أبي داود قال: سمعت شيدويه يقول لداود الطائي: أرأيت رجلًا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر؟ قال: أخاف عليه السوط قال: إنه يقوى، قال: أخاف عليه السيف، قال إنه يقوى. قال: أخاف عليه الداء الدفين .. العُجب.

۞ وعن حفص بن عمر الجعفي قال: اشتكى داود الطائي أيامًا وكان سبب علته: أنه مرّ بآية فيها ذكر النار فكررها مرارًا في ليلته، فأصبح مريضًا، فوجدوه قد مات ورأسه على لبنة.

۞ وعن إسحاق بن منصور قال: لما مات داود الطائي شيَّع الناس جنازته، فلما دُفن قام ابن السماك على قبره، فقال: يا داود كنت تسهر ليلك إذ الناس نائمون، فقال القوم جميعًا: صدقت ... وكنت تَسْلَم إذ الناس يخوضون وكنت تربح إذ الناس يخسرون، فقال الناس جميعًا: صدقت حتى عدَّد فضائله كلها.

فلما فرغ، قام أبو بكر النهشلي فحمد الله، ثم قال: يا رب إن الناس قد قالوا ما عندهم ومبلغ ما علموا: اللهم اغفر له برحمتك، ولا تكله إلى عمله[1].

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ٧٦-٨٤) بتصرف.

أخشى عليكم الدنيا

۞ قال رسول الله ﷺ: «... فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»(١).

۞ لَمَّا أُتِيَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ بِكُنُوزِ كِسْرَى، قَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْأَرْقَمِ الزُّهْرِيُّ: أَلَا تَجْعَلُهَا فِي بَيْتِ الْمَالِ حَتَّى تَقْسِمَهَا؟ قَالَ: «لَا يُظِلُّهَا سَقْفُ بيتٍ حَتَّى أُمْضِيَهَا»، فَأَمَرَ بِهَا، فَوُضِعَتْ فِي صَرْحِ الْمَسْجِدِ، فَبَاتُوا يَحْرُسُونَهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَمَرَ بِهَا فَكُشِفَ عَنْهَا، فَرَأَى فِيهَا مِنَ الْحَمْرَاءِ وَالْبَيْضَاءِ مَا يَكَادُ يَتَلَأْلَأُ مِنْهُ الْبَصَرُ، فَبَكَى عُمَرُ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَوَاللهِ إِنْ كَانَ هَذَا لَيَوْمَ شُكْرٍ، وَيَوْمَ سُرُورٍ، وَيَوْمَ فَرَحٍ، فَقَالَ عُمَرُ: «كَلَّا، إِنَّ هَذَا لَمْ يُعْطَهُ قَوْمٌ إِلَّا أُلْقِيَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ».

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣١٥٨) كتاب الجزية، ومسلم (٥٩٦١) كتاب الزهد والرقائق.

إن بين أيدينا عقبة كؤودًا

۞ قال محمد بن كعب: أن ناسًا نزلوا على أبي الدرداء ليلة قرَّة[١] فأرسل إليهم بطعام سُخن ولم يرسل إليهم بلُحُف، فقال بعضهم: لقد أرسل إلينا بالطعام فما هنأنا مع القُرّ لا أنتهى أو أُبيِّن له. قال الآخر: دعه. فأبى، فجاء حتى وقف على الباب رآه جالسًا وامرأته ليس عليهما من الثياب إلا ما لا يُذكَر، فرجَّع الرجل[٢] وقال: ما أراك بتّ إلا بنحو ما بتنا به. قال: إن لنا دارًا ننتقل إليها قدّمنا فُرشنا ولُحُفَنا إليها، ولو ألفيت عندنا منه شيئًا لأرسلنا إليك به، وإن بين أيدينا عقَبة كؤودًا المُخفُّ فيها خير من المُثقِل، أفهمت ما أقول لك؟ قال: نعم[٣].

۞ وقال شُرحبيل: إنَّ أبا الدرداء كان إذا رأى جنازة قال: اغْدوا فإنا رائحون، ورُوحوا فإنا غادون، موعظة بليغة وغفلة سريعة، كفى بالموت واعظًا، يذهب الأول فالأول ويبقى الآخر لا حُكمَ له. وَقَالَ: «لَوْلَا ثَلَاثُ خِلَالٍ لَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَبْقَى فِي الدُّنْيَا»، فَقُلْتُ: وَمَا هُنَّ؟ فَقَالَ: «لَوْلَا وُضُوعُ وَجْهِي لِلسُّجُودِ لِخَالِقِي فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَكُونُ تَقَدُّمُهُ لِحَيَاتِي، وَظَمَأُ الْهَوَاجِرِ، وَمُقَاعَدَةُ أَقْوَامٍ يَنْتَقُونَ الْكَلَامَ كَمَا تُنْتَقَى الْفَاكِهَةُ». وتَمَامُ التَّقْوَى أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ الْعَبْدُ حَتَّى يَتَّقِيَهُ فِي مِثْقَالِ ذَرَّةٍ، حَتَّى يَتْرُكَ بَعْضَ مَا يَرَى أَنَّهُ حَلَالٌ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ حَرَامًا ، يَكُونُ حِجَابًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرَامِ[٤].

---

(١) قرة: باردة.

(٢) رَجَّع الرجل: قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. النهاية: (رجع).

(٣) صفة الصفوة (١/ ٦٣٩-٦٤٠).

(٤) الحلية (١/ ٢١٢)، وتاريخ ابن عساكر (١٣/ الورقة ٣٨٠).

معك تلك الألوف وأنت تشكو الحاجة؟!

۞ قَالَ غَسَّانُ بنُ الْمُفَضَّلِ الغَلاَبِيُّ:

حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى يُونُسَ بنِ عُبَيْدٍ فَشَكَا إِلَيْهِ ضِيقًا مِنْ حَالِهِ وَمَعَاشِه وَاغتِمَامًا بِذَلِكَ فَقَالَ: أَيَسُرُّكَ بِبَصَرِكَ مائَةُ أَلْفٍ؟ قَالَ: لاَ .. قَالَ: فَبِسَمْعِكَ قَالَ: لاَ قَالَ: فَبِلِسَانِكَ قَالَ: لاَ قَالَ: فَبِعَقْلِكَ قَالَ: لاَ فِي خِلاَلٍ ... وَذَكَّرَه نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يُونُسُ: أَرَى لَكَ مِئِيْنَ أُلُوفًا، وَأَنْتَ تَشْكُو الحَاجَةَ؟!

فهذه موعظة بليغة فى التذكير بنعم الله تعالى الكثيرة، وتعديل ميزان التفكير عند المسلم، حيث إن الفكر يشطح نحو التمتع بأكبر قدر ممكن من متاع الدنيا، فيرى صاحب هذا الفكر أن إمكاناته تقل عن ذلك، فيُصاب بالغمِّ والهمِّ، وينسى نعم الله تعالى الكثيرة عليه، فإذا ذكرها رزقه الله (جلَّ وعلا) القناعة، وصرف فكره عن التطلع نحو التوسع فى متاع الدنيا إلى التزود بأعمال الآخرة[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٩٢)، والتاريخ الإسلامى (١٠/ ٣٩٦).

عمرو بن عتبة وزهده في الدنيا

۞ وها نحن على موعد مع هذا التابعى الجليل الذى وإن لم يكن مُنشغلًا برواية الأحاديث إلا أنه كان يُضرَب به المثل فى العبادة.

إنه عمرو بن عُتبة بن فرقد من كبار تابعى أهل الكوفة.... وكان أبوه عُتبة بن فرقد من أصحاب النبى ﷺ الذى رباهم النبى ﷺ على النبعين الصافيين... على كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ.

فعاش عمرو بن عتبة مع أبيه وتربَّى بين يديه على الزهد والورع والخشوع والعبادة... فكان عابدًا زاهدًا مجاهدًا وكان كما قلت يُضرب به المثل فى الزهد والعبادة.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا التابعى الجليل عمرو ابن عتبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

زهده فى الدنيا (رَحِمَهُ ٱللَّهُ)

كان عمرو بن عتبة زاهدًا فى الدنيا لا ينشغل قلبه بشىء من زخارفها ومتاعها الزائل أبدًا.

قال عبد الحميد بن لاحِق: كان لعمرو بن عُتبة كل يوم رغيفانِ يتسحر بأحدهما، ويُفطر بالآخر[1].

وقال عبد الله بن الربيعة: كنت جالسًا مع عتبة بن فرقد، ومعضد العجلى، وعمرو بن عُتبة، فقال عتبة بن فرقد: يا عبد الله، ألا تُعيننى على

(١) المختار من مناقب الأخيار/ لابن الأثير(٤/ ١٣٢).

ابن أخيك، ليُعيننى على ما أنا فيه من عملى؟ فقال: يا عمرو، أطع أباك، فنظر عمرو إلى معضد، فقال له معضد: ﴿لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾[1].

فقال عمرو: يا أبتِ، إنما أنا رجل أعمل فى فكاك رقبتى، فدعنى أعمل فى فكاك رقبتى. فبكى عُتبة ثم قال يا بنى، إنى أُحبك حُبين: حبًا لله؛ وحب الوالد ولده، فقال عمرو: يا أبتِ، إنك قد كنت أتيتنى بمال قد بلغ سبعين ألفًا، فإن كنت سائلى عنه فهو هذا فخذه، وإلا فدعنى فأُمضيه، قال: يا بُنى فأَمضه. قال: فأمضاه حتى ما بقى منه درهم[2].

وليس معنى هذا أن يجلس الإنسان بلا عمل... بل ينبغى أن ينشغل المسلم بطاعة الله وفى نفس الوقت لابد أن يُسهم فى إعمار الكون بعمل مفيد.

وكما قلت من قبل: ليس معنى الزهد ألا تجد ولكن الزهد الحقيقى ألا تنشغل قلبًا وقالبًا بجمع حُطام الدنيا... فإذا أقبلت الدنيا وأصبحت تمتلك الملايين فاجعلها فى يديك وليست فى قلبك.

(١) سورة العلق: الآية: (١٩).

(٢) المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٨٥)- والحلية (٤/ ١٥٦).

زهد عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ روى الحَجَّاج الصَّوَّافِ فَقَالَ: أَمَرَنِى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ وَالٍ عَلَى الْمَدِينَةِ أَنْ أَشْتَرِىَ لَهُ ثِيَابًا فَاشْتَرَيْتُ لَهُ ثِيَابًا فَكَانَ فِيهَا ثَوْبٌ بِأَرْبَعِمِائَةٍ. فَقَطَعَهُ قَمِيصًا ثُمَّ لَمَسَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ: مَا أَخْشَنَهُ وَأَغْلَظَهُ!

ثُمَّ أَمَرَ بِشِرَاءِ ثَوْبٍ لَهُ وَهُوَ خَلِيفَةٌ فَاشْتَرُوهُ بِأَرْبَعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا فَلَمَسَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا أَلْيَنَهُ وَأَدَقَّهُ[1].

۞ وعن ابْنِ عُلاثَةَ قَالَ: كَانَتْ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ صَحَابَةٌ يحضرونه يعينونه بِرَأْيِهِمْ وَيَسْمَعُ مِنْهُمْ. قَالَ فَحَضَرُوهُ يَوْمًا فَأَطَالَ الصُّبْحَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَخَافُونَ أَنْ يَكُونَ تَغَيَّرَ. قَالَ فَسَمِعَ ذَلِكَ مُزَاحِمٌ فَدَخَلَ فَأَمَرَ مَنْ أَيْقَظَهُ فَأَخْبَرَهُ مَا سَمِعَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَمَرَهُ فَأَذِنَ لَهُمْ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ:

إِنِّى أَكَلْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ حُمُّصًا وَعَدَسًا فَنَفَخَنِى. قَالَ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللهَ يَقُولُ فِى كِتَابِهِ: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[2].

فَقَالَ عُمَرُ: هَيْهَاتَ ذَهَبْتَ بِهِ إِلَى غَيْرِ مَذْهَبِهِ. إِنَّمَا يُرِيدُ بِهِ طَيِّبَ الْكَسْبِ وَلا يُرِيدُ بِهِ طَيِّبَ الطعام[3].

---

(١) الطبقات الكبرى (٥/ ٣٣٤) لابن سعد.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٥٧).

(٣) الطبقات الكبرى (٥/ ٣٦٧) لابن سعد.

أمانة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

❁ عَنْ جويرية بن أسماء رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قَالَ:

قَالَ عُمَرُ بن عبد العزيز: يَا مُزَاحِمُ بِعْنِي رَحْلًا لِمُصْحَفِي. قَالَ فَأَتَاهُ بِرَحْلٍ فَأَعْجَبَهُ.

قَالَ: مِنْ أَيْنَ أَصَبْتَ هَذَا؟

قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دَخَلْتُ بَعْضَ الْخَزَائِنِ فَوَجَدْتُ هَذِهِ الْخَشَبَةَ فَاتَّخَذْتُ مِنْهَا رَحْلًا.

قَالَ: انْطَلِقْ فَقَوِّمْهُ فِي السُّوقِ ... فَانْطَلَقَ فَقَوَّمُوهُ نِصْفَ دِينَارٍ فَرَجَعَ إِلَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ.

قَالَ: تُرَانَا إِنْ وَضَعْنَا فِي بَيْتِ الْمَالِ دِينَارًا أَنَسْلَمُ مِنْهُ؟ قَالَ: إِنَّمَا قَوَّمُوهُ نِصْفَ دِينَارٍ.

قَالَ: ضَعْ فِي بَيْتِ الْمَالِ دِينَارَيْنِ[1].

❁ ❁ ❁

(١) الطبقات الكبرى (٥/ ٣٦٦).

هل أمنت من الموت؟

۞ عن ابن أبى عبلة قال:

جَلَسَ عُمَرُ يَوْمًا لِلنَّاسِ فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ ضَجِرَ وَكَلَّ وَمَلَّ فَقَالَ لِلنَّاسِ: مَكَانَكُمْ حَتَّى أَنْصَرِفَ إِلَيْكُمْ، فَدَخَلَ لِيَسْتَرِيحَ سَاعَةً، فَجَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا: دَخَلَ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَدْخَلَكَ؟» قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَرِيحَ سَاعَةً، قَالَ: «أَوَأَمِنْتَ الْمَوْتَ أَنْ يَأْتِيَكَ وَرَعِيَّتُكَ عَلَى بَابِكَ يَنْتَظِرُونَكَ، وَأَنْتَ مُحْتَجِبٌ عَنْهُمْ؟» فَقَامَ عُمَرُ مِنْ سَاعَتِهِ وَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ [١].

عمر بن عبد العزيز يكفل الفقهاء

۞ عن ابن أبى مريم، قال:

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى وَالِي حِمْصَ:

انْظُرِ الَّذِينَ نَصَبُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْفِقْهِ وَحَبَسُوهَا فِي الْمَسْجِدِ عَنْ طَلَبِ الدُّنْيَا فَأَعْطِ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مِائَةَ دِينَارٍ، يستعينون بها على ما هم عليه، من بيت مال المسلمين، حين يأتيك كتابى هذا، وإن خير الخير أعجله. والسلام عليك.

قال: فَكَانَ عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ وَأَسَدُ بْنُ وَدَاعَةَ فِيمَنْ أَخَذَهَا [٢].

(١) الحلية (٥/ ٣٥٩).

(٢) مناقب عمر (ص ١١٥).

حاجتي أن تُعفيني منها

۞ وها هى صفحة مضيئة للزاهد العابد عتبة الغلام رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: وَيْحَكَ! أَيْنَ عُتْبَةُ هَذَا الَّذِى قَدِ افْتُتِنَ بِهِ أَهْلُ الْبَصْرَةِ؟ قَالَ: فَخَرَجَ بِهِ فِى الْجَيْشِ حَتَّى أَتَى بِهِ عَلَى عُتْبَةَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مُنَكِّسَ الرَّأْس بِيَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَسَلَّمَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، قَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا عُتْبَةُ؟ قَالَ: بِحَالٍ بَيْنَ حَالَيْنِ، قَالَ: مَا هُمَا؟ قَالَ: قُدُومٌ عَلَى اللهِ بِخَيْرٍ أَمْ بِشَرٍّ ثُمَّ نَكَسَ رَأْسَهُ وَجَعَلَ يَنْكُتُ الْأَرْضَ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ أَرَى عُتْبَةَ قَدْ أَحْرَزَ نَفْسَهُ وَلَا يُبَالِى مَا أَصْبَحْنَا فِيهِ وَأَمْسَيْنَا ثُمَّ قَالَ: يَا عُتْبَةُ قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِأَلْفَىْ دِرْهَمٍ، قَالَ: أَقْبَلُهَا مِنْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ عَلَى أَنْ تَقْضِىَ لِى مَعَهَا حَاجَةً قَالَ: نَعَمْ، وَسُرَّ سُلَيْمَانُ فَقَالَ: وَمَا حَاجَتُكَ؟ فَقَالَ: تُعْفِينِى مِنْهَا، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ قَالَ: ثُمَّ وَلَّى عَنْهُ مُنْصَرِفًا وَهُوَ يَبْكِى وَيَقُولُ: قَصَّرَ إِلَيْنَا عُتْبَةُ مَا نَحْنُ فِيهِ[1].

---

(١) الحلية (٦/ ٢٣٣).

قصة أبي سليمان الداراني مع العابد الفقير

❁ عن أحمد بن أبى الحوارى قال:

حججت أنا وأبو سليمان، فبينا نحن نسير إذ سقطت السطيحة[١] منى، وكان البرد عظيمًا، فلما افتقدت السطيحة أخبرت أبا سليمان فقال: اللهم سَلِّم وصَلِّ على محمد، يا راد الضالة، ويا هادى من الضلالة، رُدَّ الضالة، فإذا بواحد ينادى: مَنْ ذهبت له سطيحة؟ فأخذتها منه. فقال لى أبو سليمان: ما يتركنا بلا ماء.... فبينا نحن نسير إذا برجل عليه طِمران رثَّان وقد تدرعنا بالفراء من شدة البرد، وهو يرشح عرقًا. فقال له أبو سليمان: ألا ندثرك ببعض ما معنا؟ فقال الرجل: يا دارانى الحر والبرد خلقان لله تعالى إن أمرهما أن يغشيانى أصابانى وإن أمرهما أن يتركانى تركانى، يا دارانى تصف الزهد وتخاف من البرد؟ أنا أسيح فى هذه البرية منذ ثلاثين سنة ما انتفضت ولا ارتعدت، يُلبسنى فى البرد فيحًا من محبته، ويُلبسنى فى الصيف مذاق برد محبته. ثم ولَّى وهو يقول: يا دارانى تبكى وتصيح وتستريح إلى الترويح؟ فكان أبو سليمان يقول: لم يعرفنى غيره.[٢]

---

(١) السطيحة: وعاء للزاد من جلد.

(٢) أخرجها ابن عساكر فى تاريخ دمشق (٣٤/ ١٥٤)، وابن الجوزى فى صفة الصفوة (٤/ ٣٧٩-٣٨٠).

حكاية الراهب مع الإسكافي

۞ عن الخلد بن أيوب قال: كان عبد من بنى إسرائيل فى صومعة ستين سنة، وإنه أُتى فى منامه فقيل له: إن فلانًا الإسكافى خير منك.

فلما انتبه قال: رؤيا، ثم سكت. فلما كان فى القائلة رأى مثل ذلك، فلم يزل يرى مثل ذلك فى منامه مرارًا، فنزل من صومعته، فأتى الإسكافى، فلما رآه الإسكافى قام من عمله، وجعله يتمسح به، وقال له: ما أنزلك من صومعتك قال: أنت أنزلتنى، أخبرنى ما عملك؟ فكأنه كره أن يخبره، ثم قال: أجل أعمل النهار وأكسب، فما رَزَق الله من شىء أتصدق بنصفه، وآكل مع عيالى النصف، وأصوم النهار، فانطلق من عنده، فلما كان بعد ذلك قيل للراهب: سَلْهُ مِمَّ صُفرة وجهه، فأتاه، فقال: مَمَّ صُفرة وجهك؟ فقال: إنى رجل لا يكاد يُرفع لى أحد إلا ظننت أنه فى الجنة وأنا فى النار.

قال: فإنما فُضِّل علىَّ الراهب بإزرائه على نفسه[1].

---

(١) عيون الحكايات (ص١١٩ - ١٢٠).

بين الصبر والتصبر

۞ عن إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللَّهُ قال:

دَخَلْتُ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ فَلَقِيتُ شَيْخًا يُقَالُ لَهُ: أَسْلَمُ بْنُ زَيْدٍ الْجُهَنِيُّ، فَقَالَ لِي: « مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ » قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ.

فَقَالَ: « مَا حَمَلَكَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا؟ » قُلْتُ: زُهْدٌ فِيهَا، وَرَجَاءُ ثَوَابٍ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ لِي: « إِنَّ الْعَبْدَ لَا يَتِمُّ لَهُ رَجَاءُ ثَوَابٍ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَحْمِلَ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ.

« فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: وَأَيُّ شَيْءٍ الصَّبْرُ؟ قَالَ: « هُوَ أَنْ يُرَوِّض نَفْسَهُ عَلَى احْتِمَالِ مَكَارِهِ الْأَنْفُسِ.

« قَالَ إِبْرَاهِيمُ: هَذَا تَصَبُّرٌ وَلَيْسَ بِصَبِرٍ، فَفَزِعَ وَرَاعَهُ قَوْلِي، وَقَالَ: « يَا غُلَامُ، مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الَّذِي قُلْتَ؟ » قُلْتُ: عَطَاءٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَقَالَ لِي: « صَدَقْتَ هُوَ تَصَبُّرٌ وَلَيْسَ بِصَبِرٍ، يَا غُلَامُ احْفَظْ عَنِّي وَعِهْ، وَاحْتَمِلْ وَاعْقِلْ وَاعْلَمْ أَنَّ أَدْنَى مَنَازِلِ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا احْتِمَالُ الْمَكَارِهِ لِلْأَنْفُسِ، فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ مُحْتَمِلًا لِلْمَكَارِهِ أَوْرَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَلْبَهُ نُورًا» قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ النُّورُ؟ قَالَ: « سِرَاجٌ يُضِيءُ قَلْبَهُ » (١).

---

(١) شعب الإيمان (٩٩٩٨).

من احتاج إلى شيء فليأخذ على قدر حاجته

۞ قال عليّ بن محمد الحسن المالكي: جاء رجلٌ إلى عبد الصمد بمائة دينار ليدفعها إليه، فقال له: أنا غنيٌّ عنها، فقال: فرِّقها على أصحابك هؤلاء، فقال: ضعها على الأرض، ففعل. فقال عبد الصمد للجماعة: مَن احتاج منكم إلى شيء، فليأخذ على قدْرِ حاجته، فتوزعتها الجماعة على صفات مختلفة من القِلة، والكثرة ولم يمسَّها هو بيده، ثم جاءه ابنه بعد ساعة. فطلب منها شيئًا، فقال له: اذهب إلى البقال، فخذ عليَّ منه ربع رطل تمرًا(١).

۞ وقال أبو الوفاء بن عقيل: هجم عيدٌ على عبد الصمد، والبيت فارغ من القُوت، فجاءه رجل بدراهم، فقال: خذ هذه. فقال: يا هذا بالله دعنى اليوم أتلذذ بفقرى كما يتلذذ الأغنياء بغناهم.

۞ وروى أنه كان فى دعوة، فقيل له: انبسط وتمَكّن، فقال: وما يُمكّنُنى؟ من يحتشم ربّه فى الخلوة لا ينبسط.

وكان يُحرِّض أصحابه على الجِدّ، ويقول: هيه قد فاتتكم الدنيا، فلا تفوتنّكم الآخرة(٢).

---

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٤٤)، وصفة الصفوة (٢/ ٤٧٨).

(٢) صفة الصفوة (٢/ ٤٨١).



اطلب حوائجك ممن لا يُغلق بـابه

❁ روى عبد الرزاق، عن أبيه قال:

كان طاووس يصلى فى غداة باردة مغيمة، فمرَّ به محمد بن يوسف أخـو الحجَّاج، أو أيوب بن يحيى فى موكبه، وهو ساجد، فـأمر بـساجٍ أو طيلسان مرتفع فطُرح عليه، فلم يرفع رأسه حتى فرغ من حاجته، فلما سلّم، نظر فإذا الساج عليه، فانتفض ولـم ينظر إليه، ومضى إلى منزله[١].

وقال عطاء: جاءنى طاووس فقال لى: يا عطاء، إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، وجعـل دونـه حجـابًا، وعليك بطلـب حوائجك ممـن بابـه مفتـوح لـك إلـى يـوم القيامـة، طلـب إليـك أن تـدعوه، ووعـدك الإجابة[٢].

وقال الحافظ: قال عمرو بن دينار: مـا رأيـت أحـدًا أعـفَّ عمـا فى أيـدى الناس من طاووس... وقال ابن عيينة: متجنبوا السلطان ثلاثة:

أبو ذر فى زمانه، وطاووس فى زمانه، والثورى فى زمانه[٣].

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ٤).

(٢) الحلية (٤/ ١١) - ووفيات الأعيان (٢/ ٥١١).

(٣) تهذيب التهذيب (٥/ ١٠).

الله هو الذي يرزقني ويسترني

۞ دخل شقيق البلخي رَحِمَهُ اللَّهُ الرَّىّ فأتاه قاضِيها محمد بن مُقاتل وقال له: إنْ رأيتَ أنْ تجعلَ طعامَك عندى طُولَ مُقامك بالرىِّ أنت وأصحابُك فافْعَلْ. قال شقيق: ليس أفعل. قال: فَلِمَ؟ قال: لأنِّى أخافُ أن تُشرِفَ منِّى على عَيبٍ فتُبعدَنى، ثم أرجعُ إليه (أي: إلى الله) فلا يقبَلُنى، وأنا معه على العُيوب يرزُقنى ويسترُ علىَّ العيوب.

۞ وقال: عَمِلْتُ فِي الْقُرْآنِ عِشْرِينَ سَنَةً حَتَّى مَيَّزْتُ الدُّنْيَا عَنِ الْآخِرَةِ، فَأَصَبْتُهُ فِي حَرْفَيْنِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ﴾ [١]. والزاهد الذى يُقيم زُهدَه بفعلِه، والمُتزَهِّدُ الذى يُقيم زُهدَه بلِسانه [٢].

---

(١) سورة القصص: الآية: (٦٠).

(٢) طبقات الصوفية (٦٤)، وحلية الأولياء (٨/ ٦٠).



كان يملك ثلاثمائة قرية ويوم قُتل لم يكن له كفن يُكفَّن فيه

۞ قال على بن محمد بن شقيق البلخى: كان لجدِّى ثلاثمائة قرية، ويوم قُتل لم يكن له كفن يُكفَّن فيه، قدَّمه كله بين يديه، وثيابه وسيفه إلى الساعة مُعلَّق يتذكرونه به.

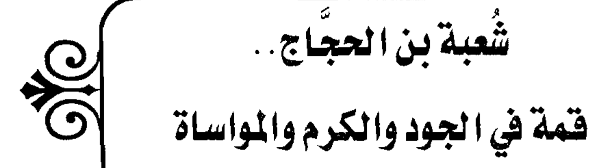
۞ وقال: وكان قد خرج إلى بلاد الترك لتجارةٍ وهو حَدَث، فدخل إلى قوم يقال لهم: الحلوجية وهم يعبدون الأصنام فدخل إلى بيت أصنامهم [فرأى خادمًا] قد حلق رأسه ولحيته، صغير السن، ولبس ثيابًا حمراء أرجوانية، فقال له شقيق: إن هذا الذي أنت فيه باطل؛ ولهؤلاء ولك ولهذا الخلق خالق وصانع ليس كمثله شيء له الدنيا والآخرة ... قادرٌ على كل شيء ورازق كل شيء... فقال له الخادم: ليس يوافق قولك فعلك، فقال له شقيق: كيف ذاك؟ قال: زعمت أن لك خالقًا قادرًا على كل شيء، وقد نَصِبتَ[1] إلى ههنا لطلب الرزق، ولو كان كما تقول كان الذى يرزقك ههنا يرزقك ثَمَّ، فتريح العنا.

قال شقيق: فكان سبب زهدى كلام التركى .... فرجع فتصدق بجميع ما ملك، وطلب العلم ... وقال شقيق: خرجت من ثلاث مئة ألف درهم، وكنت مرابيًا ولبست الصوف عشرين سنة، وأنا لا أعلم، حتى لقيت عبد العزيز بن أبى رواد، فقال: يا شقيق، ليس الشأن فى أكل الشعير، ولا لباس الصوف والشعر، إنما الشأن فى المعرفة، أن تعرف الله عَزَّوَجَلَّ، ... تعبده ولا تشرك به شيئًا، قلت له: فسِّر لى هذا؟ قال: يكون جميع ما تعمله لله خالصًا، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾[2][3].

(١) نَصِبت: أي تعبت.

(٢) سورة الكهف: الآية: (١١٠).

(٣) المختار من مناقب الأخيار/ لابن الأثير (٣/ ١٠٨ - ١٠٩) بتصرف.




شُعبة بن الحجّاج..
قمة في الجود والكرم والمواساة

۞ قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم.

وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان، ضعفت المواساة، وكلما قوى، قويت.

وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له[1].

ولقد كان الإمام شعبة بن الحجاج فى قمة الكرم والجود والمواساة لكل من حوله.

وها هى بعض الصور المشرقة لجوده وكرمه ومواساته لمن حوله.

عن محمد بن عمرو قال: سمعت أصحابنا يقولون: وهب المهدى لشعبة ثلاثين ألف درهم، فقسمها، وأقطعه ألف جريب [2] بالبصرة، فقدم البصرة، فلم يجد شيئًا يطيب له، فتركها [3].

وقال يحيى القطان: كان شعبة من أرق الناس، يعطى السائل ما أمكنه.

(١) الفوائد (صـ: ١٧٥).

(٢) الجريب من الأرض: مقدار معلوم الذرع والمساحة.

(٣) السير (٧/ ٢١١ - ٢١٢).

وقال أبو قطن: كانت ثياب شعبة كالتراب، وكان كثير الصلاة، سخيًّا.

وعن عبد العزيز بن أبى رواد، قال: كان شعبة إذا حَكَّ جسمه، انتثر منه التراب، وكان سخيًّا، كثير الصلاة [١].

وعن أبى داود الطيالسى قال: كنا عند شعبة، فجاء سليمان بن المغيرة يبكى.

فقال له شعبة: ما يبكيك يا أبا سعيد؟ قال: مات حمارى، وذهبت منى الجمعة، وذهبت حوائجى. قال: فبكم أخذته؟ قال: بثلاثة دنانير. قال: فعندى ثلاثة دنانير، والله ما أملك غيرها، يا غلام هات تلك السرة، فإذا فيها ثلاثة دنانير، فدفعها إليه، وقال: اشتر بها حمارًا، ولا تبكِ [٢].

وعن أبى داود قال: كنا عند شعبة نكتب ما يملى، فجاء رجل يطلب صدقة فقال شعبة: تصدقوا. فلم يتصدق أحد.

فقال: تصدقوا، فإن أبا إسحاق حدثنى عن عبد الله بن معقل عن عدى بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا النار، ولو بشق تمرة**». قال: فلم يتصدق أحد. فقال: فإن عمرو بن مرة حدثنى عن خيثمة عن عدى بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا النار، ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا، فبكلمة طيبة**»، فلم يتصدق أحد، فقال: تصدقوا، فإن مُحلا الضبى حدثنى عن عدى بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «**استتروا من النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا، فبكلمة طيبة**»، فلم يتصدق أحد. فقال: قوموا عنى، فوالله، لا حدثتكم ثلاثة أشهر، ثم دخل منزله، فأخرج عجينًا، فأعطاه السائل، فقال:

(١) السير (٧/ ٢١١).

(٢) حلية الأولياء (٧/ ١٤٦).

خذ هذا، فإنه طعامنا اليوم[١].

وقال النضر بن شميل: ما رأيت أرحم بمسكين من شعبة، كان إذا رأى المسكين لا يزال ينظر إليه حتى يغيب عن وجهه.

وقال مسلم بن إبراهيم: كان شعبة إذا قام في مجلسه سائل لا يحدث حتى يُعطَى[٢]. -أي يُعطَى ذلك السائل-.

وقال مسلم: كان شعبة أبا الفقراء وأمهم[٣].

وسمعته يقول: والله، لولا الفقراء ما جلست إليكم. وكان يسأل لجيرانه الفقراء.

وركب شعبة يومًا حمارًا له، فلقيه سليمان بن المغيرة، فشكا إليه الفقر والحاجة، فقال: والله ما أملك غير هذا الحمار، فنزل عنه ودفعه إليه[٤].

---

(١) السير (٧/ ٢٢٧ - ٢٢٨).

(٢) الحلية (٧/ ١٤٧)، وتاريخ بغداد (٢٦٠ - ٢٦١).

(٣) تهذيب الكمال (١٢/ ٤٩٢).

(٤) الحلية (٧/ ٧٥) - وتاريخ بغداد (٩/ ٢٦١).

نِعم الزَّادُ زادُك يا حاتم

قال عبد الله بن سهل: قال رجل لحاتم: بلغنى أنك تجوز المفاوز من غير زاد. فقال: بل أجوزها بالزاد، وإنما زادى فيها أربعة أشياء. قال: ما هى؟ قال: أرى الدنيا كلها ملكًا لله، وأرى الخلق كلهم عباد الله وعياله، وأرى الأسباب والأرزاق كلها بيد الله، وأرى قضاء الله نافذًا فى كل أرض الله. فقال له الرجل: نِعم الزادُ زادك يا حاتم! أنت تجوز به مفاوز الآخرة، فكيف مفاوز الدنيا؟ (١).

وقال حاتم: من أصبح وهو مستقيم فى أربعة أشياء فهو متقلب فى رضا الله تعالى، أولها الثقة بالله، ثم التوكل، ثم الإخلاص، ثم المعرفة، والأشياء كلها تتم بالمعرفة.

(١) تاريخ بغداد (٨/ ٢٤٣).

كيف يحزن من كان ربه الله (جل وعلا)

۞ حُكى عن شقيق البلخى أنه قال: كان ابتداء توبتى أنى رأيت غلامًا فى سنة قحط يمرح زهوًا والناس تعلوهم الكآبة لمُقاساة الجدوبة فقلت له: يا هذا ما هذا المرح أما ترى ما فيه الناس من المحن؟ فقال: ما يحق لى حزن ولسيدى قرية مملوكة يدَّخِر منها ما احتاج إليه، فقلت فى نفسى: إن هذا العبد لمخلوق ولا يستوحش؛ لأن لسيده قرية مملوكة فكيف يصح أن أستوحش وسيدى مالك الملوك .... فانتبهت وتُبت.

أطعموا الطعام وأخلصوا النية

۞ قال عِيسَى بْنُ حَازِم: خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ إِلَى الطَّائِفِ وَمَعَهُمْ سُفْرَةٌ فِيهَا طَعَامٌ فَوَضَعُوهَا لِيَأْكُلُوا وَإِذَا أَعْرَابٌ قَرِيبٌ مِنْهُمْ فَنَادَاهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ يَا إِخْوَتَاهْ هَلُمُّوا، فَقَالَ لَهُمْ سُفْيَانُ: يَا إِخْوَتَاهْ مَكَانَكُمْ، ثُمَّ قَالَ سُفْيَانُ لِإِبْرَاهِيمَ: خُذْ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ مَا طَابَتْ بِهِ أَنْفُسُنَا فَاذْهَبْ بِهِ إِلَيْهِمْ فَإِنْ شَبِعُوا فَاللهُ أَشْبَعَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَشْبَعُوا فَهُمْ أَعْلَمُ، أَخَافُ أَنْ يَجِيئُوا فَيَأْكُلُوا طَعَامَنَا كُلَّهُ فَتَتَغَيَّرَ نِيَّاتُنَا وَيَذْهَبَ أَجْرُنَا[1].

(١) الحلية (٦/ ٣٨٨).

زهد الثوري في المال

۞ عن مبارك أخو سفيان قال:

جاء رجل إلى سفيان ببدرة، وكان أبوه صديقًا لسفيان جدًّا، فقال: يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار إليَّ هذا المال، وقد أحببت أن تقبل هذا المال تستعين به ... فقَبِله منه، فلما خرج، قال لى: يا مبارك الحقه ورُدَّه، ففعلت: فقال: يا ابن أخى أحب أن تأخذ هذا المال، فقال له: يا أبا عبد الله فى نفسك منه شىء؟

قال: لا ولكن أحب أن تأخذه، ... فأخذه وذهب، فلم أملك نفسى، فقلت: أى شىء قلبك... حجارة. أليس لك عيال، أما ترحمنى، أما ترحم إخوانك، وصبياننا؟

قال: يا مبارك تأكلها أنت هنيئًا مريئًا، وأُسأل عنها؟ لا يكون هذا أبدًا[1].

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٧/ ٣)، والخطيب فى تاريخه (٩/ ١٦١).

عليك بالاستغناء عن الناس

❁ عن سَعِيدِ بْنِ صَدَقَةَ، قَالَ:

«أَخَذَ بِيَدِى سُفْيَانُ الثَّوْرِىُّ، فَأَخْرَجَنِى إِلَى الْجَبَّانِ ، فَاعْتَزَلْنَا نَاحِيَةً عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ ، فَبَكَى ثُمَّ قَالَ: يَا مُهَلْهَلُ ، « إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تُخَالِطَ فِى زَمَانِكَ هَذَا أَحَدًا فَافعَلْ ، وَلْيَكُنْ هَمَّكَ مَرَمَّةُ جِهَازِكَ ، وَاحْذَرْ إِتْيَانَ هَؤُلَاءِ الْأُمَرَاءِ ، وَارْغَبْ إِلَى اللهِ فِى حَوَائِجِكَ لَدَيْهِمْ ، وَافْزَعْ إِلَيْهِ فِيمَا يَنُوبُكَ وَعَلَيْكَ بِالِاسْتِغْنَاءِ عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ، وَارْفَعْ حَوَائِجَكَ إِلَى مَنْ لَا تَعْظُمُ الْحَوَائِجُ عِنْدَهُ ، فَوَاللهِ مَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ بِالْكُوفَةِ أَحَدًا أَفْزَعُ إِلَيْهِ فِى قَرْضِ عَشْرَةِ دَرَاهِمَ أَقْرَضْنِى ثُمَّ كَتَبَهَا عَلَيَّ حَتَّى يَذْهَبَ وَيَجِيءَ وَيَقُولَ: جَاءَنِى سُفْيَانُ فَاسْتَقْرَضَ مِنِّى فَأَقْرَضْتُهُ»[1].

❁❁❁

(١) مناقب الإمام الأعظم سفيان الثورى (ص / ٤٠) للذهبى.

أيهما أزهد في الدنيا؟

۞ عن أحمد قال:

سَمِعْتُ أَبَا سُلَيْمَانَ، وَأَبَا صَفْوَانَ يَتَنَاظَرَانِ فِى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَأُوَيْسٍ، فَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ لِأَبِى صَفْوَانَ: «كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَزْهَدُ مِنْ أُوَيْسٍ»، فَقَالَ لَهُ: وَلِمَ؟

قَالَ: «لِأَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَلَكَ الدُّنْيَا فَزَهِدَ فِيهَا».

فَقَالَ لَهُ أَبُو صَفْوَانَ: وَأُوَيْسٌ لَوْ مَلَكَهَا لَزَهِدَ فِيهَا مِثْلَ مَا فَعَلَ عُمَرُ.

فَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: «أَتَجْعَلُ مَنْ جَرَّبَ كَمَنْ لَمْ يُجَرِّبُ»[1].

---

(١) الحلية (٩/ ٢٧٢).

إن كان يُغنيك ما يكفيك فإن أدنى ما في الدنيا يكفيك

۞ أقبل وهب بن منبه، على عطاء الخراسانى، فقال: ويحك يا عطاء ألم أُخبَر أنك تحمل علْمك إلى أبواب الملوك، وأبناء الدنيا؟ ويحك يا عطاء تأتى من يُغلق عنك بابه، ويُظهر لك فقره، ويوارى عنك غناه، وتدَع من يفتح لك بابه، ويُظهر لك غناه ويقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[1].

ويحك يا عطاء ارْضَ بالدُّون[2] من الدنيا مع الحكمة، ولا ترضَ بالدون من الحكمة مع الدنيا. ويحك يا عطاء إن كان يُغنيك ما يكفيك، فإن أدنى ما فى الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك، فليس فى الدنيا شىءٌ يكفيك. ويحك يا عطاء إنما بطنك بحرٌ من البحور، ووادٍ من الأودية، فليس يملؤه إلا التراب[3].

---

(١) سورة غافر: الآية: (٦٠).

(٢) الدون: القليل واليسير.

(٣) صفة الصفوة (٢/ ٩٤).

طاب قلبه وأذن

۞ قَالَ أَبُو البَرَكَات إِسْمَاعِيْل ابْنُ أَبِي سَعْدٍ الصُّوْفِيّ:

كَانَ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ ابْن زَهْرَاء الصُّوْفِيّ بِرباطِنَا قَدْ أَعدَّ لِنَفْسِهِ قَبْرًا إِلَى جَانب قَبر بِشر الحَافِي وَكَانَ يَمضِي إِلَيْهِ كُلّ أُسْبُوْع مرَّةً وَيَنَامُ فِيْهِ وَيَتلو فِيْهِ القُرْآن كُلَّهُ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو بَكْرٍ الخَطِيْبُ كَانَ قَدْ أَوْصَى أَنْ يُدفَن إِلَى جَنْبِ قَبْر بشر فَجَاءَ أَصْحَاب الحَدِيْث إِلَى ابْنِ زَهْرَاء وَسَأَلُوْهُ أَنْ يَدفنُوا الخَطِيْب فِي قَبْره وَأَنَّ يُؤْثِره بِهِ فَامْتَنَعَ وَقَالَ: مَوْضِعٌ قَدْ أَعددتُه لِنَفْسِي يُؤْخَذ مِنِّي!. فَجَاؤُوا إِلَى وَالِدِي وَذكرُوا لَهُ ذَلِكَ فَأَحضر ابْنَ زَهْرَاء وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ ابنُ عَلِيٍّ الطُّرَيْثِيْثِيّ فقَالَ: أَنَا لاَ أَقُوْل لَكَ أَعْطهم القَبْر وَلَكِنْ أَقُوْل لَكَ: لَوْ أَنَّ بِشرًا الحَافِي فِي الأَحْيَاء وَأَنْتَ إِلَى جَانبه فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ الخَطِيْبُ ليقْعد دُونك أَكَانَ يَحسُن بك أَنْ تَقعدَ أَعْلَى مِنْهُ؟ قَالَ: لاَ بَلْ كُنْت أُجْلِسُهُ مَكَانِي. قَالَ: فَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تكُوْن السَّاعَةَ. قَالَ: فَطَابَ قَلْبُه وَأَذِن.

إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مُوحِّد

۞ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَطَاءٍ، قَالَ:

سَعَى سَاعٍ بالصُّوفِيَّةِ إِلَى الْخَلِيفَةِ، فَقَالَ: إِنَّ هَهُنَا قَوْمًا مِنَ الزَّنَادِقَةِ يَرْفُضُونَ الشَّرِيعَةَ، فَأَخَذَ أَبُو الْحُسَيْنِ النَّوْرِيُّ، وَأَبُو حَمْزَةَ، وَالدَّقَّامَ، وَتَستَّرَ الْجُنَيْدُ بِالْفِقْهِ، فَكَانَ يَتَكَلَّمُ عَلَى مُذْهَبِ أَبِي ثَوْرٍ، فَأُدْخِلُوا عَلَى الْخَلِيفَةِ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ فَبَدَرَ أَبُو الْحُسَيْنِ إِلَى السَّيَّافِ لِيَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ لَهُ السَّيَّافُ: مَا لَكَ بَدَرْتَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِكَ؟ فَقَالَ: «أَحْبَبْتُ أَنْ أُوثِرَ أَصْحَابِي بِحَيَاةِ هَذِهِ اللَّحْظَةِ» فَتَعَجَّبَ السَّيَّافُ مِنْ ذَلِكَ، وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَ وَكَتَبَ بِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ، فَرَدَّ أَمْرَهُمْ إِلَى قَاضِي الْقُضَاةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ، فَقَامَ إِلَيْهِ النَّوْرِيُّ فَسَأَلَهُ عَنْ أُصُولِ الْفَرَائِضِ فِي الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ فَأَجَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَبَعْدَ هَذَا فَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يَأْكُلُونَ بِاللهِ، وَيَلْبَسُونَ بِاللهِ، وَيَسْمَعُونَ بِاللهِ، وَيَصْدُرُونَ بِاللهِ، وَيَرِدُّونَ بِاللهِ، فَلَمَّا سَمِعَ الْقَاضِي كَلَامَهُ بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى الْخَلِيفَةِ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ زَنَادِقَةٌ فَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُوَحِّدٌ [1].

---

(١) تاريخ بغداد (٥/ ١٣١)، والحلية (١٠/ ٢٥٠)، والجامع لشعب الإيمان (٧/ ٩٧).

أبو تراب النخشبي.. وزهده في الدنيا

❁ عن أبي علي الحسن بن خيران الفقيه قال: مَرَّ أبو تراب النخشبي بمُزيِّن، فقال له: تحلق رأسي لله ﷻ؟ فقال له: اجلس فجلس، ففيما يحلق رأسه مَرَّ به أميرٌ من أهل بلده فسأل حاشيته، فقال لهم: أليس هذا أبا تراب؟ قالوا: نعم، فقال: أي شيء معكم من الدنانير؟ فقال له رجل من خاصّته: معي خريطة[1] فيها ألف دينار، فقال: إذا قام فأعطه واعتذر إليه وقل له: لم يكن معنا غير هذه، فجاء الغلام إليه فقال له: إن الأمير يقرأ عليك السلام ويقول لك: ما حضر معنا غير هذه الدنانير، فقال له: ادفعها إلى المُزيِّن، فقال المزين: أي شيء أعمل بها؟ فقال: خذها. فقال: لا والله ولو أنها ألفا دينار ما أخذتها. فقال له أبو تراب: اذهب إليه فقل له أن المزين ما أخذها فخذها أنت فاصرفها في مهماتك[2].

❁❁❁

(١) الخريطة: هي وعاء من جلد ونحوه يشد على ما فيه.

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٣٥٦-٣٥٧) بتصرف.

بيوت الصالحين

۞ **حدَّث أحدهم فقال:** بينما أنا أسير فى طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف على الطريق يُمجد ربه بأبيات من شعر، فسمعته يقول:

مليكٌ في السماء به افتخاري عزيز القدر ليس به خفاءُ

فدنوت إليه فسلَّمتُ عَلَيْهِ فقال: مَا أنا برادٍّ عليك سلامك حتى تؤدى من حقى الذى يجب لى عليك. قلت: وما حقك؟ قَالَ: أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل، ولا أتغدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الميل والميلين فى طلب الضيف، فأجبته إلى ذلك، فرحَّب بى وسار بى حتى قربنا من خيمة شعر، فلما قربنا صاح: يا أختاه فأجابته جارية من الخيمة يا لبَّيْكاه، قَالَ: قومى إلى ضيفنا هذا، فقالت: اصبر حتى أشكر المولى الذى سبَّب لنا هذا الضيف، فقامت وصلَّت ركعتين شكرًا لله، فأدخلنى الخيمة، فأجلسنى، فأخذ الغلام الشفرة وأخذ عناقًا[١] له ليذبحها فلما جلستُ نظرت إلى جارية أحسن الناس وجهًا فكنت أسارقها النظر، ففطنت لبعض لحظاتى، فقالت لى: مَهْ[٢] أما علمت أنه قد نُقل إلينا عَن صاحب يثرب[٣] أنَّ «**زنا العينين النظر**» أما إنى مَا أردت أن أُوبِّخك ولكنى أردت أن أُؤدِّبك لكيلا تعود لمثل هذا، فلما كان وقت النوم بِتُّ أنا والغلام خارج الخيمة، وباتت الجارية فى الخيمة، فكنت أسمع دوى القرآن الليل كله أحسن صوت يكون وأرقَّهُ، فلما أن أصبحت قلت للغلام: صوت من كان ذلك؟ فقال: تلك أختى تحيى الليل كله إلى الصباح.

---

(١) العناق: الأنثى من ولد الماعز.

(٢) مَهْ: بمعنى كُف.

(٣) أي: رسول الله ﷺ.

مراكبي كثيرة

۞ كان إبراهيم بن أدهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول فى دعائه وهو ساجد: اللهم رضِّنى بقضائك وصبِّرنى على بلائك وأوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىَّ وعلى والدىَّ.

ويقال فى مناقبه أنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خرج يومًا إلى حج بيت الله الحرام فقابله رجل من الغافلين وقال له يا إبراهيم إلى أين تريد؟ فقال له أريد حج بيت الله الحرام ... فقال له الرجل: وأين الزاد والراحلة فإن الطريق بعيد والمشقة محققة فقال له ابن أدهم إن مراكبي كثيرة ولكنك يا أخى لا تراها.

فأصر الرجل على سؤاله وقال له: أرنى مراكبك فقال له إبراهيم: يا أخى إذا نزلت مصيبة ركبت مركب الصبر، وإن نزلت بى نعمة ركبت مركب الشكر وإذا نزل بى قضاء الله ركبت مركب الرضا وإذا دعتنى نفسى إلى شيء لا أقدر عليها أقنعتها أن ما بقى من العمر أقل مما مضى فتعجب الرجل من قوة إيمانه وقال له: يا أخى سِرْ بإذن الله فوالله الذى لا إله إلا هو لأنت الراكب ونحن المُشاة.

لماذا الحزن والهم؟!

۞ رأى إبراهيم بن أدهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رجلًا مهمومًا فقال له أيها الرجل، إنى سائلك عن ثلاث فأجبنى. قال الرجل: نعم. فقال له إبراهيم: أيجرى في هذا الكون شيء لا يريده الله؟ قال: كلا، قال إبراهيم: أفينقص من رزقك شيء قدَّره الله؟ قال: كلا، فقال له إبراهيم: أفينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك فى الحياة؟ قال: كلا، فقال له إبراهيم: فعلام الهم إذن؟

اللهم إنك تعلم ما تركت

۞ إنه أبو الحارث الأولاسى رَحِمَهُ اللَّهُ:

كان شابًا يغنى فى أول أمره وقال: بينا أنا فى غفلتى رأيت عليلًا مطروحًا على قارعة الطريق، فدنوت منه فقلت: هل تشتهى شيئًا؟ قال: نعم رُمَّانًا. فجئته برمّان، فلما وضعته بين يديه رفع بصره، وقال: تاب الله عليك.

فما أمسيت حتى تغير قلبى عما كنت عليه، وخرجت إلى الحج وأنا أسير بالليل إذا بقوم يشربون، فلما رأونى ذُهلوا فأجلسونى وعرضوا علىّ الطعام والشراب، فقلت: أحتاج إلى البول فذهبت فوقعت فى غابة فإذا سبع، فقلت: اللَّهم إنك تعلم ما تركت ومماذا خرجت وفيماذا خرجت فاصرف عنى شرّ هذا السبع، فولّى السبع ودخلت مكة فلقيت بها من انتفعت به، منهم إبراهيم بن سعد العلوى.

۞ وعن الحسن بن خلف قال: قال لى أبو الحارث الأولاسى فيض بن الخضر: رأيت إبليس في المنام له جُمة[1] شعر فأقبلت أتملَّقه[2] وأقول: ويحك ما أنا فى هذا الخلق؟ خلِّنى وربّى، فقال: هيهات هيهات، كيف أُخلّيك وفيك وفى أبيك هلكت؟ لا أو تهلكوا معى. قال: فأخذت برأسه فجعلته على حجر وأخذت بحلقه أخنقه ثم قلت: كيف أقدر على قتله وقد أخّره الله ﷻ إلى يوم القيامة؟ ولكن أرفق به فجعلت أتملقه وهو يأبى. فقلت له: دُلّنى على ما ينفعنى. فقال: أدلك على السُّكْر والحُملان

---

(١) جُمَّة: الشعر الوافر حتى شحمتي الأذن.

(٢) أتملقه: التملق: التلطُّف والتَّودُّد – يقصد النفاق والذلة.

والجُوذابات[١] والدنانير والدراهم أن تُكثر منها، فقلت له: يا ملعون أنا أسألك أن تدلنى على شىء ينفعنى فى أمر آخرتى، تدلنى على الدنيا وما أصنع أنا بهذا وما حاجتى إليه؟ فقال: من هاهنا صار رأسى وحلقى فى يدك تقلبه كيف شئت وتلعب به. قلت: أفدتنى علمًا، لا جرم أنى لأرجو أن لا أنال منها شيئًا إلا ما لا غنى بى عنه، فقال: إن تركتك فاصعد العقبة وسأستعين عليك بولد جنسك الذين زينت فى أعينهم ما قبح فى عينك فأجابونى إليه فبهم أستعين عليك فيأتوك من مأمنك[٢].

---

(١) الجوذابات: طعام يُصنع من سكر ولحم.

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٤٣٧-٤٣٨) بتصرُّف.

من كان المولى أنيسه كيف يستوحش

۞ قال بعض العارفين: رأيت شابًّا فى البرية، وهو قائم يذكر الله ويتعبده، ومنقطع عن العمارة والخلق، وليس معه أحد، فسلَّمْتُ عليه، فَرَدَّ علىَّ السلام، فقلت له: يا فتى، أنت فى مكان منقطع بلا معين ولا رفيق، قال: وعزة ربى معى المعين والرفيق، الذى يقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[1] ألا تعلم أنه فوقى بعزته، مُطلع علىَّ بعين رعايته، ومعى بعلمه وحكمته، فلما سمعت منه هذا الكلام قلت له: هل لك فى المرافقة؟ فقال: هيهات،.. مرافقتك تشغلنى عن ذكره، وتُبعدنى عن خدمته، وما أحب أن يكون هذا، ولى ملك الدنيا من مشرقها إلى مغربها، فقلت له: أما تستوحش فى هذا المكان؟ فقال لى: أما سمعت قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[2] يا هذا مَن كان المولى أنيسه وجليسه كيف يستوحش؟ فقلت: من أين تأكل؟ فقال: يا هذا غذَّانى بلطفه فى ظلمة الأحشاء صغيرًا، أفلا يكفُلنى كبيرًا؟ وقد وعدنى برزقه فى قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[3] وقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[4] فسألته الدعاء، فقال: حجب الله طرفك عن معصيته، وملأ قلبك بخشيته، وجعلك من الذاكرين له، المقربين إليه.

---

(١) سورة الحديد: الآية: (٤).

(٢) سورة الرعد: الآية: (٢٨).

(٣) سورة الذاريات: الآية: (٢٢).

(٤) سورة هود: الآية: (٦).

سابق ومسبوق

۞ قيل لأبى مسلم الخولانى رَحِمَهُ اللَّهُ حين كبر ورَقَّ: لو قصرت عن بعض ما تصنع. فقال: أرأيتم لو أرسلتم الخيل فى الحلبة ألستم تقولون لفارسها: دعها وارفق بها حتى إذا رأيتم الغاية لم تستبقوا منها شيئًا؟ قالوا: بلى ـ قال: فإنى قد أبصرت الغاية، وإن لكل ساعة غاية، وغاية كل ساعة الموت، فسابق ومسبوق.

۞ وعن أبي بكر بن أبى مريم قال: حدثنى عطية بن قيس أن ناسًا من أهل دمشق أتوا أبا مسلم الخولانى فى منزله، وهو غازٍ بأرض الروم، فوجدوه قد احتفر فى فسطاطه جوبة، ووضع فى الجوبة نطعًا[1]، وأفرغ فيه ماء يتصلق فيه وهو صائم، فقالوا له: ما يحملك على الصيام وأنت مسافر وقد رخص لك فى الفطر فى السفر؟ فقال: لو حضر قتال لأفطرت وتقويت للقتال، إن الخيل لا تجرى إلى الغايات وهى بُدَّن إنما تجرى وهى ضُمَّر... وإن بين أيدينا أيامًا لها نعمل.

۞ وعن الحسن قال: قال أبو مسلم الخولانى، وكان ذا أمثال: أرأيتم نفسًا إذا أكرمتُها وودعتُها ونعَّمتُها ذمَّتنى غدًا عند الله، وإن أنا أهنتها وأنصبتها وأعملتها مدحتنى عند الله غدًا؟ قالوا: مَن تِيكَ[2] يا أبا مسلم؟ قال: تِيكَ والله نفسى.

۞ وعن عثمان بن أبى العاتكة قال: كان من أمر أبى مسلم الخولانى أن

(١) نطعًا: النطع: هو ما يُبسط في الأرض.

(٢) تيك: تلك.

علَّق سوطًا فى مسجده، ويقول: أنا أَولى بالسوط من الدواب، فإذا دخلته فتره مشق[١] ساقه سوطًا أو سوطين، وكان يقول: لو رأيت الجنة عيانًا ما كان عندى مُستزاد، ولو رأيت النار عيانًا ما كان عندى مستزاد[٢].

***

(١) مشق: المشق: هو الطعن أو الضرب.

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٣٨٥-٣٨٧).

من الذين إذا رؤوا ذُكر الله

۞ **عن العباس بن الوليد قال:** أتينا بِشر بن منصور بعد العصر، فخرج إلينا وكأنه متغير. فقلت له: يا أبا محمد لعلنا شغلناك عن شيء؟ فردَّ ردًّا ضعيفًا ثم قال: كنت أقرأ في المصحف،فشغلتموني. ثم قال: ما أكاد ألقى أحدًا فأربح عليه شيئًا.

۞ **وعن غسان بن المفضل قال:** كان بشر بن منصور من الذين إذا رُؤوا ذُكر الله، وإذا رأيت وجهه ذكرت الآخرة، ... رجل منبسط[1] ليس بمتماوت ذكي فقيه، وكان بشر رجلًا من العرب، وعلَّم بنيه عمل الخوص.

۞ وعن أسيد بن جعفر ابن أخي بشر بن منصور قال: ما رأيت عمّي بشر بن منصور فاتته التكبيرة الأولى قطّ، ولا رأيته قام في مسجدنا سائلٌ قطّ، فلم يُعطَ شيئًا إلا أعطاه.

۞ **وعن زهير السجستاني قال:** سمعت بشر بن منصور يقول: ما جلست إلى أحد ولا جلس إليَّ، فقمت من عنده أو قام من عندي، إلا علمت أني لو لم أقعد إليه أو يقعدْ إليّ كان خيرًا لي.

۞ **وعن عبد الخالق أبو همام الزهراني قال:** قال بشر بن منصور لرجل: أقللْ من معرفة الناس، فإنك لا تدري ما يكون؟ فإن كان شيء (يعني: فضيحة) في القيامة، كان مَن يعرفك قليلًا.

۞ **وعن ابن عيينة قال:** قال رجل لبشر بن منصور: عِظْني، قال: عسكر الموتى ينتظرونك.

---

(١) منبسط: أي: ممدود القامة، وانظر «الحلية» (٦/ ٢٣٩)، و«سير الأعلام» (٨/ ٣٥٩).

۞ وعن عبيس بن مرحوم قال: حدثتني عبدة بنت أبي شوال قالت: رأيت رابعة في المنام، فقلت: ما فعل ضيغم؟ قالت: يزور الله ﷻ متى شاء، فقلت: ما فعل بشر بن منصور ؟قالت: بَخٍ بَخٍ أُعطِيَ والله فوقَ ما كان يأمل[1].

(١) صفة الصفوة (٣/ ٢٢٧-٢٢٨) بتصرف.

أنت لا تحتاج ولكني أحتاج

۞ كان مَجْمَع التيمي يتفقد إخوانه فيُصلح أحوالهم قدر استطاعته... وذلك لأنه كان يتعامل مع الصدقة بمفهومٍ جديد... ألا وهو: أن المتصدِّق أحوج إلى الحسنات من حاجة الفقير إلى المال.

دخل سفيان الثورى على مجمع التيمى، فإذا فى إزار سفيان خرق، قال: فأخذ أربعة دراهم فناول سفيان، فقال: اشتر به إزارًا، فقال سفيان: لا أحتاج إليها. قال مجمع: صدقت، أنت لا تحتاج ولكنى أحتاج. قال: فأخذها فاشترى بها إزارًا، فكان سفيان يقول: كسانى مجمع جزاه الله خيرًا[1].

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ٦٢).

أكره أن أرى في وجهك ذُلّ السؤال

۞ عن أبى بكر السّهمى قال: حدثنى شيخ لنا يُكنَّى أبا بكر: أن مُطرِّف ابن الشِّخِّير قال لبعض إخوانه: يا فلان إذا كانت لك حاجة، فلا تكلمنى فيها، ولكن اكتُبها فى رقعة، ثم ادفْعها إلىَّ فإنى أكره أن أرى فى وجهك ذُلّ السؤال.

وقد قال الشاعر:

لا تحسبن الموتَ موتَ البِلى ... وإنما الموتُ سؤالُ الرجال

كلاهما موتٌ ولكن ذا ... أشدُّ من ذاك لِذُل السؤال[1]

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ١٣٦).

خلِّص رقبتك في الدنيا من رقِّ الآخرة

۞ عن رستم بن أسامة قال: حدثنى إبراهيم بن رستم الخياط، عن أبى بكر بن عياش قال: قال لى رجل مرة، وأنا شاب: خلِّص رقبتك ما استطعت فى الدنيا من رق الآخرة، فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبدًا. قال أبو بكر: فما نسيتها أبدًا.

۞ وعن دلويه: سمعت عليًّا، يعنى: ابن محمد ابن أخت يعلى بن عبيد يقول: مكث أبو بكر بن عياش عشرين سنة قد نزل الماء فى إحدى عينيه ما يعلم به أهله..... وعن محمد بن الحجاج بن جعفر بن إياس بن نذير الضبى قال: كان أبو بكر بن عياش يقوم الليل فى قباء صوف وسراويل، وعكازة يضعها فى صدره، فيتكىء عليها حين كبر فيُحيى ليلته.

۞ وعن الحسين بن إدريس قال: قال ابن عمار: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: صُمت ثمانين رمضانًا.

۞ وعن إسحاق بن الحسين قال: كان أبو بكر بن عياش لمّا كبر يأخذ إفطاره، ثم يغمسه فى الماء فى جر كان له فى بيتٍ مظلم، ثم يقول: يا ملائكتى طالت صحبتى لكما، فإن كان لكما عند الله شفاعة فاشفعا لى.

۞ وعن أبى هشام الرفاعى قال: سمعت أبا بكر بن عياش يقول لى: غرفة قد عجزت عن الصعود إليها، وما يمنعنى من النزول منها إلا أنى أختم فيها القرآن كل يوم وليلة منذ ستون سنة.

۞ وعن أحمد بن محمد بن مسروق قال: سمعت الحمّانى يقول: لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكت أخته، فقال لها: ما يُبكيك؟ انظرى

إلى تلك الزاوية التى فى البيت،قد ختم أخوك فى هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة.

۞ وعن **الهيثم بن خارجة قال**: رأيت أبا بكر بن عياش فى النوم، قُدَّامه طبق رُطَب، فقلت له: يا أبا بكر ألا تدعونا وقد كنت سخيًا على الطعام؟ فقال لى: يا هيثم هذا طعام أهل الجنة لا يأكله أهل الدنيا.قال: قلت: وبِمَ نِلت؟ قال: تسألنى عن هذا، وقد مضت علىَّ ست وثمانون سنة أختم فى كل ليلة منها القرآن؟[1]

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ٩٥-٩٦) بتصرف.

رب ارحم في الدنيا غربتي وفي القبر وحدتي

۞ عن بِشر بن منصور قال: كان عطاء السُّلَيمى يقول: رب ارحم فى الدنيا غربتى، وفى القبر وحدتى، وطول مقامى غدًا بين يديك.

۞ وعن نعيم بن مورع قال: كان عطاء السليمى إذا فرغ من وضوئه انتفض وارتعد وبكى بكاءً شديدًا، فقيل له فى ذلك، فقال: إنى أريد أن أقدم على أمرٍ عظيم، إنى أريد أن أقوم بين يدَىْ الله تعالى.

۞ وعن صالح المرى قال: كان عطاء السليمى قد أضرَّ بنفسه حتى ضعف قال: قلت له: إنك قد أضرَرتَ بنفسك، وأنا متكلّف لك شيئًا فلا تردّ كرامتى. قال: افعل، قال: فاشتريت له سَويقًا من أجود ما وجدت وسمنًا، فجعلت له شريبة، وليَّنتها وحلَّيتها، وأرسلتها مع ابنى وكوزًا من ماء، وقلت له: لا تبرح حتى يشربها. فرجع فقال: قد شرِبها، فلما كان من الغد جعلت له نحوها، ثم سرّحت بها مع ابنى فرجع بها لم يشربها.

قال: فأتيته فلُمته، فقلت: سبحان الله رددت علىَّ كرامتى؟ إن هذا مما يعينك ويقويك على الصلاة وعلى ذكر الله. قال: فلما رآنى قد وجدت من ذلك قال: يا أبا بِشر لا يسوءك الله قد شربتُها أول ما بعثت بها، فلما كان الغدُ راودت نفسى على أن تُسيغها فما قدرت على ذلك، إذا أردت أن أشربها ذكرتُ هذه الآية: ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ﴾[1] فبكى صالح عند هذا، وقال: قلت لنفسى: ألا أرانى فى وادٍ وأنت فى آخر؟.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية: (١٧).

۞ وقالت عفيرة: وحدثنى إبراهيم المحلمى قال: أتيت عطاء السليمى، فلم أجده فى بيته، قال: فنظرت فإذا هو فى ناحية الحجرة جالس، وإذا حوله بلَل،قال: فظننت أنه أثر وضوء توضأه، فقالت لى عجوز معه فى الدار: إنه أثر دموعه.

۞ وعن سوار أبوعبيدة قال: قالت لى امرأة عطاء السليمى عاتِبْ عطاء فى كثرة البكاء، فعاتبته، فقال لى: يا سوار كيف تعاتبنى فى شىْء ليس هو إلىَّ؟ إنى إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله وعقابه تمثَّلتْ لى نفسى بهم، فكيف لنفس تُغَلُّ يدها إلى عنقها، وتُسحب فى النار؟ ألا تصيح فتبكى؟ وكيف لنفسٍ تُعذَّب؟ ألا تبكى؟ ويحك يا سوار وما أقل غَناء البكاء عن أهله إن لم يرحمهم الله.

۞ وعن العلاء بن محمد البصرى قال: شهدت عطاء السليمى خرج فى جنازة، فغُشى عليه أربع مرات حتى صُلّى عليه ... كل ذلك يغُشَى عليه، ثم يُفيق، فإذا نظر إلى الجنازة خَرَّ مغشيًّا عليه.

۞ وعن إبراهيم بن أدهم، قال: كان عطاء يمس جسده بالليل خوفًا من ذنوبه مخافة أن يكون قد مُسخ.

۞ وعن أبى جعفر السائح قال: كان عطاء السليمى يقول: التمسُوا لى هذه الأحاديث فى الرُّخص عسى الله أن يُروِّح عنى بعض ما أنا فيه من الغَمّ.

۞ وعن محمد بن معاوية الأزرق قال: حدثنى بعض أصحابنا قال: قيل لعطاء السليمى: ما تشتهى؟ قال: أشتهى أن أبكى حتى لا أقدر على أن أبكى. قال: وكان يبكى الليل والنهار، وكانت دموعه الدهر سائلة على وجهه.

۞ وعن سوار أبى عبيدة قال: انقطع عطاء السليمى قبل موته بثلاثين سنة. قال: وما رأيت عطاء، إلا وعيناه تَفيضان. قال: وما كنت أُشبِّه عطاء إذا رأيته إلا بالمرأة الثكلى. قال: وكأنّ عطاء لم يكن من أهل الدنيا.

۞ وعن صالح المرى قال: كان عطاء السليمى لايكاد يدعو، إنما يدعو بعضُ أصحابه، ويُؤمِّن هو. قال: فحُبس بعض أصحابه، فقيل له: ألك حاجة؟ قال: دعوة من عطاء أن يفرّج الله عنى. قال صالح: فأتيته فقلت: يا أبا محمد أما تحب أن يفرّج الله عنك؟ قال: بلى والله إنى لأحبّ ذلك. قلت: فإن جليسك فلانًا قد حُبس، فادْعُ الله أن يُفرّج عنه، فرفع يديه وبكى، وقال: إلهى قد تعلم حاجتنا قبل أن نسألكها، فاقْضِها لنا ... قال صالح: والله ما بِرحنا من البيت حتى دخل الرجل.

۞ وعن صالح المرى قال: قلت لعطاء السليمى: ما تشتهى؟ فبكى وقال: أشتهى والله يا أبا بشر أن أكون رمادًا لا تجتمع منه سُفَّة أبدًا فى الدنيا ولا فى آخرة

قال صالح: فأبكانى والله، وعلمت أنه إنما أراد النجاة من عُسر الحساب.

۞ وعن صالح بن بشير المرى قال: لما مات عطاء السليمى حزنتُ عليه حزنًا شديدًا فرأيته فى منامى، فقلت: يا أبا محمد ألستَ فى زُمْرة الموتى؟ قال: بلى. قلت: فماذا صرتَ إليه بعد الموت؟ قال: صرت والله إلى خيرٍ كثير، ورب غفور شكور. قال: فقلت: أما والله لقد كنت طويل الحزن فى دار الدنيا. فتبسم فقال: أما والله يا أبا بشر لقد أعقبنى ذلك راحة طويلة، وفرحًا دائمًا. قلت: ففى أى الدرجات أنت ؟ قال: أنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقًا[1].

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ١٩٧-٢٠٠) بتصرف.



قيام الليل وصيام النهار أيسر من شُرب الصديد

۞ عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: كنا نغازى مع عطاء الخُراسانى، فكان يُحيى الليل كله صلاة، فإذا ذهب من الليل ثلثه أو نصفه نادانا وهو فى فُسطاطه يُسمعنا: يا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، يا يزيد بن يزيد، يا هشام ابن الغاز، يا فلان بن فلان، قوموا فتوضؤا وصلُّوا، فإن قيام هذا الليل وصيام هذا النهار أيسر من شرب الصديد ومقطعات الحديد، الوحَى الوحَى النَّجاء النَّجاء، ثم يُقبل على صلاته.

۞ وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: حدثنى عمى يزيد ابن يزيد بن جابر عن عطاء الخراسانى أنه كان يقول: إنى لا أوصيكم بدنياكم، أنتم بها مستوصون، وأنتم عليها حِراص، وإنما أوصيكم بآخرتكم، فخذوا من دار الفناء لدار البقاء، واجعلوا الدنيا كشىء فارقتموه، فوالله لتفارقُنَّها، واجعلوا الموت كشىء ذُقتموه، فوالله لتذُوقنّه، واجعلوا الآخرة كشىء نزلتموه، فوالله لتنزلنها، وهى دار الناس كلهم ليس من الناس أحد يخرج لسفر إلا أخذ له أُهبته، فمن أخذ لسفره الذى يصلحه اغتبط، ومن خرج إلى سفر لم يأخذ له أهبته ندم فإذا ضحى لم يجد ظلًا، وإذا ظمئ لم يجد ماءً يتروى به، وإنما سفر الدنيا منقطع، وأكيس الناس من قام يتجهز لسفر لا ينقطع.

۞ وعن الأوزاعى قال: حدثنى عطاء الخراسانى قال: ما من عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من بقاع الأرض، إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت.

۞ وعن عثمان بن عطاء عن أبيه قال: إن أوثق عملى فى نفسى نَشرى للعلم.

۞ وعن عمر بن أبى خليفة قال: سمعت عطاء الخراسانى، وصلى معنا المغرب، فأخذ بيدى حين انصرفنا، فقال: ترى هذه الساعة ما بين المغرب والعشاء؟ فإنها ساعة الغفلة وهى صلاة الأوابين [(١)].

(١) صفة الصفوة (٤/ ٤٣١-٤٣٢) بتصرف.

جاءت الحلاوة كلها

۞ عن أحمد بن ثعلبة قال: سمعت سلمًا الخوَّاص يقول: كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة، فقلت لنفسى: اقرئيه كأنك سمعته من رسول الله ﷺ. قال: فجاءت حلاوة قليلة، ثم قلت لنفسى: اقرئيه كأنك سمعته من جبريل يخبر به النبى ﷺ. فازدادت الحلاوة. قال: ثم قلت لها اقرئيه كأنك سمعته منه ﷻ حين يتكلم به، فجاءت الحلاوة كلّها.

۞ وعن قاسم الجوعى قال: جئت سلمًا الخّواص فقدّم إلىَّ نصف بطيخة ونصف رغيف وقال لى: كُلْ يا قاسم، نزلت على أخٍ لى فقدم لى نصف خيارة ونصف رغيف وقال لى: كل يا سَلم فإنّ الحلال لا يحتمل السرف، ومَنْ دَرَى من أين يكسب دَرَى كيف ينفق.

۞ وعن إسماعيل بن أبى سلمة قال: رأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت، وكأن مناديًا ينادى: ألا لِيَقُم السّابقون، فقام سفيان الثورى، ثم نادى الثانية: ألا ليقم السابقون فقام سلم الخواص، ثم نادى الثالثة: ألا ليقم السابقون فقام إبراهيم بن أدهم[1].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٤٣٢ - ٤٣٣) بتصرف.

اكتب نَفَسَ هذا الشيخ

۞ عن أبى بكر المروزى قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، وذكر ورع عيسى بن يونس، قال: قَدِم فأُمر له بمائة ألف،أو قال: بمال، فلم يقبل، وتدرى ابن كم كان عيسى؟ أراد أنه كان حَدَث السن. (أي: صغير السِّن).

۞ وعن محمد بن المنكدر قال: حج الرشيد فدخل الكوفة، فركب الأمين والمأمون إلى عيسى بن يونس فحدثهما، فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم، فأبى أن يقبلها فظن أنه استقلَّها، فأمر له بعشرين ألفًا، فقال عيسى: لا والله ولا إهليلجة ولا شربة ماء على حديث رسول الله ﷺ، ولو ملأت لى هذا المسجد ذهبًا إلى السقف.

۞ وعن الحدانى قال: قال ابن المبارك لرجل: اكتب نَفَس هذا الشيخ، يعنى: عيسى بن يونس [(١)].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٤٢٤).

هذا أَعْبَدُ مَن رأيت

۞ عن عبد الله بن صالح قال: ما رأيت بمصر مَن أُفضِّلُه على الحسن بن الخليل في زهده وورعه، ولقد رأيته يحمل دقيقًا في جراب للناس بأُجرة يتقوت بها في كل جمعة يحمل يومًا، ثم زاد أمره فلم يكن يدّخر لوقتٍ يأتي، وعليه مِدرعة قيمتُها أقل من درهم، وأجمع أهل مصر أنه مُستجاب الدعوة.

۞ قال الحسين: وسمعت محمد بن رمح يقول: أتيت الحسن بن الخليل لأسمع منه شيئًا، فإذا هو يقرأ سورة «ق» ويبكي، ثم غُشي عليه، فتركته وقمت وكان قد شغلته العبادة عن الحديث، وعُدت إليه غير مرة فلم يكن فيه فضل، وكان مُصفرَّ اللون كثير البكاء.

۞ وقال الحسين: وحدثنا يحيى بن بكير قال: اعتلَّ الحسن بن الخليل، فجاء الليث بن سعد يعوده ونحن معه فقرأ على رأسه، ثم قمنا من عنده فقال هذا أَعْبَدُ مَن رأيت[1].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٤٦٦-٤٦٧).

إن الأمر جدّ

۞ قال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ ثَرْوَانَ الأَوْدِيِّ: كَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ يُجْهِدُ نَفْسَهُ فِي الصَّوْمِ وَالْعِبَادَةِ حَتَّى يَخْضَرَّ جَسَدُهُ وَيَصْفَرَّ وَكَانَ عَلْقَمَةُ يَقُولُ لَهُ: «وَيْحَكَ لِمَ تُعَذِّبُ هَذَا الْجَسَدَ؟» فَيَقُولُ: «إِنَّ الْأَمْرَ جِدٌّ إِنَّ الْأَمْرَ جِدٌّ».

۞ وقال عَلْقَمَةُ بْنُ مَرْثَدٍ: انْتَهَى الزُّهْدُ إِلَى ثَمَانِيَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ مِنْهُمُ الْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ كَانَ مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ يَصُومُ حَتَّى يَخْضَرَّ جَسَدُهُ وَيَصْفَرَّ وَكَانَ عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ يَقُولُ لَهُ: لِمَ تُعَذِّبُ هَذَا الْجَسَدَ؟ قَالَ: رَاحَةُ هَذَا الْجَسَدِ أُرِيدُ فَلَمَّا احْتُضِرَ بَكَى فَقِيلَ لَهُ: مَا هَذَا الْجَزَعُ قَالَ: مَا لِي لَا أَجْزَعُ وَمَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنِّي وَاللهِ لَوْ أُتِيتُ بِالْمَغْفِرَةِ مِنَ اللهِ ﷻ لَهَمَّنِي الْحَيَاءُ مِنْهُ مِمَّا قَدْ صَنَعْتُهُ، إِنَّ الرَّجُلَ لِيَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّجُلِ الذَّنْبُ الصَّغِيرُ فَيَعْفُو عَنْهُ فَلَا يَزَالُ مُسْتَحْيِيًا مِنْهُ وَلَقَدْ حَجَّ الْأَسْوَدُ ثَمَانِينَ حَجَّةً.

۞ وقَالَ إِبْرَاهِيم النَّخعيّ: «كَانَ الْأَسْوَدُ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ فِي كُلِّ لَيْلَتَيْنِ، وَكَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ فِي كُلِّ سِتِّ لَيَالٍ، وَكَانَ يَنَامُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ».

۞ وَقَالَ عليُّ بنُ مُدرِك: قال علقمة للأسود: لِمَ تعذِّبْ هَذَا الجسد - وهو يصومُ- قَال: الرَّاحةَ أريدُ له.

وقالَ حنشُ بن الحارث: رأيتُ الأسودَ وَقَدْ ذَهَبَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ مِنَ الصَّومِ[1].

---

(١) الحلية (٢/ ١٠٣).

كيف أشكرك؟

۞ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عقبة، قَالَ:

« قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ هَلْ بَاتَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ اللَّيْلَةَ أَطْوَلَ ذِكْرًا لَكَ مِنِّي، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: نَعَمْ، الضُّفْدَعُ، وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[1]، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أُطِيقُ شُكْرَكَ وَأَنْتَ الَّذِي تُنْعِمُ عَلَيَّ، ثُمَّ تَرْزُقُنِي عَلَى النِّعْمَةِ الشُّكْرَ، ثُمَّ تَزِيدُنِي فِي نِعْمَةٍ بَعْدَ نِعْمَةٍ، فَالنِّعْمَةُ مِنْكَ يَا رَبِّ، وَالشُّكْرُ مِنْكَ، وَكَيْفَ أُطِيقُ شُكْرَكَ؟، قَالَ: الْآنَ عَرَفْتَنِي يَا دَاوُدُ حَقَّ مَعْرِفَتِي»[2].

۞ وَعَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: « قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُؤَدِّي شَكَرَ مَا صَنَعْتَهُ إِلَيْهِ؟ خَلَقْتَهُ بِيَدِكَ، وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِكَ، وَأَسْكَنْتَهُ جَنَّتَكَ، وَأَمَرْتَ الْمَلَائِكَةَ، فَسَجَدُوا لَهُ، فَقَالَ: يَا مُوسَى عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مِنِّي فَحَمِدَنِي عَلَيْهِ، فَكَانَ ذَلِكَ شُكْرًا لِمَا صَنَعْتُهُ إِلَيْهِ »[3].

۞ وَعَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ أَبِي الْخُلْدِ قَالَ: « قَرَأْتُ فِي مَسْأَلَةِ دَاوُدَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ قَالَ: أَيْ رَبِّ كَيْفَ لِي أَنْ أَشْكُرَكَ وَأَنَا لَا أَصِلُ إِلَى شُكْرِكَ إِلَّا بِنِعْمَتِكَ، قَالَ: فَأَتَاهُ الْوَحْيُ أَنْ يَا دَاوُدُ أَلَيْسَ تَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي بِكَ مِنَ النِّعَمِ مِنِّي؟، قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَإِنِّي أَرْضَى بِذَلِكَ مِنْكَ شُكْرًا »[4].

---

(١) سورة سبأ: الآية: (١٣).

(٢) شعب الإيمان (٤٤١٣).

(٣) شعب الإيمان (٤٤٢٧).

(٤) شعب الإيمان (٤٤١٥).

حيلة للهروب من تولِّي منصب القضاء

۞ أرادَ الْأَمِيرُ إِبْرَاهِيمُ بنُ أَحْمدَ بنِ الْأَغْلَب (يحيى بن عمر) على الْقَضَاء. فَأَبى وقَالَ لَهُ: إِن دللتك على من هُوَ أفضل منى، فِى الْوَجْه الَّذِى تحب، تُعفينى؟ فقَالَ لَهُ: نعم فدلَّه على عِيسَى بْن مِسْكين. وَكَانَ بالحضرة حَمْديس؛ فقَالَ: إِنَّه، وَالله! أَيهَا الْأَمِير، صاحبنا عِنْد سَحْنُون. جمع الله فِيهِ خلال الْخَيْر بأسرها!.

فَأرْسل فِيهِ إِبْرَاهِيم إِلَى كورة السَّاحِل، وأوصله إِلَى نَفسه، وَقَالَ: تَدْرِى لِمَ بعثت لَك؟ قَالَ: لَا. قَالَ: لأشاورك فِى رجل قد جمع الله فِيهِ خلال الْخَيْر. أردْت أَن أُولِّيه الْقَضَاء، وأَلُمّ بِهِ شعث هَذِه الْأمة؛ فَامْتنعَ.

قَالَ: يلْزمه أَن يَلِى. قَالَ: تمنَّع. قَالَ: يُجْبَر على ذَلِك! قَالَ: تَمنَّع. قَالَ: يُجلد! قَالَ: قُم! فَأَنت هُوَ! قَالَ: مَا أَنا الَّذِى وصفت! وتَمنَّع. فَأخذ الْأَمِير بِمَجَامِع ثِيَابه، وَقرب السَّيْف من نَحره؛ فتقدم إِلَيْهِ بخنجره.

قَالَ حَمْديس: وَكنت فِى الْمجْلس؛ فَقُمْت من مَكَانى، لِئَلَّا يُصِيبنِى من دَمه. فَلم يزل بِهِ حَتَّى وُلِّى على شُرُوط.

مِنْهَا قَالَ لَهُ: أستعفيك فِى كل شهر! قَالَ: نعم! قَالَ: وأجعلك، وَبنى عمك، وجندك، وفقراء النَّاس، وأغنياءهم فِى دَرَجَة وَاحِدَة. قَالَ: نعم! قَالَ: وَلم توجِّه ورائى، وَكَذَا وَكَذَا. فَمَتَى لم تفِ لى بِشَرْط، عزلت نَفسِى. قَالَ: نعم!.

وَعرض عَلَيْهِ عِنْد ذَلِك الْكسْوَة والصلة. فَامْتنعَ وَقَالَ لَهُ: أَنا رجل طَوِيل الصمت، قَلِيل الْكَلَام، غير نشيط فِى أُمُور، وَلَا أعرف أهل الْبَلَد. فَقَالَ لَهُ

الْأَمِير: عِنْدِى مولى نشيط، قد تدرب فِى الْأَحْكَام. أَنا أضمُّه إِلَيْك: يكون عَنْك كتابا يصدر عَنْك فِى القَوْل. فَمَا رضيت مِنْهُ، أمضيت؛ وَمَا سخطت، رددت. فضم إِلَيْهِ عبد الله بن مُحَمَّد بن مفرج.

قَالَ الْمخبر: «فكثيرًا مَا كنت آتِى مَجْلِسه وَهُوَ صَامت لَا يتكَلَّم؛ وَابْن مفرج يقْضى. وَسُئِلَ عَن فرط انقباضه فِى قَضَائِهِ. فَقَالَ: ابْتُليت بجبَّارٍ عنيد، خِفت أَن يبْعَث إِلَىّ من طَعَامه، أَو يدعونى إِلَيْهِ. وَلَا آتيه؛ فَحملت نَفسِى على ذَلِك، ليقطع طمعه منى»[1].

۞ هكذا كانوا يزهدون فى الإمارة والقضاء؛ لأنهم يخافون على أنفسهم من أن يُفتنوا فى دينهم.

۞ ولم تكن هذه هى الحالة الوحيدة لمن كان يزهد فى القضاء ويرفضه بل كان هناك أمثلة كثيرة لذلك... ومنها على سبيل المثال:

۞ أراد عبد الرَّحمن بن معاوية حَاكِم الأَندلُس (المصعبَ بنَ عِمرانَ) على القَضاءِ، فَأَبى، فَلَمَّا ولى ابْنه هِشَام الْمُلك، اخْتَار المصعب للْقَضَاء، واستحضره، وَقَالَ لَهُ:

قد علمت أَنه إِنَّمَا مَنعك عَن الْقبُول من أبى رَحِمَهُ اللَّهُ الْأَخْلَاق الَّتِى كَانَت فِيهِ. وَقد عرفت أخلاقى وبلوتها: فاحمل عنى هَمَّ الْقَضَاء فأباه واستعفاه؛ فَغَضب هِشَام عَلَيْهِ وعزم عليه عزمًا شَدِيدًا، وتهدَّده، وأوعده. وَذكر بَعضهم أَنه قَالَ: لَئِن لم تعْمل على الْقَضَاء، لأسطون بك سطوة تزيل اسْم الْحلم عنى! فَلَمَّا رأى ذَلِك، وَخَافَ على نَفسه، تولَّى لَهُ الْعَمَل كرهًا؛ وَاشْترط على هِشَام أَن يَأْذَن لَهُ فِى اطّلَاع ضَيعته يَوْمَيْنِ فِى الْجُمُعَة: السبت والأحد،

(١) تاريخ قُضاة الأندلس (ص ٣٠)، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النُّباهي المالقي الأندلسي.

وَيحكم لسَائِر الْأَيَّام. فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِك.

وَلم يزل على قَضَاء الْأَمِير هِشَام إِلَى أَن تُوفّى؛ فأقره ابنه الحكم؛ وَكَانَ قد عرف صلابته وتنفيذه الْأَحْكَام؛ فَاشْتَدَّ مَعَه، وَصَارَ يُؤَيّدهُ، وَلَا يسمع فِيهِ مقَالَة طَاعن، ويجيز أَفعاله، وَينفذ أَحْكَامه، وَإِن وَقعت بِغَيْر المحبوب مِنْهُ(١).

۞ لقد كان الأئمة الكبار يهربون من منصب القضاء؛ لأنهم يعلمون أنها أمانة كبيرة سيسألهم الله عنها يوم القيامة.

۞ عن محمد بن يحيى البصرى قال: دعا المنصور أبا حنيفة والثورى ومِسعرًا وشريكًا ليوليهم القضاء، فقال أبو حنيفة: أنا أتحامق فيكم فأُقال وأتخلص، وأما مسعر فيتجانّ ويتخلص، وأما سفيان فيهرب، وأما شريك فيقع، فلما دخلوا عليه قال أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ أنا رجل مولى ولست من العرب ولا تكاد العرب ترضى بأن يكون عليهم مولى ومع ذلك فإنى لا أصلح لهذا الأمر، فإن كنت صادقًا فى قولى فلا أصلح له، وإن كنت كاذبًا فلا يجوز لك أن تولى كاذبًا دماء المسلمين وفروضهم. وأما سفيان فأدركه المُشخِص فى طريق فذهب لحاجته فانصرف المشخص ينتظر فراغه فبصر سفيان سفينة فقال للملاح إن مكنتنى من سفينتك وإلا ذُبحت بغير سكين. تأوَّل قول النبى ﷺ: «**مَنْ جُعل قاضيًا فقد ذُبح بغير سكين**» فأخفاه الملاح تحت السارية. وأما مسعر بن كدام فدخل على المنصور فقال له: هات يدك، كيف أنت وأولادك ودوابك؟ فقال: أخرجوه فإنه مجنون. وأما شريك فقال المنصور تقلد فقال أنا رجل خفيف الدماغ، فقال تقلد وعليك

(١) تاريخ قُضاة الأندلس (ص ٤٥).

بالمعصيد والنبيذ الشديد حتى يرجح عقلك،.... فتقلَّد، فهجره الثورى، وقال: أمكنك الهرب فلم تهرب.

❁ **وعن أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن السلمى قال:** دعا الخليفة أيام المحنة محمد بن مقاتل الرازى وأبا الصلت عبد السلام بن صالح الفهندرى فقال لمحمد بن مقاتل: ما تقول فى القرآن؟ قال أقول: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فإن هذه الأربعة مخلوقة وأشار إلى أصابعه الأربع، فنجا[1].

❁ وعن يونس بن عبد الأعلى الصدفى قال: كتب الخليفة إلى عبد الله ابن وهب فى قضاء مصر، فتجنن نفسه ولزم بيته، فاطَّلع عليه راشد بن سعد وهو يتوضأ فى صحن داره، فقال أبا محمد ألا تخرج إلى الناس فتقضى بينهم بكتاب الله وسنة رسول الله فقد جنَّنت نفسك ولزمت بيتك. فرفع إليه رأسه وقال: إلى ههنا انتهى عقلك؟ أما علمت أنَّ العلماء يُحشرون مع الأنبياء وأن القُضاة يُحشرون مع السلاطين؟

---

(١) عُقلاء المجانين (ص ٣٨).

سفيان الثوري يفرُّ من القضاء

۞ قال القعقاع بن حكيم: كنت عند المهدى وقد أُتى بسفيان الثورى، فلما دخل عليه سلَّم تسليم العامة ولم يُسلِّم بالخلافة ... والربيع قائم على رأسه متكئًا على سيفه يَرْقُب أمره، فأقبل عليه المهدى بوجهٍ طلق، وقال له: يا سفيان، تفر منا ها هنا وها هنا وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك، فقد قدرنا عليك الآن، أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا.

قال سفيان: إن تحكم فىَّ يحكم فيك مَلِكٌ قادر يفرق بين الحق والباطل، فقال له الربيع: يا أمير المؤمنين، ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا ائذن لى أن أضرب عنقه، فقال له المهدى: اسكت ويلك، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى بسعادتهم ... اكتبوا عهده على قضاء الكوفة على أن لا يُعترَض عليه فى حكم، فكتب عهده ودُفع إليه، فأخذه وخرج فرمى به فى دجلة وهرب، فطُلب فى كل بلد فلم يوجد. ولما امتنع من قضاء الكوفة وتولاه شريك بن عبد الله النخعى قال الشاعر:

تحرَّزَ سفيان وفرَّ بدينه وأمسى شريك مرصدًا للدراهم[١]

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٣٩٠).

شكر القلب والجوارح واللسان

۞ عن عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ، قال:

سَمِعْتُ السَّرِيَّ، يَقُولُ: « مَنْ أَدَّى الْفَرَائِضَ، وَاجْتَنَبَ الْمَحَارِمَ، وَشَكَرَ النِّعْمَةَ عِنْدَهُ، فَمَا عَلَيْهِ لِأَحَدٍ سَبِيلٌ »، وَقَالَ: الشُّكْرُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: شُكْرُ اللِّسَانِ، وَشُكْرُ الْبَدْنِ، وَشُكْرُ الْقَلْبِ،... فَشُكْرُ الْقَلْبِ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ النِّعَمَ كُلَّهَا مِنَ اللهِ ﷻ، وَشُكْرُ الْبَدَنِ: أَنْ لَا تَسْتَعْمِلَ جَارِحَةً مِنْ جَوَارِحَكَ إِلَّا فِي طَاعَتِهِ بَعْدَ أَنْ عَافَاهُ اللهُ، وَشُكْرُ اللِّسَانِ: دَوَامُ الْحَمْدِ عَلَيْهِ[١].

أردت أن أُجرِّب رغبتكم في وقوفي عندكم

۞ قال هبة الله الضرير - ببغداد-:

دخل جَعْفَر الخلدى بلد حِمْصَ، فسألوه القيام عندهم سنة. فَقَالَ: عَلَى شريطة. قيل لَهُ: وما هى؟ قَالَ تجمعون لى كذا وكذا ألف دينار، قَالَ فجمعوا لَهُ ما سأل. فَقَالَ احملوها إِلَى الجامع قَالَ فجُعلت عَلَى نِطْع[٢]، قَالَ ففرق كل ذلك عَلَى الفقراء فلم يأخذ منها شيئًا، ثم قَالَ: لم أكن أحتاج إِلَى الدنانير ولكن أردت أن أُجرب رغبتكم فِى وقوفى عندكم!![٣]

(١) شعب الإيمان (٤٥٦٦).

(٢) في تاريخ بغداد: «قطع» - والنطع: بساط من الأديم.

(٣) تاريخ بغداد (٧/ ٢٣١).

طبقات الناس خمسة

۞ عن إِبْرَاهِيم بْنِ إسحاق النيسابوري، قال:

سمعتُ الْمُسَيَّبُ بْنُ وَاضِحِ يقول: كنت مع عبد الرحمن بن المُبارك الصورى فى طريق الروم، فقال لى: يا مسيب، ما وقع فَسَادَ الْعَامَّة إِلَّا مِنْ قِبَلِ الْخَاصَّةِ؟ قلت له: ولِمَ يرحمك الله؟ قال: لأن أمة محمد ﷺ عَلَى خَمْسِ طَبَقَاتٍ: أَوَّلها العلماء، والثانية الزُّهَّاد، والثالثة: الغُزاة، والرابعة التجار، والخامسة الولاة، ... فأما العلماء فهم ورثة الأنبياء، وأما الزُّهاد فملوك هذه الأمة، وأما الغُزاة فجند الله فى أرضه، وأما التجار فأُمناء الله فى أرضه، وأما الولاة فهم الرُّعاة، فإذا كان العالم طامعًا وللمال جامعًا، فالجاهل بمن يقتدى؟ وإذا كان الزَّاهد راغبًا فالتائب بمن يقتدى؟ وإذا كان الغازى مُرابيًا فمتى يظفر بالعدو؟ وإذا كان التاجر خائنًا فعلى مَنْ يؤمن الخائن، وإذا كان الوالى ذئبًا فمن للرعية، ومن يحفظها؟![1]

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٩١٢).

حمل على نفسه في الورع

۞ عن ابن إسماعيل قال: ذهبنا إلى المدائن، إلى شعيب بن حرب، وكان قاعدًا على شط دجلة، وكان قد بنى كوخًا، وخبزٌ له مُعلَّق فى شريط، ومطهرة يأخذ كل ليلة رغيفًا يبلُّه فى المطهرة ويأكله، فقال بيده هكذا، وإنما كان جلدًا وعظمًا. قال: فقال: أترى هاهنا بعدُ لحمًا؟ والله لأعملنَّ فى ذوبانه حتى أدخل القبر، وأنا عظام تقعقع أريد السِّمَن للدود والحيات؟ قال: فبلغ أحمد بن حنبل قوله، فقال: شعيب بن حرب حمل على نفسه فى الورع.

۞ وعن السرى بن المغلس السقطى قال: أربعة كانوا فى الدنيا أعملوا أنفسهم فى طلب الحلال، ولم يُدخلوا أجوافهم إلا الحلال، فقيل له: مَن هم؟ قال: وهيب بن الورد، وشعيب بن حرب، ويوسف بن أسباط، وسليمان بن الخوّاص[1].

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ٥).

هذا هو الغِنَى

۞ عَنْ مُوسَى بْنِ عِيسَى، قَالَ:

لَمَّا اجْتَمَعَ حُذَيْفَةُ الْمَرْعَشِيُّ وَسُلَيْمَانُ الْخَوَّاصُ، وَيُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ، فَتَذَاكَرُوا الْفَقْرَ وَالْغِنَى، وَسُلَيْمَانُ سَاكِتٌ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْغَنِيُّ مَنْ كَانَ لَهُ بَيْتٌ يَكِنُّهُ، وَثَوْبٌ يَسْتُرُهُ، وَسَدَادٌ مِنْ عَيْشٍ[1] يَكُفُّهُ عَنْ فُضُولِ الدُّنْيَا.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْغَنِيُّ مَنْ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى النَّاسِ.

فَقِيلَ لِسُلَيْمَانَ: مَا تَقُولُ أَنْتَ يَا أَبَا أَيُّوبَ؟

فَبَكَى ثُمَّ قَالَ: «رَأَيْتُ جَوَامِعَ الْغِنَى فِي التَّوَكُّلِ، وَرَأَيْتُ جَوَامِعَ الشَّرِّ فِي الْقُنُوطِ[2]، وَالْغَنِيُّ حَقَّ الْغِنَى مَنْ أَسْكَنَ قَلْبَهُ إِلَى اللهِ مِنْ غِنَاهُ يَقِينًا، وَمِنْ مَعْرِفَتِهِ تَوَكُّلًا وَمِنْ عَطَائِهِ وَقِسْمَتِهِ رِضًا، فَكَذَلِكَ الْغَنِيُّ حَقَّ الْغِنَى وَإِنْ أَمْسَى طَاوِيًا[3] وَأَصْبَحَ مُعْوِزًا»،... فَبَكَى الْقَوْمُ جَمِيعًا مِنْ كَلَامِهِ[4].

---

(١) قولهم: فيه سداد من عوز، وسِدَادٌ من عيش: أي: ما تسد به الخلة، فيُكسَر ويُفتح والكسر أفصح.

(٢) القنوط: هو اليأس.

(٣) الطَّوَى: الجوع، أما قوله: معوزًا: فالمعوز: هو الفقير.

(٤) كتاب «اليقين» لابن أبي الدنيا (١٨).

أربع منازل لابن آدم

❁ قال عيسى ابن مريم عليه السلام:

يا معشر الحواريين، إن ابن آدم خُلق فى الدنيا فى أربع منازل، هو فى ثلاث منهن بالله واثق، حَسُن ظنه فيهن بربِّه، وهو فى الرابع سيئ ظنه بربه، يخاف خذلان الله إياه؛ ... أما المنزلة الأولى: فإنه خُلق فى بطن أمه خلقًا من بعد خلق، فى ظلماتٍ ثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، يُنزل الله تعالى عليه رزقه فى جوف ظلمة البطن فإذا خرج من البطن شرب من اللبن، لا يخطو إليه بقدم، ولا يتناوله بيد، ولا ينهض إليه بقوة، ولا يأخذه بحرفةٍ يُكرَه عليه إكراهًا، حتى ينبت عليه عظمه ولحمه ودمه، فإذا ارتفع عن اللبن وقع فى المنزلة الثالثة فى الطعام من أبويه يكسبان عليه من حلالٍ أو حرام، فإن مات أبواه عن غير شىء تركاه عطف عليه الناس، هذا يُطعمه وهذا يسقيه وهذا يؤويه؛ فإذا وقع فى المنزلة الرابعة، فاشتد واستوى واجتمع وكان رجلًا، خشى أن لا يرزقه الله، فوثب على الناس يخون أماناتهم ويسرق أمتعتهم، ويذبحهم على أموالهم مخافة خذلان الله إياه [1].

---

(١) كتاب «القناعة» (١٢٦) بتصرف.

وإن تعدُّوا نعمة الله لا تحصوها

۞ قال رجل من قبيلة قيس يُكنَّى أبا عبد الله:

بِتنا ذات ليلة عند الحسن البصري، فقام من الليل يصلي، فلم يزل يُردد هذه الآية حَتَّى أَصْبَحَ: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾(١)، فلما أصبح قلنا له: يا أبا سعيد، لم تكن تجاوز هذه الآية سائر الليلة؟!، فَقَالَ: «إِنَّ فِيهَا مُعْتَبَرًا، مَا نَرْفَعُ طَرَفًا وَلَا نَرُدُّهُ إِلَّا وَقَعَ عَلَى نِعْمَةٍ، وَمَا لَا نَعْلَمُهُ مِنْ نِعَمِ اللهِ أَكْثَرُ» (٢).

الآخرة أقرب من الدنيا

۞ قال محمد بن الحسين: حدثني فضيل بن عبد الوهاب قال: سمعت أختي تقول: الآخرة أقرب من الدنيا، وذلك أن الرجل يهم بطلب الدنيا فلعله أن يُنشئ لذلك سفرًا يكون فيه تعب بدنه وإنفاق ماله، ثم لعله أن لا ينال بُغيته، والرجل يطلب الآخرة فمنتهى طلبته في حسن نيته حيث ما كان من غير أن يُنشئ سفرًا أو ينفق مالًا أو يُتعب بدنًا ما هو إلا أن يجمع على طاعة الله فإذا هو قد أدرك ما عند الله.

۞ قال: وسمعتها تقول: ما بيننا وبين أن نرى السرور أو نُنادى بالويل والثبور إلا خروج هذه الأرواح من الأبدان فانظروا أي عبيدٍ تكونون حينئذ؟ قال: ثم صرخت وغُشي عليها.

قال فضيل: ما رأيت أحدًا قط، رجلًا ولا امرأة، أطول حزنًا منها.

---

(١) سورة النحل: الآية: (١٨).

(٢) التهجد (٥٠) لابن أبي الدنيا.

موعظة غالية لذي النون

۞ عن يوسف بن الحسين قال سمعت ذا النون يقول: وُصف لى رجل بالمغرب، وذُكر لى من حكمته وكلامه ما حملنى على لقائه فرحلت إلى المغرب فأقمت على بابه أربعين صباحًا على أن يخرج من منزله إلى المسجد ويقعد، فكان يخرج وقت كل صلاة، فيصلى، ويرجع كالوالِه لا يُكلم أحدًا، فقلت له: يا هذا، إنى مقيم ها هنا منذ أربعين صباحًا لا أراك تكلمنى، فقال: يا هذا، لسانى سبعٌ، إن أنا أطلقته أكلنى!

فقلت له: عِظنى - رحمك الله - بموعظة أحفظها عنك، قال: وتفعل؟ قلت: نعم إن شاء الله. قال: لا تحب الدنيا، وعُدَّ الفقر غِنى، والبلاء من الله نعمة، والمنع من الله عطاء، والوحدة مع الله أُنسًا، والذل عِزًّا والحياة موتًا، والطاعة حرفة، والتوكل معاشًا، والله تعالى لكل شدة عُدة.

ثم مكث بعد ذلك شهرًا لا يكلمنى فقلت: رحمك الله! إنى أريد الرجوع إلى بلدى، فإن رأيت أن تزيدنى فى الموعظة؟!

فقال: اعلم أن الزاهد فى الدنيا قُوته ما وجد، ومسكنه حيث أدرك، ولباسه ما ستر، الخلوة مجلسه، والقرآن حديثه، والله العزيز أنيسه، والذكر قُوتُه، والصمت جنته، والخوف سجيته، والشوق مطلبته، والنصيحة همته، والاعتبار فكره، والصبر وساده، والصدِّيقون إخوانه، والحكمة كلامه، والعقل دليله، والحلم خليله، والجوع إدامه، والبكاء دأبه، والله سبحانه عدته.

قلت: بما يتبين الزيادة من النقصان؟ قال: عند المحاسبة للنفوس(١).

---

(١) عيون الحكايات (ص ٤٠٥ - ٤٠٦).

يجلس سَنة في صحن الحرم

۞ قال أبو يَعْقُوب النهرجورى: دخل الحسين ابن مَنْصُور إِلَى مكة وكان أول دخلته، فجلس فِي صحن المسجد سَنة لا يبرح من موضعه إِلا للطهارة أو للطواف، ولا يبالى بالشمس ولا بالمطر، وكان يُحمل إليه كل عشية كوز ماء للشرب، وقرص من أقراص مكة، فيأخذ القرص ويعض أربع عضات من جوانبه، ويشرب شربتين من الماء: شربة قبل الطعام، وشربة بعده، ثم يضع باقى القرص عَلَى رأس الكوز فيُحمل من عنده[١].

۞ وقال إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد القلانسى: لما صُلب الْحُسَيْن بن مَنْصُور، وقفت عليه وهو مصلوب فقال: إلهى أصبحتُ فِى دار الرغائب أنظر إِلَى العجائب، إلهى إنك تتودد إِلَى من يؤذيك، فكيف لا تتودد إِلَى من يُؤذَى فيك[٢].

---

(١) تاريخ بغداد (٨/ ١١٨).

(٢) تاريخ بغداد (٨/ ١٣١)، والأنساب (٤/ ٢٨١).

الله يحمي عبده من حُطام الدنيا

۞ قال سُفْيَانُ الثَّورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنِ عَبدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيُشْرِفُ عَلَى الْأَمْرِ مِنَ التِّجَارَةِ أَوِ الْإِمَارَةِ حَتَّى يَرَى أَنَّهُ قَدْ قَدَرَ عَلَيْهِ، ذَكَرَهُ اللهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، فَيَقُولُ للمَلك: اذْهَبْ فَاصْرِفْ عَنْ عَبْدِى هَذَا؛ فَإِنِّى إِنْ أُيَسِّرْهُ لَهُ أُدْخِلْهُ جَهَنَّمَ، فَيَجِيءُ الْمَلَكُ فَيُعَوِّقُهُ فَيَصْرِفُهُ عَنْهُ، يَتَطَيَّرُ بِجِيرَانِهِ -يتشاءم- أَنَّهُ سَبَقَنِى فُلَانٌ، دَهَانِى فُلَانٌ، وَمَا صَرَفَهُ عَنْهُ إِلَّا اللهُ[1].

قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ تعالَى لَيَحْمِى عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مَنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ»[2].

الحكمة من جمع المال

۞ روى سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ تَرَكَ دَنَانِيرَ كَثِيرَةً؛ فلما حضرته الوفاة قَالَ: اللهُمَّ! إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّى لَمْ أَجْمَعْهَا إِلَّا لِأَصُونَ بِهَا دِينِى، وأَصِل بها رحمي، وأَكُفّ بها وجهي، وأقضي بها دَيني، لا خير فيمن لا يجمع المال لِيَكُفّ به وجهه، وَيَصِلُ بِهِ رَحِمَهُ، ويقضى به دَينه، ويصون به دينه[3].

(١) الرضا عن الله (٥٧) لابن أبي الدنيا.

(٢) صحيح: رواه أحمد والحاكم، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٨١٤).

(٣) إصلاح المال (٦٨) لابن أبي الدنيا.

كرم الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ

۞ عن قتادة بن دعامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال:

دَخَلْنَا عَلَى الحَسَنِ وَهُوَ نَائِمٌ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ سَلَّةٌ، فَجَذَبْنَاهَا، فَإِذَا خُبْزٌ وَفَاكِهَةٌ، فَجَعَلْنَا نَأْكُلُ، فَانْتَبَهَ، فَرَآنَا، فَسَرَّهُ، فتبَسَّمَ، وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًاۚ﴾[1].

لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُم[2].

زهد الحسن في حُطام الدنيا

۞ عَنِ ابْنِ شَوْذَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ الْحَجَّاجُ الثَّقفي وَوَلِيَ سُلَيْمَانُ ابن عبد الملك فَأَقْطَعَ النَّاسَ الْمَوَاتَ[3].

فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ فَقَالَ ابْنُ الْحَسَنِ لِأَبِيهِ: لَوْ أَخَذْنَا كَمَا يَأْخُذُ النَّاسُ؟

فَقَالَ: «اسْكُتْ..مَا يَسُرُّنِي لَوْ أَنَّ لِي مَا بَيْنَ الْجِسْرَيْنِ بِزِنْبِيلِ[4] تُرَابٍ»[5].

---

(١) سورة النور: الآية: (٦١).

(٢) السير (٣/ ٥٧٧).

(٣) الموات: الموات من الأرض هي التي لم تُزرع، ولم تُعمر، ولا جرى عليها ملك أحد.

(٤) زنبيل: هي القفة أو الكيس.

(٥) الحلية (٢/ ١٥١).

سرُّ زهد الحسن البصري

۞ جاء رجل إلى الحسن البصرى رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: ما سِرُّ زهدك فى الدنيا يا إمام؟!

فقال: أربعة أشياء: علمتُ أنَّ رزقى لا يأخذه غيرى فاطمأن قلبى.

وعلمت أنَّ عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به وحدي.

وعلمت أن الله مُطَّلع عليَّ، فاستحييت أن يرانى على معصية.

وعلمت أن الموت ينتظرنى، فأعدَدْتُ الزاد للقاء ربى.

ثلاثة أيام بلا طعام

❁ قَالَ أبو شِهَابٍ الحَنَّاطِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَعَثَتْ أُخْتُ سُفْيَانَ بِجِرَابٍ مَعِي إِلَى سُفْيَانَ، وَهُوَ بِمَكَّةَ فِيهِ كَعكٌ، وَخشكنَانُ[١]، فقَدِمْتُ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فقِيلَ لِي:

رُبَّمَا قَعَدَ عِنْدَ الكَعْبَةِ مِمَّا يَلِي الحَنَّاطِينَ[٢]. فَأَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ مُسْتَلْقِيًا فَسلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يُسَائِلْنِي تِلْكَ المُسَاءلَةَ، وَلَمْ يُسلِّمْ عَلَيَّ كَمَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ أُخْتَكَ بَعثَتْ مَعِي بِجِرَابٍ. فَاسْتَوَى جَالِسًا، وَقَالَ: عَجِّلْ بِهَا.

فَكَلَّمتُهُ فِي ذَلِكَ فقَالَ: يَا أَبَا شِهَابٍ! لاَ تَلُمْنِي، فَلِي ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ لَمْ أَذُقْ فِيْهَا ذوَاقًا ... فعَذَرْتُهُ[٣].

❁ وعَنْ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، قَالَ:

جَاعَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ جُوعًا شَدِيدًا مَكَثَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لَا يَأْكُل شَيْئًا فَمَرَّ بِدَارٍ فِيهَا عُرْسٌ فَدَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ فَعَصَمَهُ اللهُ وَمَضَى إِلَى مَنْزِلِ ابْنَتِهِ فَأَتَتْهُ بِقُرْصٍ فَأَكَلَهُ وَشَرِبَ مَاءً فَتَجَشَّى ثُمَّ قَالَ:

سَيَكْفِيكَ عَمَّا أُغْلِقَ الْبَابُ دُونَهُ ... وَضَنَّ بِهِ الْأَقْوَامُ مِلْحٌ وَجَرْدَقُ
وَتَشْرَبُ مِنْ مَاءِ فُرَاتٍ وَتَغْتَدِي ... تُعَارِضُ أَصْحَابَ الثَّرِيدِ الْمُلَبَّقِ
تَجَشَّى إِذَا مَا هُمْ تَجَشَّوْا كَأَنَّمَا ... ظَلَلْتَ بِأَنْوَاعِ الْخَبِيصِ تفَتَّقُ[٤]

---

(١) الخشكنان: هو دقيق الحنطة إذا عُجن، ومعه السكر واللوز، والفستق، وماء الورد، ثم خُبز.
(٢) الحنوط: طِيب يُخلَط للميت، وكأنه في هذا الموضع يجلس الذين يقومون بهذا العمل.
(٣) السير (٧/ ٢٤٥).
(٤) حلية الأولياء(٦/ ٣٧٣).

ورع سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ

۞ قال رجلٌ مِن بَلْخ:

«أَهْدَيْتُ لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ثَوْبًا فَرَدَّهُ عَلَيَّ ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ، لَسْتُ أَنَا مِمَّنْ يَسْمَعُ الْحَدِيثَ حَتَّى تَرُدَّهُ عَلَيَّ.

قَالَ: «عَلِمْتُ أَنَّكَ لَيْسَ مِمَّنْ يَسْمَعُ الْحَدِيثَ ، وَلَكِنْ أَخُوكَ يَسْمَعُ مِنِّى الْحَدِيثَ ، فَأَخَافُ أَنْ يَلِينَ قَلْبِى لِأَخِيكَ أَكْثَرَ مِمَّا يَلِينُ لِغَيْرِهِ»[1].

(١) الحلية (٧/ ٣).

إنما الزهد في الحلال

۞ عن جُنيد: سمعت سريًا يذكر أن أبا يوسف الغسولى[١] كان يلزم الثغر[٢] ويغزو، وكان إذا غزا مع الناس ودخلوا بلاد الروم أكل أصحابه من ذبائح الروم ومن فواكههم، وكان أبو يوسف لا يأكل فيقال له: يا أبا يوسف تشك أنه حلال؟ فيقول: هو حلال، فيقال له: فكُل من الحلال، فيقول: إنما الزهد فى الحلال.

۞ وعن حرمّى بن يونس قال: سمعت أبا يوسف الغسولى يقول: أنا أتفقه فى مطعمى من ستين سنة.

۞ وقال المروزى: وسمعت بعض المشيخة يقول: سمعت أبا يوسف الغسولى يقول: إنه ليكفينى فى السنة اثنا عشر درهمًا، فى كل شهر درهم، وما يحملنى على العمل إلا ألسنة هؤلاء القُرّاء. يقولون: أبو يوسف من أين يأكل؟

۞ وقال المروزى: وسمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: أبو يوسف الغسولى قد خَلَف ابن إدريس. يعنى: فى الورع[٣].

---

(١) نسبة إلى بلدة بالشام من قرى دمشق واسمها (الغسولة).

(٢) الثغر: الميناء. وكانت مركز هجمات الروم على المسلمين بالشام.

(٣) صفة الصفوة (٤/ ٤٣٤-٤٣٥).

نعمة الأنس بالله (جل وعلا)

۞ عن محمد بن عيسى القرشى قال: حدثنى إبراهيم بن المهلب أبو الأشهب السايح قال: رأيت بين النعاسة والخزيمية غلامًا قائمًا يصلى عند بعض الأميال قد انقطع عن الناس، فانتظرته حتى قطع صلاته ثم قلت له: ما معك مؤنس؟ قال: بلى. قلت: وأين هو؟ قال أمامى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى.

فعلمت أن عنده معرفة فقلت: أما معك زاد؟ قال: بلى. قلت: أين هو؟ قال الإخلاص لله ﷻ والتوحيد له والإقرار بنبيه ﷺ وإيمان صادق وتوكُّل واثق.

قلت: هل لك في مرافقتى؟ قال: الرفيق يشغل عن الله ولا أحب أن أرافق أحدًا فأشتغل عنه طرفة عين فيقطعنى عن بعض ما أنا فيه.

قلت: أما تستوحش فى البريَّة وحدك؟ فقال: إن الأُنس بالله قطع عنى كل وحشة حتى ولو كنت بين السباع ما خفتها ولا استوحشت منها.

قلت: فمن أين تأكل؟ فقال: الذى غذَّانى فى ظُلَم الأحشاء صغيرًا قد تكفَّل برزقى كبيرًا، قلت. ففى أى وقت تجيئك الأسباب؟ قال: لى حَدٌّ معلوم ووقت مفهوم إذا احتجت إلى الطعام أصبته فى أى موضع كنت، وقد عَلِم ما يصلحنى، وهو غير غافل عنى.

قلت: ألك حاجة؟ قال: نعم، قلت: وما هى؟ قال: إن رأيتنى فلا تُكلمنى ولا تُعلم أحدًا أنك تعرفنى! قلت: لك ذاك، فهل حاجة غيرها؟ قال: نعم. قلت: وما هى؟ قال: إن استطعت ألا تنسانى فى دعائك وعند

الشدائد إذا نزلت بك فافعل. قلت: كيف يدعو مثلى لمثلك وأنت أفضل منى خوفًا وتوكُّلًا؟ قال: لا تَقُل هذا، إنك قد صليت لله ﷻ وصُمت قبلى ولك حق الإسلام بمعرفة الإيمان. قلت: فإن لى أيضًا حاجة. قال: وما هى؟ قلت: ادعُ الله لى. قال: حجب الله طرفك عن كل معصية وألهم قلبك الفكر فيما يُرضيه حتى لا يكون لك هَمٌّ إلا هو.

قلت: حبيبى متى ألقاك، وأين أطلبك؟ فقال: أما في الدنيا فلا تُحدث نفسك بلقائى فيها، وأما الآخرة فإنها مجمع المتقين، وإياك أن تخالف الله فيما أمرك وندبك إليه، وإن كنت تبغى لقائى فاطلبنى مع الناظرين إلى الله تبارك وتعالى فى زمرتهم.

قلت: وكيف علمت ذاك؟ قال: بغضِّ طرفى له عن كل محرم، واجتنابى فيه كل منكر ومأثم، وقد سألته أن يجعل جنتى النظر إليه، ثم صاح، وأقبل يسعى حتى غاب عن بصرى(١).

---

(١) عيون الحكايات (ص ٢٤٣ - ٢٤٤).

لا يحتاج إلى أبواب الملوك

۞ كتب بعض ملوك فارس على بابه: تحتاج أبواب الملوك إلى عقلٍ ومالٍ وصبرٍ، فكتب بعض الحكماء تحته: «من كان عنده واحدة من هذه الثلاث لم يَحتج إلى أبواب الملوك فرُفع خبره إلى الملك: فقال: زه[1] وأمر بإجازته ومحو الكتاب من الباب.

الورع في الفتوى

۞ عن نافع أن رجلًا سأل ابن عمر عن مسألة فطأطأ رأسه ولم يُجبه حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسألته، فقال له: يرحمك الله، أما سمعت مسألتي؟ قال: بلى ولكنكم كأنكم ترون أن الله تعالى ليس بسائلنا عما تسألونا عنه، اتركنا رحمك الله حتى نتفهم في مسألتك، فإن كان لها جواب عندنا وإلا أعلمناك أنه لا علم لنا به.

---

(١) زِه: كلمة استحسان.

لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لخشيت أن يفسد قلبي

۞ عن خلف بن حوشب قال: كنت مع الربيع بن أبى راشد فى الجبَّانة، فقرأ رجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ ﴾[١] الآية. فقال الربيع: حال ذكر الموت بينى وبين كثير مما أريد من التجارة، فلو فارق ذكر الموت قلبى ساعة لخشيت أن يفسد علىَّ قلبى، ولولا أن أخالف من كان قبلى لكانت الجبانة مسكنى إلى أن أموت.

۞ وعن خلف بن حوشب قال: قال الربيع بن أبى راشد فى الجبَّانة، اقرأ عليَّ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ ﴾ فقرأتها عليه، فبكى، ثم قال: والله لولا أن تكون بدعة لسِحْتُ، أو قال: لَهِمْتُ فى الجبال[٢].

---

(١) سورة الحج: الآية: (٥).

(٢) صفة الصفوة (٣/ ٦٣).

اللهم هَبْ خيانة فعلى لنُصح قولي

۞ قال أبو الحسن على بن إبراهيم البغدادى: سمعت أبا عبد الله الخناقاباذى يقول: حضرنا يوسف بن الحسين الرازى وهو يجود بنفسه، فقيل له: يا أبا يعقوب قُلْ شيئًا. فقال: اللَّهم إنى نصحت خلقك ظاهرًا، وغششت نفسى باطنًا، فهَبْ لى غِشِّى لنفسى لنُصحى لخلقك، ثم خرجت روحه.

۞ وعن أبي الحسين على بن إبراهيم الرازى قال: حكى لى أبو خلف الوزَّان عن يوسف بن الحسين: أنه رُئى فى المنام، فقيل له: ماذا فعل الله بك؟ قال: غفر لى ورحمنى، فقيل: بماذا؟ قال: بكلمة أو كلمات قلتها عند الموت. قلت: اللَّهم إنى نصحت الناس قولًا وخُنت نفسى فعلًا، فهَبْ خيانة فِعلى لنُصح قولى[1].

(١) صفة الصفوة (٤/ ٣٠٨).

ثلاثة لن يُرى مثلهم أبدًا

۞ عن عبد الله بن طاهر قال: كان الناس أربعة: ابن عباس فى زمانه، والشعبى فى زمانه، والقاسم بن مَعِن فى زمانه، وأبو عبيد القاسم بن سلَّام فى زمانه.

۞ وعن إبراهيم الحربى: أدركت ثلاثة لن يُرى مثلهم أبدًا ... تعجز النساء أن يلدن مثلهم، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام، ما مثلته إلا بجبل نُفخ فيه روح، ورأيت بِشر بن الحارث، ما شبهته إلا برجل عُجن من قرنه إلى قدمه عقلًا، ورأيت أحمد بن حنبل فرأيت كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف، يقول ما شاء ويُمسك عما شاء.

۞ وعن ابن عرعرة قال: كان طاهر بن عبد الله ببغداد، فطمع فى أن يسمع من أبى عبيد، وطمع فى أن يأتيه فى منزله، فلم يفعل أبو عبيد حتى كان هو يأتيه، فقدم على بن المدينى وعياش العنبرى، فأرادا أن يسمعا غريب الحديث فكان يحمل كل يوم كتابه، ويأتيهما فى منزلهما فيُحدثهما به.

۞ وعن أبي بكر بن الأنبارى قال: كان أبو عبيد يُقسِّم الليل أثلاثًا: فيصلى ثُلثه، وينام ثلثه، ويضع الكتب ثلثه.

۞ وسمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلى يقول: أبو عبيد أوسعنا علمًا وأكثرنا أدبًا وأجمعنا جمعًا، وإنَّا نحتاج إلى أبى عبيد، وأبو عبيد لا يحتاج إلينا.

۞ وعن ثعلب قال: لو كان أبو عبيد فى بنى إسرائيل لكان عجبًا.

۞ وعن أحمد بن كامل القاضى قال: كان أبو عبيد القاسم بن سلام فاضلًا فى دينه وعلمه ربانيًّا مُتفننًا فى أصناف علوم الإسلام، من القرآن والفقه والعربية والأخبار، ... حسن الرواية صحيح النقل لا أعلم أحدًا من الناس طعن عليه فى شىء من أمره ودينه[1].

(١) صفة الصفوة (٤/ ٣٢٧-٣٢٨) بتصرف.

ليس يشبه صاحبنا

۞ عن أبى صالح قال: كنا على باب مالك بن أنس فامتنع علينا فقلنا: ليس يُشبه صاحبنا قال: فسمع مالك كلامنا فأدخلنا عليه فقال لنا: مَن صاحبكم؟ فقلنا: الليث بن سعد. فقال: تُشبهونى برجل كتبنا إليه فى قليل عُصْفُر نصبغ به ثياب صبياننا وثياب جيراننا فأنفذ إلينا ما صبغنا به ثيابنا وثياب صبياننا وثياب جيراننا وبعنا الفضلة بألف دينار؟ (١).

موعظة بليغة

۞ دخل رجل على عبد الملك بن مروان ممن كان يوصف بالعقل والأدب، فقال له عبد الملك بن مروان: تكلم قال: بِمَ أتكلم وقد علمت أن كل كلام يتكلم به المتكلم عليه وبال(٢) إلا ما كان لله؟ فبكى عبد الملك ثم قال: يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون؟ قال الرجل: يا أمير المؤمنين، إن للناس فى يوم القيامة جولة لا ينجو من غصص مرارتها، ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله سبحانه وتعالى بسخط نفسه، قال: فبكى عبد الملك، ثم قال: لا جرم لأجعلن هذه الكلمات مثالًا نُصْبَ عينى ما عشت أبدًا.

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٤٥٨).

(٢) أي حسرة، وندامة ما لم يكن فيما يُرضى الله.

ما خلقت الجنات إلا لكم

۞ عن أَحْمَدَ بْنِ أَبِى الْحَوَارِىِّ، قَالَ:

سَمِعْتُ أَبَا سُلَيْمَانَ الداراني، يَقُولُ: سَمِعْتُ صَالِحَ بْنَ عَبْدِ الْجَلِيلِ، يَقُولُ: «ذَهَبَ الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ بِلَذِيذِ الْعَيْشِ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رضيتم بي بدلًا دون خلقي وآثرتموني على شهواتكم في الدنيا فعندي اليوم فباشروها، فلكم اليوم عندي تحياتي وكرامتي فبي فافرحوا وبقربي فتنعموا فوعزتي وجلالي ما خلقت الجنات إلا من أجلكم»[1].

---

(١) الحلية (٩/ ٢٥٥).

من مواعظ الحسن البصري

❁ قال حبيب العابد: دخلت البصرة فإذا أسواقها مغلقة وسككها خالية، قلت: يا أهل البصرة أعندكم عيد لا أعرفه، قالوا: لا، ولكن الحسن ابن أبى الحسن البصرى فى الجامع يعظ الناس..، قال: فبادرتُ إلى مجلسه، فوجدته جالسًا على مرتفع من الأرض وهو يقول: أيها الناس استعدوا للرحيل فلم يبقَ من الدنيا إلا القليل وخذوا أُهبة التحويل، فليس إلى البقاء من سبيل، أما علمتم أنكم على أَسِرَّة المنايا تُحمَلون، وإلى البلاء فى دار البلاء عن قريب تُسلمون، وبأعمالكم التى عملتموها تُفرَدون، وعلى ديَّان يوم الدين تُعرَضون... أمركم بالطاعة فما أطعتم، ونهاكم عن المعصية فما انتهيتم، وخوَّفكم بالنار فما خفتم ولا ارعويتم، وشوَّقكم إلى الجنة فما اشتقتم ولا اشتهيتم، فيا ذا الشيبة المؤذنة باقتراب الأجل ما انتظارك، ويا ذا الشبيبة القادرة على اكتساب العمل ما اعتذارك، ويا أيها المطيع لِفيه وهواه، المضيع فى حظه دنياه من أُخراه، المقيم على ذنوبه وخطاياه، ليت شِعرى ما عُذركم إذا وقفتم بين يديه! وما حُجتكم إذا قدمتم عليه، لقد ضَلَّ سعيكم وخاب قصدكم، فاستغفروا الله العظيم لى ولكم[1].

---

(١) المواعظ والمجالس (ص ١٨١).

رزقٌ للغُزاة في وسط البحر

۞ هو الإمام الحافظ، فقيه مصر، عبيد الله بن أبى جعفر، الثقة العابد، الزاهد.

۞ قال ابنِ أَبِى جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

غَزَوْنَا القُسْطَنْطِيْنِيَّةَ فَكُسِرَ بِنَا مَركَبُنَا، فَأَلْقَانَا المَوجُ عَلَى خَشَبَةٍ فِى البَحْرِ، وَكُنَّا خَمْسَةً أَوْ سِتَّةً، فَأَنبَتَ اللهُ لَنَا بَعَدَدِنَا وَرَقَةً لِكُلِّ رَجُلٍ مِنَّا فَكُنَّا نَمُصُّهَا فَتُشبِعُنَا وَتَروِينَا فَإِذَا أَمْسَينا أَنبَتَ اللهُ لَنَا مَكَانَها [1].

ما كنت لأبيع لابن السبيل شيئًا

۞ عن الصّلت بن حكيم قال: حدثنى ابن السماك أن نفرًا وردوا على عجوز فى بعض البوادى يسألونها بيع شاة، فقالت: ما كنت لأبيع لابن السبيل شيئًا، ولكن خذوها على ما عند الله، ثم بكى أبو العباس يعنى: ابن السماك، وقال: رحمها الله فَقِهت فى بَدْوِها [2].

(١) السير (٦/ ٩).

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٥٢٣).

العلم خيرٌ من المال

۞ قال الإمام ابن القيم: «يُحكَى عن بعض العلماء أنه ركب مع تجار فى مركب، فانكسرت بهم السفينة، فأصبحوا بعد عزِّ الغِنى فى ذُلِّ الفقر، ووصل العالِم إلى البلد، فأُكرم وقُصد بأنواع التُّحَف والكرامات، فلما أرادوا الرجوع إلى بلادهم قالوا: هل لك إلى قومك كتاب أو حاجة؟ فقال: نعم تقولون لهم: إذا اتخذتم مالًا، فاتخذوا مالًا لا يغرق إذا انكسرت السفينة، فاتخذوا العلم تجارة».

۞ فمن خلال هذه القصة نعلم يقينًا أن العلم خيرٌ من المال.

قال على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العلم خيرٌ من المال فالعلم يحرسك وأنت تحرس المال.

ونحن جميعًا نعرف الأئمة الكبار كأحمد والشافعى ومالك وأبى حنيفة والبخارى ومسلم وغيرهم فهل نعرف رجلًا واحدًا غنيًّا ممن كانوا يعيشون فى زمان هؤلاء الأئمة؟!.. كلا والله لا نعرف واحدًا منهم وذلك لأن العلم يُخلِّد ذكر صاحبه وأما المال فلا يخلد ذكر صاحبه.

۞ وعَنْ كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ:

«أَخَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِيَدِى فَأَخْرَجَنِى إِلَى نَاحِيَةِ الْجَبَّانِ، فَلَمَّا أَصْحَرْنَا جَلَسَ ثُمَّ تَنَفَّسَ ثُمَّ قَالَ: «يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، وَاحْفَظْ مَا أَقُولُ لَكَ: النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِىٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ. الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ، وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، الْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْعَمَلِ، وَالْمَالُ تُنْقِصُهُ النَّفَقَةُ، وَمَحَبَّةُ الْعَالِمِ

دَيْنٌ يُدَانُ بِهَا، الْعِلْمُ يُكْسِبُ الْعَالِمَ الطَّاعَةَ فِى حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَصَنِيعَةُ الْمَالِ تَزُولُ بِزَوَالِهِ. مَاتَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِىَ الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِى الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ[(١)].

۞ ولقد ذكر النبى ﷺ صورة رائعة توضح لنا كيف أن العلم يرفع صاحبه إلى أعلى المنازل وأن الجهل يُردى صاحبه فى المهالك فقال ﷺ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِى فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِى مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِى مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِى فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِى مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ»[(٢)].

۞ والسؤال هنا: ما الذى رفع قدر الرجل الأول حتى كان بأفضل المنازل وجعل الثالث فى أخبث المنازل؟ إنه العلم الذى تشرف به الرجل الأول.

۞ ولذا جاء فضل العلم وأهله فى الكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(٤)].

---

(١) الحلية (١/ ٧٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٢٤).

(٣) سورة طه: الآية: (١١٤).

(٤) سورة الزمر: الآية: (٩).

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[٢].

❁ وعن مُعاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يُرد الله به خيرًا يُفقههُ في الدين**»[٣].

❁ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجُلٌ آتاهُ الله مالًا فسلَّطهُ على هلكته في الحق، ورجُلٌ آتاهُ الله الحكمة فهُو يقضي بها، ويُعلمُها**»[٤]. والمرادُ بالحسد: الغبطةُ، وهُو أن يتمنى مثلهُ.

❁ وعن أبي هُريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «... **ومن سلك طريقًا يلتمسُ فيه علمًا، سهَّل الله لهُ به طريقًا إلى الجنة**»[٥].

❁ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضعُ أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنعُ، وإن العالم ليستغفرُ لهُ من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتانُ في الماء، وفضلُ العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العُلماء ورثةُ الأنبياء وإن الأنبياء لم يُورثُوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذهُ أخذ بحظٍّ وافرٍ**»[٦].

❁ وعن أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**فضلُ العالم على**

---

(١) سورة المجادلة: الآية: (١١).

(٢) سورة فاطر: الآية: (٢٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧١) كتاب العلم، ومسلم (١٠٣٧) كتاب الزكاة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣) كتاب العلم، ومسلم (٨١٦) كتاب صلاة المسافرين.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٦) صحيح: رواه أحمد وأصحاب السنن، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٧).

العابد كفضلى على أدنكُم» ثُم قال رسُولُ الله ﷺ: «إن الله وملائكتهُ وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جُحرها وحتى الحُوت ليُصلُّون على مُعلمى الناس الخير»[1].

۞ وقال رسُولُ الله ﷺ: «إذا مات ابنُ آدم انقطع عملُهُ إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولد صالحٍ يدعُو لهُ»[2].

۞ وقال رسُولُ الله ﷺ: «الدنيا ملعونةٌ، ملعُونٌ ما فيها، إلا ذكر الله تعالى، وما والاهُ، وعالمًا، أو مُتعلمًا»[3].

۞ وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناسُ! إنما العلم بالتعلُّم، والفقهُ بالتفقه، ومن يُرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين»، و﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[4][5].

۞ وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلُ العلم أحبُّ إلىَّ من فضل العبادة، وخيرُ دينكم الورعُ»[6].

۞ وعن صفوان بن عسَّال المُرادى رضي الله عنه قال: أتيت النبى ﷺ وهو فى المسجد مُتكئٌ على بُردٍ له أحمر؛ فقلت له: يا رسول الله! إنى جئتُ أطلب العلم. فقال: «مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم تَحفُّه الملائكة وتُظله بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب»[7].

---

(١) صحيح: رواه الترمذى، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢١٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية.

(٣) حسن: رواه الترمذى، وابن ماجه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤١٤٣).

(٤) سورة فاطر: الآية: (٨٢).

(٥) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٧٦).

(٦) صحيح: رواه البزار، والطبرانى فى الأوسط وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٨٦).

(٧)رواه أحمد والطبرانى، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٧١).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعٌ يجرى للعبد أجرهن وهو فى قبره بعد موته: مَن علَّم علمًا، أو كرى[١] نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورَّث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته»[٢].

۞ وعن أبى موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مثل ما بعثنى الله به من الهُدى[٣] والعلم، كمثل غيث أصاب أرضًا، فكانت منها طائفةٌ طيبة قَبِلت الماء، وأنبتت الكلأ[٤] والعُشب الكثير، وكان منها أجادبُ[٥] أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسَقَوا وزرعوا[٦]، وأصاب طائفةً أخرى منها، إنما هى قِيعان[٧]، لا تُمسك ماءً، ولا تُنبتُ كلًا، فذلك مَثلُ مَن فَقُه فى دين الله تعالى، ونفعه ما بعثنى الله به فعَلِم وعلَّم؛ ومثلُ من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هُدى الله الذى أُرسلتُ به»[٨].

وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحقُ المؤمنَ من

---

(١) أى: حفره وأخرج طينه. جاء فى «المصباح»: «وكَريت النهر كريًا، من باب (رمى): حفرتُ فيه حفرة جديدة، ولبعضه شاهد كما قال المصنف.

(٢) حسن: رواه البزار وسمويه وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٠٦٣).

(٣) هو الدلالة الموصلة إلى المطلوب. والمراد بالعلم: معرفة الأدلة الشرعية: لا الفروع المذهبية. و(الغيث): المطر.

(٤) بالهمز بلا مد: النبتُ يابسًا كان أو رطبًا و(العشب): النبت الرطب، فعطفه عليه من باب عطف الخاص على العام.

(٥) جمع (جَدَب) بفتح الدال المهملة على غير قياس: وهى الأرض الصلبة التى تمسك بالماء فلا تشربه سريعًا. وقيل: هى الأرض التى لا نبات بها، مأخوذة من الجدب، وهو القحط.

(٦) هذا اللفظ للبخارى، ولفظ مسلم، «ورعوا»، وجمع بينهما أحمد بلفظ: «فشربوا، فرعوا، وسَقَوا، وزرعوا وأسقَوا».

(٧) بكسر القاف: جمع (قاع): وهو الأرض المستوية الملساء التى لا تنبت.

(٨) متفق عليه: رواه البخارى (٧٩) كتاب العلم، ومسلم (٢٢٨٢) كتاب الفضائل.

عمله وحسناته بعد موته علمًا علَّمه ونشره، وولدًا صالحًا تركه، أو مُصحفًا ورَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته، تلحقُه من بعد موته»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه مَرَّ بسوق المدينة فوقف عليها فقال: يا أهل السوق! ما أعجزكم! قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراثُ رسول الله ﷺ يُقسَّم، وأنتم ها هنا؛ ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟ قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد، فخرجوا سراعًا، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة! قد أتينا المسجد فدخلنا فيه، فلم نَرَ فيه شيئًا يُقسَّم! فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحدًا؟ قالوا: بلى؛ رأينا قومًا يصلون، وقومًا يقرؤون القرآن، وقومًا يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم! فذاك ميراثُ محمد ﷺ[٢].

۞ **قال الإمام ابن القيم أيضًا:** «قال خيثمة بن سليمان: سمعت ابن أبي الخناجر يقول: كنا في مجلس يزيد بن هارون، والناس قد اجتمعوا إليه، فمرَّ أمير المؤمنين فوقف علينا في المجلس، وفي المجلس أُلوف، فالتفت إلى أصحابه، وقال: هذا المُلك ».

۞ **وقال الإمام ابن القيم:** « قَالَ يحيى بْن أكثم: قَالَ الرَّشِيدُ: مَا أنبل الْمَرَاتِب؟ قلت: مَا أنت فِيهِ يَا أمير الْمُؤمنِينَ. قَالَ: فتعرفُ أجلَّ مني؟ قلت: لَا، قَالَ: لكني أعرفه .. رجلٌ فِي حَلَقَة يَقُول: حَدثنَا فلَان عَن رَسُول الله ﷺ.

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه والبيهقي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٣١).

(٢) حسن موقوف: رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٨٣).

قَالَ: قلت: يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ أهذا خير مِنْك، وانت ابْن عَم رَسُول الله ﷺ وَولى عهد الْمُؤمنِينَ؟ قَالَ: نعم، وَيلك، هَذَا خير منى لأن اسْمه مقترن باسم رَسُول الله، لَا يَمُوت أبدًا وَنحن نموت ونفنى وَالْعُلَمَاء باقون مَا بَقِى الدَّهْر».

۞ وقال الإمام ابن القيم: فى «تاريخ بغداد» للخطيب: حَدثنِي أَبُو النجيب عبد الْغفار بْن عبد الواحد قَالَ: سَمِعت الْحسن بن عَلىّ الْمُقرى يَقُول: سَمِعت أَبَا الْحسين بن فَارس يَقُول: سَمِعت الأستاذ ابن العميد يَقُول: مَا كنت أظنُّ أنَّ فِي الدُّنْيَا حلاوة ألذُّ من الرياسة والوزارة الَّتِى أنا فِيهَا حَتَّى شهِدت مذاكرة سُلَيْمَان بن أيُّوب بن أحْمَد الطَّبَرَانِىّ وأبى بكر الجعابِىِّ بحضرتى فكَانَ الطَّبَرَانِىّ يغلب بِكَثْرَة حفظه وَكَانَ الجعابى يغلب الطَّبَرَانِىّ بفطنته وذكاء أهل بَغْدَاد، حَتَّى ارْتَفَعت أصواتهما وَلَا يكَاد أحدهما يغلب صَاحبه.

فَقَالَ الجِعابى: عِنْدِى حَدِيث لَيْسَ فِى الدُّنْيَا إلا عِنْدِى، فقَالَ: هاته. فَقَالَ: حَدثنَا أبو خليفة حَدثنَا سُلَيْمَان بن أيُّوب،... وَحدَّث بِالْحَدِيثِ، فقَالَ الطَّبَرَانِىّ: أنبأنا سُلَيْمَان بن أيوب ومنى سمع أبو خَليفَة، فاسمع منى حَتَّى يَعْلُو إسنادُك فَإنَّك تروى عَن ابى خَليفَة عنى ... فَخَجِلَ الجِعابى وغلبه الطَّبَرَانِىّ.

قَالَ ابْن العميد: فوددت فِى مَكَانى أنَّ الوزارة والرِّياسة ليتها لم تكن لى وَكنت الطَّبَرَانِىّ وفرحت مثل الْفَرح الَّذِى فَرح به الطَّبَرَانِىّ لأجل الحَدِيث.

كلمات من ذهب

۞ عن مطرف بن معقل الشقرى: سمعت عون بن عبد الله يقول: ذاكر الله فى غفلة الناس، كمثل الفئة المنهزمة يحميها الرجل،لولا ذلك الرجل هُزمت الفئة،ولولا من يذكر الله فى غفلة الناس هلك الناس.

۞ قال سفيان: قال عون بن عبد الله: صحبت الأغنياء، فلم يكن أحد أطول غمًا منى أن رأيت أحدًا أحسن ثيابًا منى وأطيب ريحًا منى، فصحبت الفقراء فاسترحت.

۞ وعن المسعودى قال: قال عون بن عبد الله: إنّ مَن كان قبلنا كانوا يجعلون للدنيا ما فَضُل عن آخرتهم، وإنكم تجعلون لآخرتكم ما فَضُل عن دنياكم.

۞ وعن عون بن عبد الله قال: ما أحد يُنزل الموت حق منزلته، إلا عَدَّ غدًا ليس من أجله، كم من مُستقبلٍ يومًا لا يستكمله، وراجٍ غدًا لا يبلغه، لو تنظرون إلى الأجل، ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره.

۞ وعن عون بن عبد الله قال: كان أهل الخير يكتب بعضهم إلى بعض بهؤلاء الكلمات الثلاث، ويلقى بها بعضهم بعضًا: مَن عمل لآخرته كفاه الله ﷻ دنياه، ومن أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته.

۞ وقال عون بن عبد الله: قلب التائب بمنزلة الزجاجة يؤثر فيها جميع ما أصابها، فالموعظة إلى قلوبهم سريعة، وهُم إلى الرقة أقرب، فداووا القلوب بالتوبة، فلَرُبّ تائب دعته توبته إلى الجنة حتى أوفدته عليها،

وجالسوا التوابين، فإن رحمة الله إلى التوابين أقرب.

۞ وعن أبى معشر قال: رأيت عون بن عبد الله فى مجلس أبى حازم يبكى ويمسح وجهه بدموعه، فقيل له: لِمَ تمسح وجهك بدموعك؟ قال: بلغنى أنه لا تصيب دموع الإنسان مكانًا من جسده، إلا حرم الله ﷻ ذلك المكان على النار [1].

(١) صفة الصفوة (٣/ ٥٧-٥٩) بتصرف.

وصية جامعة على فراش الموت

۞ عن ابن الكلبى قال: لما نزل بعبد الله بن شدَّاد الموت دعا ابنًا له يقال له: محمد، فأوصاه، وكان فيما أوصاه أن قال له: يا بُنى، إنى أرى دواعى الموت لا تُقلع، ومَن مضى لا يرجع، ومَن بقى فإليه ينزع، وإني أوصيك بوصية فاحفظها: عليك بتقوى الله تعالى، وليكن أولى الأمر بك الشكر لله، وحسن الثناء عليه فى السر والعلانية، واعلم أن الشَّكورُ مُزادٌ، والتقوى خير زادٍ، فكن يا بنى كما قال الحطيئة العبسى:

ولست أرى السعادة جمع مالٍ	ولكن التَّقِى هو السعيدُ
وتقوى الله خير الزاد ذُخرًا	وعند الله للأتقى مزيدُ
وما لا بد أن يأتي قريب	ولكن الذي يمضي بعيدُ

ثم قال: يا بُنى، لا تزهدن فى معروف، فإن الدهر ذو صروف، والأيام ذات نوائب على الشاهد والغائب، فكم من راغبٍ قد كان مرغوبًا إليه! وطالبٍ قد كان مطلوبًا إليه! واعلم أن الزمان ذو ألوان، ومن يصحب الزمان يرى الهوان، وكن يا بنى كما قال أخو بنى وائل:

وعدِّد من الرحمن فضلًا ونعمة	عليك إذا ما جاء للخير طالب
وإن امرؤ لا يُرتجى الخير عنده	يكن هينًا ثقلًا على من يصاحب
أرى دولًا هذا الزمان بأهله	وبينهم فيه تكون النوائب
إذا قلت في شيء نعم فأتمه	فإن نعم دَينٌ على الحُر واجب
وإلا فقل لا تسترح وأرح بها	لكيلا يقول الناس إنك كاذب
ومن ذا الذي ترجو الأباعد نفعه	إذا هو لم تصلح عليه الأقارب

ثم قال: يا بنى، وإن غُلبت يومًا على المال، فلا تدع الحيلة على كل حال، فإن الكريم محتال والدنىء عيَّال، وكن أحسن ما يكون فى الظاهر حالًا أقل ما يكون فى الباطن مالًا، فإن الكريم مَن كَرُمت عند الحاجة طبيعته، وظهرت عند الناس نعمته، وكن كما قال ابن حذاق العبدى:

وجدت أبي قد أورثه أبوه ... خلالًا قد قعد من المعالي

وأكرم ما تكون عليَّ نفسي ... إذا ما قَلَّ في الأزمان مالي

فتحسن سيرتي وأصون عِرضي ... ويَجْمُل عند أهل الرأي حالي

وإن نلتُ الغِنى لم أغل فيه ... ولم أخصص بجفوتي الموالي

ثم قال: يا بُنى، وإن سمعت يومًا كلمة حاسد، فكن كأنك لست بالشاهد، وإنك إن أمضيتها حياءً لها رجع العيب على من قالها، وقد كان يقال: إن الأديب العاقل هو الفَطِن المتغافل، وكن كما قال حاتم بن عبد الله:

وما من شيمي شتم ابن عمي ... وما أنا مخلف من يرتجيني

وكلمة حاسد من غير ذنبٍ ... سمعت فقلت مُرِّي فانفذيني

فعابوها عليه ولم تعبني ... ولم يعرق لها يومًا جبيني

وذو الوجهين يلقاني طليقًا ... وليس إذا تغيب يأتسيني

بصرت بعيبه فصفحت عنه ... محافظة على حسبي وديني[1]

ثم قال: يا بُنى، كن جوادًا بالمال فى مواضع الحق، بخيلًا بالأسرار على جميع الخلق، فإن أحد جود المرء الإنفاق فى مواضع البر والبخل بمكتوم

---

(١) انظر: ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/ ٣٧٣).

السر، وكن كما قال قيس بن الخطيم:

أجـود بمكنـون الـتلاد فـإنني ... بسِرِّك عـن مـا سـألني لـضنين

إذا جـاوز الاثنـين سِـرٌّ فإنـه ... بنـشرٍ وتكثيـر الحـديث قمـين

فـإن ضيَّع الأقـوام سـري فـإنني ... كتـومٌ لأسـرار العـشير أمـين

وعنـدي لـه يومًـا إذا مـا ائتمنته ... مكـان سـويداء الفـؤاد كمـين

ثـم قـال: يـا بنـى، لا تـؤاخين أخًـا حتـى تتفقـد مـوارده ومـصادره، فـإذا استطبت الخبرة ورضيت العشرة، فآخِه على إقالة العثرة والمواساة فى العشرة، وكن كما قال المقنع الكندى:

ابـلُ الرجـال إذا أردت إخـاءهم ... وتوسـمنَّ أمـورهم وتفقَّـدِ

فـإذا ظفـرت بـذي الأمانـة والتُّقـى ... فيـه التـدين قريـر عـين فاشـددِ

ومتـى تريـك ولا محالـة زلـة ... فعلى أخيك بفضل حلمك فارددِ

ثم قـال: يـا بنـى، إذا أحببـت حبيبًـا فـلا تفـرط، وإذا أبغـضت بغيـضًا فـلا تشطط، فإنه كان يقال: أحبِبْ حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما.

وكن كما قال هدبة العذرى:

وكن مغفلًا للعذر واصفح عن الخنا ... فإنـك رائـي مـا حييـت وسـامعُ

وأحبـب إذا أحببـت حبًّـا مقاربًـا ... فإنـك لا تـدري متـى أنـت نـازعُ

وأبغـض إذا بغـضت بغـضًا مقاربًـا ... فإنـك لا تـدري متـى أنـت راجـعُ

ثـم قال: يا بنى، عليك بصحبة الأخيار وصدق الحديث، وإياك وصحبة الأشرار، فإنها شَنارٌ وعارٌ، وكن كما قال مسكين الدارمى:

اصحب الأخيار وارغب فيهم رُبَّ مَن صُحبته مثل الجرب
واصدق الناس إذا حدثتهم ودَعْ الكذب فمن ساء كذب
رُب مهزولٍ سمين عرضه وسمين الجسم مهزول الحسب

ثم قال: يا بنى، إذا أحببت من الإخوان، فآخ من يُعِدُّ نوائب الأزمان، وعليك بذوى الألباب الذين نفقتهم الآداب وزينتهم الأحساب، فإنهم أطيب مختبرًا وأكرم محتضرًا وأعذب معتصرًا، واحذر إخاء كل جهول وصحبة كل عجول، فإنه لا يغفر الزلة، وإن عرف العلة، سريع غضبه، عالٍ لهبُه إن سأل ألحف، وإن وعد أخلف، يرى ما يعطيك غُرمًا، وما يأخذ منك غُنمًا، فهو يُرضيك ما طمع فيك، وإذ ينتهى من خيرك مال إلى غيرك، فاحذر إخاء مثله، وهو ممن يقول فيه الشاعر:

لا تؤاخِ الدهر جنسًا راضعًا ملهب الشر قليل المنفعة
ما ينل منك فأحلى مغنم ويرى طرقانه أن تمنعه
يسأل الناس ولا يعطيهم هبلته أمه ما أطمعه

ثم قال: يا بُنى، من عاب على الزمان، واتَّكل على صلة الإخوان قطعه صديقه، وملَّه رفيقه، واحتماه الأهلون، وظفر به الشامتون، فشمِّر فى البلاد تشمير المرتاد طالبًا بالكفاف القناعة والعفاف تَعِش حميدًا وتَمُت فقيدًا، وقد قال النابغة الجعدى، وقيل العدوة بن الورد:

إذا المرء لم يطلب معاشًا لنفسه شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا
وصار على الأدنين كلًّا وأوشكت صلات ذوي القربى له أن ينكرا
فسِرْ في بلاد الله والتمس الغِنا تعش ذا يسارٍ أو تموت فتُعذَرا

وما طلبُ الحاجات في كل وِجهة ... من الناس إلا مَن أجدَّ وشمَّرا
ولا ترضَ من عيش بدون ولا يتم ... وكيف ينام الليل من كان معسرا

ثم قال: يا بنى، لتكن إخوانك، وخلانك وأهل بطانتك أولى الدِّين والعفاف والمروءات والعقل والأخلاق الجميلة، فإنى رأيت إخوان المرء يده التى يبطش بها، وأسنانه الذى يصول بها، وجناحه الذى ينهض به، فاصحب هؤلاء، واتخذهم إخوانًا، وعلى الخيرات أعوانًا، واجتنب الصغار والأخطار اللئام الأقذار الذين لا يُحامون على حسب، ولا يعرجون على نسب، ولا يصبرون على نائبة، ولا ينظرون فى عاقبة، فإنهم إن رأوك فى رخاءٍ سألوك، وإن رأوك فى شدة أسلموك، ولعلهم أن يكونوا عليك مع بعض الأعداء، واعلم أن الرجل بلا صديق كيد الشمال بلا يمين، وقد قال الشاعر:

أخاك أخاك إنَّ مَن لا أخًا له ... كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحِ
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه ... وهل ينهض البازي بغير جناحِ

اصحب الأخيار، واخلط نفسك بالأبرار، وطهرها من الفُجَّار؛ فإن المرء يُعرَف بقرينه، ويُنسَب إلى أهل خليطه، وقد قال الشاعر:

وقارن إذا قارنت حُرًّا فإنما ... يزين ويزري بالفتى قرناؤه
ولن يهلك الإنسان إلا إذا أتى ... من الأمر ما لم يرضه أصفياؤه

قد جمعت لك يا بنى جوامع صلاح نفسك، فاستفتح مسامع عقلك، تفهَّم ما وصفت لك بالتجارب، تَرِد المحل الذى فيه صلاح عواقب أمورك، واعلم أنه مَن حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر

فى العواقب نجا، ومن نجا درج، ومن اعتبر بصر، ومن فهم علم، وفى التوانى والإفراط تكون الهلكة، وفى التأنى السلامة، وزارع البِر يحصد السرور، والقليل مع القناعة فى العز خير من كثير مع السرور فى المذلة، والتقوى نجاة، والطاعة مُلك، وحليف الصدق موفق، وصاحب الكذب مخذول، وصديق الجاهل تعب، ونديم العاقل مغتبط، فإذا جهلت فاسأل، وإذا ندمت فاقلع، وإذا غضبت فأمسك، وإن مننت فاكتم، ومن كافأك بالشكر فقد أدى إليك الصنيعة، ومن أقرضك الثناء فاقضِه الفعل، ومن بدأك ببره شغلك بشكره، فتفهَّم ما قد وفد منى إليك، واجعله مثالًا بين عينيك فإن الذى أفدتك من وصيتى أبلغ فى وفدك من عطيتى، وضع الصنائع عند الكرام وذوى الأحساب، ولا تضعنَّ معروفك عند اللئام فتُضيعه، فإن الكريم يشكرك ويرصد لك بالمكافأة، واللئيم يحسب ذلك حتمًا، ويؤول معك إلى المذمة، وقد قال الشاعر:

إذا أوليت معروفًا لئيمًا ... فعدَّك قد قتلت له قتيلا

وكن من ذاك معتذرًا إليه ... وقل إني أتيتك مستقيلا

فإن تغفر فمجترمي عظيم ... وإن عاقبت لم تظلم قتيلا

وإن أوليت ذا وفاء ... فقد أودعته شكرًا طويلا[1]

(١) عيون الحكايات (ص ١٧٥ - ١٨٠).

ومن يتق الله يجعل له مخرجًا

۞ ذكر أحد الإخوة عن أحد التجار فى السعودية بداية رحلته مع التجارة حيث نُقل عنه أنه كان يعمل فى أحد ثغرات البلاد وكانت البضائع لا بد أن تمر عليه حتى يوقِّع عليها فكان للمتلاعبين بالمرصاد.

ولكن علم أن رئيسه يأخذ الرشاوى ولقد بلغت برئيسه الوقاحة أن نصح صاحبنا بعدم التشدُّد وأخذ المال تسهيلًا للراشى ... ولما سمع صاحبنا هذا الكلام ارتعدت فرائصه، وأحسَّ بالخوف فخرج من المكتب وهو يكاد يختنق من الحزن والأسى ومرت الأيام، وكُلٌّ يأتى إلى صاحبنا، فهذا يقول له: هذه هدية من مؤسستنا وهذا يقول: هذا المال إكرامية من شركتنا لمجهودك الطيب، وهو يرد ذلك ويرفضه لكن إلى متى سيبقى على هذا الحال، وأحسَّ بالخوف أن تضعف نفسه وأن يأخذ مالًا حرامًا، وأصبح بين أمرين، إما أن يتخلى عن منصبه وراتبه، أو أن يتعدى حدود الله ويأخذ الرشاوى، ولأن قلبه على الفطرة، ولأن قلبه يستشعر قول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾[1]، قدَّم استقالته.. يقول صاحبنا: ثم رزقنى الله شاحنة صغيرة، وبدأت بمتابعة النقل ثم رزقنى الله شاحنة أخرى وبدأ بعض التجار يطلبونى لنقل بضائعهم لحرصى عليها، وكأنها من مالى... ومن الحوادث التى مرت علىَّ أن اصطدمت إحدى شاحناتى وتكسَّرت بسبب نوم السائق فلما اعتذر عفوت عنه، فاندهش رجل المرور من سماحتى وأصرَّ على أن يتعرف علىَّ، وبعد

(١) سورة الطلاق: الآيتان: (٢، ٣).

أعوام كبر منصب رجل المرور وجاءت بضاعة كبيرة فما أراد هذا إلا أنا فاختارني لحمل هذه البضاعة بنقلياتي دون مناقصة.

فانظر أخي القارئ كيف تفتَّحت له أبواب الرزق وهو الآن من أكبر التجار وله من التبرع لوجوه الخير والإحسان إلى الفقراء النصيب الكبير وهكذا فلتُشكر النعم.

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العُرف بين الله والناس

الربح في محاسبة النفس

۞ ذكر أحد الإخوة أن بائع فواكه فى مدينة الدمام حكى له قصته مع البيع والشراء، وكيف أنه كان يبيع البضاعة المغشوشة حتى لا يخسر ريالًا يمكن كَسْبُه، ومِن فِعله أنه كان يضع الفواكه الفاسدة فى أسفل الصندوق ويخفيها ثم يضع فوقها فواكه جديدة فإذا جاء المشترى ورأى الثمار اليانعة أعلى الصندوق، أخذه دون مساومة خاصة أن البائع يحلف يمينًا أن هذه البضاعة - على الشرط - .... يقول هذا البائع:

وفى يوم من الأيام، جاء رجل ليشترى صندوقًا من الطماطم، من جارٍ له يغش مثلى أو أقل، قال الرجل له: كيف حال هذه البضاعة؟ فقال البائع: نِعم البضاعة، أعلاها كأسفلها، على الشرط فحملها المشترى، فانقلب الصندوق فتساقط الطماطم، وانكشف عوارها، فما كان منه إلا أن أمسك جارى البائع وضربه ضربًا مبرحًا حتى صار لا يدرى يمينه من شماله، وذلك جزاءً لكذبه وغشِّه،... كل ذلك حدث أمام عينى.

ثم يتابع قوله بأنه حاسب نفسه وكيف أنه سوف يُهان أمام الخلق ليس بيد رجل وإنما بعذاب الله؛ لأنه يأكل من كسبٍ حرام ويغش العوام، فعاهد نفسه على أن يتقى الله فى بيعه، فكانت الإهانة بضرب جاره الغشاش غنيمة له بأن اعتبر ورجع إلى الله.

ويتابع البائع قوله: فأصبحت لا أبيع صندوق الثمار حتى أبعد عنه كل فاسد فبدأ الناس يُقبلون على الشراء منى ويثقون بى، فأحسست بالبركة فى رزقى، ويعلم الله أننى كنت أيام الغش لا أجد ما يغطى المصاريف لهذا الدكان، أما الآن فأحيانا أوفر الألف والألفين، من الريالات شهريًا، فهل

يعتبر أهل الدكاكين بذلك، إن كانت لجنة مراقبة الأسواق، لـم تـرَ غُشَّكم، فإن الله الرقيب البصير العليم يراكم، ويعلم ما تُسرون وما تعلنون.

فهل من رجعة إلى الله، وهل من توبة مما سبق؟

والــدهر يكبــو بــالفتى وتــارة يُنهــضه مــن عثــرة إذا كبــا

لا تعجـبنَّ مـن هالـكٍ كيـف هـوى بـل فـاعجبنَّ مـن سـالمٍ كيـف نجـا

أين أنتم يا مسلمون؟!

۞ مُحدِّثى لا يعرف سوى لغة الأرقام.

تسأله سؤالًا.. تجد الجمع والطرح أولًا.. ثم يأتيك الجواب..

فى ليلة سفر باردة.. ساد فيها الصمت والإرهاق

قال لى.. كم تتصدق كل سنة من مالك..؟

عجبتُ من السؤال بعد طول سكوت

ولكنه أصرَّ على السؤال مرة أخرى.. وقبل أن أجيب.. سألته.. لماذا..؟ وأنت تعلم أن إخفاء الصدقة خيرٌ من إعلانها كما فى الحديث عن النبى ﷺ «**سبعةٌ يظلهم الله بظله، يوم لا ظل إلا ظله**» وذكر منهم «**رجلًا تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه..**».

ولكنه شدَّد فى السؤال.. واحترت فى الجواب

فكرت.. كم أتصدق فى سنة كاملة..؟

سؤال يمر عبر السنة.. أيام وشهور مضت

بعد أن لاحظ طول تفكيرى.. قال: دعنى أُقرِّبُ لك السؤال

نحن الآن فى منتصف الشهر..

مضى نحو أسبوعين من بداية هلال هذا الشهر

كم أنفقت فى أوجه الخير والبر..؟

أجبته بسرعة وبدون تردد.. لم أُنفق شيئًا إطلاقًا..

هَزَّ رأسه.. وأصاب بُغيته.. وعاد للغة الأرقام وقرر بعد برهة أنت لا تتصدق فى اليوم ولا بشق تمرة.. أرأيت كيف..؟

تعجبت من حسابه.. ولكنه أضاف..

أنت لا تتصدق إلا إذا وجدت فقيرا.. أليس كذلك..؟

قلت له.. نعم.. هَزَّ رأسه.. ثم قال:

متى تجد ذلك الفقير المحتاج.. أو متى بحثت عن فقير..؟

ولا أقول فقيرًا فقط.. بل من أقاربك أو جيرانك..؟

كان جوابى داخل نفسى.. لم أبحث.. لا عن جارٍ ولا قريب..

قال: لو فرضنا أنك تتصدق كل يومٍ بريال.. لأصبح مجموع ما تنفق فى عام كامل ثلاثمائة وستون ريالًا..

مبلغٌ زهيد.. انتظر الجواب

قلت له موافقًا.. نعم هذا صحيح..

ولكنى أعلم أننى لا أتصدق بهذا المبلغ فى عام كامل.. رغم قلته واصل حديثه.. بعد أن أكملت جوابى

باب الصدقة باب كبير من أبواب العبادة فيه سدٌّ لحاجة فقير.. وكسوةٌ لعارٍ.. ولقمةٌ لجائع.. وإغاثةٌ لملهوف.. وتعليمٌ لجاهل.. لقد وهبك الله هذا المال.. ومُرتبك يزيد على ثلاثة آلاف ريال ولكن ماذا قدمت للإسلام والمسلمين..؟

هل اشتريت كتابًا لإخوانك وجيرانك..؟

هل شاركت فى بناء مسجدٍ ولو بالقليل..؟

كم شريطًا إسلاميًّا أهديت..؟ كم فقيرًا واسيت..؟

مجالات الخير كثيرة.. ومتعددة..

ولكن.. أرأيت كيف نحن محرومون من هذا الأجر!!

لماذا لا تخصص مبلغًا ثابتًا كل شهر..

مما زاد عن حاجتك يُنفَق فى أبواب الخير..

۞ ثم هناك الكثير تستطيع أن تقدمه.. خذ مثلًا.. وعليك الجمع.. لو استغنيت عن كأس من اللبن تشربه فى اليوم لوفّرت ريالًا كاملًا.. يكفى.. شراء وجبة كامَلة لعائلة مسلمة.. لم تر الطعام من يوم أو يومين

لو تركت شراء ثوبٍ واحد مما زاد عن حاجتك كل عام.. لأنفقت مبلغ مائة وخمسين ريالًا تكفى لشراء كتب فى العقيدة تُوزَّع على مدارس المسلمين.

زوجتك.. لو رغبت فيما عند الله..

وتبرعت بثمن شراء فستان واحد فقط كل عام.. مائة وخمسون ريالًا تكفى لتكلفة برنامج إذاعى إسلامى لمدة عشرين دقيقة.. فى بلادٍ، الحربُ لا هوادة فيها بين المسلمين والمُنصِّرين أرأيت كيف فَعلتْ؟

ألبسها الله لباس الأمن يوم الخوف.. وكساها لباس التقوى..

وجعل ما تركته فى الدنيا سترًا لها عن النار يوم القيامة..

أخى.. منزلك الذى تُزينه بأنواع الزينة والكماليات..

ألا تستغنى ولو مرة واحدة عن شىء من ذلك؟

إذًا .. لوفرت مبلغًا يزيد على خمسمائة ريال..

يكفى لكفالة ثلاثة طُلاب يحفظون القرآن الكريم لمدة عامٍ كامل

الله أكبر.. أرأيت كيف؟

نعمةٌ جعلها الله فى يدك.. فلا تمنعها عن طريق الخير..

أخلف الله عليك ما أنفقت.. ورزقك دعوة صالحة..

ترتفع إلى السماء من قلب طفل مسلمٍ يحفظ القرآن.. أنت ترعاه..

ابنك.. لماذا لا يكون له مشاركةٌ فى الخير..

لو أخبرته يومًا أنك ستتبرع بقيمة هذه اللعبة..

لدعم المسلمين وإعانتهم لرأيت الفرح على وجهه.. فهو ابن الإسلام..

بمبلغ خمسة وثلاثين ريالًا تبرعًا منه..

تقيم صُلب مجلة شهرية إسلامية لمدة عام كامل.. ترفع لواء التوحيد..

وتحارب البدع والشركيات..

تكون أنت مشتركًا فيها بالدعم البسيط.. وبالإطلاع والفائدة..

رفع الله ابنك فى عِليين.. يوم أن رفع لواء التوحيد

التفتَ إليَّ.. وقال..

أرأيت كيف.. ولا يتأثر ملبسك.. ولا مأكلك.. ولا مسكنك أمضى خنجرًا فى قلبى.. عندما أضاف: والله رأيتهم لا يبحثون إلا عن لقمة طعام واحدة..

ما زاد عن حاجتكم فى وجبة طعام.. يكفى عائلة كاملة لمدة أسبوع.

العين تبكي من مُصَابَكِ أُمّتي ... فإلى متى يا أمّتي نَنعاكِ

سكتنا بُرهةً..

وأنا أغالب دمعة حائرة فى مهجتى.. تبحث عن مَخرج..

أضاف بصوتٍ غلبه التأثير..

كم فقير ستُطعم.. وكم من مُستحقٍّ ستُعطى..

كم من باب خيرٍ ستَطرق.. وكم من الأجر ستجمع

هذا بابٌ من أبواب .. لو نظرت جانبًا آخر.. لرأيت العجب

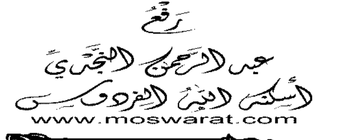
لو ترك السائح المسلم سفر هذا العام وتبرع بتكاليف سفره.. لأطعم وكسا قرية مسلمة.. بل وربما قريتين لمدة عام كامل.. هزّ يده.. هناك الكثير..

تركني أسترجع لغة الأرقام مرة أخرى وأنين أطفال المسلمين يطرق أذنيّ

أين أنتم عنا يا مسلمون..؟[1]

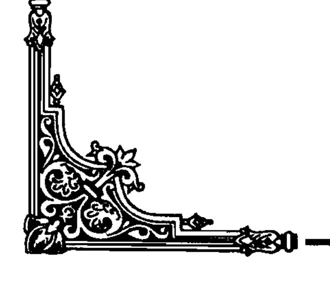
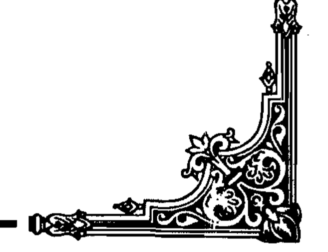
❊ ❊ ❊

(١) الزمن القادم (ص ١٧١-١٧٥).


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



من طرائف ونوادر الصالحين والزاهدين

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



ساعة وساعة

۞ ويَجْمُـل بنـا إتمامًـا للفائـدة أن نـذكر للقـارئ شـيئًا مـن المُلَـح والفُكاهـات التى أُثـرت عـن سـلفنا الـصالح، ليُـروِّح بهـا قلبـه ويشرح بهـا صدره، ويُلقِّح بهـا عقلـه ويُـصقل بهـا ذوقـه ويُلَيِّـن بهـا طباعـه، فـإن النفـوس البشرية تميل إليها، والآذان تهفو إلى سماعها، وذلك لخفـة وقعهـا وحـلاوة مذاقها، ولما فيهـا مـن تـرويح عـن الإنـسان من عنـاء الجد وعـون لـه على مكابدة الحيـاة ومـا فى واقعهـا مـن أعبـاء وأثقـال وهمـوم وأحـزان، وأعمـال وتكاليف قد يقدر عليها الإنسان وقد لا يقـدر، وإن نهـض بهـا فقَلَّمـا يـنهض إلا بتعبٍ ومشقةٍ وجهدٍ وعناءٍ، فـإذا أصبح الإنـسان وأمسى وهـو غـارق فى صرامة الجد وقسوة العمل ومواجهة ما كُلِّف به من أمر دينـه ودُنيـاه دون أن يمنح نفسه شيئًا من الترافة والترويح، نفرت منه نفسه واستعصى عليه طبعـه وأحاط به الملل والسأم، وأمات قلبه الضجر والضيق .. وتلفَّـت حولـه إلـى شىء يُرفِّه عنه ويبعد عنه سأمِه وملله وينقذه من وحـشته وكآبتـه حتـى يعـود إليه نشاطه، وترجع إليه قوته. ولا يكـون ذلـك ممكنًـا إلا بـشىء مـن المُلَـح الخفيفـة، والفكاهـة الطريفـة والنـوادر اللطيفـة، والرقـائق التـى تُـدخل علـى نفسه البهجة وتسوق إلى قلبه الأُنس، ويشفى طبعه مما يعانيه.

وقد أباح ذلك الدين ورغَّب فيه الرسول ﷺ.

❊ ❊ ❊

هذا ديننا

وحتى لا يظن الناس أن ديننا ليس فيه روح الدعابة والترويح عن النفس فقد ختمت هذا الكتاب ببعض العجائب والغرائب والطُّرَف الهادفة التى ليس فيها إسفاف ولا استهزاء ولا سخرية ولا كذب ولا ترويع.

۞ ونحن نعلم أن النبى ﷺ كان يمزح ولا يقول إلا حقًّا.

ولقد ثبت بالأسانيد الصحاح ممارسة المصطفى ﷺ لجوانب متعددة من ألوان الترفيه والترويح واللهو المباح.

فقد كان ﷺ يمزح ويقول: «**إني وإن داعبتكم فلا أقول إلا حقًّا**»(١).

وكان يسابق، وينظر للآخرين يستروحون فيبش فى وجوههم ويوافقهم.

فعن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: «نعم، كان طويل الصمت، وكان أصحابه يتناشدون الشعر عنده، ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون، فيتبسم معهم إذا ضحكوا»(٢).

كما أذن ﷺ للحبشة أن يلعبوا بسهامهم وحرابهم على عادتهم فى مسجده الشريف، وأذن لعائشة أن تنظر إليهم وهو يقول: «**دونكم يا بنى أرفدة**»(٣).

كما أباح ﷺ الغناء للنساء وضرب الدف فى المناسبات وأيام الأعياد؛

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٩٩٠) كتاب البر والصلة وأحمد (٨٥٠٦) وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٠٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٩٤٩) كتاب العيدين، ومسلم (١٩) كتاب صلاة العيدين.

وعلله بيسر الإسلام وسماحته، كما حث على زواج الأبكار وعلله بما يكون من الملاعبة بين البكر وزوجها.

سأل رسول الله ﷺ جابر بن عبد الله قائلًا: «**ما تزوجت؟**» فأجاب جابر بن عبد الله: تزوجت ثَيِّبًا، قال ﷺ: «**فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك**»[١].

صور من مزاح النبى ﷺ

۞ ولكى تكتمل الأسوة والقدوة فى النبى محمد ﷺ فلقد استوعبت أحواله كل أحوال البشر.

فلقد كانت سيرة المصطفى ﷺ أنموذجًا متكاملًا للشخصية المسلمة المثالية من جميع الجوانب والمكونات.

(فهو فى خلوته يصلى ويطيل الخشوع والبكاء؛ حتى تتورم قدماه، وهو فى الحق لا يبالى بأحد فى جنب الله، ولكنه مع الحياة والناس بَشَرٌ سَوى، يحب الطيبات، ويبش ويبتسم، ويداعب، ويمزح، ولا يقول إلا حقًّا ﷺ)[٢].

۞ هكذا كان النبى ﷺ أكثر الناس تبسمًا وضَحكًا فى وجوه أصحابه وتَعَجُّبًا مما تحدثوا به وخلطًا لنفسه بهم، ولربما ضحك حتى تبدو نَواجذه[٣].

بل وفى الصحيحين من حديث جرير من حديث علىّ: يضحك مما تضحكون منه، ويتعجب مما تعجبون منه،... ومسلم من حديث جابر بن

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٧٩) كتاب النكاح، ومسلم (١٠٨٨) كتاب الرضاع.

(٢) الحلال والحرام. د/ يوسف القرضاوى (ص: ٢٧٢).

(٣) صحيح: رواه الترمذى فى الشمائل، وصححه الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى مختصر الشمائل (ح ١٩٤).

سَمُرة: كانوا يتحدثون فى أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم[(١)].

وتأمل معى ما قاله هذا الصحابى الجليل:

ففى الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلىِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: ما حجبنى رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآنى إلا تبسم فى وجهى ولقد شكوت إليه أنى لا أثبُتُ على الخيل، فضرب بيده فى صدرى وقال: «**اللهم ثَبِّته واجعلهُ هاديًا مهديًّا**»[(٢)].

۞ روى أن امرأة عجوزًا جاءته تقول: يا رسول الله، ادع الله لى أن يُدخلنى الجنة، فقال لها: «**يا أم فلان! إن الجنة لا يدخلها عجوز**»[(٣)].

وانزعجت المرأة وبكت، ظَنًّا منها أنها لن تدخل الجنة، فلما رأى ذلك منها بيَّن لها غرضه: أن العجوز لن تدخل الجنة عجوزًا، بل يُنشئها الله خلقًا آخر، فتدخلها شابة بكرًا، وتلا عليها قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[(٤)].

۞ وعن أنس أن رجلًا استحمل رسول الله ﷺ - أى طلب منه دابة يحمله عليها- فقال: «**أنا حاملك على ولد ناقة**» فقال: ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**وهل تلد الإبل إلا النوق؟**»[(٥)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٦٧٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٣٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٧٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: أخرجه الترمذى فى الشمائل (ص: ١٩٧)، والبيهقى فى البعث (٣٨٢)، والبغوى فى الأنوار (١/ ٢٥٨/ ٢٦٠)، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللهُ فى السلسلة الصحيحة (٢٩٨٧).

(٤) سورة الواقعة: الآيات: (٣٥-٣٧).

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٩٨) كتاب الأدب، والترمذى(١٩٩١) كتاب البر والصلة، وأحمد (١٣٤٠٥)، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللهُ فى المشكاة (٤٨٨٦)، ومختصر الشمائل (٢٠٣).

۞ وعن أبى هريرة قال: قالوا: يا رسول الله! إنك تداعبنا، قال: «**إنى لا أقول إلا حقًّا**»(١).

۞ وعن أنس أن رسول الله ﷺ كان فى بيت عائشة، فبعث إليه بعض نسائه بقصعة، فدفعتها عائشة فألقتها وكسرتها، فجعل النبى ﷺ يضم الطعام ويقول: «**غارت أمكم**». فلما جاءت قصعة عائشة بعث بها إلى صاحبة القصعة التى كسرتها وأعطى عائشة القصعة المكسورة(٢).

۞ وعن أنس بن مالك قال: كان ابن لأم سليم يقال له: أبو عمير، كان النبى ﷺ ربما مازحه إذا جاء، فدخل يومًا يمازحه، فوجده حزينًا، فقال: «**ما لى أرى أبا عمير حزينًا؟**» فقالوا: يا رسول الله، مات نغره الذى كان يلعب به، فجعل يناديه ﷺ: «**يا أبا عمير! ما فعل النغير!**»(٣).

۞ وعن أنس أن رجلًا من أهل البادية كان اسمه: زاهر بن حرام، قال: وكان النبى ﷺ يحبه وكان دميمًا، فأتاه النبى ﷺ يومًا وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصر، فقال: أرسلنى، من هذا؟ فالتفت فعرف النبى ﷺ، فجعل لا يألو ما ألزق ظهره بصدر النبى ﷺ حين عرفه، وجعل النبى ﷺ يقول: «**من يشترى العبد؟**»، فقال: يا رسول الله إذًا والله تجدنى كاسدًا(٤)، فقال النبى ﷺ: «**ولكن عند الله لست بكاسد- أو قال: لكن عند الله غالٍ**»(٥).

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٩٩٠) كتاب البر والصلة، وأحمد (٨٥٠٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٠٩).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٢٢٥) كتاب النكاح.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٠٣) كتاب الأدب، ومسلم (٢١٥٠) كتاب الأدب.

(٤) كاسدًا: من الكساد وهو العطل والبوار.

(٥) صحيح: أخرجه أحمد (١٢٢٣٧)، والتِّرْمِذِى فى الشَّمائل (٢٣٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى مختصر الشمائل (٢٠٤).

موقف طريف

وها هو موقف من أطرف المواقف التى دارت بين النبى ﷺ وبين أحد الصحابة رضي الله عنهم.

- ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجلٌ النبى ﷺ فقال: هلكت، وقعت على أهلى فى رمضان، قال: «**أعْتقْ رقبة**». قال: ليس لى. قال: «**فصم شهرين متتابعين**». قال: لا أستطيع. قال: «**فأطعم ستين مسكينًا**». قال: لا أجد. فأُتى بعرق[1] فيه تمرٌ، فقال: «**أين السائل؟ تصدق بها**». قال: على أفقر منى؟ والله ما بين لابتيها[2] أهلُ بيتٍ أفقر منا. فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه، قال: «**فأنتم إذًا**»[3].

وهذا موقف آخر

وها هو موقف آخر يوضح لنا كيف كان النبى ﷺ سهلًا لينًا، لا تفارقه البسمة لكنه كان يضعها فى موضعها.

ففى الحديث الذى رواه البخارى عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ، وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه عاليةً أصواتُهن على صوت النبى ﷺ، فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب، فأذن له النبى ﷺ، فدخل والنبى ﷺ يضحك، فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله، بأبى أنت وأمى. فقال ﷺ: «**عجبتُ من**

(١) عرق: هو المكتل ويقال إنه يسع خمسة عشر صاعًا، والصاع خمسة أرطال وثلث كما هو رأى الشافعى أو ثمانية كما هو قول أبى حنيفة.

(٢) لابتيها: اللابة: الأرض ذات الحجارة السود.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٨٧) كتاب الأدب، ومسلم (١١١١) كتاب الصيام.

هؤلاء اللاتى كُن عندى، لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب[١]».

فقال: أنت أحق أن يهبن يا رسول الله. ثم أقبل عليهن فقال: يا عَدوَّات أنفسهن، أتهبننى ولم تهبن رسول الله ﷺ؟ فقلن: إنك أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ: «**إيه يا ابن الخطاب، والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًّا**[٢] **إلا سلك فجًّا غير فجك**»[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أو خيبر، وفى سهوتها ستر، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر من بنات لعائشة لُعَب، فقال: «**ما هذا يا عائشة؟**»، قالت: بناتى. ورأى بينهن فرسًا لها جناحان من رقاع، فقال: «**ما هذا الذى أرى وسطهن؟**». قالت: فرس. قال: «**وما هذا الذى عليه؟**»، قالت: جناحان. قال: «**فرس له جناحان؟!**»، قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلًا لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه[٤].

هذه بتلك

بل وصل الأمر إلى درجة رفيعة من الحلم والتواضع حتى إن النبى ﷺ كان يسابق أمنا عائشة رضي الله عنها لتعلم يقينًا أن النبى ﷺ لن يحرمها من اللطف

---

(١) تبادرن الحجاب: أى: اختبأن وراء الستارة.

(٢) فجًّا: الفج: هو الطريق الواسع.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٩٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٣٩٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٣٢) كتاب الأدب، والنَّسائى فى الكبرى تحفة الأشراف (١٢/ ١٧٧٤٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٣٢٦٥).

والعطف والرعاية فهى صفات راسخة فى قلب الحبيب ﷺ الذى ما أرسله الله إلا رحمة للعالمين.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، وكنت جارية، لم أحمل اللحم ولم أبدن.

فقال رسول الله ﷺ للناس: «**تقدموا، تقدموا**» فتقدموا، ثم قال: «**يا عائشة تعالى حتى أسابقك**» فسابقته فسبقته، فسكت، حتى إذا حملت اللحم ونسيت خرجت معه فى بعض أسفاره، فقال للناس: «**تقدموا**»، فتقدموا، ثم قال لى: «**تعالى أسابقك**»، فسابقته فسبقنى، فجعل يضحك ويقول: «**هذه بتلك**»[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أتيت النبى ﷺ بخزيرة قد طبختها له، فقلت لسودة -والنبى ﷺ بينى وبينها:- كُلى، فأبت، فقلت: لتأكلن، أو لأُلطخَنَّ وجهك، فأبت فوضعتُ يدى فى الخزيرة فطليت وجهها، فضحك النبى ﷺ فوضع بيده لها وقال لها: «**الطخى وجهها**»، فضحك النبى ﷺ فمرَّ عمر فقال: يا عبد الله يا عبد الله! فظن أنه سيدخلُ فقال: «**قوما فاغسلا وجوهكما**». فقالت عائشة: فمازلت أهاب عُمر لهيبة رسول الله ﷺ[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٥٧٤٥)، صححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٣١)، وصحيح الجامع (٧٠٠٧).

(٢) صحيح: أخرجه أبو يعلى (٤٤٧٦)، وابن عساكر (٤٤/ ٩٠)، وقال الهيثمى (٤/ ٣١٦): رواه أبويعلى، ورجاله رجال الصحيح خلا محمد بن عمرو بن علقمة وحديثه حسن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣١٣١).

ما فعل شِراد جملك؟!

۞ قَالَ خَوَّاتُ بْنُ جُبَيْرٍ:

نَزَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانِ[١]، قَالَ: فَخَرَجْتُ مِنْ خِبَائِى فَإِذَا أَنَا بِنِسْوَةٍ يَتَحَدَّثْنَ، فَأَعْجَبْنَنِى، فَرَجَعْتُ فَاسْتَخْرَجْتُ عَيْبَتِى[٢]، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا حُلَّةً فَلَبِسْتُهَا وَجِئْتُ فَجَلَسْتُ مَعَهُنَّ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ قُبَّتِهِ فَقَالَ: «**أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا يُجْلِسُكَ مَعَهُنَّ؟**»، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ هِبْتُهُ واخْتَلَطْتُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ جَمَلٌ لِى شَرَدَ، فَأَنَا أَبْتَغِى لَهُ قَيْدًا فَمَضَى وَاتَّبَعْتُهُ، فَأَلْقَى إِلَيَّ رِدَاءَهُ وَدَخَلَ الْأَرَاكَ[٣] كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ مَتْنِهِ فِى خَضِرَةِ الْأَرَاكِ، فَقَضَى حَاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ، فَأَقْبَلَ وَالْمَاءُ يَسِيلُ مِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ - أَوْ قَالَ: يَقْطُرُ مِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ - فَقَالَ:

«**أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ جَمَلِكَ؟**».

ثُمَّ ارْتَحَلْنَا فَجَعَلَ لَا يَلْحَقُنِى فِى الْمَسِيرِ إِلَّا قَالَ:

«**السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ ذَلِكَ الْجَمَلِ؟**».

فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ تَعَجَّلْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ، واجْتَنَبْتُ الْمَسْجِدَ وَالْمُجَالَسَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ تَحَيَّنْتُ سَاعَةَ خَلْوَةِ الْمَسْجِدِ، فَأَتَيْتُ الْمَسْجِدَ فَقُمْتُ أُصَلِّى، وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَعْضِ حجرِهِ فَجَأَةً فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ وطَوَّلْتُ رَجَاءَ أَنْ يَذْهَبَ ويَدَعُنِى فَقَالَ: «**طَوِّلْ أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا شِئْتَ أَنْ تُطَوِّلَ فَلَسْتُ قَائِمًا حَتَّى تَنْصَرِفَ**».

---

(١) موضع بقرب مكة.

(٢) وعاء يُجعل فيه الثياب.

(٣) شجر معروف.

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاللهِ لَأَعْتَذِرَنَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ولَأُبْرِئَنَ صَدْرَهُ، فَلَمَّا قَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ ذَلِكَ الْجَمَلِ؟» فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا شَرَدَ ذَلِكَ الْجَمَلُ مُنْذُ أَسْلَمَ، فَقَالَ: «رَحِمَكَ اللهُ» ثَلَاثًا ... ثُمَّ لَمْ يُعِدْ لِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ[1].

❊ ❊ ❊

(١) رواه الطبراني في الكبير (٤/ ٢٠٣)، رقم (٤١٤٦)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٤٠١): رواه الطبراني من طريقين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير الجراح بن مخلد وهو ثقة.

لعله خير

كان هناك ملك عنده وزير مستقيم وحكيم وكان هذا الوزير يتوكل على الله فى جميع أموره إلى أن حدثت هذه الحادثة....

انقطع للملك فى يوم من الأيام أحد أصابع يده وخرج الدم من يده، وعندما رآه الوزير قال: لعله خير إن شاء الله، وعند ذلك غضب الملك على الوزير، وقال: أين الخير والدم يجرى من إصبعى؟...

وبعدها أمر الملك بسجن الوزير: وما كان من الوزير إلا أن قال كعادته لعله خير وذهب للسجن!!

وكعادته كان الملك فى كل يوم جمعة يذهب إلى النزهة... وفى آخر النزهة حطَّ رَحله قريبًا من غابة كبيرة وبعد استراحة قصيرة دخل الملك الغابة، وكانت المُفاجأة أن الغابة بها ناس يعبدون صنمًا وكان ذلك اليوم هو يوم عيد الصنم، وكانوا يبحثون عن قُربان يقدمونه للصنم... وصادف أنهم وجدوا الملك فلم يعرفوه وألقوا القبض عليه لكى يقدموه قُربانًا إلى آلهتهم... وقد رأوا إصبعه مقطوعًا وقالوا: هذا فيه عيب ولا يُستحسن أن نقدمه قربانًا وأطلقوا سراحه..!!

حينها تذكر الملك قول الوزير عند قطع إصبعه: لعله خير.

بعد ذلك رجع الملك من الرحلة وأطلق سراح الوزير من السجن وأخبره بالقصة التى جرت عليه فى الغابة... وقال له فعلًا كان قطع الأصبع خيرًا لى.. ولكن سوف أسألك سؤالًا واحدًا: وأنت ذاهب إلى السجن سمعتك تقول: لعله خير... وأين الخير وأنت ذاهب إلى السجن؟!!

قال الوزير: أنا وزيرك ودائمًا معك ولو لم أدخل السجن لكنت معك فى الغابة وبالتالى قبضوا علىَّ عَبَدَة الصنم وقدمونى قُربانًا لآلهتهم وأنا لا يوجد بى عيب... ولذلك دخولى السجن كان خيرًا لى!!



حاسد تحت الطلب!!

۞ ورد أن رجلًا ترك ولدين بعد مماته وخلَّف لهما مالًا لا بأس به فاقتسماه وتصرَّف كلٌّ منهما فى حقه فاشتغل الابن الأصغر فى التجارة وأخلص لله فى عمله وكان كثير التصدُّق لا يبخل على عباد الله بنعمة فنمتْ تجارته وازدادت أمواله وأصبح ذا ثروة طائلة ولم يكن له أعداء لذلك كانت أمواله مُحصنة لا يؤثر فيها حسد. أما الابن الآخر فقد سلك طريق الغواية حتى أهلك ثروته فى الخمر والميسر والزنا، فنفدت أمواله عن آخرها وأصبح فقيرًا لا يجد ما يقتات به ومع ذلك كان أخوه كثير العطف عليه يئويه ويقدم له من المأكل والملبس ما يكفيه. ولم يكتفِ هذا بعطف أخيه عليه، بل أخذ الحسد يتمكن من قلبه لأخيه، وفكر فى طريقة يضيع بها ثروة أخيه، حتى يصبح مماثلًا له فى الفقر، وبذلك يطمئن قلبه فلا يعايره الناس بفقره ويشيدون بسمعة أخيه .. فصار يجتهد للوصول إلى تنفيذ غرضه الدنىء، وأخيرًا اهتدى بوحى من إبليس إلى رجلٍ حَسود اشتهر بحسده، وقليل من القوم مَن نجا من حسده، وكان الحاسد ضعيف البصر لا يكاد يرى إلا عن قرب، فذهب الأخ الأكبر إلى هذا الرجل المشهور بحسده، وطلب منه حسد أموال أخيه مقابل أجرٍ يدفعه عند هلاك ثروته وأخذه إلى طريق كانت تمر منه تجارة أخيه فنبَّه الأخُ الأكبر الرجل الحسود إليها - التجارة - قائلًا: استعد فقد قربت تجارة أخى، وصارت على بعد ميل واحدٍ منا، فقال الرجل الحسود: يا لقوة بصرك، أتراها على هذا البعد، يا ليتَ لى بصر قوى مثل بصرك، فشعر صاحبنا بألم فى رأسه، وأظلمت عيناه وعمى فى الحال ومرت تجارة أخيه سالمة لا يمسها سوء.

فيك من يكتم السر؟!!!

۞ تحكى كتب الأدب، أن رجلًا كان يحرث فى حقله فوجد جرة ملأى ذهبًا، فسُرَّ بذلك سرورًا لا مزيد عليه.

ولما ذهب إلى منزله ليخبر امرأته، تذكَّر فى نفسه أن النساء لا يحفظن أى سر مهما كانت خطورته، فلربما أخبرتُها بذلك فتقوم وتُفشى هذا السر، فيبلغ الملك ويأخذ منى جَرَّة الذهب.

فصمم على أن يختبر امرأته قبل أن يُعلمها بذلك، فبات تلك الليلة، وأخفى بيضة بالقرب من سريره، وعند الصباح أيقظ امرأته.

وقال لها: إنى عازم على أن أُخبرك بسرٍّ كبير، وأشترط عليك ألا تخبرى أحدًا فهل تقدرين على كتمان هذا السر؟

فقالت له: كيف لا أقدر؟

فقال لها: يصادفنى فى كل ليلة أمرٌ غريب، وأجد نفسى عند الصباح وقد بِضتُ بيضة، وها هى، ولقد كنت أخفى عنك ذلك خوفًا من أنك تخبرين أحدًا بذلك، ولما عرفت أنك مؤتمنة على أسرارى أخبرتك بما كان، فإياك أن تخبرى أحدًا.

فقالت له: كن مطمئن البال.

وخرج زوجها من البيت، ولما ابتعد بضع خطوات من البيت، شعرت زوجته بثقل الخبر وصعدت على السطح فرأت جارتها، فأومأت إليها أن تقترب منها.

فلما اقتربت قالت لها: هل تعدينى يا أختى أن تكتمى السر فوعدتها

جارتها - كما وعدت هى زوجها -.

فقالت لها: إن زوجى يبيض فى كل ليلة بيضتين، وقد رأيت ذلك بعينى، فتعجبتُ كل العجب، وقد أوصانى زوجى أن أكتم هذا السر، فأرجوك ألا تخبرى أحدًا.

فقالت لها جارتها: لا تخافى، لأني سأحفظ السر كما حفظته أنتِ.

ونزلت الجارة من السطح وذهبت لجارتها الأخرى وقالت لها: هل تدرين يا أختاه أن زوج جارتنا يبيض كل يوم عشر بيضات، ولقد أخبرتنى زوجته فى هذا الصباح، وأكدت علىَّ ألا أُخبر أحدًا، وإنى أردت أن أخبرك عن هذا بشرط أن تكتمى هذا السر.

فقالت لها الجارة الأخرى: لكِ علىَّ ذلك.

وما لبثت أن خرجت من عندها فلبست ثيابها، وذهبت عند جارتها الثانية وأخبرتها ولكن قالت: إنه يبيض عشرين بيضة.

وهكذا، صار ينتقل الخبر من امرأة لأخرى، ولكن بازدياد عدد البيض، ولم تغرب الشمس حتى بلغ عدد البيض مائة، وعرف الحاكم بذلك، فأرسل إلى الرجل ولما أُحضر إليه قال له: أخبرنى يا رجل، كيف تبيض كل يوم مائة بيضة؟!

فقال له: يا مولاى، هل تصدق أن أحدًا من بنى آدم يبيض مثل الدجاج، ولكن المسألة فيها سِرٌّ عظيم، إن أعطيتنى الأمان أخبرتك عنه.

فقال له الحاكم: عليك الأمان. تكلم.

فأخبره عن جرة الذهب التى وجدها فى حقله، وكيف أنه أراد أن يمتحن امرأته، إذا كانت تحفظ السر خوفًا من ضياعها من يده، فأخبرها أنه يبيض

كل يوم بيضة، وأوصاها ألا تُعلم أحدًا بذلك، وكيف أنها ما غابت الشمس حتى عرفت البلد كلها، وصارت البيضة مائة.

فضحك الحاكم لما سمع كلامه، وترك له الجرة بما فيها، وأوصاه بألا يعطى سرًّا لامرأته طوال حياته.

كلما أردت أن أشهد لأحدهما منعني الآخر بحُجته

۞ قال أبو يوسف القاضى: تحاكم إلىَّ هارون الرشيد وزبيدة فى «الفالوذج» و«اللوزينج» أيهما أطيب؟

فقلت: إنى لا أحكم فى غائب!

فأمر الرشيد باتخاذهما، وتقديمهما بين يدى!

فلما أُحضرا، جعلت آكل من هذا مرة، ومن هذا أخرى، حتى أكلت كل ما أحضروه!

فقال لى الرشيد: أيهما أطيب؟

فقلت: يا أمير المؤمنين! كلما أردت أن أشهد لأحدهما منعنى الآخر بحُجته[1]!

---

(١) «القول النبيل» (ص: ٥٠).

الفالوذج: حلواء تعمل من الدقيق، والماء، والعسل، وتُعرف عند أهل مصر «بالبالوظة».

اللوزينج: شبه القطائف، تؤدم بدهن اللوز.

إياك وعقوق الوالدين

۞ **قال ابن الجوزي:** حكى لى بعض الإخوان، أن بعض المغفلين كان يقود حمارًا، فقال بعض الأذكياء لرفيقه: يمكنني أخذ هذا الحمار، ولا يعلم هذا المغفل، قال: كيف وحبل الحمار فى يده؟

فتقدم الذكى فحلَّ الحبل من عنق الحمار وربطه فى عنق نفسه، ثم قال لصديقه: خذ أنت الحمار وانصرف، فأخذه وانصرف، ومشى المغفل دون أن يدرى ما حدث... فجاء ليجذبه كى يمشي فلم يمشِ، فالتفت فرآه رجلًا... فقال: أين الحمار؟ فقال له: أنا هو. قال: وكيف؟

قال: كنت عاقًّا لوالدتى فدعت علىَّ فمسخنى الله حمارًا بعد موتى... ولى هذه المدة فى خدمتك... والآن قد رضيت عنى أمى فعُدت آدميًا، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله... وكيف أستخدمك وأنت ميت؟ قال: قد كان ذلك.

قال: فاذهب فى رعاية الله .. فذهب... ومضى المغفل إلى بيته، وحكى لزوجته القصة، ثم قال: بماذا نكفر عن ذنبنا وكيف نتوب وقد سخرنا ميتًا فقالت له: تصدَّق بما يمكنك ثم مرت أيام عديدة، فقالت له زوجته: اذهب واشترِ حمارًا لتحمل عليه، فخرج إلى السوق، فرأى حماره يُباع ويُنادَى عليه، فتقدم منه وجعل فمه فى أذنه وقال: يا شقى عُدت إلى عقوق أمك!!

أظرف لص في العالم[1]

۞ **قال أحمد بن المعدل البصري**: كنت جالسًا عند عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون، فجاءه بعض جُلسائه، فقال: أعجوبة.

قال: ما هى؟ قال: خرجت إلى حائطى بالغابة، فلما أن أصحرت وبعدت عن البيوت (بيوت المدينة) تعرَّض لى رْجل، فقال: اخلع ثيابك، فقلت: وما يدعونى إلى خلع ثيابى، قال: أنا أولى بها منك، قلت: ومن أين؟ قال: لأنى أخوك وأنا عريان وأنت مكس، قلت: فالمواساة؟ قال: كلا قد لبستها برهة وأنا أريد أن ألبسها كما لبستها، قلت: فتُعرينى وتُبدى عورتى، قال: لا بأس بذلك قد روينا عن مالك أنه قال لا بأس للرجل أن يغتسل عريانًا، قلت: فيلقانى الناس فيرون عورتى؟ قال: لو كان الناس يرونك فى هذا الطريق ما عرضت لك فيها، فقلت: أراك ظريفًا، فدعنى حتى أمضى إلى حائطى وأنزع هذه الثياب، فأُوجِّه بها إليك، قال: كلا أردت أن توجِّه إلىَّ أربعة من عبيدك، فيحملونى إلى السلطان فيحبسنى، ويمزق جلدى، ويطرح فى رجلى القيد، قلت: كلا، أحلف لك أيمانًا أنى أُوفِّى لك بما وعدتك ولا أسوءك، قال: كلا إنا روينا عن مالك أنه قال: لا تلتزم الأيمان التى يحلف بها اللصوص، قلت: فأحلف أنِّي لا أحتال في أيماني هذه، قال: هذه يمين مُركَّبة على اللصوص، قلت: فَدَعْ المناظرة بيننا، فوالله لأوجهن إليك هذه الثياب طيبة بها نفسي، فأطرق، ثم رفع رأسه وقال: تدري فيم فكرت؟ قلت: لا، قال: تصفحت أمر اللصوص من عهد

---

(١) الأذكياء (ص ٢٣٦).

رسول الله ﷺ إلى وقتنا هذا، فلم أجد لصًا أخذ نسيئة، وأكره أن أبتدع فى الإسلام بدعة يكون علىَّ وزرها ووزر مَن عمل بها بعدى إلى يوم القيامة، اخلع ثيابك، قال: فخلعتها ودفعتها إليه، فأخذها وانصرف.

مغامرة في أدغال أفريقيا

۞ يُحكى أن رجلًا كان يتمشى فى أدغال إفريقيا حيث الطبيعة الخلابة وحيث تنبت الأشجار الطويلة بحكم موقعها على خط الاستواء، وكان هذا الرجل يتمتع بمنظر الأشجار وهى تحجب أشعة الشمس من شدة كثافتها، وكان صاحبنا يستمتع بتغريد العصافير ويستنشق بعمق شذى عبير الزهور الذى كانت تفوح منه الروائح الزكية..

وبينما هو مستمتع بهذه المناظر الخلابة سمع صوت عدوٍ سريع والصوت فى ازدياد ووضوح، والتفت الرجل إلى الخلف وإذا به يرى أسدًا ضخم الجثة منطلقًا بسرعة خيالية نحوه، ومن شدة الجوع الذى ألمَّ بالأسد كان خصره ضامرًا بشكل واضح، وهو يبحث عن شىء يسد به رمقه!!

أخذ الرجل يجرى بسرعة والأسد وراءه، وعندما أخذ الأسد يقترب منه، رأى الرجل بئرًا قديمة فقفز قفزة قوية فإذا هو فى البئر وأمسك بحبل البئر الذى يسحب به الماء، وأخذ الرجل يتمرجح داخل البئر وعندما أخذ أنفاسه وهدأ روعه وسكن زئير الأسد، وإذا به يسمع صوت فحيح ثعبان ضخم الرأس عريض الطول بجوف هذا البئر وفيما هو يفكر بطريقة يتخلص بها من الأسد والثعبان إذا بفأرين أحدهما أسود والآخر كان أبيض اللون يصعدان إلى أعلى الحبل وبدءا يقرضان الحبل وتهلّع الرجل خوفًا وأخذ يهز الحبل بيديه بغية أن يذهب الفأران وأخذ يزيد عملية الهزّ حتى أصبح يتمرجح يمينًا وشمالًا بداخل هذه البئر السحيقة، وبينما هو كذلك إذا به يصطدم بشىء رطب ولزج ضربه بمرفقه ليكتشف بعدها أنه عسل النحل التى تبنى بيوتها فى الجبال وعلى الأشجار وكذلك فى الكهوف،

فأخذ الرجل يتذوق هذا العسل اللذيذ فأخذ منه لعقة وأتبعها بثانية وثالثة وهكذا... ومن شدة حلاوة العسل نسى صاحبنا الموقف الذى هو فيه وفجأة استيقظ الرجل من النوم فقد كان حُلمًا مزعجًا وفظيعًا...

بعدها قرر الرجل الذهاب إلى شخص يساعده على تفسير هذا الحلم فتوجه إلى أحد الشيوخ وأخبره بهذا الحلم فضحك الشيخ، وقال له: ألم تعرف ما تفسيره؟؟

قال الرجل: لا.. أخبرنى..

قال له الشيخ: الأسد كان يجرى وراءك هو ملك الموت الذى يلاحقك وينتظر خروجك والبئر التى وقعت فيها وبها الثعبان هى قبرك، أما الحبل الذى تعلقت فيه فهو عمرك، أما الفأران الأبيض والأسود فهما الليل والنهار اللذان يقصان من عمرك شيئًا فشيئًا..!!

قال الرجل: والعسل يا شيخ؟

قال الشيخ: هو الدنيا ومن حلاوتها نسيت أن وراءك موتًا وحسابًا!!

صاحبة الدينار

۞ قال رجل من بنى نوفل بن عبد مناف: لما أصاب (نصيب) من المال ما أصاب، وكان عنده أم محجن وكانت سوداء اشتاق إلى البياض، فتزوج امرأة سرية بيضاء، فغضبت أم محجن وغارت عليه، فقال لها: والله يا أم محجن ما مثلى يُغار عليه إنى شيخ كبير، وما مثلك يغار إنك لعجوز كبيرة، وما أحد أكرم علىَّ منك ولا أوجب حقًّا، فجوزى هذا الأمر ولا تُكدريه علىَّ ... فرضيت.

ثم قال لها بعد ذلك: هل لك أن أجمع إليك زوجتى الجديدة، فهو أصلح لذات البين، وألَمُّ للشعث وأبعد للشماتة، فقالت: نعم، افعل وأعطاها دينارًا، وقال لها: إنى أكره أن ترى بك خصاصة أن تفضل عليك، فاعملى لها إذا أصبحت عندك غدًا بهذا الدينار، ثم أتى زوجته الجديدة، فقال لها: إنى أردت أن أجمعك إلى أم محجن غدًا، وهى مُكرمتك وأكره أن تفضل عليك أم محجن، فخذى هذا الدينار فأعدِّى لها به إذا أصبحت عندها غدًا، لئلا ترى بك خصاصة، ولا تذكرى لها الدينار، ثم أتى صاحبًا له يستنصحه، فقال: إنى أريد أن أجمع زوجتى الجديدة إلى أم محجن غدًا، فأتنى مُسلِّمًا، فإنى سأستجلسك للغداء، فإذا تغذيت فسلنى عن أحبهما إلىَّ، فإنى سأنفر وأُعظِّم ذلك، فإذا أبيت عليك أن لا أخبرك فاحلف علىَّ، فلما كان الغد زارت زوجته الجديدة أم محجن، ومَرَّ به صديقه، فاستجلسه، فلما تغذَّيا أقبل الرجل عليه، فقال: يا أبا محجن، أحب أن تخبرنى عن أحب زوجتيك إليك فقال: سبحان الله، أتسألنى عن هذا؟ ما سأل عن مثل هذا أحد.

قال: فإنى أقسم عليك لتخبرنى، فوالله لا عذرتك ولا أقبل إلا ذاك.

قال: أما إذ فعلت فأحبهما إلىَّ صاحبة الدينار ... والله لا أزيد على هذا شيئًا، فأعرضت كل واحدة منهما تضحك ونفسها مسرورة، وهى تظن أنه عناها بذلك القول.

ذكاء القاضي

۞ قال القاضى أبو الحسين بن عتبة: كانت لى ابنة عمٍّ موسرة وتزوجتها، فلم أوثرها لشيء من الجمال، ولكنى كنت أستعين بمالها وأتزوج سرًّا، ... فإذا فطنت بذلك هجرتنى وطرحتنى، وضيقت علىَّ إلى أن أطلق مَن تزوجتها، ثم تعود إلىَّ، فطال ذلك علىَّ، وتزوجت صبية حسناء موافقة لطباعى مساعدة على اختيارى، فمكثت معى مدة يسيرة وسُعى بها إلى ابنة عمى، فأخذتْ فى المناكدة والتضييق علىَّ، فلم يسهل علىَّ فراق تلك الصبية، فقلت لها: استعيرى من كل جارة قطعة من أفخر ثيابها، حتى يتكامل لك خلعة تامة الجمال، وتبخَّرى بالعنبر واذهبى إلى ابنة عمى، فابكى بين يديها، وأكثرى من الدعاء لها والتضرُّع إليها أن تُضجريها، فإذا سألتك عن حالك، فقولى لها: إن ابن عمى قد تزوجنى، وفى كل وقت يتزوج علىَّ واحدة، وينفق مالى عليها، وأريد أن تسألى القاضى معونتى وإنصافى منه، فإنى أقدمه إليه، فإنها سترفعك إلىَّ ... ففعلت فلما دخلت عليها واتصل بكاؤها رَحِمتها، وقالت لها: فالقاضى شرٌّ من زوجك، وهكذا يفعل بى، وقامت فدخلت علىَّ، وأنا فى مجلسٍ لى، وهى غَضْبَى، ويد الصبية فى يدها، فقالت: هذه المشؤومة حالها مثل حالى، فاسمع مقالها واعتمد إنصافها، فقلت: ادخلا، فدخلتا جميعًا فقلت لها: ما شأنك؟ قالت: فذكرت ما وافقها عليه، فقلت لها: هل اعترف ابن عمك بأنه قد تزوج عليك؟ فقالت: لا والله وكيف يعترف بما يعلم أنى لا أُقره عليه. قلت: فشاهدت أنت هذه المرأة ووقفت على مكانها وصورتها؟ فقالت: لا والله. فقلت: يا هذه، اتقى الله، ولا تقبلى شيئًا سمعتيه، فإن

الحُسَّاد كثير والطُّلاب لإفساد النساء كثير، فهذه زوجتى قد ذُكر لها أنى تزوجت عليها، وكل زوجة لى وراء هذا الباب طالق ثلاثًا، فقامت ابنة عمى، فقبَّلت رأسى، وقالت: قد علمت أنه مكذوبٌ عليك أيها القاضى قال: ولم يلزمنى حِنثٌ لاجتماعهما بحضرتى.

لو شربت الرابعة لادَّعيت أنك رسول الله!!

۞ خرج الخليفة العباسى المهدى يتعبد، فغار به فرسه[١] حتى وقع فى خباء أعرابى فقال: يا أعرابى: هل من قِرى[٢]، فأخرج له قرص شعير، فأكله، ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه، ثم أتاه بشراب فى ركوة[٣] فسقاه فلما شرب قال للأعرابى:

أتدرى مَن أنا؟ قال: لا. قال: أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة.

فقال الأعرابى: بارك الله لك فى موضعك.. ثم سقاه مرة أخرى، فشرب.

قال المهدى: يا أعرابى، أتدرى مَن أنا؟

فقال: زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصه.

قال: لا، أنا قائد أمير المؤمنين.

فقال الأعرابى: رحبت بلادك وطاب مرادك، ثم سقاه الثالثة.

فلما فرغ قال: يا أعرابى، أتدرى مَن أنا؟

قال: زعمت أنك قائد أمير المؤمنين. قال المهدى: لا، ولكنى أمير المؤمنين.

فأخذ الأعرابى الركوة فوكأها[٤]، وقال: إليك عنى، فوالله لو شربت الرابعة لادَّعيت أنك رسول الله ﷺ، فضحك المهدى حتى غُشى عليه.

---

(١) أسرع واندفع.

(٢) ضيافة.

(٣) إناء صغير من جلد.

(٤) فغطاها.

ثم أحاطت به الخيل، ونزل إليه الأُمراء والأشراف، فطار قلب الأعرابى، فقال له المهدى: لا بأس عليك، ولا خوف، ثم أمر له بكسوةٍ ومالٍ جزيل.

❊❊❊

الرجل الذي طلَّق خمسة في يومٍ واحد!!

۞ قال رجل للرشيد يومًا: بلغنى يا أمير المؤمنين أن رجلًا من العرب طلق فى يوم خمس نسوة.

قال: إنما يجوز ملك الرجل على أربع نسوة، فكيف طلق خمسًا؟!

قال: كان لرجل أربع نسوة فدخل عليهن يومًا فوجدهن متلاحيات متنازعات، وكان سيئ الخلق.

فقال: إلى متى هذا التنازع؟ ما إخال هذا الأمر إلا من قِبَلك ... يقول ذلك لامرأة منهن، اذهبى فأنت طالق.

فقالت له صاحبتها: عجَّلت عليها بالطلاق، ولو أدبتها بغير ذلك لكنت حقيقًا.

فقال لها: وأنت أيضًا طالق.

فقالت له الثالثة: قبَّحك الله، فوالله لقد كانتا إليك محسنتين، وعليك مفضلتين.

فقال: وأنت أيتها المُعدِّدة أياديهما طالق أيضًا.

فقالت له الرابعة - وكانت هلالية وفيها أناة شديدة -: ضاق صدرك عن أن تؤدب نساءك إلا بالطلاق.

فقال لها: وأنت طالق أيضًا.

وكان ذلك بمسمع جارة له، فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه.

فقالت: والله ما شهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف إلا لما

بلوه منكم ووجدوه فيكم، ... أبيت إلا طلاق نساءك فى ساعة واحدة.

قال: وأنت أيضًا أيتها المؤنبة المتكلفة طالق إن أجاز زوجك.

فأجابه من داخل بيته: هيه، قد أجزتُ، قد أجزتُ.

طلاق بلا رجعة!!!

۞ دخل أعرابى على الحجَّاج فسمعه يقول: لا تكمل النعمة على المرء حتى ينكح أربع نسوة يجتمعن عنده، فانصرف الأعرابى فباع متاع بيته، وتزوج أربع نسوة، فلم توافقه منهن واحدة، خرجت واحدة حمقاء رعناء، والثانية متبرجة، والثالثة فارك أو قال فروك، والرابعة مذكرة، فدخل على الحجاج فقال: أصلح الله الأمير، سمعت منك كلامًا أردت أن تتم لى به قرة عين؛ فبعت جميع ما أملك، حتى تزوجت أربع نسوةٍ، فلم توافقنى منهن واحدة، وقد قلت فيهن شعرًا، فاسمع منى، قال: قُل. فقال:

تزوجتُ أبغي قُرّةَ العينِ أربَعا ... فياليتَ أنّى لم أكن أتزوَّجُ
وياليتنى أَعْمَى أصمٌّ ولم أكُنْ ... تزوجتُ بل ياليت أنى مُخَدَّجُ
فواحدةٌ ما تعرفُ الله ربَّها ... ولا ما التُّقَى تدري وَلا ما التَّحرُّجُ
وثانيةٌ ما إن تقرَّ ببيتها ... مذكّرة مشهورة تتبرَّجُ
وثالثة حمقاءُ رَعْنَا سخيفةٌ ... فكل الذي تأتي من الأمر أعوجُ
ورابعةٌ مفروكةٌ ذاتُ شِرَّةٍ ... فليستْ بها نفسي مَدَى الدهر تُبْهَجُ
فهنَّ طلاقٌ كلُّهُن بوائنُ ... ثلاثًا ثلاثًا فاشْهَدُوا لا تلجلجوا

فضحك الحجاج حتى كاد يسقط من سريره، ثم قال له: كم مهورهنّ؟ قال: أربعة آلاف درهم. فأمر له بثمانية آلاف درهم [1].

---

(١) بهجة المجالس (٣/ ٣٤).

طرفة عن الطلاق

۞ يروى عن أحد الأخوة أنه أثناء ذهابه للمنزل حصل بينه وبين زوجته خلاف ومشاجرة وهذا الشى ليس بغريب ولكن هذه المرة طلبت الزوجة الطلاق من زوجها ... وهو الشيء الذى أغضب الزوج فأخرج ورقة من جيبه وكتب عليها...

نعم أنا فلان الفلانى أقرر وبكامل قواى العقلية أننى متمسك بزوجتى تمام التمسُّك ولا أرضى بغيرها زوجة!!

وضع الورقة فى مظروف وسلَّمها للزوجة وخرج من المنزل غاضبًا.. كل هذا والزوجة لا تعلم ما بداخل الورقة، وعندها وقعت الزوجة فى ورطة.. أين تذهب وما تقول؟!؟ وكيف تم الطلاق؟

كل هذه الأسئلة جعلتها فى دوامة وحيرة وفجأة دخل الزوج البيت، ودخل مباشرة إلى غرفته دون أن يتحدث كلمة واحدة... فذهبت الزوجة إلى غرفته وأخذت تضرب الباب فردَّ عليها الزوج بصوت مرتفع ماذا تريدين؟!!

فردَّت الزوجة بصوتٍ منخفض ومنكسر أرجوك افتح الباب أريد التحدث إليك!!

وبعد تردُّد فتح الزوج باب الغرفة وإذا بالزوجة تسأله بأن يستفتى الشيخ وأنها متندمة أشد الندم لعل الذى صار غلطة وأنها لا تقصد ما حدث.

فردَّ الزوج وهل أنت متندمة ومتأسفة على ما حدث؟.. ردَّت الزوجة، نعم نعم والله أنى ما أقصد ما قلت وأنى نادمة أشد الندم على ما حدث!

عندها قال الزوج افتحى الورقة وانظرى ما بداخلها!!

وفتحت الزوجة ولم تصدق ما رأت وغمرتها الفرحة وأخذت تُقبِّل الزوج وهى تقول: والله إن هذا الدين عظيم أن جعل العصمة بيد الرجل ولو جعلها بيدى لكنت قد طلقتك ٢٠ مرة كل يوم.



أريد فأسًا أقطع بها شجرة التين التي عرّفتني بك

۞ حُكى أن بعضهم أهدى للحجَّاج تينًا قبل أوانه ليأخذ منه الجائزة، فلما قَرُب من دار الحجاج، وإذا بالشرطى قد أقبل ومعه طائفة من اللصوص، وقد هرب منهم واحد، فأخذ الشرطى صاحب التين عِوضًا عنه، وقرنه معهم، فلما عرضهم على الحجاج أمر بضرب أعناقهم.

فلما قُدِّم صاحب التين صاح: أيها الأمير! لست منهم؛ فقال: ما شأنك؟ فقَصَّ عليه القصة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، كاد الملعون أن يهلك ظُلمًا، ثم قال: ما تريد من الجائزة؟ فقال: أيها الأمير! أريد فأسًا، قال: وما تصنع بها؟ قال: أقطع بها جذر شجرة التين التى عرَّفت بينى وبينك ... فضحك الحجَّاج، وأجازه جائزة سنية[1].

❊❊❊

(١) غذاء الأرواح (ص ٤٢).

احتفظي بهذا الديك وأكرمي مثواه

۞ ذكر محمد خير رمضان أنه كان لرجل يُدْعَى مُزَبِّد ديكٌ قديم الصحبة، نشأ فى داره، وعُرف بجواره؟، فأقبل عيد الأضحى، ووافق من مُزبِّد رقة الحال، وخلو بيته من كل خير ومَيْر (طعام).

فلما أراد أن يغدو إلى المصلى، أوصى امرأته بذبح الديك، واتخاذ الطعام لإقامة رسم العيد، فعمدت المرأة لتُمسكه، فجعل يصيح، ويثب من جدار إلى جدار، ومن دار إلى دار، حتى أسقط على هذا من الجيران لبنة، وكسر لذلك غضارة، وقلب للآخر قارورة.

فسألوا المرأة عن القصة فى تعرُّضها له، فأخبرتهم، فقالوا: والله ما نرضى أن يبلغ حال أبى إسحاق (مُزَبِّد) إلى ما نرى، وكانوا أجوادًا فبعث بعضهم إلى داره بشاة وبعضهم بشاتين وأنفذ بعضهم بقرة وتغالوا في الإهداء حتى غصَّت الدار بالشياه والبقر وذبحت المرأة ما شاءت ونصبت القدر وسجَّرت التَّنُّور وكَرَّ مُزبِّد راجعًا إلى منزله، فرأى روائح الشواء قد امتزجت بالهواء، فقال للمرأة: أنَّى لك هذا الخير؟ فقصَّت عيه قصة الديك، وما ساق الله إليهم ببركته من الخيرات، فامتلأ سرورًاوقال لها: احتفظى بهذا الديك النفيس، وأكرمى مثواه[1].

---

(١) دكانة الكتب (ص ٨٤).

حيلة رائعة

۞ عن يحيى بن جعفر قال: سمعت أبا حنيفة يقول: احتجت إلى ماءٍ بالبادية، فجاءني أعرابي ومعه قربة من ماء، فأبى أن يبيعنيها إلا بخمسة دراهم، فدفعت إليه خمسة دراهم، وقبضت القربة ثم قلت: يا أعرابي، ما رأيك في السويق[1]؟ فقال: هات، فأعطيته سويقًا ملتوتًا بالزيت، فجعل يأكل حتى امتلأ، ثم عطش، فقال: شربة. فقلت: بخمسة دراهم، فلم أنقصه من خمسة دراهم على قدح من ماء، فاستردت الخمسة وبقي معي الماء.

(١) السويق: حلوى من الزيت والدقيق.

أفحمني فلم يَحضرني له جواب!![1]

۞ قال منصور بن على الجهضمي: كان لى جار طُفيلى، وكان من أحسن الناس منظرًا وأعذبهم منطقًا وأطيبهم رائحة وأجملهم ملبوسًا، وكان من شأنه أنى إذا دُعيت إلى دعوة تبعنى، فيكرمه الناس من أجلى، ويظنون أنه صاحبٌ لى، فاتفق يومًا أن جعفر بن القاسم الهاشمى أمير البصرة أراد أن يختن بعض أولاده، فقلت فى نفسى: كأنى برسوله وقد جاء، وكأنى بهذا الرجل قد تبعنى، والله لئن تبعنى لأفضحنَّه، فأنا على ذلك إذ جاء الرسول يدعونى، فما زدت على أن لبست ثيابى وخرجت، فإذا أنا بالطفيلى واقف على باب داره قد سبقنى بالتأهب، فتقدمنى وتبعنى، فلما دخلنا دار الأمير جلسنا ساعة، ودُعى بالطعام، وحضرت الموائد، وكان كل جماعة على مائدة والطفيلى معى، فلما مَدَّ يده ليتناول الطعام قلت: حدثنا درست بن زياد عن أبان بن طارق، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من دخل دار قوم بغير إذنهم فأكل طعامهم دخل سارقًا وخرج مُغيرًا**».

فلما سمع ذلك قال: أَوَ لا تستحى أن تحدث بهذا الكلام على مائدة سيد مَن أطعم الطعام، وتبخل بطعام غيرك على من سواك ثم لا تستحى أن تحدث عن درست بن زياد وهو ضعيف[2] وعن أبان بن طارق وهو متروك

---

(١) «الأذكياء» (ص ٣٣٠).

(٢) درست بن زياد العنبري، ويقال القشيري، أبو الحسن القزاز، قال ابن معين: لا شيء، وقال أبو زرعة: واه الحديث: وقال أبو حاتم: حديثه ليس بالقائم، «التهذيب» (رقم ٢١٤٩).

الحديث[١] والحديث لا يُحكم برفعه إلى النبي ﷺ والمسلمون على خلافه، لأن حكم السارق القطع وحكم المغير أن يُعزَّر على ما يراه الإمام ... وأين أنت عن حديث، حدثنا أبو عاصم النبيل، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**طعام الواحد يكفي الاثنين...**» الحديث.

قال منصور بن علي فأفحمني، فلم يحضرني له جواب.

---

(١) أبان بن طارق: مجهول كما في «تقريب التهذيب» (رقم ١٣٩) قال ابن عدي: هذا حديث منكر لا يعرف إلا به، «ميزان الاعتدال» (٣/ ٩) وقال ابن حجر: وليس له أنكر منه، «التهذيب» (رقم ١٧٠).

هكذا كان سبب بُخله

۞ قيل للمتنبى: قد شاع عنك من البخل فى الآفاق، ما قد صار سمرًا بين الرفاق.

وأنت تمدح فى شعرك الكرم وأهله، وتَذُم البُخل وأهله، ألستَ القائل:

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقرٍ فالذى فعل الفقرُ

ومعلوم أن البُخل قبيح، ومنك أقبح، فإنك تتعاطى كبر النفس، وعُلو الهمة، وطلب المُلك، والبخل ينافى ذلك.

فقال: إن للبخل سببًا، وذلك أنى أذكر أنى وردتُ فى صباى من الكوفة إلى بغداد، فأخذتُ خمسة دراهم بجانب منديلى، وخرجت أمشى فى أسواق بغداد، فمررت بصاحب دكان يبيع الفاكهة، ورأيت عنده خمسة من البطِّيخ باكورة، فاستحسنتها، ونويت أن أشتريها بالدراهم التى معى. فتقدمت إليه وقلت:

بكم تبيع هذه الخمسة بطاطيخ؟

فقال بغير اكتراث: اذهب، فليس هذا من أكلك.

فتماسكتُ معه، وقلت: يا هذا، دَعْ ما يغيظ واقصد الثمن.

قال: ثمنها عشرة دراهم.

فلِشدَّة ما جبهنى[1] به ما استطعت أن أخاطبه فى المساومة، فوقفت حائرًا، ودفعت له خمسةَ دراهم، فلم يقبل، وإذا بشيخ من التجار قد خرج

(١) جبهنى: صدمنى.

من الخان[١] ذاهبًا إلى داره، فوثب إليه صاحب البطيخ من الدكان، ودعا له. وقال: يا مولاى، هذا بطيخ باكورة. بإجازتك[٢] أحمله إلى البيت؟

فقال الشيخ: ويحك. بكم هذا؟

قال: بخمسة دراهم.

قال: بل بدرهمين. فباعه الخمسة بدرهمين، وحملها إلى داره، ودعا له، وعاد إلى دكانه مسرورًا بما فعل.

فقلت: يا هذا، ما رأيت أعجب من جهلك. اسْتمتَّ[٣] علىَّ فى هذا البطيخ. وفعلت فعلتك التى فعلت، وكنتُ قد أعطيتك فى ثمنه خمسة دراهم. فبِعتَه بدرهمين محمولًا.

فقال: اسكت! هذا يملك مائة ألف دينار.

فعلمتُ أن الناس لا يُكرِمون أحدًا إكرامهم من يعتقدون أنه يملك مائة ألف دينار، وأنا لا أزال على ما تراه حتى أسمع الناس يقولون: إن أبا الطيِّب قد ملك مائة ألف دينار.

---

(١) الخان: مكان كالفندق.

(٢) بإجازتك: بعد إذنك.

(٣) أى: غاليت فى الثمن.

إن مُسخ القاضي حمارًا ظفرت بحاجتك

۞ قال أبو عبد الله بن الأعرابى: كنتُ جالسًا بالكوفة، فرأيتُ أعمى قد وقف بِنخَّاسٍ، فقال: يا نخاسُ! اطلب لى حمَارًا ليس بالكبير المشْتَهِرَ، ولا الصغيرِ المحتقر، إن خلا الطريق تدفَّق، وإن كثر الزحامُ ترفَّق؛ لا يُصادِمُ بِىَ السوارى، ولا يُدخلنى تحت البوارى، إذا أقْلَلْتُ علَفَهُ صبر، وإذا أكثرتُهُ لَهُ شَكَر، إن ركِبْتُهُ هام، وإن ركِبَهُ غيرى قام، قال له النخاس: يا عبد الله! إن مُسِخَ القاضى حمَارًا ظفرت بحاجتكَ.

حملتها لمثلك!!

۞ وَقَالَ بَعضهم: خرجت فِي اللَّيْل لحَاجَة فَإِذا أعمى على عَاتِقه جرة وَفِي يَده سراج فَلم يزل يمشي حَتَّى أَتَى النَّهر وملأ جرته وَانْصَرف رَاجعا فَقلت: يَا هَذَا أَنْت أعمى وَاللَّيْل وَالنَّهَار عنْدك سَوَاء فَقَالَ: يَا فُضُولِيّ حملتها معي لأعمى الْقلب مثلك يستضيء بهَا فَلَا يعثر بِي فِي الظلمَة فَيَقَع عَليَّ فيكسر جَرَّتي [1].

تلك خصال لا نرضاها لبنات إبليس

۞ خطب خالد بن صفوان امرأة فقال: أنا خالد بن صفوان؛ والحسب على ما قد علمتيه، وكثرة المال على ما قد بلغك، وفيَّ خصال سأبيّنها لك فتقدمين عليَّ أو تدعين؛ قالت: وما هي؟ قال: إن الحرّة إذا دنت منّي أملّتني، وإذا تباعدت عني أعلّتني، ولا سبيل إلى درهمي وديناري، ويأتي عليَّ ساعة من الملال لو أنّ رأسي في يدي نبذته؛ فقالت: قد فهمنا مقالتك ووعينا ما ذكرت، وفيك بحمد الله خصال لا نرضاها لبنات إبليس، فانصرف رحمك الله [2].

(١) «الأذكياء» لابن الجوزي (ص ١٩٥).
(٢) «عيون الأخبار» لابن قتيبة (٤/ ١٤).

وافق شَنٌّ طبقة!! [١]

۞ كان رجلٌ من دُهاة العرب وعقلائهم يقال له «شن» فقال: والله لأطوفن حتى أجد امرأة مثلى فأتزوجها. فبينما هو فى بعض مسيره إذ وافقه رجل فى الطريق، فسأله شَنٌّ أين تريد؟ فقال: موضع كذا، يريد القرية التى يقصد لها شن، فرافقه، فلما أخذا فى مسيرهما قال له شن: أتحملنى أم أحملك؟ فقال له الرجل: يا جاهل، أنا راكب وأنت راكب، فكيف أحملك أو تحملنى؟ فسكت عنه شن وسارا، حتى إذا قربا من القرية إذا هما بزرع قد استحصد، فقال له شن: أترى هذا الزرع أُكل أم لا؟ فقال له الرجل: يا جاهل ترى نبتًا مستحصدًا فتقول أتراه أُكل أم لا؟! فسكت عنه حتى إذا دخل القرية لقيتهما جنازة، فقال شن: أترى صاحب هذا النعش حيًّا أم ميتًا، فقال له الرجل: ما رأيت أجهل منك، ترى جنازة فتسأل عنها أميت صاحبها أم حى؟ فسكت عنه شن وأراد مفارقته فأبى الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله فمضى معه، وكانت للرجل ابنة يقال لها «طبقة».

فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه فأخبرها بمرافقته إياه وشكا إليها جهله وحدَّثها بحديثه.

فقالت: يا أبتِ ما هذا بجاهل، أما قوله: أتحملنى أم أحملك فأراد أتحدثنى أم أحدثك حتى نقطع طريقنا.

وأما قوله: أترى هذا الزرع أُكل أم لا، فإنما أراد أباعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا.

---

(١) «الفاخر» (ص: ٤٨).

وأما قوله: فى الجنازة فأراد هل ترك عَقِبًا يحيا بهم ذِكره أم لا.

فخرج الرجل فقعد مع «شن» فحادثه ساعة ثم قال له: أتحب أن أفسر لك ما سألتنى عنه؟ قال: نعم، ففسره.

فقال شن: ما هذا من كلامك، فأخبرنى مَن صاحبه، فقال: ابنة لى.

فخطبها إليه فزوَّجه إياها وحملها إلى أهله، فلما رأوهما قالوا: وافق شَنٌّ طبقة.

دعوت الله أن لا يريني وجهك فلم يستجب لي

۞ قال الشيخ زين الدين مرعى بن يوسف الكرمى: ذكر كثير من المؤرخين أن المنصور كان يدخل البصرة فى أيام بنى أمية مستترًا، فيجلس فى حلقة أزهر السمّان المُحدّث، فلما أفضت الخلافة إليه قَدِمَ عليه أزهر الكوفة، فرحّب به، وقرّب منزله، وقال له: ما الذى أقدمك علينا؟ قال: جئتك طالبًا، فأعطاه عشرة آلاف درهم، فأخذها وانصرف.

ثم عاد إليه فى قابل، فلما رآه، قال له: ما جاء بك؟ قال: جئت مُسلِّما عليك. فأمر له بعشرة آلاف درهم، فأخذها وانصرف.

ثم عاد إليه فى قابل، فقال له: ما الذى أقدمك؟ قال: جئت عائدًا، فأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال له: لا تأتنا طالبًا ولا مُسلِّمًا ولا عائدًا؛ فأخذها وانصرف.

ثم عاد فى العام القابل، فلما رآه، قال له: ما الذى أتى بك؟ فقال له: دعاءٌ كنت سمعته من أمير المؤمنين، جئت لأكتبه، فضحك المنصور، وقال: إنه غير مستجاب، لأنى دعوت الله أن لا يرينى وجهك، فلم يستجب لى، وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم، وتعالَ متى شئت، فقد أعيتنا فيك الحيلة[1].

---

(١) غذاء الأرواح (ص ٥١).

لأجل ذلك أكلته وحدي

۞ وقف أعرابى على أبى الأسود، وهو يتغدّى، فسلّم، فردَّ السلام، ثم أقبل على الأكل، ولم يعزم عليه، فقال الأعرابى: إنى مررت بأهلك فى طريقى.

قال أبو الأسود: كذلك كان طريقك.

قال الأعرابى: وامرأتك حُبلى.

قال أبو الأسود: كذلك كان عهدي بها.

قال الأعرابى: قد ولدت.

قال أبو الأسود: كان لابدّ لها أن تلد.

قال: ولدت غلامين.

قال أبو الأسود: كذلك كانت أمها.

قال الأعرابى: مات أحدهما.

قال: ما كانت تقوى على إرضاع اثنين.

قال الأعرابى: ثم مات الآخر.

قال أبو الأسود: ما كان ليبقى بعد موت أخيه.

قال الأعرابى: وماتت الأم.

قال أبو الأسود: ماتت حزنًا على ولديها.

قال الأعرابى: ما أطيب طعامك!

قال أبو الأسود: لأجل ذلك أكلته وحدى، ووالله لا ذُقته يا أعرابى.

أَحَبُّ الأحاديث إليه

۞ لزم أعرابى سفيان بن عُيينة مدة يسمع منه الحديث، فلما أن جاء ليسافر، قال له سفيان: يا أعرابى: ما أعجبك من حديثنا؟ قال: ثلاثة أحاديث: حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أن النبى ﷺ كان يحب الحلوى والعسل»، وحديثه ﷺ: «**إذا وُضع العَشاء وحضرت الصلاة فابدأوا بالعَشاء**»، وحديث عائشة: «**ليس من البر الصوم فى السفر**».

أستاذٌ بلا عقل!!!

۞ ذُكِرَ أن مُعلمًا، وقف يقول لطلابه فى الصف السادس الابتدائى: أترونى؟

قالوا: نعم.

قال: إذًا أنا موجود.

ثم قال: أترون اللوح؟

قالوا: نعم.

قال: فاللوح إذًا موجود.

ثم قال: أترون الطاولة؟

قالوا: نعم.

قال: فالطاولة إذًا موجودة.

ثم قال: أترون الله؟.

قالوا: لا، قال: فالله غير موجود.

فوقف أحد الطلاب الأذكياء، وقال: أترون عقل الأستاذ؟

قالوا: لا، قال: فعقل الأستاذ إذًا غير موجود![1].

---

(١) «المنهاج الأسنى» (١/ ٨).

هذا من العجائب!!

۞ من غرائب الاتفاق أن يوسف بن موسى المنتشافرى[1] قال: كنت جالسًا بين يدى الخطيب أبى القاسم التاكرونى صبيحة يوم بمسجد مالقة، فقال لنا فى أثناء حديثه: رأيت البارحة فى النوم كأن أبا عبد الله الجليانى يأتينى ببيتى شعر فى يده، وهما:

كل علمٍ يكون للمرء شُغلًا بسِوى الحق قادحٌ فى رَشاده

فإذا كان فيه لله حظٌّ فهو مما يُعِدُّه لمعاده

قال: فلم ينفصل المجلس حتى دخل علينا الفقيه الأديب أبو عبد الله الجليانى، والبيتان معه، فعرضهما على الشيخ. فأخبره أنه صنعهما البارحة، فقال له كل من فى المجلس: أخبرنا بهما الشيخ قبل مجيئك، فكان هذا من العجائب[2].

---

(١) المنتشافرى: نسبة إلى منتشافره Monte Sacno فى مقاطعة أكشوبنة.

(٢) الإحاطة فى أخبار غرناطة (٤/ ٣٨٧).

أسئلة عجيبة

۞ كتب الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ للإمام الشافعى: يا إمام، ما تقول فى الفرض، وفرض الفرض، وما يتم به الفرض، وصلاة لا فرض، وصلاة تَرْكُها فرض، وصلاة بين السماء والأرض.

فكتب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أما قول القائل: الفرض: هو الخمس صلوات، وفرض الفرض فهو الوضوء، وأما قوله: ما يتم به الفرض فهو: الصلاة على رسول الله ﷺ، أما قوله: صلاة لا فرض فهي صلاة الصغير قبل البلوغ، وأما الصلاة التى تَرْكُها فرض فهى صلاة السكران، وأما الصلاة التى بين السماء والأرض فهى صلاة سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأما الصلاة التى فى السماء والأرض فهى صلاة رسول الله ﷺ ليلة المعراج.

ذكاءٌ في الردِّ

۞ سُئل ابن الجوزى أمام الخليفة الناصر: مَن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ؟ وكان الخليفة يُفضل عليًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ويُقدمه على الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: أفضلهم مَن كانت ابنته تحته.

ولم يقدر أن يصرِّح بتفضيل أبى بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وإن كان فى هذا الجواب معنيان: إذ يمكن أن يُفهم تفضيل أبى بكر إذ كانت ابنته عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تحت رسول الله ﷺ، كما يُفهم منه تفضيل علىّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذ كانت تحته فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا بنت رسول الله ﷺ[(١)].

---

(١) «تاريخ الإسلام» الشيخ محمود شاكر (٦/ ٢١٧).

من عجائب الأجوبة

۞ روى الحافظ ابن عساكر فى تاريخه بسنده إلى حماد بن محمد أنه قال: كتب رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله عن شيء ليس له لحم ولا دم تكلم.

وعن شيء ليس له لحم ولا دم سعى؟

وعن شيء ليس له لحم ولا دم تنفس؟

وعن اثنين ليس لهما لحم ولا دم خوطبا وأجابا؟

وعن رسول بعثه الله ليس من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة؟

وعن نفس ماتت ثم عاشت بها نفسٌ غيرها؟

وعن موسى عليه السلام، وكم أرضعته أمه قبل أن تُلقيه فى اليم؟ وفى أى بحر وفى أى يوم ألقته؟

وكم كان طول آدم عليه السلام؟ وكم عاش؟ ومن كان وصيه؟ وعن طير لا يبيض ويحيض؟[1].

۞ **فقال له ابن عباس:**

- أما الشيء الذى ليس له لحم ولا دم وتكلّم فهو النار التى قالت: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[2].

- وأما الشيء الذى ليس له لحم ولا دم سعى فهو عصا موسى عليه السلام ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾[3].

---

(١) حياة الحيوان الكبرى (٨/ ١٣٤٨).

(٢) سورة ق: الآية: (٣٠).

(٣) سورة طه: الآية: (٢٠).

- وأما الشيء الذى ليس له لحم ولا دم تنفَّس فهو الصبح ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[١].

- وأما عن الاثنين الذين ليس لهما لحم ولا دم فخوطبا وأجابا فهما السماوات والأرض ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾[٢].

- وأما عن الرسول الذى بعثه الله وهو ليس من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة فهو الغراب الذى بعثه الله إلى ابن آدم ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾[٣].

- وأما عن النفس التى ماتت ثم عاشت بها نفس غيرها فهى البقرة التى ذكرها الله تعالى فى القرآن ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[٤].

وأرضعت موسى أمه قبل أن تلقيه فى اليم ثلاثة أشهر، وألقته فى بحر القلزم، وكان ذلك يوم الجمعة.

وكان طول آدم عليه السلام ستين ذراعًا، وعاش ألف سنة إلا ستين سنة، وكان وصيه شيث.

والطير الوطواط الذى نفخ فيه عيسى عليه السلام فكان طائرًا بإذن الله عز وجل.

---

(١) سورة التكوير : الآية: (١٨).

(٢) سورة فصلت : الآية: (١١).

(٣) سورة المائدة : الآية: (٣١).

(٤) سورة البقرة : الآية: (٧٣).

أجوبة مُسكتة

۞ دخل معن بن زائدة على المنصور، فأسرع المشى، وقارب الخطو، فقال له المنصور: كبرت سنُّك يا معن؟ قال: فى طاعتك يا أمير المؤمنين. قال: وإنك مع ذلك لجَلْدٌ. قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين. قال: وإن فيك لبقية. قال: هى لك يا أمير المؤمنين.

۞ قال تميم بن نصر بن سيّار لأعرابى: هل أصابتك تخمة قط؟ قال: أما من طعامك وشرابك فلا.

۞ قال معاوية لرجل من أهل اليمن: ما كان أحمق قومك حين قالوا: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾[1] أما كان جمع الشمل خيرًا لهم؟ فقال اليمانى: قومك أحمق منهم، حين قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2] أفلا قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه.

۞ قيل لمعاوية بن أبى سفيان، يوم صِفِّين: إنك تتقدم حتى نقول: إنك تُقبل، وإنك أشجع الناس، وتتأخر حتى نقول: إنك تفر، وإنك أجبن الناس. قال: أتقدم إذا كان التقدم غُنمًا، وأتأخر إذا كان التأخُّر عزمًا.

۞ أنشد ابن الرِّقاع قصيدة يذكر فيها الخمر، فقال له معاوية: أما إنى قد ارتبت فيك فى جودة وصف الشراب، فقال: وأنا قد ارتبت بك فى معرفته.

۞ قال معاوية لابن عباس: أنتم يا بنى هاشم تصابون فى أبصاركم، فقال ابن عباس: وأنتم يا بنى أمية تصابون فى بصائركم.

---

(١) سورة سبأ: الآية: (١٩).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٣٢).

۞ سمع إياس بن معاوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يهوديًّا يقول: ما أحمق المسلمين! يزعمون أن أهل الجنة يأكلون ولا يُحْدِثون. فقال له إياس بن معاوية: أوَ كل ما تأكله تُحدثه؟ قال: لا. لأن الله يجعل أكثره غذاءً، قال: فِلمَ تُنكر أن يجعل الله جميع ما يأكله أهل الجنة غذاءً.

۞ ظفر الحجَّاج بأصحاب ابن الأشعث، فجلس يضرب أعناقهم، فأُتى فى آخرهم برجل من تميم، فقال له: يا حجاج! لئن كنا أسأنا فى الدنيا، فما أحسنت فى العقوبة. فقال الحجاج: أُفٍّ لهذه الجِيَف، ما كان فيهم من يُحسن هذا؟ ... وأمر بتخلية سبيل من بقى.

۞ دخل المعتصم على خاقان عائدًا فقال للفتح بن خاقان: أيُّما أحسن، دار أمير المؤمنين أم دار أبيك؟ فقال: ما دام أمير المؤمنين فى دار أبى فدار أبى أحسن.

۞ قال الحسن لابن سيرين: تُعبِّر الرؤيا كأنك من آل يعقوب. فقال ابن سيرين: وأنت تفسر القرآن كأنك شهدت التنزيل.

۞ قال أبو الزناد لابن شبرمة فى مناظرته له: من عندنا خرج العلم، فقال ابن شبرمة: ثم لم يعد إليكم.

۞ قال أبو جعفر المنصور لأبى جَعوَنة العامرىّ من أهل الشام: ألا تحمدون الله بأنَّا قد وُلِّينا عليكم، ورُفع عنكم الطاعون؟! قال: لم يكن ليجمعكم الله علينا والطاعون.

۞ قال مالك بن أنس: قَدِم على عمر بن عبد العزيز فَتَيان، فقالا: إن أبانا توفى، فترك مالًا عند عمّنا حُمَيْد، فأمر عمر بإحضاره، فلما دخل عليه، قال له عمر: يا حميد! أنت القائل:

حميـــدُ الّـــذى أَمَـــجُ دَارُهُ أخـو الخَمْـرِ ذو الـشَّيْبَةِ الأصْـلَعُ
أَتَـانِى المَـشيبُ عَلَـى شُـرْبهَا وكَـان كَرِيمًـا فَمَـا يَنْـزعُ

فقال: نعم. قال: أما إذ أقررت، فإنى سأجلدك؟ قال: ولِمَ؟ قال: لأنك أقررت بشرب الخمر، وزعمت أنك لم تنزع عنها. فقال: هيهات، أين يُذهب بك؟ ألم تسمع قول الله يقول: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[1]؟ قال عمر: أولى لك يا حميد، لقد أفلتَّ.

ثم قال: ويحك يا حميد، كان أبوك صالحًا، وأنت رجل سوء، قال: أصلحك الله، وأنت رجل صالح، وكان أبوك رجل سوء، وما كلّ الناس يشبه أباه، فقال: إذن هؤلاء يزعمون أن أباهم توفى، وترك عندك مالًا، قال: صدقوا، وأنا أحضره الآن، فأحضره بخواتيم أبيهم، ثم قال: إن هؤلاء توفى أبوهم منذ كذا وكذا، وأنا أنفق عليهم من مالى، وهذا ما لهم. فقال عمر: ما أحدٌ أحقّ أن يكون عنده منك، قال: ما كان ليعود إلىَّ وقد خرج من عندى.

---

(١) سورة الشعراء: الآيات: (٢٢٤- ٢٢٦).

أجوبة شافية

۞ سأل الإمام على بن أبى طالب رَضِوَاللَّهُعَنْهُ ابنه الحسن رَضِوَاللَّهُعَنْهُ عن أشياء فى أمر المروءة فقال:

عليٌّ: يا بنى.... ما السداد؟

الحسن: يا أبتِ السداد دفع المنكر بالمعروف.

عليٌّ: ما الشرف.

الحسن: اصطناع المعروف، وحمل الجريرة[1].

عليٌّ: فما المروءة؟

الحسن: العفاف وإصلاح المال.

عليٌّ: فما الرأفة؟

الحسن: النظر فى اليسير ومنع الحقير.

عليٌّ: فما اللؤم؟

الحسن: إحراز المرء نفسه وبذله عرسه.

عليٌّ: فما السماح؟

الحسن: البذل فى العُسر واليُسر.

عليٌّ: فما الشُّح؟

الحسن: أن ترى ما فى يديك شرفًا، وما أنفقته تلفًا.

عليٌّ: فما الإخاء؟

(١) الجريرة: الجناية والذنب، الجمع: جرائر.

الحسن: المواساة فى الشدة والرخاء.

عليٌّ: فما الجُبن؟

الحسن: الجرأة على الصديق، والنكول عن العدو.

عليٌّ: فما الغنيمة؟

الحسن: الرغبة فى التقوى والزهادة فى الدنيا هى الغنيمة الباردة.

عليٌّ: فما الحلم؟

الحسن: كظم الغيظ وملك النفس.

عليٌّ: فما الغِنى؟

الحسن: رضى النفس بما قسم الله تعالى لها وإن قلَّ، وإنما الغِنى غِنى النفس.

عليٌّ: فما الفقر؟

الحسن: شَرَهُ النفس فى كل شىء.

عليٌّ: فما المنعة؟.

الحسن: شدة البأس ومنازعة أعزاء الناس.

عليٌّ: فما الذل؟

الحسن: الفزع عند الخوف.

عليٌّ: فما العى؟

الحسن: العبث باللحية وكثرة البزق عند المخاطبة.

عليٌّ: فما الجرأة؟

الحسن: موافقة الأقران.

عليٌّ: فما الكُلفة؟

الحسن: كلامك فيما لا يعنيك.

عليٌّ: فما الجد؟

الحسن: أن تعطى فى العزم وتعفو عند الجُرم.

عليٌّ: فما العقل؟

الحسن: حفظ القلب كلما استوعبته.

عليٌّ: فما الخرق؟

الحسن: معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك.

عليٌّ: فما الثناء؟

الحسن: إتيان الجميل وترك القبيح.

عليٌّ: فما الحزم؟

الحسن: طول الأناة والرفق بالولاة.

عليٌّ: فما السَّفه؟

الحسن: اتباع الدناءة ومصاحبة الغواة.

عليٌّ: فما الغفلة؟

الحسن: تركك المجد وطاعتك المفسد.

عليٌّ: فما الحرمان؟

الحسن: تركك حظك وقد عُرض عليك [1].

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ٣٥-٣٦).

أراد أن يسأله عن عمره

۞ قال المُبَرّدُ: قال رجل لهشام بن عمرو الفُوَطِي: كم تعُد؟ قال: من واحد إلى ألف ألف، قال: لم أُرِد هذا ... قال: فما أردتَ؟ قال: كم تعُدَّ من السنِّ؟ قال: اثنان وثلاثون، ستة عشر من أعلى وستة عشر من أسفل، قال: لم أُرِد هذا، قال: فما أردت قال: كم لك من السنين؟ قال: ما لى منها شيء، كلها لله ﷻ،.... قال: فما سِنُّك؟ قال: عَظْم، قال: فابنُ كم أنت؟ قال: ابن اثنين: أب وأم، قال: فكم أتى عليك؟ قال: لو أتى عليّ شيءٌ لقتلنى، قال: فكيف أقول؟ قال: قل: كم مضى من عمرك؟.

يا لها من نملة؟!!

۞ يُروى أن سليمان قال للنملة: لِمَ قلتِ للنمل ادخلوا مساكنكم، أخِفْتِ عليها منى ظُلمًا؟

قالت: لا، ولكنى خشيت أن يُفتنوا بما يرون مِنْ جمالك وزينتك، فيشغلهم ذلك عن طاعة الله تعالى.

۞ فائدة: قال بعضهم: إنها تكلَّمت بعشرة أنواع من البديع: قولها «يا» نادت، «أيها» نبَّهت، «النمل» سمَّت، «ادخلوا» أمرت، «مساكنكم» نعتت، «لا يحطمنكم» حذَّرت، «سليمان» خصَّت، «وجنوده» عمَّت، «وهم» أشارت، «لا يشعرون» اعتذرت[1].

---

(١) «حياة الحيوان الكبرى» (٨/ ١٢٩٤).

لا شرقية ولا غربية

عن مُحَمَّد بن يوسف القاضى، يقول: اعتلَّ أَبى عِلة شهورًا، فأتيته ذات يوم فدعا بى وبأخوى: أَبِى بكر، وأبى عَبْد اللهِ، فقال لنا: رأيت فى النوم كأن قائلًا يقول: كُلْ لا، واشرب لا، فإنك تبرأ، فقال له أخى أبو بكر: إن لا كلمة وليست بجسم وما ندرى ما معنى ذلك، وكان بباب الشام رجل يُعرف بأبى على الخياط، حسن المعرفة بعبارة الرؤيا، فجئناه به، فقصَّ عليه المنام فقال: ما أعرف تفسير ذلك، ولكنى أقرأ فى كل ليلة نصف القرآن، فأخلونى الليلة حتى أقرأ رسمى من القرآن وأفكر فى ذلك.

فلما كان من الغد جاءنا، فقال: مررت البارحة وأنا أقرأ على هذه الآية: ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾[1] فنظرت إلى لا وهى تتردد فيها وهى شجرة الزيتون اسقوه زَيتًا وأطعموه زيتًا، قَالَ: ففعلنا ذلك، فكان سبب عافيته[2].

---

(١) سورة النور: الآية: (٣٥).

(٢) «المنتظم» (١٢/ ٤٠٦).

هذا الكتاب... وذاك الطبق!!

۞ قال أحمد بن على بن ثابت: استعارَ رجل من أبى حامد بن أبى طاهر الإسْفَرَايينى الفقيه كتابًا، فرآهُ أبو حامدٍ يومًا قد أكل عليه عنبًا، ثم إن الرجل سأله بعد ذلك أن يُعيره كتابًا، فقال له تجىءُ إلى المنزل، فأتاه، فأخرج الكتابَ إليه فى طبق، وناوله إياه، قال الرجل: ما هذا؟ قال له: هذا الكتابُ الذى طلبته، وهذا الطبق تضع عليه ما تأكله؛ فعلمَ بذلك ما جنى.

دعوة مستجابة

۞ **أخى الحبيب.. أختى الفاضلة:**

أضع بين أيديكم هذا الكتاب المتواضع سائلًا ربى ﷻ أن ينفع به المسلمين فى كل زمان ومكان، وأن يجعله فى ميزان حسنات أبى وأمى.

فما كان فى هذا الكتاب من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من سهوٍ أو خطأ أو نسيان فمنى ومن الشيطان.. والله ورسوله ﷺ منه براء... وأعوذ بالله أن أُذكّركم به وأنساه.

فمن استفاد فائدة من هذا الكتاب فلا يبخل علىَّ بدعوة لعل الله أن يتجاوز عنى وعنكم، وأن يجمعنا جميعًا فى جنته إخوانًا على سُررٍ متقابلين.

۞ روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «**من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكَّل به: آمين ولك بمثله**»(١).

۞ جزى الله خيرًا كل من قرأ هذا الكتاب وتعلم منه شيئًا وعلَّمه لمن حوله.

۞ كما أنصح إخوانى وأخواتى بقراءة هذا الكتاب على المسلمين فى المساجد والبيوت ومجالس العلم لتعم الفائدة وتموت البدع وتحيا السنن وتعود الأمة مرة أخرى خير أمة أُخرجت للناس.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

۞ سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك....

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار





فهرس الموضوعات

قصص الزاهدين والزاهدات

من طرائف ونوادر الصالحين والزاهدين



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com



من إصداراتنا















